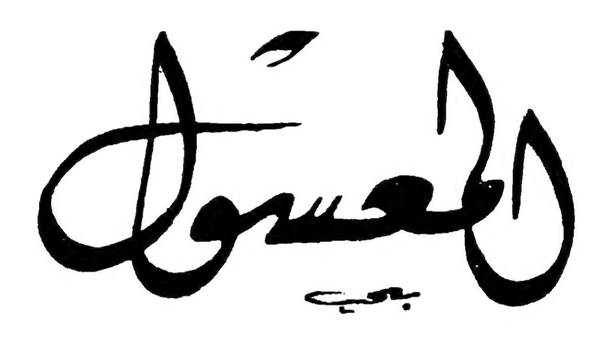
محمد المختار السوسي



١٨

المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

الباب الخامس

من

المعسول

في اصحاب الالغيين السوسيين ومن إليهم خاصة . وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول في العلماء

الفصل الثاني في اللامعين من الصوفية

الفصل الثالث في الرؤساء

الفصل الاول

في

العلماء الذين بينهم وبين الالغيين اتصال وموادة . من غير ان يكونوا اشياخهم ولا تلاميذهم ونعترف منذ الآن اننا لا نستقصي . لكننا سنجتهد أن نذكر من تيسر لنا ذكرهم ان شاء الله ، وبالله التوفيق .

القاضي سيدي موسى الروداني

١٢٨٣ هـ = ٢ - ١٠ - ١٣٦٢ هـ

نسبـــه :

هو موسى بن العربى بن ابرهيم بن عبد الله بن ابرهيم بن أحمد ابن محمد بن محمد .

مسقط رأسه فى قرية (تيروكت) بـ (رسموكة) احـدى قبائـل (جزولة) ولم يعرف عالم من أسرته ولا من حواشيها الا الحسن بن عبد الله

الحسن بن عبد الله

هو الحسن بن عبد الله بن ابرهيم بن محمد بن محمد الاعلى أخو أحمد ابن محمد بن محمد . كان من علماء عصره . وكان يدرس فى مدرسة (المولود) حينا . وله شهرة وءاثار بين محررات الاحكام فى بلده . وكان يعيش الى أول القرن الثالث عشر. وقد أوقف كتبه على مدرسة (المولود) بـ (رسموكة)

المترجم

أخبرنى فاه لاذنى يوم زرته فى ربيع الثانى عام ١٣٦١ هـ . أن أصل أجدادهم فيما أدرك أهله يقولونه . كان من مدينة (تامدولت) جلوا عنها لما خربت . كما أخبرنى أن تسميته بموسى كان من السيـدة الصالحـة المتبرك بها السيدة تعزى الاغرابوئية المتوفاة ١٢٨٨ هـ . وكـان أهلـه يتصلون بها . فلما ولد لهم اقترحوا عليها تسميته فسمته كذلك .

متلقاه للقرآن

كـان أساتذته فـى القرءان الكريم سيـدى على بن الحاج مبارك الرسموكى . افتتح عليه الى قوله تعلى (والمومنون . وليقول الذين) الخ فى حزب (قل أوحى) .

ثم الاستاذ سيدى محمد بن الحاج مبارك الرسموكى .

ثم الاستاذ سيدى ابرهيم بن محمد بن على . وبه انتفع كثيرا . وكان من الصالحين وهو من أهل (أكرض نتانوت)

ثم الاستاذ سيدى مسعود بن صالح الرسموكى من تلك القريـة أيضـــا .

هؤلاء أساتذته فى القرءان . ولم يخبرنى بأنه ارتحل عن قريته . فيكون هؤلاء الاساتذة ممن اعتوروا مسجدها اذ ذاك .

اساتذتـه في العلوم

* افتتح العلوم من أول يوم على يد الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله السملالى من (أكنى ايكلفن) من (توغزيفت) . وهو عالم كبير مشارك . يعنى كثيرا بكتب علم التنجيم وينسخها فى مسجد (تازمورت) و (منتاكة) و (وادى أيت مزال) حين كان يتقلب فى هذه الامكنة بالمشارطة . وهــو ممن تخرجوا بالاستاذ سيدى عبد الله اليوفتركاوى فى العلوم . وتخرج فى التنجيم بالاستاذ سيدى محمد بن مبارك الغيغائى من أحواز (مراكش) . توفى سيدى محمد بن عبد الله فى رمضان ١٣٢٥ هـ . ودفن فى(تازمورت) وقد كانت له وجاهة وشهرة بكــونه عارفـا يستطلع أوقــات الحوادث فى المستقبل. وكان يتعالى بذلك . وله اتصال بالباشا حمو وبغيره من الرؤساء بسبب ذلك . وهو منمشاهير أهل هذا العلم فى(سوس) مع عدم اعراضه عن التعليم . وقد لازمه المترجم اثنتى عشر سنة . وعليــه أتقــن الفقــه والعربية وعلم البيان . وقد كان ماهرا فى كل هذه العلوم مهارة كبرى .

ثم أخذ أيضا فى سنة ونصف عن العلامة سيدى أحمد بن محمد بن على السملالى المشهور بـ (أمزاركو) من الآخذين عن أبى العباس الجيشتيمى وتوجد ترجمته فىمشيخة شيخنا أبى محمد سيدى الطاهر الافرانى (١) ان وقفنا على تفصيلها . أخذ عنه المترجم جمع الجوامع لابن السبكــى . والتلخيص للقزوينى . فى مدرسة (تيبيوت) حيث كــان يدرس حينـــا . كما كان درس فى (تارودانت) .

وقد كان المترجم أخذ قليلا فى مبادئه عن العلامة سيدى عمر التيملى الايكضيبى كما أخذ قليلا أيضا عن أبى العباس الجيشتيمى فى أخريات أيامه تبركا . وعن الوزير العلامة سيدى عبد الرحمان بن القرشى الفيلالى ثم الفاسى طرفا من جمع الجوامع بـ (مراكش) حين كان يرد على المــولى

---

١) فى (الجزء السابع)

عبد العزيز وهو قاض بـ (فاس) .

أولئك مشيخة المترجم في (سوس) وفي الحواضر . وقد اكتفى من الاخذ في (سوس) عام ١٣١١ هـ .

تقلبه قبل القضاء

شارط في (أيمولاس) من قبيلة (منتاكة) نصف عام سنة ١٣١٢ هـ ولم يألف هناك . ثم في (الجعافرة) بقبيلة (المنابهة) ازاء (تارودانت) عام ١٣١٣ هـ وفي عام ١٣١٤ هـ دخل (تارودانت) أيام كان الباشا حمو فيها وقد توفي هذا الباشا هناك في المحرم عام ١٣١٨ هـ ودفن في مشهد (سيدى أوسيدى) وقبره لايزال معروفا هناك . قال : ففتحت دكانا للتجارة فصرت اختلف الى (السويرة) استورد السلع من السكر وغيره . وفي عام ١٣١٥ هـ . تعرف بالقاضي سيدى محمود الخياطي . فقدمه لخطة العدالة والى الشورى . وقد كان الى ذلك الحين يسكن في بيت بمدرسة الجامع الكبير بـ (رودانة) قبل أن يتأهل . ولم يزل مداخلا لهذا القاضي حتى جرت عليه ١٣٢٢ هـ واقعة سجن فيها ظلما هو ومن اليه . فكان المترجم ممن سجنوا معه . ولما انجلت الحادثة أقلع عن (تارودانت) الى (تازمورت) في ضاحية هذه المدينة . وقد ضاقت به هذه الاخيرة بأن قاضيا جديدا ممن لاتتراءى ناراهما تولى فيها . وهو السيد محمد بن عبد الرحمن المشهور بابن اليزيد الروداني الذى بقي في القضاء من عام ١٣٢٢ هـ الى عام ١٣٢٦ هـ فعزل وسجن . ولما أطلق سراحه جلى عن (تارودانت) الى أن مات مغتربا بأسفي ـ وأخباره في (الرحلة الرابعة) من (خلال جزولة)

توليته للقضاء

كان راجع المدينة بعد حين فعلا فيها شأنه ولذلك لم يكد ابن اليزيد يعزل حتى قدم هو في ذلك الحين . أوائل العهد الحفيظي . وكانت توليته في شعبان عام ١٣٢٦ هـ فبقي الى أن جاء احتلال المغرب . فعينت الحكومة لقضاء (تارودانت) العلامة الفاضل السيد الفاطمي الشرادى الفاسي وذلك في منتصف عام ١٣٣٢ هـ . فبقي الى عام ١٣٣٧ هـ فرجع الى (فاس) فعاد المترجم باشارة من سلفه الى القضاء فبقي الى عام ١٣٦١ هـ فأحيل على المعاش بكل اجلال واحترام من الحكومة .

اخلاقه واحواله

كان فريدا فى كل أحواله . فقد أبرز منه هذا المركز الذى كان فيه زهاء خمس وثلاثين سنة درة صافية . وياقوتة فريدة . واماما مبرزا . قلما يوجد له نظير . فقد تولى قضاء (تارودانت) وهى اذذاك عاصمة(سوس) ينسحب نظر قاضيها على كل قبائل ما يسمى بـ (رأس الوادى) وماحواليها من (هيلانة) وقبائل الاطلس (وسكتانة) و (هشتوكة) و «ماسة» وما اليها من القبائل والجبال . فيستنيب عنه عشرات النواب . وكان بذلك فىملتقى سيول الاموال . لو أنه كان يهتم بجمعها . ثم مضى له زمان طويل كان مضنة تاثيل الاملاك ولو شيئا فشيئا . ولكن كم يطول عجب القارىء ان أخبارناه بأنه لم يتأثل ولو حقلا واحدا . ولا ظهرت له أموال مثل ماتظهر لامثاله الذين يكونون فى مثل مركزه ولو بضع سنين . فلم يكن له من العقار الا دار سكناه . وهى دار صديقه القاضى سيدى محمود اشتراها من ورثته فى ولايته الاولى . ولعل ذلك بما كان فى يده من دراهم التجارة والمشارطة . والا بستان صغير ورثته زوجه من أهلها . ولا من الدواب الا بقرة أرصدها للاستعانة بحليبها على قوت عياله . وكل ما دخل يده بعد ذلك فانه يجعله فى الكتب وفى قوت أهله وفى صرفه فى وجوه البر والاحسان . أو فى تعليم أولاده وقد أخبر ولده سيدى أحمد بأنه لم يوجد فى تركته من الاموال الا مائتا ألف فرنك وهذا القدر بالنسبة لمن كان فى مركزه انما يعادل مستفاد شهر أو شهرين أو ثلاثة على الاكثر. فأين ذلك من خمس وثلاثين سنة . وأين هو من الذين يزنونه باكتناز الملايين . ولكنه كما قال الشاعر :

لقد علم الاقوام لو أن حاتما ... اراد ثراء المال كان له وفر

ومن أحواله فى القضاء التأنى فى اصدار الاحكام . فيطيل للخصوم حبل الانتظار . حتى يستطيبوا الفصال . وسمعت أن بعض الناس يعيب عليه ذلك . ولكنه قال أمامى فى سبب ذلك . ان الادراك للحق فى بعض القضايا من أصعب ما يمارسه القاضى الذى يستبرىء لدينه وعرضه . ومن عادته ان يعرض عن الملدين من الخصوم . حتى يصطلحوا أو يكونوا بحيث ينقادون الى الحق . وقد لامه بعض الناس على ذلك اذ رأى أمام داره كثيرا من المتخاصمين فقال له : ان غالب من تراهم ظلمة يرتمى بعضهم على بعض . ويفترى فريق منهم على فريق . ولا يمكن أن يظهر فيهم مسلك الشرع الا بالتأنى فيما يدعون أويدعى عليهم .

وقد حدثنا من نثق به أن ذلك كان شأن بعض قضاة الاسرة التيملية التى وليت قضاء (رودانة) من حوالى سنوات ١٢٥٥ هـ فقد حكى أن أحدهم قال لبعض أصحابه انظر من بالباب . فأطل فلم ير سوى قدماء المتحاكمين من كثير من أطراف سوس . فجعل يسرد للقاضى أسماءهم فقال له القاضى انما أسأل عن كذا وكذا . واما اولئك الذين ذكرتهم فلا يفصل فى أمرهم الا ذلك الحائط الذى هم مستندون اليه . يعنى أن مقامهم هناك سيطول فيملون فيصطلحون .

ومن أحواله العزوف عن البراطيل . التى تؤيد الاباطيل . فانه وإن كان يباش الرؤساء وينزلهم منازلهم ما كان يخضع لهم . بل يقنعهم فى مواقف الحق . ويرد كيدهم بالضعفاء فى نحورهم . وكم له مع الرؤساء والقواد المسيطرين – وكلهم اذذاك مسيطرون – من مواقف شريفة صارمة يتحدث بها الناس وأدل دليل على نزاهته عدم ظهور التمول عليه . وان المال لايخفى كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (أبت الدراهم الا أن تمد أعناقها) . وانه رغم ما بينه وبين القواد الضارضوريين الاولوزيين من أواصر الصداقة المتينة . والمودة القديمة . فانه لم يتردد أن يحكم عليهم بقبيلة (أداوكماضر) فى قضية ساقية يتنازعون عليها . وتدخل فيها صهرهم الحاج التهامى الاكلاوى بتأثيرهم عليه فأثر هو على وزير العدل اذذاك سيدى محمد الحجوى . ولكن ذلك كله لم يجدهم شيئا أمام تصلب المترجم فى الحق .

ومن أخباره فى تمسكه بدينه . ومحافظته على ما بينه وبين ربه . أن جعل من أوقاته وقتا يخلو فيه بربه . فيناجيه راجيا رحمته . وخائفا عذابه . فيذكر فى هذا الوقت أذكارا كثيرة اتخذها اورادا . وهو من أصحاب الطريقة الاحمدية المعتدلين المقتصدين . الذين لايرون لانفسهم فضلا على غيرهم . ولا لشيخهم الكبير فضلا على غيره من الاشياخ الاكابر . وقد ذكر عنه انه كثير البكاء والتضرع فى خلواته هذه .

ومن استبرائه لدينه فيما هو مطوق به من أمور المسلمين أنه لايتهاون فى ترصد أهلة المواسم والاعياد . وخصوصا الصيام والافطار . فقد كان يصعد سطح داره ولا يبرحه الا بعد اليأس من رؤية الهلال . واذا رءاه أطلق بيده طلقتين اثنتين من مسدس له . فاذا سمعه الناس تناقلوا الاعلام بأن القاضى سيدى موسى أطلق طلقتين من مسدسه . فلا يبقى شك فى الصوم أو الافطار .

ومن أحواله أنه يألف ويولف . ويحسن المعاشرة مع جميع من يخالطونه

خصوصا نوابه وعدوله . وكل من اليه . الا فى الحق . فقد كان لاحد أعوانه وهو محمد الهوارى المعروف بمحمد عزرى عدى قضية تصيير اليه . من طرف امرأة ماتت . فجاء وارثها وأقام عليه دعوى يدعى فيها بطلان التصيير . وتمسك العون بصحته وبصحبته للقاضى . فلم يشعر الا وقد استدعاه المترجم يوما وجعل يباحثه فى قضية ذلك التصيير فظن أنه سينصره على خصمه فلم يلبث أن قال له اصغ . انصح لك أن تسعى فى الصلح بينك وبين خصمك والا فانى سأضطر لاحكم ضدك . لانه لايبدو مما تقصه علىَّ أنك محق فى القضية وقد أخبر عدد ممن يخالطونه فى الخطة أنهم ما رأوا منه قط مجابهة فى أى وقت . وكان اذا استباب أحدا وكل الامر اليه . وجعله أمام مسئوليته فيما بينه وبين الله . وما بينه وبين العباد . فلا يناقشه بعد ولا يحاسبه فيما عسى أن يدخل يده من مال أو من قضية بل يقبل قوله . ويقبل ما عسى أن ياتى به مما هو للقاضى رسميا . وقد أخبرنى قاضى المنابهة السيد محمد بن الحاج على أنه هو وأباه كانا معا من نوابه . ولم يريا منه قط ما يغمز قناتهما . ولا ما يكدر نطفتهما . قال : وكثيرا ما أسمع أن بعض الوشاة يشى اليه عنى بشىء . ثم اذا لقيته لا يتغير لى عما كنت أعهده عليه وقد فاتحته مرة فى ذلك . فقال لى : هل نقطع للناس ألسنتهم التى خلقهم الله بها حتى لايتكلموا فينا. فدع عنك القيل والقال فان فى أذنى صمما عن مثل هذه الامور . وقد حدثنى أيضا بمثل هذا صاحبنا القاضى سيدى أحمد بن المصلوت الرودانى وقد كان المترجم أتخذه من أهل شوراه . ولم أر للمترجم أحدا يحمل له حقدا أو ضغنا وها هو الآن قد مات . وعند الممات تظهر التركات . فلا تسمع عنه الا حسن الاحدوثة . والثناء العاطر . والترحم الطويل من جميع الناس . والى القارىء رسالة كتبها الى سيدى محمد بن الحاج على المذكور ونصها :

(محبنا الفقيه النائب السيد محمد بن الحاج على . أمنك الله ورعاك وبعد السلام عليك . فقد ذكر الحامل ان بعض شياطين الانس اسمعك عنى كلاما أختلقه من عند نفسه . لا أصل له . ولا موجب لذلك الا حقده عليك. والله أعلم فأراد استنقاص قدرك والانتقام منك فأفرغه بذلك على رؤوس الاشهاد فى ذلك القالب . وعليه فاحذره فانه عدو لك شديد العداوة والخبث . فلله در القائل :

فان تكن العداوة قد أكنت ... فشر عداوة المرء السباب

فى ١٤ ربيع النبوى ١٣٤١ هـ)

ويرحم الله الذى يقول :

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا ما لم يروا عنده ءاثار احسان

ومعاداة أهل المعاصرة فى كل عصر معلومة . والعجب من المترجم كيف خلا من هذا المعهود . وكان ازاءه فريدا . ولاريب أن ذلك كان من ءاثار حسن مخالقته . وانزاله الطلبة النجباء منازلهم - وعدم حسده لهم . فلا يريد لهم الا الظهور والشفوف .

وقد حدثنى القاضى سيدى رشيد بن المصلوت أنه فى الوقت الذى رجع فيه من (فاس) متخرجا الى (تارودانت) قصد تصدره بين العدول . وكتب وكالة . فدخل رسمها الى القاضى . فنبه فى حواشيها على ما تركته من الشروط فى الموضوع . فأعدتها . فأعاد مثل ذلك . ثم اعدتها ثالثا . فاستدعانى فقال : ألزم هذين العدلين . وهما عدلان غير مبرزين بالعلم . ولكنهما متمرنان فى سبك العقود . واستحضار الشروط . فلازمتهما ستة أشهر حتى تمرنت . وذلك كله نصيحة منه لى . وقد علم أن العلم وحده لايكفى بلا تمرن . وهذا فعله دائما مع نجباء الطلبة .

وأما مجالسته فانها مجالسة تطفح بالانشادات والانشاءات والاشادات فقد كان خزانة أدبيات . وزهرة يانعة عابقة بشذى الادب العالى . ومنبعا فياضا بالنكت والنوادر المستطابة . ثم هو لا يتوسع فى الكلام الا مع من يأنس منهم اطراح التكلف . ومن ألف معاشرتهم . وعرف ضمائرهم وسرائرهم . فتراه بينهم لايكاد ينكف عن ايراد الملح والفوائد . وهو متهلل متبسم . وربما ضحك ضحكا مفرطا . غير أنه عند الضحك يغطى وجهه بمروحة لا تكاد يده تخلو منها . فيتفتق عن النكت والمستملحات . والفوائد الجليلة . والابيات الشعرية اللطيفة أما اذا كان مع من لم يعرف بعد طواياهم . فانه لايكاد ينبس بينهم ببنت شفة . وتلك طبيعة فيه . ومن لم يعرفه يكاد يعده من الجهال . فقد جمعتنى الاقدار به مرة فى (فاس) فى مجلس ضخم ضم بعض علماء . وذلك نحو ١٣٤٥ ﻫ فألقى بعض العلماء أسئلة على الحاضرين . فكانوا يتجاذبون البحث فيها وكان هو صامتا مطرقا . وجالسته أيضا مرة أخرى فى دار المرحوم السيد الحاج مبارك بن على المنانى التيندوينى المعروف عند أهل (رودانة) بالسيد مبارك السفروري فى سنة ١٣٥٤ ﻫ وكان فى المجلس العلامة سيدى أحمد بن المسلوت . وصنوه الاديب سيدى الرشيد . فاندفعنا فى المباحثة حول ءاية من القرءان . فلزم هو السكوت حتى انفصل المجلس . ومع كل ذلك فانه اذا جد الجد . وجالت الاقلام على الطروس . أخذا وردا فى المسائل

العلمية . فانه المجلى فى المضمار والمبرز فى الميدان . خصوصا فى النوازل والاحكام التى يزاولها ويتراد المراسلة فيها مع غيره من العلماء . أو مع مجلس الاستئناف الشرعى الاعلى . ومن هنا يقول عارفوه أن قلمه أفصح من لسانه . وقد حكى ثقة أنه حضر مجلسا كان فيه شيخنا العلامة المرحوم سيدى المدنى بن الحسنى رحمه الله أيام رئاسته لمجلس الاستئناف المذكور فراج الكلام حول قضاة المغرب المبرزين . فقال لهم سيدى المدنى مارأيت بين القضاة اليوم مثل سيدى موسى الروداني . فانه عندى من بقية السلف فيما ينهجه من أحكامه . وانها لأشبه شيء عندى بأحكام قضاة الاندلس .

ومن انبثاقه وأريحيته ما كان اعتاده كل يوم أربعاء من الخروج الى العراء منذ الصباح المباكر . وقضاء اليوم كله هناك الى المساء . وقد كان أكثر ما يخرج الى جهة المصلى خارج (باب الخميس) فى جماعة من خاصته الطلبة . فيصحبون معهم ما هم فى حاجة اليه من الطعام والاوانى . وكثيرا ما يكون كفتة تشوى فى القضبان تحت ظل الاشجار . أو فى منعرجات الاودية . وكان أكثر من يصحبه الشريف سيدى محمد بن هاشم الفيلالى. وكان رجلا نحيفا أعمش . رطب العينين . ذا لحية كثة مستطيلة . وكان يلبس قفطانا وفرجية . ويتمنطق عليهما بمنطقة من جلد . وكان له فى (حارة البلاليع) بستان كثير الاشجار . ورثه من زوجة له خلف عليها العلامة سيدى الحاج أحمد بن عبد الرحمن التيملى الجيشتيمى . فكان لاينفك سائقا دابته الى ذلك البستان وءاتيا منه . وكان يتقلد سيفا عتيقا يحرس به ثمار بستانه ليلا عند الحاجة . وكان كلامه فيلاليا محضا . لم يدخله أي تغيير . فكان مستغربا بين السوسيين الذين لم يألفوا ذلك كما ألفه مثلا أهل (فاس) . فكان ذلك مما يحببه الى النفوس . وكان أصحاب مجلس المترجم ورفقاؤه يتندرون على هذا الشريف . بأنه ضرب مرة جذع شجرة اجاص . وكان غالب أشجار بستانه . يظنه سارقا كان معلقا للسيف بالشجرة . فجعل يجاذبه أياها ويقول : اطلق سيفى أيها السارق والا قتلتك . وكان ذلك بالليل . ويحضر هذه النزهة الاسبوعية غالب طلبة المدينة كالاستاذ سيدى أحمد بن المصلوت ان حضر فى المدينة . والاستاذ سيدى عبد الله خرباش . وأمثالهما . فيقضون اليوم فى المذاكرة والاستفادة . وفى المساء يرجعون وربما عرجوا فى الرجوع على المقابر الموجودة فى تلك الناحية . فيزورون قبور الافاضل ويدعون لهم . وقد وجدوا ذات مرة قبرا محفورا لم يدفن فيه أحد . فقال لهم المترجم سأنزل

لاضطجع فى هذا القبر . لارى كيف تكون رقـدة القبور . فوضع عنه ما يثقله من ثيابـه . ونزل الى القبر واضطجع . فلما رءاه سيدى عبد اللـه خرباش كذلك وقف على شفير القبر ومد يده الى صدره وأقامه قائـلا : لا تستعجل فسيأتى اليوم الذى ستعرفها فيه معاينة ومباشرة .

وقد عرف كافة الناس تعطيله للاحكام فى يوم الاربعاء . فلا يقصدون محكمته . وقد كان رحمه الله يفرح بهذا اليوم . لانه يرتاح فيه ويتفسح . وربما كان رجوعه أيضا على أعلى سور البلد . فيطوف بذلك على عدة أبواب من أعلى السور . فيرى داخل المدينة وخارجها . ولاشك أن ذلك لا تستطيبه الا النفوس المتتبعة بالظرف واللطف . لما فيه من المناظر البهيجة الخلابة . ولكثرة شغفه بيوم الاربعاء قال بعد تأخيره عن القضاء بيته المعروف :

قد كنت أفرح دائما للاربعا   واليوم أيامى جميعا أربعـا

ومن أحواله الوقار ولـزوم السكينة . لا يستفزه مستفز . وكأنـه جبل راسخ . فتراه لا يكثر من الالتفات فى مجلسه . ولا يعلى صوته . بل ليس له الصوت الذى يمكن أن يعلو . فهو هين لين . فى أخلاقه وأحواله حتى فى صوته . فلا يرتفع الا بقدر ما يسمعه المقترب منه . ومحادثتـه متصلة الحلقات . خصوصا ان وجد جليسا موافقا يحسن الاستماع . واذذاك يفيض بالنوادر والمستملحات كما ذكرنا . فمما حكاه لى فى احدى هـذه الجلسات أنـه كان مرة مـع الاستاذ سيدى الحاج ياسين الواسخينى فى مدرسة (المولود) وكان الاستاذ فى محل يفصل فيه بين الخصوم . وكان المقراج يغلى . وكاد جمره ينطفىء . قال فكتبت اليه هذا البيت الساذج :

هلم الى الغـداء فهو مهيـأ   وأَخِّر مِرَا الأوباش فالجمر قد خبا

فبادر الاستاذ وجاء وهو يقول بيتين ءاخرين مثل ذاك فى السذاجة :

غـداء مرىء والكؤوس ولا مِـرا   خصوم يكون الوجـه منهم مقطبا
منى كـل نفس لا تـرى لحياتها   سوى أن يكون العيش عيشا محببا

وحكى أنه لما تولى القاضى ابن اليزيد ــ واسمه محمد بن عبد الرحمن ــ جلس المترجم مع بعض الادبـاء فصاروا يغتابـون القاضى الجديد . قـال فقلت لهم :

دعوا القول فى قاض له النقص لازم   بغــير السكاكـين الحـداد ذبيح
فأنتـم صحاح لا تمنـوا مكانـه   (ومن يشترى ذا علة بصحيح)

وقد أومـأ بقوله : له النقص لازم الى لفظة القاضى المنقوصة . فورى

بذلك عن حاله . وقوله بغير السكاكين الحداد ذبيح الى الحديث المأثور من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين . وقال الاندلسي في هذا المعنى :

ولما أن توليت القضايا وفاض الجور من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين وأنا لنرجو الذبح بالسكين أيضا

وبقوله فأنتم صحاح يعني أن لكم صفات غير منقوصة . وليست صفة القاضي وما يشابهها صفة لاحد منكم . فلا تتمنوا أن تكونوا قضاة . فان العاقل لا يستبدل الوصف الصحيح بالوصف المعتل . أما الشطر : (ومن يشترى ذا علة بصحيح) . فهو تضمين مقتبس من قول بعضهم من قديم :

ولى كبد مقروحة من يبيعني بها كبدا ليست بذات قروح
أباها على الناس لا يشترونها ومن يشترى ذا علة بصحيح

وقال لى أيضا يوم زارني في الحمراء في صفر عام ١٣٥٣ هـ . انني وقفت عند الكتبي سيدي محمد الصقلي المشهور بـ (الدار البيضاء) (وقد توفي رحمه الله) قال فوجدته يرمى في الغلاء الى أفق بعيد . فقلت فيه ارتجالا :

أقول لمن يسائل عن شريف يبيع الكتب في(البيضا) كياسا
أرى كتب الشريف كسامرى يقول لمن يساوم لا مساسا

قال : وقلت في موت الباشا حمو :

أتى حمو الاحم لسوس يبغى كنوزا اذ به قد صار كنزا
يريغ به الثراء فنال فيه ثرى قد ماط عن كتفيه عزا

وقال في الشيخ أحمد الهيبة يوم أخرجه القائد حيدة من(تارودانت) :

لو رام أن تبقى له الهيبة لم يعد مثل أهله كتبه
فالملك لا يناله من يرى سفك الدماء في العدا عيبه

قال أومىء بذلك الى أن الشيخ الهيبة لم يكن يرى قتل المشكوك فيهم من أصحابه لكنه ربما يقال رجع عن هذه الفكرة بعد خروجه من(تارودانت) وبعد أن فات الاوان . والحقيقة أن الرجل ورع حقيقة . ويشير المترجم بذلك الى قول الشاعر :

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

هكذا كان المترجم يقول في أمثال هذه المناسبات . ويحكى ذلك

كالنوادر في المجالس التي يطرح أصحابها التكلف . وذلك أدل دليل على كون الاريحية الادبية تمكنت منه .

بيني وبينه

كنت رأيته في (فاس) نحو عام ١٣٤٥ هـ حين كنت مجاورا هناك للاخذ . فقد جالسته فرأيت منه العلامة الوقور . الذى لايتكلم الا بمقدار ورأيت اذ ذاك في يده كراسة للاستاذ سيدى المحفوظ الادوزي في الذى انتقده على مؤلف للعلامة سيدى الراضي السيناني الملقب الحنش نزيل (أزمور) حالا في زكاة الاوراق . وقد كان المترجم نوى أن يوصله اليه ليجيب عما انتقده عليه الادوزي . فاذا بالاستاذ سيدى محمد بن عبد الملك الرسموكي المقيم بـ (فاس) والمتوفى بها بعد ذلك . عارضه في ذلك قائلا : ومن هم الفاسيون حتى يؤبه لهم ويحاوروا ؟ وذلك جريا على عادته في التحامل عليهم لما بينه وبين بعضهم من منافسة ليس فيها بمحق . فكان ذلك سببا لان يرد المترجم الكراسة بدون أن تصل الى من كتبت في شأنه

ولما استقررت بـ (مراكش) من عام ١٣٤٨ هـ . واشتغلت بالتعليم. وصلني يوما رسول من المترجم الى زاويتنا بـ (الرميلة) يطلب الي الشخوص اليه بجامع (باب دكالة) المقابل للزاوية . فوصلته بكل سرور . فقال : انما نريد أن نصل معك الرحم السوسية الجزولية . واننا نسر بما يصلنا عنك . فشكرته على حسن ظنه بي . ورأيت من أقل ما يجب له على أن استدعيه للغداء . فجاء عندى يوم ٢٩ صفر ١٣٥٣ هـ . فمضت لنا جلسة من أفضل الجلسات التى قضيتها مع الادباء المعاصرين . فقد زحزح عنه رداء الوقار . وجال في أريحية الادباء الفكهين . فصار ينشدني كل ماسنح وهناك أنشدني كثيرا مما أوردته آنفا . كما انشدني أيضا هناك ما قاله في (فاس) :

فاس لعمر الله دار العلا ... والعلم للمثرى الكثير الرباع
لكنها للغربا سقر ... محتدم يلقون كل الضياع

وانشدني ما قاله في السيارة :

يا حبذا سيارة ... تسابق الرياحا
هادئة وطيئة ... فتبهج الارواحا
يكاد من يركبها ... تطوى به الفساحا
يطير بهجة اذا ... تنساب وانشراحا

ثم لما زرت البلد . مسقط الرأس . أواسط ١٣٥٤ هـ . مررت بـ (رودانة) فنزلنا عند السيد الحاج مبارك بن علي المداني الملقب في(رودانة) بالسفروري . فاستدعى المترجم وبعض علماء البلد . فكانت ليلة غراء . وخير ساعة من الساعات التى قضيناها مع المترجم .

ثم لما ضرب الدهر ضربته . ونفيت الى مسقط الرأس (الـغ) مختتم ١٣٥٥ هـ . ومضت سنوات . وجاءت بوادر الفرج . وقد أبيح لى التجول فى ربوع سوس ١٣٦١ هـ جعلت فى نيتى زيارة المترجم فى (رودانـة) . فوصلت أمام داره وكان اذذاك قد اعفى من القضاء . فلمـا أعلمـه الخـادم بحضورى خرج مسرعا . وقال لى اثر السلام : الحمد لله فهذه بشارة عظيمة ولم يكن قد علم خبر الافراج عنى . وظل يسألنى عن حالى مـا شاء الله . ونحن معا منفردان في قبة . فلم ألبث أن ملت به الى ما كنت أهتم به من كتاب تاريخ حياته . فصرت أسأله وأكتب ما يجيب به . وأقيد ما ينشده . فتهلهل وجهه لذلك . وقال جزيت خيرا فانك لاتزال على الهمة التى أعرفك عليها . ثم صار يمدنى بكل ما كتبته عن نفسه وعن غيره . واقترح عليّ أن أبقى عنده شهرا على الاقل . قال : فقد وجدتنى الآن كما أخرجنى الله بلطفه من القضاء الذى كان يشغل أوقاتى . ويستأثر بحياتى . فلابد أن تصبر معى لنسترجع بالمذاكرة ما عفت عليه السنون الكثيرة . فقد وجدتنى اليوم مشتغلا بنفض الغبار عن كتب كثيرة . طال العهد بينى وبينها . فاعتذرت اليه . فلم يقبل العذر . ولم يفلتنى الا بعد ان أخذ منى الوعد بالرجـوع اليه عن قريب . فوعدته بذلك فى اخر الصيف . ولكن الله قضى ما شاء فلم أكد أسير اليه فى رحلتى التالية . فى شوال عام ١٣٦١ هـ . للوفـاء بالوعد حتى نعى اليّ وانا فى (أدوز) . فكانت مصيبته عظيمة عليّ . لأنـه كان خزانة لتاريخ سوس وتقلبات أحواله . خصوصا مع اعتنائه بالتقييد وتحرير الوفيات وكانت له رحمه الله ذاكرة قوية يستحضر بهـا أوقـات الوقائع . وكان فى نيتى أن أقيد عنه كل ذلك الا أنه لم يقدر . والخير فيما اختاره اللـــــه .

وفى تلك الجلسة التى خلوت معه فيها أفضى اليّ بكثير مما أحكيـه عنه وفى الجلسة التى تليها قال : اننى كنت أفتش من وقت فراقنا صباحا الى الآن . فاستخرجت اليك هذه المقطعات وهذه القصائد . وقد تذكـرت بعضها . وبعضها أنسانيه الزمن الى الآن . وحيث انك معنى بالتقييد فقد اخترت لك ما يليق بالادب . فممـا أنشدنيه فى تلك الجلسـة فى نفـى المشتغلين بالخير عن بلادهم قول ابن عنين :

انفوا المؤذن من بلادكم ان كان ينفى كل من صدقا

وأنشد أيضا :

ولما مضى فقرى وايام فاقتى وساعد دهرى بالغنى نفد العمر

وانشد فى معرض السكوت رغم أنف الانسان عما يأباه . ما قاله مصعب بن عبد الله بن الفرضى الاندلسى :

الحمد لله على أننى كضفدع فى وسط أليم
ان هى قالت ملأت حلقها أو سكتت ماتت من الغم

وانشدته بمناسبة قول المتنبى :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فأنشد فى معناه :

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا صنعت صنيعة فاعمد بها لله أو لذوى القرائب أو دع

وأنشد أيضا :

ومن عادة الايام أن صروفها اذا سر منها جانب ساء جانب

وانشد بعده قول المتنبى :

كذا جرت الايام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

وحين رءانى أقيد كل ما تناشدناه . أنشد :

ألا رب يوم قد تقضى لصاحب يوازن حفظى للقريض بحفظه
اذا لم تدر كأس المدامة بيننا أديرت كؤوس بين لفظى ولفظه

كذلك مضى لنا ذلك النهار السعيد . وقد ألحفتنا السعادة بجناحيها . ولاحظتنا المسرة بعيونها . فرحمه الله من أديب ممتع المجالسة . حلو المؤانسة . لطيف الشمائل . رقيق الحاشية متزن النبرات . وقد أطلت النظر اليه اذ ذاك . فرأيته رقيق البشرة . أبيض مشربا بالحمرة . وعليه لباس أبيض رقيق هفهاف . فقلت فى نفسى لو لم نعرف أين مسقط رأس الرجل فى سرة البادية السوسية . لحسبناه من أبناء الحضارة الفاسية .

وما المرء الا حيث يجعل نفسه فمن كان أرقى همة كان أكبرا
فلم يتأخر من أراد تقدما ولم يتقدم من أراد تأخرا

قضينا ذلك النهار منفردين الا ما كان من ابنه فانه حضر معنا عند الغداء . ثم غادرنا . فقلت هكذا يألف الكريم ويولف . فقد ألفنى هذا

الرجل وألفته بسرعة . مع ان اتصالنا بالاجسام لم يكن الا حديث عهد . ولكن الروح استأنست بصاحبتها فسرعان ما تمازجنا . فالارواح جنود مجندة . فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

وقد بلغنى أنه يقول عنى بعدما فارقته : كل من أخذوا منالسوسيين من (فاس) يرجعون متعالين متكبرين يتنكرون لنا . الا فلانا فانه لايزال في مسلاخ السوسيين كما نعهدهم . لم ينس سوسيته . ولا امتزجت به عنجهية من يتخرجون من (فاس) . ثم ذكرت حكاية سيدىمحمد بن أحمد «الدراخ» الردانى الآخذ من (فاس) فانه بعدما رجع صار يتكبر حتى على مثل ابى العباس الجيشتيمى . فيتواضع له هذا ويذهب ليسلم عليه .

نفحات من ادبه

أما نثره فانه الترسل المسجع المحكم . يرصعه بالابيات والامثال والحكم . واما شعره فكما تراه يطرق به كل ما سنح له . فمن نثره هذه الرسالة التى كتبها الى العلامة القاضى سيدى الفاطمى الشرادى بعد مغادرته لـ (تارودانت) وهى :

« حيا الله مقام العلامة الامثل . والامام الاكمل . من تخضع له رقاب الاكابر طوعا . وتصيخ أن تلفظ بحكمة من حكمه سمعا . القاضى الذى حل بمدينة (رودانة) يوم حلها بعلم صفى . وخلق ذكى . وهمة شماء . وعزيمة لاتعرف الا العلياء . ولا تضع أقدامها الا على زحل والعواء . سيدنا محمد الفاطمى الشرادى الفاسى . امام العلماء المفلقين . وهادى السراة السابقين . والمغبر فى وجوه المغربين والمشرقين (أما بعد) فهل عرفت كيف تركت بعدك القلوب تشوقا . وغادرت أوداءك برحيلك تحرقا . فما أنت الا الوبل الذى صادف محلا فقلع جذوره . ثم كسا وجه البسيطة زهوره . أو النهار المشرق الذى يطلع بعد ليلة السرار . فطلع بشمس وضاءة صافية الانوار. فالشكر لسعد السعود الذى ساقك الى (سوس) حتى علاه الحبور والسرور بعد العبوس . فجميع أصحابك يعيدون على حضرتك السلام الطيب . ويطلبون منك أن لاتنساهم من اخائك المعذوذب . فليكن ذلك من سيدى مقبولا . فان عهد الاخاء يكون المرء عنه مسئولا . وعليكم السلام التام من أخيكم موسى بن العربى المبتلى بعدكم . وهو يتطلب منكم أن تسامحوه فيما عسى يكون فيه مما لايخلو منه بشر »

وكتب الى باشا (أكادير) اذذاك الفقيه السيد الحسن بن ابرهيم بمناسبة استدعائه اياه لحضور عقيقة لديه فلم يمكنه الحضور :

« الباشا قطب الدائرة . وشمس أفلاك الكـرم السائرة . والمنسى بحسن شمائله الكرام الحاضرة والغابرة . أبو على سيدى الحسن بن ابرهيم

عليك سلام مثل نفح الحدائق   تطيب به الاسطار بين المهارق
سلام أخ يشتاقكم كل فينة   فكيف ترى الاشواق من كل عاشق
تمنى المجىء عندكم ليجيبكم   لو أن الزمان اليوم لم يك عائقى
فسامح أخا قد أوثقته ذنوبه   فكان سجين الحكم بين الخلائق »

وهناك رسائل أخرى غير هاتين رأيتها ولم تحضرنى الآن .

وأما قريضه فانه كثير جدا . وقد جمع لى قطعا منه اذذاك . ووعـد بغيرها . ولكن الدهر أبى أن يمد لنا حياته حتى يفى بالوعد . وما على الدهر من معتب .

فمن أقواله ما كتب به الى شاعر الحمراء (مراكش) الاستاذ محمد ابن ابرهيم المراكشى رحمه الله . وقد زار (رودانة) فنزل ضيفا على السيد الحسين الدمناتى المقصود اذ ذاك فيها . ولم يكن له سابق معرفة بالمترجم وكان يخاله كبقية القضاة المتلئين زهوا وخيلاء فلم يهتم بزيارته . ولكن المترجم وهو الاديب الاريحى الذى يتذوق ما كانت تنشره الجرائد اذذاك من شعر شاعر (الحمراء) لم يرقه أن يكون هذا فى (رودانة) ولا يتصل به . فكتب اليه هـذه الابيات يعاتبه على عدم الزيارة . وما دفعه الى ذلك الا أريحية الادب . والا فان الحسين الدمناتى على استعداد لاتيانه به بأدنى اشارة . وهى :

يـا شاعر (الحمـرا) بربك هـل جـرى   ما يقتضى هذا الصدود وما السبب ؟
حتى جفوت بغير ذنب سابق   من لا يزال مراعيا حق الادب
أوما علمت ـوما أخالك جاهلاـ   ان الخواطر جبرها أمر وجب ؟

فقام شاعر الحمراء لزيارته من حينه . فلما حل بين يديه أعطاه ما يقتضيه مقام أمثاله من الاجلال والاحترام . اذ وجـده ليس مـن أولئك الذين أعتاد مخالطتهم عند السيد الدمناتى فى (دار البارود) فى (رودانة) أو عند غيره فى غيرها . وقد ظل ابن ابرهيم متأثرا بسمت المترجم واحواله ويثنى عليه كثيرا . وقد أجابه بثلاث أبيات أخرى نـود أن نثبتهـا لـو عثرنا عليها .

ومن شعره ما قاله فى قبيلة (هوارة) المجاورة لتارودانت . وهو لم يعد فى ذلك ما يعتقده فيهم . فى قطعة مطلعها :

فـلا تثـق بهـوارى اذا وعــدا   فالغدر شيمة ذاك الجيل منذ بدا

وهناك فى (الرحلة الرابعة) قطعة فى وزنها لبعضهم . و (هوارة) ككل القبائل منها ومنها ـ وما زالت الاشراف تهجى وتمدح ـ

(ومن الناس من ينكر أن تكون تلك القطعة له . ولعل المنكر انما قال ذلك دفاعا عنه ازاء الهواريين الاسود الضوارى)

ومنه ماقاله للباشا محمد بن عبد الله البيضاوى المعروف بالشنكيطى لما تولى باشوية (تارودانت) نحو عام ١٣٥٠ هـ . وهو :

أحييك يا خير الولاة تحية
يحاكى شذاها المسك أو خلقك السبطا

هنيئا باقبال تدانت سعوده
اليك وءامال تنيل لك البسطا

فعش مطمئن البال فى ظل دولة
لها الفضل فانتابتكم حكما قسطا

ودونك من صافى الوداد هدية
كطبعك اذ ريئت تناسبه شرطا

فلا زلت محروس الجناب مؤيدا
لك النقض والابرام والمنع والاعطا

فأجابه الباشا الشنكيطى بقوله :

فلله ماأحلاه شعرابل اسفنطا(١)
نماه لنا موسى ؛ وما أجل الخطا

نظمت لنا سمطا يتيما فريده
فابلغ به نظما واجمل به سمطا

فيا نجم هذا المصر يا من علومه
ازاح بها شكا وحل بها ربطا

ويا من اذا خصم ضعيف ببابه
تظلم لا يألوه برا ولا قسطا

عليك سلام الله ما هبت الصبا
ومارمت فى أحكامك العدل والقسطا

وحين زار الاستاذ العلامة سيدى على بن عبد الله الالغى (تارودانت) أوائل عام ١٣٣١ هـ . مع الحاج ابرهيم الايغشانى كتب اليهما ـ وان لم يبلغهما المكتوب على ما قال فى المخطوط الذى أنقل منه ـ وهو :

لشوقى الى الوجه الاديب أبى الحسن
وصاحبه المفضال من قاد بالرسن

أوجه قولى كى يعبر عن أخ
للقيا كما يشتاق ـلله ـ من زمن

فيا مرحبا قد جئتما خير مقدم
به طوقت هذى المدينة بالمنن

(وبعد) فان العبد يطلب منكما
مصاحبة تمشى على أفضل السنن

وان كان فى الامكان تشريف بيته
فذلكم المامول منكم ؛ أبا الحسن

فوصل بنى العرفان فرض محتم
وامثالكم يرجون حتى من القنن

فان لم تكونوا يا بنى (الغ) مأملا
لامثال هذا العبد بين الورى فمن

عليكم سلام فائح عطر كما
يئوب الالى غابوا زمانا الى الوطن

ومما يتعلق باتصال ما بين المترجم وبين الالغيين كالعلامة سيدى على

---

١) اسفنطا بكسر الهمزة وسكون السين والنون . وفتح الفاء : الخمر .

ابن عبد الله انه كان يقول : لم تبق رائحة الادب اليوم الا في (الغ) وقد وجدت ذلك في رسالة كتبها الاستاذ الالغي الى سيدى أبي القاسم التاجرمونتي . كتبها اليه من (تارودانت) في هذه الزيارة . ونص المقصود منها : « وبعد فلا بأس . وقد وصلنا الحضرة المصونة بالله . فقررنا فيها كما نحب عينا » الى أن قال : « وقد قال لى القاضي سيدى موسى الروداني لم تبق رائحة الادب الا في حضرتكم . فلله الحمد على ذلك » . ومن هناك نعلم أنهما اتصلا وتحادثا اذ ذاك . ثم تراسلا بعد . وان لم نتمكن الآن من الاطلاع على ما تراسلاه الا ما تقدم . وقد كان الاديب سيدى محمد بن الحاج الافراني خير سفير بينهما .

وقال الاديب ابن الحاج الافراني هذا يخاطب المترجم :

يا قاضيا حائزا بحسن سيرته	ثنا على صفحات الدهر مسطورا
لابرحت السن الاحكام داعية	دم؛ دام سعدك؛ فى الدارين مستورا
ولا تزال على وفق المنى أبدا	تحت ظلال الهنا تلقى التياسيرا

ومن شعره أيضا ما قاله وقد أخر مرة عن القضاء :

يظن بنى الاغمار سخطا لما قضى	به الله لما أن صرفت عن القضا
ولم يعلموا أنى كفيت به ؛ والله	ه يعلم؛ هما جاش فى القلب كالغضا
فقل لمحب ساءه أو لمبغض	يسر : كذا قد كان ؛ قدره القضا
فانى أرى عكس القضية ينبغى	وذاك الذى حكم اللبيب له اقتضى

فذيلها بعض أودائه على ذلك النفس :

فهل يستوى من كان وفر عرضه	ومن كان بين الناس دأبا معرضا
فاحمد ربى حين أرجع نائما	بملء عيونى لست أرهب مغرضا
فكم بين خلو البال يمشى بخطوه	كما يشتهى ومن يظل ممضضا(١)
فلا ردها الرحمن من خطة ولا	على بها ؛ ما امتد بى عمر ؛ قضى
هل العيش الا أن تبيت مفرغا	لعيش هنىء ساطع النور أبيضا
واما أخو الاشغال فالموت عنده	ألذ وأحلى ان أخو الباس نضنضا(٢)
فلاحق يرضيه سوى ان رأى هوى	يميل اليه جانب الحق قوضا

ثم لما رجع اليه القضاء قال :

ولكن هذا الهم قد عاد ثانيا	فيا ربنا اصرفه بخير كما مضى

وكتب الى الاستاذ العلامة سيدى الفاطمي الشرادى لما التحق بفاس راجعا

---

١) المتوجع .

٢) نضنضت الافعى بلسانها : حركته .

من (رودانة) وقد أشار على ولاة الامور برده الى القضاء رسالة جاء فيها :

فليتك اذا أبيت الا فراقنا　　سكت ولم تشر بزيد ولا عمرو

ومنه ما كتب به الى الشاعر الاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى يستدعيه اليه وقد بلغه أنه حل بـ (رودانة) :

سلام على من ارتقى ذروة الادب　　ومن حاز خصل الفضل فى سائر الحقب
سلام أماجد كرام أفاضل　　ووارثهم فى العلم والدين والحسب
سلام محب لم يزل طول عمره　　يحن الى اللقيا حنين ذوى النسب
(وبعد) فان العبد يدعوك سرعة　　لمنزله فشرفنه بما طلب
فلا زلت فى أفق المعارف ترتقى　　وجدك سعد والامانى فى خبب

فأجابه الاستاذ الافرانى بقوله :

أشمس الهدى والدين والعلم والادب
ومن حاز أعلى ما ينال من الرتب

دعوت بفضل الجود منك مشرفا　　أخا وصلك الميمون أفضل ماطلب
فأنت الذى عم النواحى صيته　　فسيان منها ماناى والذى اقترب
عليك سلام ما تغنت حمامة　　فأشجت محبا فاستطير الى الطرب

ومما يحكى أن العلامة سيدى محمد ايكيك (أى الرعد) المجذوب المعروف كان حتى من قبل انجذابه ينفس على المترجم ما ءاتاه الله من فضله فلما أخر عن القضاء مرة صار يشمت به . وكان قبل هذا التأخر يتوعده بذلك . لما كان توجسه من ذلك من بين الظروف . وجريان الاحوال . فبلغ ذلك التوعد الى المترجم فقال :

مثلك يا من غدا بالعزل يوعدنى　　عن خطة عفتها من قبل ايعاد
كمن يروع بالماء الزلال وبالـ　　زاد اللذيذ الهنىء الجائع الصادى
هلا نصحت وقلت الخير أجمع فى　　ابعادها دون ابراق وارعاد
لكن قلبك فى وادى الهوى فظننـ　　ت الناس كلهم فى ذلك الوادى
خذ الولاية عفوا انها هبة　　بلا اعتصار ودعنى فارغ النادى
لكن مثلك مثل الخشم ما عرفوا　　ماالفرق بين شميم الزبل والجادى(١)

ومما يتعلق باخباره مع (ايكيك) هذا . ان هذا الاخير لما أصابه ما أصابه من الجذب أوى الى (رودانة) فعاش فيها مدة طويلة . فى حالة مزرية بمثله . عياذا بالله . واسكنه الاستاذ سيدى عبد الله خرباش فى بيت فى مدرسة الجامع الكبير هناك . فكان ينتاب من يعطفون عليه ممن يقدرون

---

١) الخشم جمع أخشم : الذى لايشم . والجادى : الزعفران .

باعه العلمي . وماضيه الزاهر . فيتحملون له تجاسره . وعدم مراعاته للآداب الاجتماعية . وكان المترجم في مقدمتهم . فلم يغلق عنه بابه قط . ولا قصر في البرور به رغم السابقة المذكورة انفا . وكان للمترجم مجلس يجلسه لاودائه وخاصته . في غالب أيام الاسبوع . وليس في كلها . وذلك قبل أن يصل موعد الجلوس للاحكام . ولا يتصل بالزائرين في غير ذلك الوقت . لتفرغه لشئونه الخاصة . وكثيرا ما يكون هذا المجلس حافلا بمن يزورونه الزيارات الشخصية . فكان (ايكيك) يقتحم عليهم . وينغص عليهم الصفو بما ياتيه من الاقوال والافعال التي لاتصدر عمن كان ميزه تاما . فحدث اذذاك أن وقعت قضية رجل يسمى محمد كشكوش من سكان (رودانة) حلف بالثلاث في الشيء . فحنث فطلقت عليه زوجته ثلاثا . ثم ندم واراد استرجاعها فلم يساعده القاضي المترجم . فبلغ ذلك الى علم (ايكيك) . فأفتى بأنه لاتلزمه الا طلقة واحدة . مؤولا حلفه بأنه أمي جاهل لايعرف معنى الثلاث . وانما قصد مجرد الطلاق . وهو يصدق بالواحدة . ولكن المترجم لايرى سوى ما هو مقرر في الفروع المالكية . فاقتحم عليه (ايكيك) مجلسه ذلك كالعادة . وأخذ يندد عليه في تشدده مع ذلك الحالف والزامه بالثلاث . فلما حاجه المترجم بالمقرر في فقه الفروع المالكية . انهال عليه بالسب والشتم والتنقيص . فلم يملك المترجم أن قام اليه . فلطمه وأمر أعوانه باخراجه من المجلس . فكانت تلك اللطمة غضبة للحق . ودفاعا عن التلاعب بالقضاء . باجرائه على حسب الاهواء والاشخاص . رحم الله الجميع .

وقال ؛ وقد وقف على (وادى الجواهر) وقفة وقد نصبت بحافتيه قباب . وقد ذيلها بعضهم كما ذيل ما قبلها :

وقفت على (وادى الجواهر) وقفة	وقد نصبت في حافتيه قباب
فعاينت ازهارا ترف وبهجة	تفتح منها للمسرة باب
بسيط فسيح وشيت جنباته	وقد وشعتها للعيون هضاب (١)
كزربية مبسوطة ومرقرق الـ	ـمياه عليها أكؤس وشراب
أذياك واد سائل أم مهند	يهز وهاتيك الروابي قراب
وهذى بطاح مبهجات كأنما	يمص من الثغر الشنيب رضاب
ليهنك يا (فاس) العروس فانما	ظفرت به بين البلاد عجاب

---

١) وشعتها : أحاطت بها . والوشيع ما يحيط بالبستان .

فما (بردى) ما (السين) ما (التبر) انهـا
لمـن عرفـوا كيف الشراب سراب (١)

فما حـازت البلدان الا القشور اذ ... غـدا لك من صفو النعيم لبـاب
فياليتنى طول الحياة مخيـم ... بواديك مفتوح لـدى كتاب
فأتلـو مـن اى المسرة سـورة ... مقاطيعهـا تحت اللسان عـذاب
اذا عمرت لى مـن ربوعـك دارة ... فلست أبـالى ان سواك خـراب
ف (فاس) لدى الارض جمعا وأهلها ... (وكل الذى فوقالتراب تراب) (٢)

وقال لما عزل الحاج حماد بن حيدة بن مايس عن باشوية (ردانة) ونفى الى (مراكش) :

بينما الاحمق الجهول يرى النـا ... س عبيدا لـه على الاطـلاق
اذ رأى نفسه وقـد رده الدهـ ... ـر لمركـزه على استحقـاق

وقـال في مدح مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم سيدنا محمد بن يوسف أدام الله عزه وسؤدده من قصيدة :

يا من بعـزة وجهه قـد أحـرزت ... أرض المغارب كل اصلاح يـرى
وتحسنت أحـوالهـا وتيمنت ... بوجوده أهـل الحـواضر والقرى

الى أن قال فى أواخرها :

هـذا عبيدكم أتـاكم زائرا ... ولسحب أدعيـة لكـم مستمطرا
موسى الردانى المبتـلى بقضائـه ... فى حين قـد كان المعـين تعـذرا
أضحى يكابـد من عنـاه أشد من ... خرط القتاد وحرب اساد الشرى

وكتب الى العلامـة القاضي سيدى الفاطمى الشرادى أيـام قضائـه بـ (رودانـــة) :

« سيدنا الفقيه العلامة البركة القدوة أعزك الله وأيدك . وبارك لنا فى سيادتك . وسلام كريم عليك ورحمة الله وبركته (وبعد) فهذه كلمات فى زى أبيات قلتها لما ذكر لى بعض المحبين انك تخلفت عن القراءة . وأظن أن سبب ذلك ما جرى به القضاء المحتوم نصها :

يـا عـالمـا تتحـلى بتصدره ... مجالس العلم فى الاصال والبكر
ونيرا بسناه السائرون هدوا ... الى الصراط ونالوا غاية الوطر
وبحر علم يطوف المعتفون بـه ... وينثنون بما يلقيه من درر

---

١) بردى محركا : واد فى دمشق . والسين نهر يشق باريز . والتبر اخر فى رومة .

٢) أولـــه ... اذا صح منك الود فالكل هين

ماذا الذى قد عرا ذاك البهاء وما هذا الملم الذى يدعو الى الضجر
فقد شكا بعض أحباب لهم ولع بالاستفادة ما يرون من حصر
هذا ومثلك من يهدى الذى انبهمت عنه المراشد يوم الذعر والخور
خفض عليك الذى تلقاه من أسف فكلنا غرض لاسهم القدر
ولا تخافن من سوء المغبة ؛ من يكن كمثلك برا ينج من وغر
وكن بربك معتزا ومعتصما وبالنبى الهاشمى سيد البشر
صلى عليه الاله دائما وعلى الـ ـأصحاب والآل أهل العزوالفخر

وكتبه محبكم فى الله فى ٢٢ ربيع النبوى عام ١٣٣٥ ه موسى بن العربى أمنه الله يوم الفزع الاكبر ءامين »

فأجابه سيدى الفاطمى بقوله :

« محبنا وصفينا الفقيه الاديب العلامة الاريب سيدى موسى . بعد السلام عليكم بأتمه وأطيبه . فقد وصلت الابيات . وأفادت ببركتكم غاية الثبات . دمتم هداة الانام . وورثة النبى عليه السلام . وقد قلت متطفلا على الادباء . لئلا تهمل من الجواب كما للنبلاء :

يا سيدا سمت العليا بطلعته ومرشدا ثبت الاقدام فى الكدر
سليتنى ببنات اللب قد صدرت من سالم الصدر صنوالروح والفكر
هدأت مما عرا ذا القلب من نبأ لازلت تهدى الورى بسابق القدر
نصائح الحق قد جادت قريحتكم بها فضاءت لنا فى وحشة الضجر
لانختشى أبدا ضيم الليال وفى الـ ـوجود مثلكم مرأى الى النظر
فزدن وعظا أدام الله فضلكم حسا ومعنى بجاه سيد البشر
وقد أخذنا حمى الهادى الرسول ذرآ وفاز من دخلوا حماه بالبشر
وامنن بمقترح عما مضى وجرى بحسن تعبيرك الرامى الى الوطر

وأشرت بالبيت الاخير الى ما رغبته منك فى البطاقة قبل من حكاية الواقعة بوجهها على ما ينبغى بسيرها وتاريخها بارك الله فيك والسلام . محمد الفاطمى لطف الله به »

واننا نأسف لكوننا الآن لانعرف هذه الحادثة التى أثرت على سيدى الفاطمى هذا التاثير .

بقى أن نورد للقارىء الكريم انموذجا من تحريره فى غير الادبيات. فقد اشتهر أنه يتناول بالبسط والتفصيل والتحليل. ولمشمل الموضوع فى كل ما يزاوله بأسلوب أدبى رائع ليس فيه تركيب ناب . ولا لفظة قلقة . ولا تعبير ركيك . حتى كأنه قطعة أدبية صرفة . وقد رأيت فيما تقدم كيف اثنى علامة المغرب رئيس الاستيناف سيدى المدنى بن الحسنى عليه بذلك

والى القارىء قطعتين من ذلك . الاولى حول جعل الامالة اخلاص الكسر .

« جواب يظهر منه السؤال نصه : الحمد لله . لامزيد على ما ذكره الفقيه العلامة البركة أعلاه . من وجوب تغيير مطلق المنكر . خصوصا الواقع بتغيير بعض حروف كتاب الله . أو شكل من أشكالها . على وجه لم ترد به رواية أحد من أرباب القراءات . قال الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالى رحمه الله ورضى عنه : اعلم ان كل قاعد فى بيته اينما كان . ليس خاليا فى هذا الدين عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف . فاكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلدان . فكيف فى القرى والبوادى . ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق . فواجب ان يكون فى كل مسجد ومحلة من البلاد فقيه يعلمهم دينهم . وكذا فى كل قرية . الى ءاخر كلامه رضى الله عنه .

والقراءة سنة متبعة لايجوز العدول فيها عن وجه مروى الى غيره . وان كان فصيحا فى العربية . قال فى حرز الامانى للامام الشاطبى :

وما لقياس فى القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا

فما ظنك بما لم يعلم له راو أصلا كاخلاص الكسر فى الممال المشار اليه فى (تحفة المنافع فى قراءة نافع) للشيخ ميمون الفخار . اذ قال :

ولم يكن اخلاص كسر فى سند ولا أظن ان قرابه أحد

قال العلامة الهلالى فى (عرف الند) ناقلا عن (الكنز) : اعلم أنه لايجوز له أن يقرأ الا بما أجيز له قراءته لقوله على رضى الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ان لا نقرأ الا بما علمنا . الى أن قال : فعلم من كلام هذا الشارح ومشروحه . أن القراءة بوجه غير مروى لاتجوز . وان كان فصيحا فى العربية . قال وأفاد الشارح ان القارىء بذلك متقول على الله تعلى . ومغير لكلامه . وداخل فى زمرة من ينسب الى الله تعلى ما لم ينزله . كما أخبر الله تعلى عن اليهود . وكفى هذا زاجرا لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اهـ

ولا يسع أحدا ان يقول بجواز اخلاص الكسر والقراءة به . لعدم الرواية بذلك . وعدمها يوجب حرمة القراءة به . فضرب الحجاب . وانسد دون القاصد الباب . وثبت أنه تغيير للقرءان كفعل الباطنية والاسماعيلية ويخاف على متعمد ذلك الانخراط فى سلك وعيد من يسمعون كلام الله (ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) .

قال أبو عبد الله الخراز في نظمه المسمى بـ (المهذب المختصر) ناظما لكلام عياض في الشفاء رحمه الله :

وكيف لا يجب الاقتداء	بما أتى نصا به الشفاء
قال عياض انه من غيرا	حرفا من القرءان عمدا كفرا
زيادة أو نقصا أو ان بدلا	شيئا من الرسم الذى تأصلا

هذا حكم اخلاص الكسر . وقد ارتفع النزاع باقرار الخصم في ءاخر الامر . وبقى الكلام فيما تعلل به من العجز عن الامالة المصطلح عليها . فيقال له ما المحوج الى ارتكاب النطق بالمعجوز عنه ملحوقا . مع امكان النطق بدله بوجه ءاخر صحيح مقدور عليه . وقد قال ابن غازى في (ارشادالليبب) قال المهلب في قوله تعلى (فاقرءوا ما تيسر من القرءان) : ما تيسر على القلب حفظه من ءاياته . وعلى اللسان من لغاته واعراب حركاته . قائلا فسره به النبى صلى الله عليه وسلم . وتقدم عن على رضى الله عنه (أمرنا أن لانقرأ الا بما علمنا) فان أجاب جوابه الاول من تأدية ذلك الى عدم الفرق بين الممال وغيره . فجواب المعترض في ذلك كاف . وان أجاب بما أجاب به بعض من يشار اليه في علم القراءات من أن ترك النطق به على وجه المقدور عليه الفاسد يؤدى الى اندراس علم القراءات المركبة على الفتح والامالة المعجوز عنها . اذ لم يجد ما يجعل بدلها على رواية من قرأ بها . فجوابه ما تقرر من القواعد الاصولية ان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . وان نقل السبع انما هو فرض كفاية . وهو ـ كما للسبكى ـ مهم يقصد حصوله من غير نظر بالذات الى فاعله اهـ . ولم يعتن الشارع به كاعتنائه بفرض العين . فالوسائل لها أحكام مقاصدها . واذا لم يقم به هذا العاجز قام به غيره .

واما صلاة فاعل ذلك فلا ينبغى الاختلاف في بطلانها ان علم حرمة ذلك وتعمده . قال الزرقانى : (ولو أعاده على الصواب . لان قراءته أولا كلام أجنبى) والله تعلى أعلم . وكتبه العبيد الضعيف القليل البضاعة بين الاقران مسلما لهم وعليهم . سائلا منهم الدعاء . موسى بن العربى الرسموكى الروداني »

(أقول) ان اخلاص الكسرة في الحرف الممال : أخذ به قراء كبار كسيدى الحاج على ابى الوجود . ولم يعلموا من العلوم شيئا . فقاومهم في ذلك سيدى محمد بن العربى الادوزى الذى ألف في ذلك مؤلفا . وأبو العباس الجيشتيمى ونظراؤهم . وهذه المقاومة أقدم من هذا القرن . فقد وقفنا على قواف شتى لمن مضوا من السوسيين في ذلك . وما عدا مترجمنا سيدى موسى ان ردد ما يقوله أولئك . رحمه الله .

والقطعة الثانية فيما يتعلق بالصدقات على مشاهد الاضرحة .

« الحمد لله . وهو الموفق للصواب . انه يجب أن يعلم اولا أن ما يوتى به من الصدقات لقبور الصالحين لايستحقه أحد من ورثتهم بوجه الارث الشرعى . لان من شرط المال الموروث ان يكون مملوكا لمن ورث عنه وهو حى . وأما ما تجدد من المال على اسم الولى بعد موته . فلا ملك فيه حتى يورث عنه . اذ الميت لايملك . واذ بطل الاصل الذى هو الملك بطل الفرع الذى هو الارث بالضرورة . واذا علم هذا فالمقدر فى تلك الصدقات على قصد من أتى بها . فيسأل عن قصده ان أمكن سؤاله . ويعمل فيها بما قصد. كما لابن عرفة وتلميذه البرزلى والحطاب وغيرهم . ونظمه أبو زيد سيدى عبد الرحمن بن عبد الله التملى الجيشتيمى رحمه الله فقال :

الحق ان صدقات الصالحين تابعة حتما لقصد المانحين

وان لم يكن له قصد أو تعذر سؤاله لغيبته أو موته أو تعدد المعطون. أو تفرقوا فى بلادهم . وتعذرت معرفتها وسؤالهم . كما هو الواقع فيما يطرح فى صناديق الصالحين . فقال ابن عرفة ينظر عادة أهل ذلك الموضع فى قصدهم من الصدقة على ذلك الشيخ . قال وكذا اذا اختلف ذرية الولى فيها يحمل أمرها على العادة فى ذلك الموضع عند عدم القصد . ولكون الغاب فى الناس أن يقصدوا بصدقاتهم أولاد الولى . جرى العمل فى(فاس) بأن ذلك لاولادهم . يختصون به دون سائر الناس . قال ناظمه :

وتبنيهم صدقات الصالحين ثم لمحتاج بذاك يستعين

وكذا يكون الحكم اذا لم ينو المتصدق الاولاد ولا أخرجه . كما قال الجيشتيمى أيضا : (أوما نواهم ولا عزلهم الخ)

وهذا الوجه كثير فى الناس أيضا بدليل المشاهدة . فيطرح أحدهم الصدقة فى صندوق الولى . وهو غائب فى تلك الحالة عن قصد ادخال أحد معين أو اخراجه . اذ لا غرض له الا فى استعطاف الولى بها . وما عدا ذلك فهو ذاهل عنه وما جرى به العمل فى (فاس) جرى به أيضا فى غيرها من هذه الاقطار السوسية فيما علمنا .

والحاصل أن هذه المسألة عند عدم قصد المتصدقين يختلف الحكم فيها باختلاف العرف والعادة . بحسب الازمنة والامكنة . وعادة غالب الناس فى هذه البلاد أن يقصدوا بذلك أولاد الولى فقط . لا غيرهم من الفقراء أو ممن كان له به علقة ما . كورثة زوجاته الاجانب . اذ لا ادلاء لهم الا بهن . وهن لادخل لهن كغيرهن فى الفتوحات بوجه الارث الشرعى كما تقدم . وانما استحقها الاولاد على ما جرى به العمل . لغلبة قصد الناس لهم بذلك دون

غيرهم . وقاعدة المذهب تقديم الغالب على النادر . كما في (المنهج) وغيره . والله أعلم . وأبصر وأحكم . وكتبه جوابا عن سؤال ؛ العبيد الضعيف موسى ابن العربي لطف الله به ءامين »

ذلك هو موسى بن العربي الرسموكي الروداني الشاعر الناثر المفتي القاضي . زينة (رودانة) خصوصا والقطر السوسي عموما . قد رأيت ءاثاره وأحواله . ونقدم لايك الآن أيها القارئ الكريم ما قاله فيه المؤرخ علي ابن الحبيب السكراتي :

« ومنهم القاضي سيدي موسى بن العربي الرسموكي الروداني القاضي المبجل المنظوم في عقد العلم والعمل . الفقيه العارف بالله في كل حين أبو عمران كان هذا السيد في أول أمره واقبال عمره . حرفته الزهادة . وحانوته السجادة . ثم ساقه القدر الى القضاء . فرضي بما قدر الله وقضى . فقيرا أذاقه الدهر مرارة الفقر . وقد قالوا من تولى القضاء ولم يفتقر فهو لص . ثم لم يعرف للطمع سبيلا . ولايشرب من ماء الحياة سلسبيلا هو والله ذهب نضير . لا شبيه له في سائر أحواله ولا نظير . وهو في فقه مذهب الامام مالك . الجامع الكبير هنالك . وقور حليم . له مروءة وعفة . لايعرف للطيش خفة . حسن اللباس . منقطع عن الناس . لله دره ماأعرفه بأحوال الزمان . واقدره على الانس في الوحدة وترك الاخوان . وتحقق أنه عمر في العدل والمعرفة . ما ثنى قط عن التحقيق عطفه . مفرد لايثنى . نال من الفضل ما تمنى . جواهره النفيسة . في خزائن القبول . وأسراره المكتومة في ضمائر الخمول . ولولا خوف هتك أستار الستر . لأسمعناك ما لا أذن سمعت ولا عين رأت . لتعلم ما من الله به علينا من الوقوف على كنوزه المعنوية التي لم يقف عليها غيرنا . ولكن ابقاء للستر أعرضنا عن ذلك وان كان لايستتر وان سترته العطر .

ولم يزل في القضاء على سنن السنة سالكا . وبمشهور مذهب مالك مالكا . وكانت ولادته في يوم الاربعاء الثالث والعشرين من رمضان عام ثلاث وثمانين ومائتين وألف . كما ألفيته مقيدا . ثم حفظ القرءان في صغره على شيوخ عدة من جزولة . ثم سافر لطلب العلم عام ثمانية وتسعين . فقرأ على الفقيه سيدي محمد بن عبد الله السملالي . ثم على شيخه أبي حفص سيدي عمر بن محمد التملي . ثم رجع الى شيخه الاول عام المائة . فلزمه أحد عشر عاما . ثم قرأ جمع الجوامع وتلخيص المفتاح على سيدي أحمد بن محمد السندالي المعروف بأمزاركو ثم لازم مجلس الفقيه وزير العدلية في ذلك الحين سيدي عبد الرحمن بن القرشي بجامع (المواسين) بمراكش .

فقرأ عليه مقدمة جمع الجوامع . ثم رجع الى (رودانة) وكانت تعجبه غاية . وفيها يقول الفقيه سيدى عبد الرحمن التيملي الجيشتيمي :

ولم يجد مفارق أوطانه   في سوسنا مشبهة (رُدانة)

ثم اتصل بقاضيها حينئذ الفقيه سيدى محمود بن محمد الخياطي الروداني. فاذن له فيخطة العدالة فيربيع الثاني عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف . وكذلك في الفتوى وحضور مجلس أهل الشورى . وفي عام ستة وعشرين عينه السلطان مولانا عبد الحفيظ قاضيا على (رودانة) ونواحيها . الى عام احدى وثلاثين حيث عين السلطان الجليل مولانا يوسف سيدى الفاطمي الشرادى الفاسي قاضيا على (رودانة) ونواحيها . فصار معه المترجم سيرة حسنة ثم لما أراد الانتقال الى (فاس) استخلف صاحب الترجمة في ءاخر المحرم عام سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف . ثم كتب سيدى الفاطمي الشرادى لباشا (رودانة) اذذاك الحاج حماد بن حيدة بن مايس انه تخلى عن القضاء وان اللائق بالمحل هو سيدى موسى. ولما بلغ هذا الاخير الخبركتب الىسيدى الفاطمي رسالة من جملة ما جاء فيها :

وليتك اذ أبيت الا فراقنا   سكت ولم تشر بزيد ولا عمرو

ثم ورد عليه الظهير الشريف بتوليه القضاء في شوال من نفس العام مؤرخا بالتاسع من رمضان ولا زال في الخدمة الحكمية على أحسن حال . ثم توفي في ثاني شوال الابرك عام احدى وستين وثلاثمائة وألف . ومن شعره في أهل (سوس) :

ليكن قاضيا على أهل سوس	من تبحر في علوم المجوس
همج لا يعون غير صياح	ونبيب كما نبيب التيوس
ضاق صدرى والله منبعض ما يا	تى به مدعيهم من نحوس
من دعا ويحتاج في فهم مرما	ها ومقصودها الى ابليس
لا تثق بظواهر القول منهم	فالظواهر غير ما في النفوس
يبرزون طروسهم فاسدات	والدعاوى على خلاف الطروس
رفضوا الصدق فاستحال محالا	عند مرؤوسهم وعند الرئيس
لا يكادون يفقهون حديثا	لا ولا يذكرون ضم الرموس
كل قاض لهم وان جل لا زا	ل مدى الدهر في العنا والبوس»

تأبينه

ورد على أهله في سبيل التعزية فيه كثير وفي مقدمة ما ورد . قصيدة الاديب محمد بن عبد الله الروداني . وهي :

كنا نراك ذخيرة الايام — لا تنقضى بتتابع الاعوام
ونجل شيبك ان يلم به الثرى — اذ شبت فى الاجلال والاعظام
لكن ابى الله البقاء لغيره — وقضى على ذا الخلق بالاعدام
ولذاك صار مئال عيشتهم وان — طالت فراق الروح للاجسام
ما عيشة الانسان الا رقدة — ملئت بأنواع من الاحلام
فاذا أفاق رأى الذى ما مثله — محيا ولا هو نومة النوام
يا راحلا عنا أما لك اوبة — تشفى الصدور بها من الآلام
فالرزء فيك يكل عن تشخيصه — لسن البليغ وفطنة الرسام
والصبر بعدك معوز والبث مب — ـثوث ودمع العين فى تسجام
واذا بكى الموتى ذووا أرحامهم — فجميعنا لك من ذوى الارحام
انا أحباء الخلال كريمة — والديك كان عبابهن الطامى
فالشعر ما قفيته والنثر ما — ضمنته ذاك البيان السامى
رضت الصناعة ناشئا واجدتها — فطبعت بالاتقان والاحكام
فى كل لفظ اية خلابة — وبكل معنى حجة الافحام
فكأنما القلم الذى تنشى به — ذاك الذى يعنى ابو تمام (١)
أما القضاء فقد أعدت رسومه — ونهجت فيه منهج الاعلام
تحميه بالعلم الصحيح وبالرصا — نة والمروءة من ذوى الايهام
فى كل ما أصدرت من حكم ومن — فتيا تذكر ماضى الاسلام
وعلى الاخص عصور أندلس بما — فيها من الفقهاء والحكام
تحكى القضايا مطلقات مثلما — وقعت بلا خلط ولا ابهام
وتطيل فى البسط الفسيح وربما — قسمت أعوصها الى أقسام
ثم انثنيت معلقا وموضحا — كل الفروق بغاية الالمام
فهناك تصدع بالقضاء وتردف الـ — ـنص الصريح عليه فى اقدام
تبدو النزاهة بين أسطره ومن — فحواه يكبح جامح الظلام
لله ما قاسيت من أهواله — وحملت فيه من أذى اللوام
لكن ثبت وكنت طودا راسخا — لم تكترث لسفاهة الاحلام

* * *

موسى ومالك مارب فى حلية — يكفيك أنك عادل الاحكام
انى عهدتك باحثا ومنقبا — فى كل ما يجرى على الافهام
وعهدت فيك حجا الشباب وعزمه — رغم الذى فى الشيب من اسقام

---

١) يشير الى قطعة ابى تمام المشهورة فى صفة قلم . اذ يقول فيها :
لك القلم الاعلى الذى بشباته — تصاب من الامر الكلى والمفاصل
لعاب الافاعى القاتلات لعابه — وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

فصف الممات(١) لنا واخبرنا بما — بعد الممات أعد للاقوام
هل من فوارق بينكم تشكونها — كفوارق الوسطى مع الابهام
وهل الخسيس يسخر الغطريف في — كسب الثراء بحجة الالعام
وهل الخبيث النذل ينشر بينكم — ثوب النفاق مطرز الاعلام
يخفي السريرة وهي نار تلتظي — بمقاله الماء الزلال الهامي
وهل التواضع يجلب التحقير والـ — ـانصاف معدود من الارغام
وهل الصراحة في الصريح لديكم — عجز كمثل الدمع في الايتام
وهل ان تعذر مطلب عن نيلكم — دستم اليه الناس بالاقدام
يا أيها الشيخ العظيم أجب فلم — أسأل سواك عن أفظع الآثام
لما رأيت الناس يرتكبونها — في هذه الدنيا بلا احجام
فيصير معدمهم بها متمولا — وجبانهم في الباس كالضرغام
اوهمت أن المنزلين تساويا — فطلبت منك ازالة الايهام

* * *

استغفر الغفار جل جلاله — وانزه الاخرى عن الاجرام
ان أعوز الناس التعادل هاهنا — فهناك عدل الواحد العلام
لكن جرى بي الشعر في مضماره — والشعر أوسع أضرب الاوهام

* * *

أ (ردانة) الارج الزكي وبلدة الا — زهار والزيتون (بنت الشام)
قولي بربك هل أطقت فراقه — أو تظهرين تجلد المقدام
قد كان فيك على القوارص زينة — كالزهر زين شائك الاكمام
وقضى الحياة مهذبا متواضعا — لم يغترر بالنقض والابرام
رجلاه مركبه الى أوطاره — ورعا عن الاسراج والالجام
وعن التباهي في الحياة وأهلها — بتكاثر الاتباع والخدام
قد كنت أمنحه احترامي مخلصا — والآن أخلص منحه استرحامي
فالله يرحمه ويجعل قبره — مثوى النعيم ومنزل الاكرام

ولده احمد

للمترجم أولاد : أبرزهم الفقيه سيدي أحمد الآخذ عن سيدي داود . ثم من (فاس) ثم عمر دارهم بعد والده . فكان خير خليفة . تقلب في مناصب . وهو الآن ١٣٨١ هـ نائب القاضي . وفقه الله .

١) مما يحكى عن المترجم أنه أسر الى بعض خلصائه أنه رأى كأنه مات وسئل فكان من الناجين .



أدبيات تتعلق بأولاد سيدي موسى

كتب سيدى داود الى سيدى موسى القاضى لما زوج ولديه أحمد ومحمدا فى رجب ١٣٥٩ :

وافى السرور وعم الانس وابتهجت كل العوالم واهتزت من الطرب
وافتر ثغر المنى والبشر منبسط والوصل أطيب بل أحلى من الضرب
وأقبل السعد والامال مونقة واليمن أحضر بالارقال والخبب(١)
ورحبت بعرائس المكارم أف واه السعادة فى شهر الهنا رجب
اذ أملك الفاضلان السيدان رضيعا المجد والفضل والعلياء والادب
نجلا الفقيه أبى عمران سيدنا موسى الامام الكريم بن الرضا العربى
قاضى (ر'دانة) من حفت سيادته عنـايـة الله لايراع بالكرب
حق على شعراء العصر قاطبة نظم القوافى بلفظ صيغ من ذهب
يهنئون أبا العباس أحمد من أحرز مستوفيا شوامخ الرتب
ايه لك الخير يا خير الاجلة يا ندبا تمشى على السيارة الشهب
انا نهنيك بالاملاك ثم بما استملكته من قويم الدين والقرب
وارفل كما شئت فى أثواب عافية وعش مصونا من الاكدار والريب
والزم طريق العلا والعلم مجتهدا ودع قرينا أضاع العمر فى اللعب
لازلت انسان عين المجد مرتقيا مراتب العز فى أمن من الشغب
بجاه خير الورى المختار أفضل من دعا لدين الهدى بأفضل الكتب
عليه أزكى صلاة الله ما صدحت مطوقات على أفنانهـا القضب
وءاله الغر والاصحاب أجمعهم وكل شخص لدين الله منتسب

وكتب أيضا الى تلميذه المذكور سيدى أحمد بن موسى يهنئه بولده محمد يوم ولد له :

سرى نفس النسيم وهنا فبشرا بأن الهدى أفاق والمجد أثمرا
أتى نبأ أن السيادة أنجبت بنجل نجيب عن قريب تصدرا
بدا فى مشارق السيادة نجمه فبان لفالى أن سيطلع منبرا
تعطرت الارجاء من نشر عرفه بطيب ينسينـا عبيرا وعنبرا
فرحنا به حتى كأن سروره يزيد الحيـاة للقلوب وكثّرا
ألا يا حبيب القلب يا خير سيد تقـدم المعليـا فخلف عثـيرا
ألا يا أبا العباس ياكعبة الندى ويا صفوة الاحباب يانخبة الورى
ليهنئك نجل زاد فى سربك الالى تقر بهم عيناك والله فاشكرا
أدامكما الرحمان فى ظل نعمة وعافيـة ممـا يضر مكـدرا
بجاه رسول الله صلى مسلما عليه اله العرش ما الليل أقمرا

١) الارقال : نوع من الجرى . والاحضار : الجرى .

سيـدي

الحاج مبارك ابن المصلوت

نحو ١٢٤٥ = ١ ـ ١٠ ـ ١٣٣١ هـ

نسبـه :

مبارك بن سعيد بن علي بن حماد بن مبارك بن عبد الله .

علامة كبير القدر . ممن رفعوا راية المعارف خفاقة في قبيلة (هوارة) وفي (رودانة) ما شاء الله . وقد كنت طلبت من ابنه العلامة القاضي سيدي الرشيد ان يفيدني عن كل أسرتهم فكتب الى ما يـلي ـ وقد أخللـه ببعض أمور عندي ـ

(وبعـد فهذا ما تيسر جمعه من « سلك الدراري . في تراجـم ءال المصلوت الهواري » . أولهم سيدنا الوالد الحاج مبارك بن سعيد بن علي بن حماد بن مبارك ابن الفقيه الصالح سيدي عبد الله (١) المعروف بابن نبيكة. المدفون بـ (الشراردة) بأحواز (مراكش) السوسي الهواري السعيدي . ولد رحمه اللـه عام نيف وأربعين بعد المائتين والالف بقريـة (الكناوات) بقبيلة (هوارة) ـ سوس ـ وبها قـرأ القرءان . ثم رحـل لطلب العلم . فأخـذ عن أجلـة علماء سوس . منهـم : الفقيه سيدي ابـرهيم بن سالـم التيفنوتي(٢). والفقيه الصالح سيدي سعيد الشريف بن محمد الهشتوكي دفين (ادا ومحمد) بهشتوكة من (سوس) . وعن أكابر شيوخ القرويين بفاس : كالشيخ سيدي محمد بن المدني كنون مختصر حاشية الرهوني . والعلامة سيدي محمد بن قاسم القادري . والفقيه الاجل سيدي أحمد كلاء بناني . وله عدة اجازات بخطوط أشياخه ومستجازيه . ولكنها وياللاسف ضاعت . ولما قدم من (فاس) تصدر للتدريس والافتاء بالمدرسة (المهادي) بقبيلة (هوارة) . ولم أعرف من أخذ عنه الا سيدي عبد الحي بن محمد

---

١) لانعرف عن هذا الفقيه الا ما هنا . ولعله من أهل ءاخر القرن الثاني عشر . أو يتوفى في أوائل القرن بعده .

٢) لانعلم عنه أيضا شيئا . ولا ندري متى توفي في أواخر القرن الماضي أم في أوائل هذا القرن .

(تيدسى) (أم الجريد) . والحاج محمد بن سعيد البركوكى (نسبة الى البركيك بهوارة) . والحاج عبد السميح الهركيتى البوعجلاتى (نسبة الى بو العجلات بضاحية (رودانة) . والحاج محمد بن عبد الكريم الهوارى من قرية (ابن خى) (١)

أما فتاويه فلم تزل موجودة بأيدى الناس . ومنها اجازته للسلف بمنفعة . كالرهن المتعارف المتعامل به في (سوس) وله فيه كتاب وجهه الى السلطان مولاى الحسن ابن سيدى محمد بن عبد الرحمن حين أمر بقطع التعامل به فى (سوس) ونص كتابه الشريف فى الامر بالمنع الى عامله اذذاك بالقطر السوسى . بعد الحمدلة والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه والطابع المولوى :

« خديمنا الارضى القائد سعيد بن بلعيد الهوارى . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله . وبعد فقد كنا أصدرنا أمرنا الشريف لقاضى (رودانة) بمنع تعاطى المعاملات الربوية في الرهن . ثم بلغنا أن ذلك لازال بحاله بل تفاحش امره . وذلك من عدم شدكم العضد فيه للقاضى . وعليه فنأمرك أن تشد عضده فيما يرجع لذلك . وان بلغنا عنك أنك تهاونت فى ذلك او وقع منك تراخ فى أمره . فان دركه يكون عليك . لانه حق من حقوق الله تجب المبادرة اليه . ونحن وراء ما نسمعه عنك فى ذلك . والسلام . فى ١٤ شوال عام ١٣٠٩ هـ » (٢)

وقد انشأ المترجم فى ذلك أبياتا لا أحفظ منها الا قوله :

ولو لم يكن للمالكى جوازه	فللناس مذهب العراقى مقلدا
أبو فرج روى جواز تسلف	بمنفعة من جانبين واسندا
ولاسيما له الضرورة قد دعت	وخلف ذوى علم لرحمة أرشدا

ومنحه ـ أى المترجم ـ السلطان المقدس سيدى محمد بن عبد الرحمن ظهيرا شريفا بالتوقير والاحترام ضاع له . فجدده له ولده السلطان مولاى الحسن . وأمر له براتب من أحباس (رودانة) كما بظهير شريف نصه بعد الحمدلة والصلاة والسلام على مولانا رسول الله . وبعد الطابع المولوى :

---

١) وسنحرص ان شاء الله أن نذكر هؤلاء والمذكورين ءانفا فى كتاب (رجالات العلم العربى بسوس) الذى نحاول أن نجمع فيه كل علماء(سوس)

٢) راجع ما كتبناه فى ترجمة سيدى موسى القاضى . كما ذكرنا طائفة ممن يقولون بهذا الرهن من السوسيين ان دعت اليه الضرورة . وطائفة من مانعيه مطلقا . فى ترجمة الشيخ الالغى فى (الجزء الاول) وفى كتاب (الآثار الفقهية) فتاوى المجانبين .

« نامر ناظر أحباس (رودانة) وفرها الله ان يرتب من وفرها لحامله الفقيه سيدى الحاج مبارك بن سعيد الهوارى السعيدى عشرة مثاقيل عن كل شهر . اعانة له على تدريس العلم الشريف بشرط القيام والمواظبة . كما نأمره أن ينظر له دارا يسكنها من دور الاحباس . وان يكون يمكنه من كراء دار تناسب حاله الكونه جاء على وفق الشرط . والسلام . في رجب عام ١٣٠٢ هـ »

وقد كان حج بيت الله الحرام عام ١٢٩٠ هـ . قبل هذا الظهير في ريق شبابه .

وحاله يغلب عليه التقشف . عرضت عليه خطة القضاء مرارا . فأعرض عنها . زاهدا في الدنيا . وفرارا من محنها . وقد كان اليه المرجع في معضلات النوازل . وحبب اليه النساء . حتى انه تزوج نحو ثلاث عشرة امرأة . ويمثل دور العلماء المستقلين . فلم يتقيد بطريقة مخصوصة . وقد أقبل على شأنه . لا يفتر عن تلاوة القرءان . ولا يخرج عنه وعن السنة في أفعاله وأقواله . وكثيرا ما يجرى على لسانه هذا البيت الذى يدل على مقامه ازاء مجارى الاقدار :

سلم لسلمى وسر حيث سارت   واتبع رياح القضا ودر حيث دارت

واذا ألم به حادث تأثر له . يقول : أنا بوصيرى . يعنى بذلك قول البوصيرى رحمه الله في قصيدته البردة :

والطف بعبدك في الدارين ان له   صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم

وقد ابتلى بالعمى في ءاخر عمره . وتوفى رحمه الله يوم الجمعة فاتح شوال عام ١٣٣١ هـ .

بقية من أخباره

من أخباره أنه كانت له شهرة كبرى بين الناس بأنه لايتزحزح عن الطريقة المثلى اذا ظهر له أنها الحق . ولو كان ما كان . وقد حوول منه أيام بعض القواد الكبار أن يسير في قضية على وفق هوى القائد . فأجاب بعزوف ليس في قدرة القائد الا أن ينتهب مالى . أو يسجننى أو يقتلنى . وكل ذلك سهل علىَّ ما دمت على الصراط المستقيم . قال من حكى ذلك : ثم أنشد بيتى خبيب المشهورين في البخارى :

ولست أبالى حين أقتل مسلما   على أى جنب كان في الله مصرعى
وذلك في ذات الاله وان يشأ   يبارك على أوصال شلو ممزع

وحين انتهب منزله وذهب متاعــه فى يوم وقعة مولاى الحسن سنة ١٣٠٣ هـ بقبيلة (هوارة) رأى منه الناس مــن الصبر . وتحمــل أعبــاء الاحتياج شيئا عجيبا . وكانوا اذ ذاك يتحدثون عنه بذلك كثيرا .

ومن أخباره أنه كان ألمعيا لاتتمشى عليه الحيل . ولا يدب اليه فــى الخَمَر (١) ولذلك كان المشعوذون من المفتقرة يبتعدون عنه لئلا يفتضحوا (وقد رأى مرة الشيخ الالغى. وهو يعظ العامة . وقد علا نشيجهم ويعلنون توبتهم . فلما سافر عنهم الشيخ حسنت أحوالهم . وانكفوا عمــا كانــوا عليه مما يخالف الشريعة الاسلامية . فقال لاصحابه هكذا ينبغى أن يكون الاشياخ المأذون لهم فى نفع العباد . فانهم يجيدون انفتاح القلوب . وجعل الناس على استعداد لكل خير . فسرعان ما يقع بهم النفع العام . قال : وهذا شىء لم نكن نعرفه حين كنا شبانا فى المدارس . فكنا نظن أن حفظ المختصر هو نهاية الشرف . فها نحن أولاء نخوض فى المختصر . ولكن أين ما نحن فيه مما فيه مثل هذا الشيخ الذى لايبيت فى قرية الا وأصبــح جميــع أهلها تائبين)

ومن أحواله التواضع وعدم التكبر بعلمه . مع رفعه لراية الحق . ولا يستحيى ولا يخاف أحدا . اذا ظهر المهيع الحق أمامه . فلا يعرف المداهنة . وناهيك به حين عارض الامر الحكومى فى الرهن . فصدع بما ظنه حقــا من اباحة ما يألفه الناس فى ذلك .

وقد حدثنى الاخ ولده القاضى العلامة سيدى أحمد أن الاب هذا لما افتتح الاجرومية عند أستاذه الاول سيدى ابرهيم بن سالم عراه جفاف فى الفهم الى أن وصل باب الافعال . فاذا بباب الفهم ينفتح أمامه . فلازم هذا الاستاذ حتى شدا .

وانه أيضا لما ألقى رحله بـ (فاس) كان فى غاية الاجتهاد حتى أنه ألزم نفسه أن يحفظ عشرين بيتا فى كل عشية أربعاء . وكذلك كان رفيقه الفقيه ابرهيم أبو سدرة (٢) وكانا متعاشرين هناك . مع ملازمته للمباحثة حتى لقبه الطلبة بالباحث . لكثرة مباحثاته للاساتذة وللاقران .

وقد أخذ العروض عن سيدى محمد القادرى الاعمى . ياتيه الــى باب داره . فيجلس هو على عتبة الباب . والاستاذ ازاء مصراع الباب . وكان تدريسه فى (المهادى) عشر سنين . وهو الزمن الذى قضاه فى التدريس فقط .

---

١) الخمر محركا . ملتف الاشجار . والمعتاد أن يدب اللص بين الاشجار الملتفة لمن سيختتله حتى يأخذه حيلة . والمقصود أنه لا تتمشى عليه الحيل

٢) توفى نحو ١٣٢٢ هـ

قال الاخ المذكور : كنت تسوقت سوق الاثنين فى (ابى العجلات) بـ (هركيتة) فاشتريت من انسان جوالقاً (الشوارى) . فتشاكسنا على شيء ظلمنى فيه . فتداعينا الى الفقيه سيدى عبد السميع المتناكى الهركيتى البوعجلانى ـ وهو الذى يتحاكم الناس اليه اذ ذاك فى السوق لان العادة اذذاك فى القبائل السوسية التى لا قاضى رسميا فيها أن ينتصب فقيه فى أى سوق فيفصل بين المتداعيين ـ فقلت له لما أدليت بدعواى : المومنون عند شروطهم . فلفتته الى العبارة لفتا خاصا . فنظر الىَّ وأنا فى هيأة رثة . فقال من أنت ؟ فقلت له : ابن فلان . فقال : انني ممن أخذوا عن أبيك . وكان اذذاك شيخا مسنا . وقد مات حوالى عام ١٣٣٥ هـ . وكان يقال له البطمى من المرابطين البطميين من شرفاء (أسيف اييك) أولاد سيدى ابرهيم ابن على دفين (أداوتنان) والبطم يعنى بالشلحة ايگ . فعربوا اللفظة فى النسبة .

ومما يدل على علو همة المترجم . وسعة اطلاعه فى فنه . وعدم تقيده فيه بطريقة معينة . ما رأيته من اقدامه على اعلان جواز السلف بمنفعة . وما حكاه ولده المذكور من انه طلق احدى زوجاته . فقال لولده هذا : متعها عنى يا ولدى . لئلا تنصرف منكسرة القلب . قال فمتعتها بنحو ثلاث بساسيط حسنية . وكان لها بال اذذاك . كأنه يوجب تمتيع المطلقة على نفسه . وان لم يكن واجبا عند المالكية .

وحكى ولده المذكور ان النوازل كانت ترد عليه بعد انكفاف بصر المترجم . وكان الولد الحاكى لايزال فى طور التعلم . فكان المترجم يجلسه اليه . ويأمره بفتح كتب الفقه . كالرهونى مثلا . فيقول له أنظر الباب الفلانى . أنظر الصفحة الفلانية . انظر جهة كذا منها أعلاها أو أسفلها أو وسطها . فيسير به كذلك . حتى يعثر على النص المطلوب . قال وكم كنت اجد له من تنبيهات وتوقيفات وملحقات فى جميع كتبه . مما يدل على كثرة مطالعته لها .

قال وكان ديدنه فض النوازل الشرعية طول عمره . كالافتاء . وبذلك عرف فى قبيلته (هوارة) وفى (تارودانت)
وقد حرص على أن يخلفه أولاده فى ذلك . فصار يلزمهم حفظ المتون فى سن مبكرة . وخصوصا حفظ مختصر خليل . وقد حفظوه كلهم حفظا متقنا . فأتم الله أمنيته فيهم ولم يخيب ظنه . رحمه الله ورضى عنه .

اولاده

للمترجم ثلاثة أولاد هم سيدى محمد وسيدى أحمد وسيدى الرشيد

وكلهم فقهاء حفاظ المختصر . واننا نورد تراجمهم هنا على حسب ترتيب مواليدهم :

ولده سيدي محمد بن الحاج مبارك

ولد الاخ سيدى محمد للمترجم بقرية (ابن خيى) بفرقة (الكردان) بـ (هوارة) عام ١٢٨٩ هـ وبعد أن أتقن حفظ القرءان . أخذ فنون العلم عن سيدى أحمد بن محمد الكسيمي البوزوكي وعن الاستاذ الشهير سيدى محمد بن عبو نزيل (أداوكمد) بهشتوكة . وقد أتقن كل ما أخذه مع استحضار شأن أبيه واخوته .

وكان أسمر اللون ضاربا الى السواد . نحيف القامة . مائلا الى الطول . وكان لباسه الاشتمال فوق القميص بكساء رقيق . زى العلماء اذذاك . ولم يضع على رأسه قط أزيد من طرف ذلك الكساء الذى كان يغطيه الى النصف . وكان رقيق الصوت . غاية فى الذكاء . لايفتر عن المطالعة فى أوقات الفراغ . وقلما ترى يده خالية من كتاب .

وكان أخواه يعظمانه ويحترمانه احترام الابوة . وكان العلامة سيدى احمد يعبر عنه بكلمة بابا - على عادة السوسيين الذين لاينادون من هو أكبر منهم من الاخوة الا ببابا فلان - وقلما يجهر بالصوت أمامه .

وقد ترك سيدى محمد هذا التكسب بالعلم على تضلعه فيه واشتغل بالتجارة فى الاحذية والثياب والحيوان . بين أسواق سوس واسواق أحواز مراكش . وكان رفقاؤه فى ذلك المرحوم السيد مَادْ السميدة الرجل الخير الفاضل رحمه الله . والسيد محمد السرغيني الذى لايزال الآن حيا يرزق. وهو من حفاظ السبع . ورد من السراغنة الى (رودانة) فطاب له فيها المقام وله بها أولاد وأحفاد . أطال الله بقاءه . والمرحوم عبد الله المعروف بولد الميم بتشديد الميم الاولى . رحمه الله .

توفى رحمه الله فى رابع رمضان عام ١٣٥٧ هـ

الولد الثاني سيدي احمد

وثانيهم الاخ الفقيه المحترم سيدى أحمد . ولد بدار صديق والده . ورفيقه ابان الطلب بفاس . الفقيه أبى سالم سيدى ابرهيم الملقب أباسدرة بحى (أولاد بورايس) من قبيلة (أولاد يحيا) بضاحية (تارودانت) عام ١٣٠٣ هـ . وقت قدوم السلطان مولاى الحسن لسوس واستباحته قبيلة (هوارة) لجيشه لعصيانهم وتصلبهم . فهرب والد المترجم بحريمه الى

قبيلة (أولاد يحيا) تاركا وراءه كل ما يثقله حتى كتبه واجازاته :

القى الصحيفة كى يخفف رحله   والزاد حتى نعلـه ألقاهـا

فكانت داره مما نهبه الجيش . فضاع له بذلك نفائس مذخراته من الكتب واجازات أشياخه بخطوطهم . ولله الامر من قبل ومن بعد .

أخـذ المترجم القرءان على عدة أساتذة من أمهرهم الفقيـه العلامـة المتخصص فى علوم القرءان سيدى عبد الله بن محمد الملقب بخرباش . وأخذ علوم العربية والفقه عن العلامة سيدى أحمد بن محمـد الكسيمى البوزوكى. وعن شيخنا البحر الموروود العلامة سيدى الحاج مسعود الوفقاوى وعن الفقيه سيدى محمد بن عبو المذكور أيضا ولازم الفقيه الصالح البركة سيدى محمد بن عبد الله الصوابى وبه تخرج . ونص اجازته له :

« سلام زرى بعرف مسك مفضض
وعرف رياض الورد والسوسن الغض
ويخجل نور الشمس فى الصحو فى الضحى
ويدنى المحب للحبيب مـع العرض

على ماجد تفديه مهجة روحنا   حبيب فقيه سالم الصدر والعرض
حليم أبى العباس سيدى أحمد   سليل مبارك نقى من الدحض(١)
(وبعد) فان العبد لم يك أهلا   بتطلاب أن يجاز من كل أو بعض
فكيف يجيز الغير من ذاك وصفه   ويعلم ضعف الحال منه بلا رفض
ولكن لحسن الظن منه نجيز ما   أخذناه عن شيخ الشيوخ من البعض
اجازة اطلاق العلوم مع الثبـ   ـات فيها الى كمال فهم بلا غيض
واوصى أخى معى بزهد مع التقى   وترك لشرط الاخذ فى العلم والقبض

كما كـان دأب الشيخ والوالد (٢) الرضا
لروح وأشبـاح مع الحذر من نقض

جزاه اله العرش عنا جزاء من   يجدد دين الله من نفل أو فرض
ويفتح عنا كل سر ومنيـة   وعن ولده بالفتح والجود والفيض
بجـاه أجل الرسل صلى الهنا   عليه وءال مع صحاب ذوى الوخض(٣)
وكاتب هذا حلف ود لحبه   محمد الصواب عزوا بلا خفض
سليل لعبد الله لازال طالبا   من الحب دعوة بخير مع النهض

فتح الله بصائرنا وبصائركم . وأزال غياهب الشكوك عنا جميعا . ونور قلوبنا معا بالمعارف والمعانى . ودفع عنا أسباب التوانى . وجلب

١) الدحض : مكان الزلق
٢) يعنى مباركا والد المجاز
٣) الوخض : الطعن يعنى الطعن فى الاعداء بالجهاد .

لنا أسباب التدانى . بجاه نبيه صلى الله عليه وسلم . وكرم ومجد . ونوه به وسدد . وشفعه فينا يوم التنادى . بلا عتب ولا عناد . بمنه وكرمه امين . وعائد السلام عليكم من محبكم ومجلكم محمد بن عبد الله الصوابى اليحياوى المجازى . أجازنا الله بمنه وكرمه على جسر الصراط كالبرق اللامع مع الاحباب والمشايخ . ومن انتمى الينا والمسلمين امين »

وأخذ الحديث والمنطق عن الفقيه العلامة قاضي محروسة (تارودانت) ونواحيها المرحوم سيدى الفاطمى بن محمد الشرادى الفاسى . ونص اجازته له :

« الحمد لله . أخص أحبتنا وأهل ودنا . وصاحب سرنا وصفينا . الفقيه العلامة الفاضل الفهامة . سيدى أحمد ابن الفقيه المرحوم سيدى الحاج مبارك ابن المصلوت . أسعد الله أيامكم . وحفظنا واياكم بما حفظ به الذكر الحكيم . وسلام عليكم ورحمة الله ما اشتاق محب الى سيده ومولاه (وبعد) فاعلم أيها الحبيب اللبيب . أنه ما غاب عنكم الا جسمنا . واما حبكم فمخلد فى سويدائنا . لما رأينا من احسانكم ووداكم . وموافقتكم وصفائكم . جزاكم الله خيرا . ولكن العبيد لما تعلمه من حاله . ضعف عن تحمل اثقال التكليف . فاختار السلامة والتخفيف . عسى أن تبقى المروءة بيننا وبين الاحبة صافية . لاتكدر بالاهواء الجافية . فاقبل عذرى واعتذر عنى لدى الاخوان . وأما ما ذكرته من اجتماع الارواح والمذاكرة فى العلم بعض الليالى . فتلك سنة الاحبة اذا صفا الوداد . فلا يضرها بعد التناد . فقد كان لى حبيب شريف ممن أخذوا عنى وهو بالصحارى . وبعد مدة من الزمن جاءنا لصلة الرحم . فحدثنى من هذا بالعجائب . وأنه ما وقعت له معضلة فى العلم الا استغاث فيقع له الاجتماع بهذا العبيد نوما . فيحصل على مراده . وما ذلك الا من تعظيمكم وصفاء طويتكم . فهو الذى يعود عليكم، والا فأنا لا شىء . وما ثم الا فضل الله تعلى . وأحبك أن تدوم على الانحياش الى العلم بكل وجه . وان وجدت طالبا أو طالبين فتحرك معهما فى الفن . فهو المتأكد . واياك وصرف الزمان كله فى طلب المعاش . فالمقدر لابد منه . فنعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ . والعمر نفيس لا ينبغى أن يصرف الا فى النفيس . والا ندم الانسان حيث لا ينفعه الندم . واجتمع بسيدى موسى وجماعة مجلس العلم أحبتنا . وسلم عليهم . وبلغهم أن العهد لا زال بيننا وبينهم الى لقاء الله . ما داموا على تلك السنة الشريفة . والحالة المنيفة . والاجتهاد على تعاطى العلم . فكلما سمعت أنهم لا زالوا كذلك انتعشت وفرحت . وأجد كأنى بينهم نتعاطى كؤوس الصفا.

وتحيات الوفا . وما ذكرت من نزول اللصوص بجانبكم وحفظ الله لكم . فذاك المرجو منه تعالى أن يديمكم على بساط العافية . والامن والسلامة . فاحفظ اللــه يحفظك . والتأليف الــذى ذكرت ليس تحت يــدى الآن . وسأبحث عنه . فاذا تيسر أرسلته لك ان شاء الله . وأنت مجاز فيه وفى غيره من العلوم التى تضم نسبتها الينا . بشرط تقوى الله العلى العظيم . أيدكم الله وكان لنا ولكم فى الدارين . وسلم على الاخ المحب محل ولدنا وصنونا أخيك سيدى محمد بأتمه وأطيبه . لازلتم بخــير والسلام . متم شعبان عام ١٣٣٧ هـ . الفاطمى الشرادى لطف الله به)

وأجازه الفقيه سيدى محمد بن ادريس نزيل (الجديدة) . ونص ما أجازه بـــه :

(الحمد لله وحده . وصلى الله على من لا نبى بعده .

يقول كاتبه أسير ذنبه عبيد ربه . محمد بن ادريس القادرى الحسنى. قد أجزت أخانا فى الله وحبنا من أجله . الفقيه العالم العلامة سيدى أحمد ابن الفقيه العالم العلامة السيد الحاج مبارك الهوارى . بجميع ما تصح لى روايته ودرايته من أصول وفروع . ومنقول ومعقــول . خصوصا مختصر الشيخ خليل . والصحيحين : صحيح أبى عبد الله بن اسمعيل البخارى . وصحيح مسلم بن الحجاج رضى الله عن الجميع. اجازة مطلقة عامة شاملة . مع التثبت غاية . وقول لا أدرى فيما لا يدريــه . كما أجازنى بذلك أيمة أعلام . ينجــلى بهم غيهب الظــلام . أمــا المختصر فعن الشريفين العالمــين الفاضلين سيدى محمد بن قاسم القادرى . وسيدى أحمد بن محمد بــن الخياط . وهما عن الفقيه العلامــة سيدى الحاج محمد بن المــدنى كنون . وهو عن سيدى بدر الدين الحمومى . وهو عن الشيخ التاودى بن سودة . وأما الصحيحان فعن الشريف العلامــة سيدى محمد بن أحمد الصقــلى . عن الشيخ سيدى بدر الــدين الحمومى . عن الشيخ التاودى بن سودة . وأوصى نفسى وأياك بتقوى الله العظيم والتثبت والاخلاص لله تعلى . وكتبه عبيد ربه الغنى . محمد بن ادريس القادرى فى ١٥ جمادى الاخــيرة عام ١٣٤٤ هـ . لطف الله به) .

كما أجــازه أيضا سيدنا الوالد قدس الله روحه مشافهة . وشيخ الشيوخ ذو الثبات والرسوخ الكبريت الاحمر . أبو شعيب الدكالى رحمة الله عليه . وشيخه وصهره العلامة سيدى الحاج مسعود الوفقاوى المذكور آنفا . وغيرهم ممن لم أقف على اسمه .

تصدر للتدريس بالجامع الكبير بـ (تارودانت) نحو خمسة عشر

عاما . وتولى رئاسة مجلس الشورى العلمي بها . والنيابة عن قاضيها سيدى موسى بن العربي. وكان يحبه ويجله لما يعلمه فيه من العلم والتقوى. وأنعم عليه جلالة السلطان سيدى محمد بن يوسف بخطة القضاء في مدينة (أكادير) عام ١٣٥٥ هـ . فمكث بها سنتين وشهورا . ثم نقله الى مركز (تمانار) بـ (حاحة) الجنوبية اخر عام ١٣٥٧ هـ . فبقي فيها الى أن نقله صاحب الجلالة الى مدينة (تيزنيت) عام ١٣٦٥ هـ . مصرحا له أعزه الله بقوله : (قد بلغني من حزمك ونزاهتك . واعتنائك بأمور الدين ما كان سببا لترقيتك قدم على ما أنت عليه) . وهذا التصريح الملكي الشريف هو الحقيقة عن المترجم . فان من يعرفه وشاهد سيرته يشهد أنه يمثل القضاء الاسلامي الحقيقي عدلا ونزاهة واخلاقا أينما حل وارتحل . لا يفتر عن المطالعة . تواق للمذاكرة . دؤوب على العمل . محبوب محترم عند الخاصة والعامة .

له ولدان نجيبان التحقا الآن بكلية الحقوق بالجامعة المغربية . أصلحهما الله وأنبتهما نباتا حسنا . (ثم نجحا أخيرا . فتعينا في الوظائف الرسمية . وفقهما الله . وهما نجيبان)

ذلك ما كتبه لى عنه أخوه العلامة سيدى الرشيد . والى القارىء الآن ما عندى مما كنت كتبته عنه وجها لوجه . أو عرفته عنه ليكون تتمة لما تقدم :

قال : حفظت القرءان وأنا دون العشر في الختمة الاولى . ثم بعد اتقاني لقراءة ورش اشتغلت بحرف المكي . وقد كنت حينذاك عند الاستاذ سيدى عبد الله خرباش . ثم بعد تحصيلي أخذ هو عني التحفة . وكان يقول لى وأنا صغير أتعلم عنده : اذا وليت مرتبة . فلا تحكم على بجور . ان ساقتني اليك الاقدار . فكان من المقدر أن تداعى الى هو ورجل في شان زيتون بستان . فحكمت للرجل عليه فقبل ذلك رحمه الله . ثم بعدما أتممت القرءان اندفعت الى حفظ المتون الصغيرة والكبيرة . فكان مماحفظته كوالدى مختصر خليل . ثم افتتحت الاجرومية عند الاستاذ سيدى أحمد البوزوكي في مسقط رأسه قرية (بوزوك) . قال : وكان يأخذ عنه معى اذذاك الاستاذ الشهير السيد الحاج الاحسن الباعقيلي نزيل (الدار البيضاء) والعلامة سيدى الحاج مسعود الوفقاوى . وكانا متقدمين علىَّ في المعلومات . وكان الوفقاوى هو الذى يعيد لنا معشر المبتدئين الدروس . ثم لما انتقل استاذنا البوزوكي الى قرية (تازنتوت) التنانية . انتقلنا معه اليها . ثم لم يلبث سيدى الحاج مسعود أن شارط في قرية (تامداقرت) فانقطعت اليه ولازمته سنة .

ثم لما حصل هناك على سبعين ريالا رجعت معه الى أستاذنا البوزوكـي . وهو اذذاك في مدرسة (سيدى ميمون) بقبيلة كسيمة . فبقينا هناك الى أن سافر سيدى الحاج مسعود الى الحج عام ١٣٢٢ هـ . فانتقلت الى مدرسة (أداو محمد) بـ (هشتوكة) عند الاستاذ سيدى محمـد أوعابـو الشهير . فوجدت النصاب في النحو في باب الابدال في الالفية وكان من عادته أن يستتمها في ستة أشهر . وأن يستتم المختصر في ثلاث سنين . متتبعـا أنصبة شيخه سيدى سعيد الشريف . قال : وكان من عـادة هذا الاستاذ أن لايعتني بدقائق البحوث . فقد قلت له مرة أثنـاء درس : كيف نبنى أفعل من أمر . فقال لسارد : اسرد . ثم التفت اليَّ وقال : من أراد مناقشة الالفاظ وتشعيب المباحث فعليه بالجبال . يعنيجبالجزولة(١) وكان أوعابو محافظا على النظام في الدروس لايغب الدرس عن وقته . وان كـان مـع الطلبة في حصاد زروعه . فانه في هذه الحالة يجمعهم وقت الدرس فـي الحقل . ويأخذ في القاء الدرس . فاذا تم رجعوا الى الحصاد .

قال : وفي عام ١٣٢٣ هـ . سافر الى (أيت صواب) حيث شيخنـا سيدى محمد بن عبد الله الاقاريضي الشهير . قال : وقد ولجت على الطلبة يوم وصولى الى تلك المدرسة . وكان الاستاذ بينهم . غير أنني لـم أميزه عنهم بادنى سمة لتواضعه . قال : فوجدتهم في درس التسهيل . وكانت الانصبة التي يتتبعها الاستاذ مع الطبقة الكبرى التى انخرطت فيها ثمانية في كل يوم . منها : ١ ـ درس الاصول في جمع الجوامع . ٢ ـ المنهج للزقاق . ٣ ـ التلخيص . ٤ ـ المختصر . ٥ ـ الالفية . ٦ ـ البخارى . ٧ ـ التفسير . ٨ ـ المقامات . وكان أستاذنا في هذا الوقت مقلا . وربما عشى الطلبة بحسوات من ملتـوت السويق . والطلبـة مكبـون لا يبالون بالرفاهية ولا بالسغب . وأوقات اليوم كله معمورة . وقد صادفت هناك سنة جذب . فكنت وان كانت معى دراهم كثيرة في هميان تمنطقت به . منصرف الهمة عن استزادة ما لايتناوله الطلبة . وكان الاستاذ اذا استثقلت المضاجع (٢) بالطلبة . وهجع كل من في المدرسة . يقوم متهجدا وربمـا نسمع أحيانا نشيج بكائه ان غلب عليه الخشوع . لازمته سبـع سنوات ختمت فيها المختصر ثلاث مرات والتلخيص والمنهج وتكميله . وجمعالجوامع والتسهيل . فضلا عن الالفية والتحفة والمقامات والهمزية والبردة وفرائض

---

١) هذا وصف أوعابو الحقيقى. لاكما وصفه به المانوزى في(الجزء الثالث)

٢) من قول عبد الله بن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

الرسموكي . وكل ما يتعاطى هناك كالبخارى والتفسير . وكنا في جد لا نظير له .

كنت حدثت أن الطلبة اذذاك لكثرة حرصهم على الاجتهاد كانوا قبل أن أجيء اتفقواعلى أن لايشتغل أى واحد منهم بالعامة يوم سوق يتسوقها الناس حول المدرسة . فانكف الطلبة كلهم سواى . فداعاني الطلبة الى الاستاذ . فاعتذرت بأنني فقير لايرد علىّ من بلدى البعيد ما يقوم به أودى. فكنت أستفيد من هؤلاء العامة في كل يوم سوق ما أسد به رمقى طول الاسبوع. فلم أزل أدافععن مخالفتيلقانون الطلبة حتيحججتهم ببراهيني

ومن أحواله رحمه الله المنافحة والموافقة دون مـا يعتقده . ولا أزال أذكر أننا بتنا ليلة في (رودانة) وحضر معنا علماء المدينة وقاضيها سيدى موسى في مباحثة أصلية حول ءاية من القرءان . أثيرت في احدى مجالسنا معهم هناك . فصمد وحده من بين كل الحاضرين للمباحثة معـى . بلسان ذلق . وبرهنة عالم خنذيذ . ثم تفرقنا اذ ذاك ولم نستتم البحث الا بعد سنوات حين كان قاضيا في مركز (تمانار) بحاحة . فقـد راجـع المسألة وقتلها بحثا هكذا هو رحمه الله ورضى عنه .

ومن أحواله الخشوع التام والمسكنة والاخبات . وهي جبلة أهل ذلك البيت كله . فلا يمتازون لا بعنجهية منصب . ولا بفخفخة علم . ولا بعظمة جاه . فمن جالسهم يلمس أن جالس أناسا ممن يمشون على الارض هونا . وممن لايريدون علوا في الارض ولا فسادا .

آب المترجم من عند استاذه سيدى محمد بن عبـد الله الاقاريفى . وقد أخذ من علمه ومن سننه . ومن خشوعه ومن عبادته . ومن تهجده ومن ملازمته للصف دائما . لاتفلته الصلوات في المساجد . لا في البادية ولا في الحاضرة لا في صلاة الليل ولا في صلاة النهار . كيفما كان الجـو . حبب اليه أن يخوض ظلمات الاسحار ليشهد صلاة الفجر مع المصلين في المساجد وفي ليلة بتها في قرية (تمانار) بكرت مع أصحابى قبل الفجر الىالسفر. فبدأ لنا فنار في الطريق الى المسجد . والليل مظلم . فقيل لنا انه القاضي ذاهب علىعادته الى المسجد من داره التى فوق هضبة هناك فيقطعكل صباح ما بينها وبين المسجد .

وأغرب من ذلك وأعجب أنه كان يدرس للطلبة فـى (تارودانت) وكان غالب مبيته بـ (الكنوات) فيبكر منها كل صباح ويصلى الصبح فوق واد هناك يسمى (الوادى الوعر) فلا تكون الثامنة صباحـا حتى يكـون جالسا بمجلسه بالمسجد الاعظم بـ (رودانة) حاملا معه رزمة من كتبه .

ولم يعرف عنه قط أنه تأخر لاى سبب الا لامتلاء الوادى المذكور ايام المطر واما المطر نفسه فلا يرده .

واما زهده وتوقفه فشيء غريب بالنسبة لقضاء العصر . اذ لا يتصور أحد أن يتوصل عنده بالبراطيل . الى تحقيق الاباطيل . وحاشاه من ذلك. وقد حدثنى القائد سعيد التيكرتينى نزيل (تمانار) التامرى الاصل ان هذا المترجم لما أصيب بمرضه المعلوم . وأشار عليه أطباء (السويرة) بالذهاب الى مصحة الدكتور دوبوا روكبير بـ (الرباط) احتاج الى عشرين ألف فرنك للتداوى . فأعوزته . فطلب من القائد هذا أن يقرضه اياها . قال فقلت له أتكون قاضيا نحو خمس عشرة سنة . ثم يعوزك مثل هذا المبلغ القليل . وكان القائد يحكى ذلك متعجبا . ولو كان فى مسلاخ القاضى وفى همته وفى عزوفه وتقواه ما تعجب من ذلك .

وكان فى فهمه رحمه الله بعض ثقل . ولذلك يبطيء كثيرا فى فصل الدعاوى حتى ينال المحق عناء كثير . وما ذلك الا من كثرة تحريه فى تفهم الدعاوى من جميع وجوهها. حتى اننى أقول مداعبة لاخيه سيدى الرشيد السريع الفهم : أحب الصلاة وراء أخيك ورفع دعواى عندك . وانما لاأحب أن أرفع اليه دعوى تعرض لى لئلا يماطل فى فصلها . لكثرة بطئه فى اصدار الاحكام حتى صارت ايالة قضائه تكثر الشكوى من هذا البطء من غير ان يتهمه أحد فى العدل .

واما همته فى ازدياد العلم . فيكفيك أنه ما ترك قط المدارسة فى الفنون . وذلك على طريقتين . فيدرس مع الطلبة متى وجدهم . ويتتبع مع نفسه انصبته خاصة فى المختصر وفى غيره من حديث وتفسير . لايغب ذلك كلما وجد اليه سبيلا .

وكان الى جانب كل ذلك من الذاكرين الله كثيرا . تلقن الطريقة الاحمدية عن حسن نية . فكان من محاسنها . لايتطاول الى التصدر . ولا الى الفخفخة بماتحتوى عليه من فضائل وفواضل . وخير كثير عدد الانفاس. وذلك لادراكه اللب . ولم يكن فى ذلك الا ابن ابيه الذى قرأت ترجمته ذرية بعضها من بعض .

كانت بينى وبينه رحمه الله مودة أصيلة . متأصلة الجذور . اشبة الفروع . فياطالما كان عندى فى دارى بـ (الحمراء) ثم بـ (الدار البيضاء) ويا طالما شاورنى فى أمر تعليم أولاده . وقد عراه تحير كثير فى أمرهم . وما كان يعرف الا النمط القديم . والعلوم الموروثة . ويرى ان ذلك كل شيء ينفع المجتمع . ويرفع وحده شخصية الانسان . وكان اذذاك من أولاده

من تقدم كثيرا فى حفظ كثير من المتون كالمختصر فما دونه . فكنت أقول له لاتحتقروا يا بنى المصلوت ما تقوم به اسرتكم اليوم من الاعتناء بهذه العلوم والامعان فى حفظ المتون . ورفع راية المشاركة فى المعارف الاسلاميـة . خصوصا الفقه . فلئن كنتم ممتازين بذلك أمس واليوم . والاعناق الى ذلك مائلة كل الميل . فستمتازون بذلك فى الغد القريب . حين يفتش المغاربة عن المحصلين أمثالكم . ثم لايجدون لكم أمثالا الا بعد التى واللتيا . فرأيى أنا أن تعتنى بأولادك ذلك الاعتناء الذى عرفته . ثم ان تيسر لهم شىء اخر فذاك . والا ففى أيديهم كثير ان عرفوا كيف يحوطونه بمثل اخلاقك ودينك. وسيكونون بذلك من الاعلين فى جيلهم . لان الامة لايمكـن أن تستغنى عن أمثالهم . كما لايمكن ان تستغنى عن علماء الفقه الاسلامى وعن الفقهاء الكبار المصلحين . والرأى الحصيف أن ينصرف كل فريق من الامة الى ناحية خاصة . حتى يتكون لنا مهندسون واطباء ومحامـون وعلمـاء للطبيعيـات ومتشرعون وكيماويون وطيارون وغواصون . زيادة عن مقتنى لغات شتى فلكل ذلك وأمثاله نفع معلوم . وازاء ذلك لابد لنا من أمثالكم يا بنى المصلون من حفظة المعارف الاسلامية . ومحافظى الفقه الذى لا استغناء لنا عنه ما دمنا مسلمين .

كانت صحته رحمه الله ضعيفة تعتريه أمراض شتى من جراء ما قاسى من المحن فى سبيل التعلم أيام شبابه . وأبرز أدوائه ما كان اعتراه فـى المثانة بسبب برودة أصابته من حجر ألزم نفسه الجلوس عليه أيام كان عند الاستاذ الافاريفى فى (أيت صواب) حين يحفظ (المنهـج) وتكميلـه فانقطع الى المستشفى بـ (الرباط) مدة الى أن شفى شفاء ما يستطيع معه متابعة أشغاله .

كـان تولى أولا فى (أكادير) ثم انتقل الى (تمانار) ثم الى (تيزنيت) حيث بقى الى أن أسلم الروح . وقد خلف هناك القـاضى سيدى محمـد أوعاموا بعد أن أحيل على المعاش . وقد فوجئنا بنعيه وأنا فى (البيضاء) قيل انه تغدى ودخل المتوضىء . فأغمى عليه فيه . فحمل مغمورا فظل بقية يومه كذلك الى أن أسلم الروح فى المساء لربها . فذهب مبكيا عليه بكل عين فحضر الى (تيزنيت) أخوه العلامة سيدى الرشيد . فصلى عليه . ثم حمله الى (رودانة) حيث صلى عليه ثانيا فى حفل قل نظيره . ورحم الله أحمد بن حنبل اذ يقول : بيننا وبين الكذابين الجنائز . ومقصوده ان فـى الجنـائز تظهر عظمة العالم . خصوصا ان لم يكن هناك ما يحشر الناس اليه الا محبة العلـم .

وبعد ذلك أسوق ما كتبه لى عنه صاحبنا تلميذه الخاص محمد ابن الاستاذ عبد الله خرباش الروداني . قال :

(ما رأيت فيمن عاشرتهم من الافاضل مثل القاضي سيدى أحمد بن الحاج مبارك المصلوتي . فقد تمرست به في حياة والدى اذ كانا قلما يفترقان . ثم يسر الله لى الاخذ عنه فلازمته بـ (رودانة) مدة خمسة أعوام متصلة . ثم استمر الاتصال بيننا الى أن زال التكلف بيننا وصرنا نتصارح في كل شيء . فكان رحمه الله يمثل في نظرى العالم المسلم السنى الصالح المعتنى بنفسه . المحافظ على ما بينه وبين ربه . من الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . وكانت أخلاقه أشبه شيء بالاخلاق النبوية الكريمة . فهو سهل الجانب . موطأ الكنف . من الذين يألفون ويولفون .

اعتكف رحمه الله بعد وفاة والدى على التدريس بالجامع الكبير في (رودانة) قبل أن يتولى القضاء . وكان مجلسه صيفا وشتاء الى عنزة الرواق الاول من الاروقة الداخلية مما يلى الصحن . وقد تقدم في سابق الترجمة ان المترجم يبيت بقرية (الكناوات) ويصبح في (تارودانت) وكان يصلى الصبح على ظهر (الوادى الوعر) فيدخل (رودانة) ويهيىء بداره في درب(جدهم) ما يفطر عليه .فلا تصل الساعة الثامنة من كل صباح حتى يكون أخذا مجلسه بالمسجد . وأمامه ساعته وحوله كتبه . وكثيرا ما يسبق الطلبة . فينتظرهم حتى يحضروا . ولم يحفظ عنه أنه تأفف من تأخرهم عنه . كما لانحفظ عنه رحمه الله أنه غضب أو فاه لاحد بسوء . وكان اذا حز به أمر يكرر قول الله تعلى : (بسم الله الرحمن الرحيم ألم أحسب الناس يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم) الآية .

وكان الطلبة الملازمون لدرسه أنا . وخالى السيد أحمد بن الفقيه السيد عمر الشتوكى . الذى نبغ نبوغا فائقا في النحو والفرائض . والاستاذ مولاى الحبيب بن مولاى عبد السلام السكرادى . والعلامة الحافظ سيدى محمد الضرير . المعروف بالسيد محمد البصير . المتوفى أخيرا بـ (تالامت) منحاشا الى الرجل الفاضل القائد سابقا السيد ابرهيم التالامتى . والسيد الحسن بن المعطى المنتاكى التامالوكتى . وكان هذا السيد على صبره ومقاساته المحن في سبيل التحصيل ثقيل الفهم نوعاما غير أنه لم يقنط . والعدل السيد العربى بن كروم الروداني . المعروف بالسيد العربى الكرد (أى الفهر) . ولعله كان أسن حتى من الاستاذ .

وكان السيد محمد البصير اذا ذهب به التفكير في المسائل العلمية . لاينفك مقلبا رأسه ببطء . ذات اليمين وذات الشمال . وعيناه جاحظتان. ورأسه عار نقي جدا . أصلع محمر . ولا يتكلم الا اذا سمع من اخطأ في جواب أو تلاوة . فانه اذذاك ينتفض انتفاضة لا شعورية . ثم يتلفظ بالنص الدال على ما وقع فيه الخطأ . من أى متن كان . وفي أى فن كان . ثم يعود الى سكوته . فكان الدرس يمر في اتقان ونظام . والمسجد على اتساعه خال من كل انسان . فلا ما يشوش .

وكان أول ما يفتتح به المترجم درسه . استعراض مسائل الدرس السابق . ثم يكرر متن الدرس الحاضر ثلاثا . ثم يجمل مسائله اجمالا . ثم يشرع في الشرح بتفصيل . فاذا أتم شرحه شرع السارد في سرد الشرح وكانت الدروس أربعة أو خمسة . يمكث فيها من الثامنة الى الحادية عشرة وكثيرا ما يصحب معه السيد محمد البصير للغداء لانقطاعه واحتياجه . فقد قضى عمره منقطعا للعلم . وكونه يلاحظ أمثاله شنشنته المعلومة فقد كان لا يضع يده في طعامه في داره الا بعد ان يستدعي امام المسجد الذى يتعلم عليه أولاده . ويا طالما أعطاه من الدراهم والكسا بلا عدد . اكراما له.

وكانت الدروس التى يتناولها هناك الالفية بشرح (السيوطي) وسرد شرح ابن هشام ومراجعة التصريح عند الحاجة . ومختصر الشيخ خليل بشرح الدردير . ومرجعة الحطاب عند الحاجة . وتحفة ابن عاصم . ومراجعة التسولي عند الحاجة . فضلا عن الاجرومية . ومتن المرشد المعين . ورسالة ابن أبي زيد . وما أشبه ذلك . وبيوع ابن جماعة . والبردة . والهمزية • في عطلة عيد المولد النبوى . والمقنع في عطلة عيد الاضحى. واما فرائض الرسموكي الذى أعتاد السوسيون قراءتها فيعطلة رمضان . فانه يقرأها في الايام العادية ليتفرغ في رمضان لسرد صحيح البخارى ببلده (الكناوات) فكان لايدخل (رودانة) في هذا الشهر الا يومي السوق أى الخميس والاحد . فاذا قضى مئاربه في السوق بادر بالرجوع الى (الكناوات)

وكان رحمه الله من التدين بحيث لايمكن أن يفرط في شيء مما بينه وبين ربه . وكان من التواضع بحيث يقضى مئاربه كلها بنفسه . بل ومئارب الناس أيضا فتراه اذا فاجأه الضيف . وليس عنده خبز . يخرج الى السوق فيشتريه ويأتي حاملا اه في يده ولا يبالي . وكان يأتي الى سوق الغنم بالمعز من غنمه . فيأخذها من كراعها . ويجلس ازاءها يتساوم عليها حتى يبيعها . كما كان يأتي بالحبوب في الجوالق فيجلس اليه في

سوق الحبوب حتى يبيعه كالناس . وكثيرا ما كان يرد عليه المستفتون في تلك الحالة . فيعرضون عليه قضاياهم . فكان رحمه الله يستقصي في فهم مسألة على حقيقتها. ويقول للانسان: أعد على كلامك ياأخي. حتى اذا فهم ظاهرها وباطنها - لان الناس مولعون بالتدليس - يصدع بحكم الله . ثم اذا أفهم سائله ذلك . التفت الى غيره . ومن تواضعه أنه كثيرا ما تأخذه السنة في مجلس الدرس فننبهه . فيعتذر بأنه قضى الليل يعين خماسيه في شيء من شؤونه فلاحته . كالسقي أو الحراسة أو غير ذلك .

ومن طريف ما يحكى عنه : أنه لما كان في مصحة الدكتور الطبيب «دوبواروكبير» بـ(الرباط) كنت أحضر اليه من(الدارالبيضاء) مرتين أوثلاثا في الاسبوع . لاترجم بينه وبين الطبيب . وقد قضى هناك نحو الشهرين. وكان نازلا في دار صهره الشريف سيدي الحسن النجار بحارة (العلو) فكنت ربما بت معه هناك . لنبكر من الغد الى المصحة . وكان رحمه الله يعسر عليه البول . حتى انه ليقضي مدة في الذهاب والمجيء في البيت متألما لاخراج النقطة الواحدة من البول . وكانت مذاكيره محاطة بجراب من مادة الكاوتشو (المطاط) مستطيل الى الكعب مربوط على فخذه يتساقط فيه ما انحدر من بول . وله بلبل ملولب يخرج منه ما يجمع من البول . فمتى أحس بثقله فتح البلبل وأراق ما تجمع فيه . وكان يعسر عليه النوم اضطجاعا . فكان ينام جالسا مستندا نوما متقطعا . ومع كل ذلك لم يترك الوضوء لاى صلاة . كما لم يتركه تهجده أثناء الليل . ولم تفته قط صلاة الصبح في وقتها .

وكان العلاج الذى يعالجه به الطبيب هو حقن مثانته عن طريق القلم بمياه علاجية متعددة الاشكال والالوان . فاذا مكثت في المثانة الزمان المطلوب أريقت أيضا بالامتصاص بالآلات . وكان الذى يباشر له ذلك ممرضتان تتناوبانه . احداهما شابة بنت معمر بقبيلة (حاحة) والاخرى عجوز متجالة . فكانت الشابة تعنف عليه فيتأذى من مباشرتها على عكس الامر مع العجوز . فطلب مني اخبار الطبيب بذلك ففعلت . ومن ذلك اليوم لم نر أثرا لتلك الشابة بالمصحة . وبقيت العجوز منفردة بمعالجته . فلما أراد الانصراف أحسن اليها .

وذات يوم تفرغ اليه الدكتور دبوا روكبير بنفسه . فأحضر كثيرا من الآلات ومن جملتها قضيبان رقيقان في رؤوسهما مصابيح كهربائية دقيقة مختلفة الالوان فجعل يدخلها في قلمه . ويرى من خلالها . وبعد مدة قال لى قل للاستاذ : ان أطباء (السويرة) أرسلوه الىَّ لاشق مثانته . ولكنني

لم أر سببا للشق . ولاأستطيع أن ابتدىء جراحة لاأعرف نهايتها . فأكون كمن دخل مغارة مظلمة لايعرف المخرج منها . وان مثانته الآن قد تنظفت مما كان فيها من عفونات . فما عليه الا أن ينصرف الى حال سبيله . ومتى تجدد عليه شيء فليعجل بالمجيء الىَّ . وعين له اليوم الذى سينصرف فيه .

فلما حان يوم الانصراف استشارنى فى أجرة الطبيب . فقلت له اذا طلب شيئا فذلك هو الاجرة . واذا لم يعين لك شيئا فاعطـه عشرة ألف فرنك . حتى ترى ما سيقول . فلما سألت الطبيب عن الاجرة . قال لى قل للاستاذ أن المراقب المدنى حاكم (حاحة) وجه الىَّ تقريرا عنه . أخبرنى فيه بأنه ليس من القضاة الاثرياء . وأنه ليس من أصحاب الرشا . وبناء على ذلك فانى لن ءاخذ منه شيئا . وان من سعادة الانسان أن لايزال يرى أمثال هؤلاء فى هذا العصر . فلما أخبرت المترجم بذلك تأثر واستحب. فاخذ العشرة ءالاف فرنك . وصار يحاول أن يدسها فى جيب الطبيب . ولكن الطبيب ـ وكان أجسم منه وأطول ـ يدفعه عنه . فصارا يتدافعان كذلك على طول الغرفة مرتين أو ثلاثا . فلما رأيت ذلك نبهته الى أن ينكف عن مدافعة الطبيب بالدراهم . وان يعلم أن ذلك بفضل الله تعلى . فانكف وجعل يشكره . فقال لى الطبيب : قل للاستاذ : اننى سأطلب منه طلبا واحدا . وهو أن يزورنى متى ساقته الاقدار الى (الرباط)

فلما رجع الى (تمانـار) بعث الىَّ للدارالبيضاء بقدر من عسل جيد تسع نحو ستة أرطال . وطلب ابلاغها الى الطبيب . فلما أبلغتها اليـه . شكر مرسلها .

ومما يتعلق بهذا الموضوع اننى صحبته مرة للغداء عند الفاضـل السيد الحاج عبد الله السوسى الكدورتى نزيل (الرباط) فلما دخلنا تقدم هو الى المتوضا . فلما توضأ جعل يتنفل . فلما توضأت أنا وخرجت من المتوضأ فرش اللبدة وجلس فى مكانه . فقلت له : ولماذا فرشت لى اللبدة ولم يحن بعد وقت صلاة الظهر . فقال لتتنفل أربع ركعات قبله . فقلت له لا . فقال ولماذا . فقلت له : انى لم أتعودها . وانى بوصيرى فى هـذا الباب . ولا يليق بى أن أصليها اليوم مراءاة لك ثم اتركها غدا . فأخـذ فى الضحك كثيرا . ثم قال لى : لله درك . هكذا كانت صراحة أبيك .

ومما يتعلق به أيضا . أنه لما رجع الى (حاحة) جعل أفاضلها يضيفونه ومن جملتهم القائد سعيـد التيكزيرينى ـ وقـد رأيت عنده فى المصحة المذكورة رسم السلف الذى سلفه له القائد . أرسله اليه العدول . ليخاطب عليه ويطبعه ـ فاتصلت هذه الضيافات مدة . فصارت حالـه الصحيـة

تتحسن من اثر المعالجة التى عولجها . فشاهد الحاحيون الفرق بين حاليه قبل وبعد . فاتفق أن كانت جماعة منهم فى مكان يتحادثون . فقام أحدهم وقال : يا معشر (حاحة) ان قاضيكم لم يكنْ به أى مرض سوى الجوع . أوما رأيتم أن حاله تتحسن لما صرتم تكرمونه . فاذا أردتم أن يبقى لكم فواظبوا على اكرامه . والا فانكم ستفقدونه ويعود اليكم القضاة الجائرون النهابون فصار ذلك طرفة يتناقلها السوسيون عن الحاحيين (ومن عادة الحاحيين أن ينكتوا على السوسيين . والسوسيين على الحاحيين)

ومما قصه علينا أنه بينما هو ذات مساء ببطن (الواد الوعر) ذاهبا من (رودانة) الى (الكناوات) بعد العشاء . اذا بلص يعترض طريقه ويستوقفه . فلما وقف قال له : انزل عن تلك البغلة فلما نزل قال له : ضع عنك ذلك البرنوس . فلما وضعه قال له : ما الذى تتأبط ؟ فقال له كتب لى . فجعل اللص يدنو منه مادا اليه فوهة بندقيته . يستبين وجهه . فلما استبانه قال له أأنت هذا ؟ فما الذى سلطك علىَّ فى هذا الوقت . فما الذى سأفعل الآن ؟ هل أسعى فى قوت عيالى أو أصحبك الى منزلك ؟ أركب بغلتك . وخذ برنوسك . فلما ركب بغلته تبعه اللص يحرسه حتى وصل (الكناوات) فقال له اسمع : ان الطريق مخوف . ولن أكون من نصيبك كل ليلة . فلا تعد للخروج فى مثل هذا الوقت .

(أقول) ان العلماء فى سوس يحترمهم حتى اللصوص ان عرفوهم. وهذه الجزئية الى أمثالها الكثيرة .

ولما عاد من المعالجة بـ (الرباط) طلب منى فى (الدار البيضاء) أن أصحبه الى (درب غلف) ليزور رفيق أيام صباه . السيد الحاج الاحسن البعقيلى صاحب الزاوية هناك . ففعلت . فلما وصلناها . وكان الوقت منتصف النهار ولم أدخل معه . وانتظرته حتى خرج . ولم يبطىء عنده كثيرا . فلما خرج سألنى عن امتناعى من الدخول فأخبرته بأن السبب هو أننى أخشى أن لا أؤدى له ما يناسبه من الادب الذى ألفه من اصحابه . فحكى لى رحمه الله ما يدل على أن زيارته هذه لهذا الرجل كانت عن حسن عهد كان بينهما . وانهما كانا معاً طالبين عند الاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفقاوى . وحكى أن من عادة سيدى الحاج مسعود أن يغمى عليه اذا فاضت مرته . فكان اذا سافر يصحب معه من يساعده اذا حل به ذلك . قال : فصحبته أنا وهذا السيد فى سفر مرة . فبينما نحن فى الطريق . اذا بالاستاذ يتمايل على بغلته . فأسرعنا بتلقيه . واسندناه الى جذع شجرة فجعل يقىء وعرقه يتصبب . فتلطخت ثيابه . فلما أفاق جعل السيد

الحاج الاحسن يقول له : انني أرى الانوار تتلألأ عليك يا سيدى . فقال له الاستاذ في بساطة : أهذه حالة من تلألأ عليه الانوار ؟ وأشار الى ثيابه الملطخة بالقيء . ولم يكن يرضى عما يقوله أمثال الحاج الاحسن .

ومع ما يذكر عنه رحمه الله من اتباعه للطريقة الاحمدية : فقد شاهدناه وشاهده الناس ملازما للصلاة في مسجد (سيدى أوسيدى) كلما صادفه الحال في (رودانة) والزاوية الاحمدية ملاصقة لداره بدرب (جدهم) ولكنه كان يتخطاها للصلاة في المسجد . وكذلك حال العلماء الذين يميزون بين الاشياء فيضعون كل شيء في موضعه .

ومن حكاياته رحمه الله عن ابان شبابه ما حكاه مرة من أنه جاء في جماعة من الطلبة من احدى المدارس التي كانوا يأخذون فيها بالجبل . في عواشر احد الاعياد . وكان الابان ابان جدب شديد . قال : فلما نزلنا بسيط (هوارة) في هاجرة قائضة . أحسسنا بالجوع وعلمنا أن الاستضافة تكاد تكون من المحال في ذلك الوقت . ثم لمحنا انسانا على سطح دار كبيرة في أحد المداشر . فنوينا أن نقصده . فلما رأى اتجاهنا نحوه اختفى عنا . ولكننا صممنا على أن نقصده كيفما كان الحال . فلما وصلنا باب الدار . وجدناه موصداً . فأوينا الى ظل جدار . فاذا بالرجل يخرج الينا . فقال مرحبا بالطلبة . مرحبا بالطلبة . من أين جئتم ؟ فأخبرناه . فقال : انكم تعلمون ما الناس فيه ولكن الضرب بالطوب خير من الهروب . فأحضر الينا ماء الوضوء . وكذلك كانت عادة السوسيين مع الضيوف . فتوضأنا واسترحنا . ثم أخرج الينا قصعة كبيرة مملوءة بالجزر المعجون بعد أن صلق في الماء وحده وأتى باناء فيه دقيق قليل جعل يذر منه على ذلك الجزر ثم أتى بلبن لابأس به . فجعل يصب منه على الجزر والدقيق . ويقول: مرحبا بالطلبة . مرحبا بالطلبة . فأكلنا حتى شبعنا واسترحنا . ثم ودعناه شاكرين . قال رحمه الله وكلما تأملت فعل هذا الرجل تأكدت أنه من أعقل العقلاء . وأكرم الكرماء .

وحكى مرة أن استاذه القديم سيدى الحاج مسعودا الوفقاوى زاره وهو بمدرسة الاستاذ العلامة سيدى محمد أقاريض . فحضر معهم درسا في مختصر الشيخ خليل . فلما أنفرد به في بيته . قال له : انك تضيع عمرك عند هذا الرجل . فليست دراسة المختصر كهذا الذى حضرتها معكم اليوم . قال فقلت له : لا تعجل . وابق معنا أياما . فلن ترى الا ما يسرك فبات عندى تلك الليلة . وكان بيتى ملاصقا لبيت الاستاذ . فلما كان وسط الليل . صرنا نسمع نشيج الاستاذ بالبكاء في التهجد . فلما أصبحنا قال

لى سيدى الحاج مسعود : لازم أستاذك . فبمثل هذا ينفع الله العباد (١)

ومما شاهدناه منه مرارا انه كثيرا ما ينفح ضعفاء الطلبة بما يتيسر له من دريهمات . أو قوالب سكر أو ثياب . واذا ساقت الاقدار أحدهم الى داره فلا يتركه يذهب حتى يحضر لـه ما تيسر من طعام او شاى . وكان رحمه الله بسيطا فى جميع أحواله . لا يظهر عليه أثر التكلف فى شىء . كما أنه كان تواقا عالى الهمة . قال لى مرة : والله لو أدركتنى هذه اللغات الاجنبية المنتشرة اليوم . وانا ما زلت فى قوة بدنى ما أفلتها .

وحدث مرة أن لتاجر دعوى بمحكمة القاضى سيدى موسى . فرفعها الى مجلس علماء الشورى . وكان سيدى أحمد بن المصلوت هذا أبرزهم . فجاءه صاحب الدعوى بقطعة من الملف النفيس . تسع برنوسا أو جبة . فقال له كم ثمنها ؟ فقال التاجر انها هدية . فقال له يمكن أن تكون هدية لو لم تكن لك دعوى . فقال التاجر انها هدية لا رشوة . ثم أقسم لا آخذها ولا آخذ ثمنها . فأخذها منه المترجم وسكت . فبينما التاجر ذات يوم فى حانوته . اذا به يقف عليه وقطعة الملف فى يده . فسلم وجلس على عتبة الحانوت . ثم قال له قد أسعفتك بابقاء هذا الثوب عندى حين حلفت تلك اليمين . حين لم يظهر بعد وجه الحكم فى قضيتك . أما الآن وقد ظهر لى أن الحكم سيكون عليك لا لك . فلا يحل لى اسعافك بأخذ هديتك . لان الانسان لا يهدى لمـن يحكم عليه . فخذ ثوبـك وكفر عن يمينك . ثم قام وتركـــه .

وقد زرته مرة لما تولى القضاء بـ (أكادير) فلما وصله وقت الخروج الى المحكمة تركنى فى البيت . ووضع لى كتبا فى الفقه . وقال : راجـع مسألة كذا . ولخص لى كتابة ما قيل فيها . فاستعظمت ثقته بى فى ابقائى فى بيته وفيما كلفنى بـه . فأردت مباسطتـه . فقلت لـه : أمثلك يحتاج الى مراجعة مثل هذه المسألة ؟ فقال رحمه اللـه : لان أراجعها خير من ان يسألنى الله عنها . فأقول له قد حكمت بما ظننت وتكاسلت عن المراجعة . فاذا طوقك الله بأمور العباد فلا تتهاون فى التثبت . فان التهاون فيـه مزلة الاقدام .

وقرر رحمه الله ذات يوم مسألة عويصة . وأراد أن يتجاوزها حرصا

---

١) ذكرنى هذا ما حكاه لى سيدى أحمد اليزيدى أن سيدى محمد بن الحاج الافرانى نهاه عن البقاء عند هـذا الاستاذ الصوابى . وما ذلـك الا لحذلقة الالغيين . فـلا يكادون يسلمون لاحـد . لكنهم ان رأوا مثل هـذا الخشوع يسلمون للاستاذ الصوابى رضى الله عنه .

على عدم تضييع الوقت . فاستعدته اياهـا . فقال لى راجعها فى بيتك . فانك ستفهمها . واذا حدث أن صدرك زمانك فانك ستفهمها بالرغم منك . لقد كان يقع لى مثل هذا مع شيخى الصوابى فكان يقول لى : مَنْ ياسيدى أحمد أعْراب - وكذلك كان يسميه فى (أيت صواب) الطلبة الشلحيون لانه هوارى - فستفهمها ان شاء الله اذا صدرك زمانك . وكذلك كان ولله الحمـد .

وحدث مرة أن وقع بين القاضى سيدى موسى وبين الباشا الاستاذ محمد بن عبد الله الشنكيطى تنافر بسبب بعض المترددين بينهما بالنميمة. ثم اتفق أن ألقى أعوان الباشا القبض ذات ليلة على سيدى محمـد ولـد القاضى . وكان من رفقائى فى الكتاتيب القرءانية ومن قرنائى. فلما علم القاضى بالامر فى الصباح . اغتم كثيرا لما حدث . فـأراد بعض أولئك النمامين اغتنام الفرصة لالهاب غيظه على الباشا . فقـال لـه : ان فـلانا - يعنينى - كان حاضرا معه . فلماذا لم يقبضوا عليه ؟ ومع أن سبب القاء القبض كان وما يزال مشكوكا فيه . فقد نسى هذا النمام المغفل أنه أكده للقاضى ضمنا فيما قال . فلما بلغنى ذلك تجردت لذلك النمـام فرددت عليه بما ساءه وزجره . ثم دفعتنى حدة الشباب . وغرارة الصبـا . الى أن كتبت الى القاضى سيدى موسى رسالة أتنصل فيها مما بلغه . ولكنه كان تنصل الطيش والغرور . اذ كان جريئا وقحا ليس مما يناسب مثله . فلما القيت الرسالة فى صندوق البريد . وجريت الى غاية الشوط فى غضبتى تنبهت الى أننى تسرعت وتدخلت فى أمر لايعنينى . اذ أدركت ان القاضى لا ذنب له فيما قيل . اذ ليس للانسان ذنب فيما تلتقطه اذنـه عرضا . بلغ منى الندم مبلغا لا مزيد عليه . فحاولت استرجاع الرسالة من البريد بواسطة صديق لى موظف فيه . ولكنه اعتذر بأنه خاف عقاب المدير الفرنسى فضاقت علىّ الارض بما رحبت . فلما اعيتنى الحيلـة هرعت الى المترجم سيدى أحمد . فوصلته فى هاجرة يوم شديد الحر . فوجدته وحده فـى دهليز داره بدرب (جدهم) جالسا على كرسى من خشب . وعمامته على ركبته. وفى يده كراس يطالع فيه بعض دروسه اليومية الخاصة . فقال لى ما الذى أتى بك فى هذه الساعة ؟ فقلت له : أمر جلل . فقام رحمه الله ودخلنـا أحد البيوت . فقال ان أحوالك غير عادية فماذا حدث ؟ فلما قصصت عليه القصة . قال لى ببرودة : قم يا صبى الى حال سبيلك . ان القاضى سيدى موسى لايبالى بالرجال . فكيف يبالى بألاعيب الاطفال . وأبشرك بأنك ان شاء الله لن تعود الى مثل هذا . لان ندمك خير زاجر لك . ففرج عنى رحمه

الله ما كنت أجده .

فبقيت دائما أتوقع نقمة سيـدى مـوسى حتى عقلت . وكشفت لى الايام أن الرجل ليس من الطراز الذى كنت أعده فيه . فكان ذلك ممـا ركز محبته وهيبته فى نفسى حتى صرت اذا لاقيته لا أجسر على رفع بصرى اليه . وتأكدت المحبة الخالصة بينى وبينه . وبينى وبين أولاده)

قولة المؤرخ سيدى على بن الحبيب فيه :

« ومنهم الاستاذ القاضى الفاضل . المحقق الكامل . أبو العباس سيدى أحمد بن الحاج مبارك المعروف بابن المصلوت . كان هذا السيد رجلا خيرا الحسب . حسن اللقاء . مولعا بالتصوف . كلفا بأفعال الخير . عـلى سنن لايختلف اثنان فى فضله وعفته . كثير الحياء والصمت لين الجانب . ظاهر الصالحين وهو الشيخ المتفق على علمه وصلاحه . ولى قضـاء حصن المنكب (أكـادير ايغـير) سنـة سبـع وخمسين وثـلاثمائـة وألف . ثـم انتقل لتمانار بـحـاحـة قاضيـاً عـام ثمانية وخمسين . ثـم لمـا كـانت فاتحـة سنـة خمس وستين وثلاثمائـة وألـف انتقـل منهـا لمدينة تيزنيت قاضيا . وصار فى القضاء بحيث ذكرت فضيلته واستحضاره الفروع . مع الديانة التامة والتصلب فى الدين . استقر به المحل وطاب . فشكرت سيرته . وحكم فى قضايا وبرز فى مواطن منها جبن فيها غيره . صادعا بالحق . واسع المعرفة حافظا علم العبارة . قارضاً للشعر . مع زهد وتواضع . من بيت علم وفقه . وكان نسيج وحده فى الفقه ومعرفة وجوه الفتاوى والبصر بالاحكام الشروط . درس الفقه وأسمع الحديث . وفـى أحكامه شدة . وفى خلقه حدة .

توفى رحمه الله يوم الاثنين السادس والعشرين مـن رجب الفرض عام أربع وسبعين وثلاثمائة وألف بتيزنيت فجاء أخوه القاضى بأولاد برحيل بالمنابهة السيد رشيد يوم وفاته وصلى عليـه . وحمله فى سيارة لبلده »

رثـاؤه

ان ما رأيته عن المترجم فيما تقدم . أيها القارىء الكريم فيه غنـى عن كل تقريظ وتقديم . ولكن بعض القرائح المتأثرة بمصابه . المتشبثة بالوفاء له أبت الا أن ترسل فى أثره أنات توجعها لفقده . من ذلك مرثيتان احداهما لشاعر (تارودانت) والاخرى لجامع الكتاب .

ا لا و لـــى :

ودعت قرض الشعر مذ أزمان   وعددتـه من أضرب الخسران
وحسبت ان لى الخيار عليه بالـ   ـاقبال حين أشا أو الهجران
وجزمت تقليـدا بـأن مثيره   فرط السرور وغبطة الوجدان
حتى أتت (برقيـة) يا ليتها   ضلت طريق السعى والاتيان
قد أوجزت فى لفظها ا لكن معـ   ـناها من الاسهـاب فى بحران
كلماتها سبع . وضم الباء الـ   ـسيق بالذى من أمرها عنانى
عجبـــا لامـواج الاثير تقلها   حينـا ولم تتلـظ كـالنيران
جاءت تخبر بالذى لم ينقدح   من قبل فى فكر ولا حسبان
فأثار فحواها الشعور وهيج الـ   ـبلوى وحرك ساكن الاشجان
فعلمت أن الشعر قد توحى به ؛   مثل المسرة ؛ سورة الاحزان

* * *

ياويح قطر السوس ؛ ماذا بعدما   قد ناله ؛ من فادح الحدثان
لا رزء يعدل رزأه يا ويحـه   ان كان يجدى الويح فى التحنان
أودى (ابن مصلوت) فئاها بعده   لطهـارة الاسرار والاعـلان
ولحفظ مذهب (مالك) وبحوثـه   والسنـة الغـراء والقرءان
رجل العدالة والنزاهة والحجا   والعلـم والتنظير والاتقـان
خدم الشريعة منذ كان كأنما   قد كان مخلوقا لهذا الشأن
لم يألهـا حفظا ودرسا مثلما   لم يأل فى التنقيب والامعان
حتى استقل بها كخير شيوخها   واليـه فيها مرجـع الحيران
وغدا يمثل عهدهم فى عهده   لـولاه لم يتشابـه العهـدان
واذا طلبت مكانـة مرموقـة   فلتستعـد لباهظ الاثمـان
أولا؛ فجنب نفسك الاطماع والـ   ـأتعاب وارض رضىامرىء قنعان

* * *

يا أحمد بن مبارك بوركت من   حى ويوم وضعت فى الاكفان
وتحيـة كسلام عيسى انـه   ان لم تكنه تكنه فى الايمان
عشرين عاما او تزيد قضيت فى   حكم القضاء وبسطـة السلطان
مرت وما مست تواضعك الذى   أعلاك فى نفسى على الاقران
ومضت وانت كما وليت أخوغنى   فىالنفس لافىالمال والاطيان (١)
ان شدت شيئا فىالقضاء فانه اا   ـعدل الذى أعيا على الانسان
أوكنت ذا ذخر فليسسوى الذى   تلقاه عند الله من رضوان

* * *

من بعد ما كان القضاء عبادة   يقضى بهـا للاجر والغفران
وامامة كبرى تهيب حملهـا   صبر الرجال تهيب (النعمان)(٢)

---

١) يطلق الاطيان فى مصر على أملاك العمارات من الاراضى
٢) اشارة الى ماوقع من الاذاية للامام أبىحنيفة النعمان لما امتنع من القضاء

أضحى مع الايام محض وسيلة لمقاصد غنيت عن التبيان
وغلاطنا تحت اسمه وختالنا لحقائق التشريع بالبهتان
فرددته لاصوله واعدت سا بق عزه بالعدل كالميزان
وكفاك منه أن تجدد رسمه حتى يعود مدعم الاركان
وأريتنا نسك القضاة وزهدهم ؛ أفأنت فى سوس(سعيد) ثان (١)
ولطالما اشتقنا لنعرف حالة الـ سلف الرضى فى غابر الازمان
فأريتناهم من حياتك حضرا ما بيننا يمشون فى اطمئنان
سمت كسمت الطاهرين وحكمة مثل كما قد جاء عن لقمان
وتعفف تحجى بـه متمولا فتوأم الافضال والاحسان
وتجلد عند الشدائد معجز همم الفحول وقدرة الشجعان
وعزيمة فى الجد مهما تتجه للامر ينقد كالمطيع العانى
وتضلع فى العلم ما من مشكل يعرو فيريك نير الاذهان
الا وكان لديك حل عاجل يلفى لـه بالنص والبرهان
وتسارع نحو الصلاة جماعة مهما الاذان سرى الى الآذان
تجفو المضاجع للمساجد دائبا تهفو لها كالخاشع الولهان
لاالبرد فى الاسحار يثنى من خطا ك ولا الهواجر ان أتى الظهران

* * *

قسما أبا العباس بالفضل الذى أعلاك فى نفسى على الاقران
لا خنت عهدك بالعزاء ولا سرى أبـدا الى تطرق السلوان
كيف العزاء عن الذى لم ألق من أحوالـه الا الـذى أرضانى
فاذا صبرت فانما صبرى احتسا ب وانقياد للقضا الربانى

* * *

فى ذمة التاريخ والاسلام ما اسلمت من روح ومن جثمان
وخلائـق محمودة محبوبـة كخلائق الفاروق أو عثمان

* * *

فلتسق قبرا ضم أعظمك الكريـ ـمة ديمة من رحمة الرحمان
ولو اننى بازائـه لسقيته بازائها أخرى من الاجفان

* * *

---

١) اشارة الى حال القاضى الاعدل النزيه قاضى تارودانت سعيد بن على المتوفى نحو عام ١٠٠٦ هـ . وقبره مشهور بمقبرة باب الخميس الكبرى بتارودانة .

أما مرثيتى أنا فيه فهى :

أكـــل عــــام منـــاحـــات بتيزنيت
(أعمٌ)؛ أمس؛ وفى اليوم (ابن‌مصلوت) (١)
أكلمـا قـام فـى تيزنيت مشتهر
بالعدل جال الردى فيه باصليت (٢)
لم يلتئم بعـد جرح من أعم اذا
جرح ابن مصلوت (٣) يا رحمى لتيزنيت
تتابع من خطوب قد ضربن على الـ
ـأعلام فيهـا بتخنيـق وتكبيت (٤)
رزء لرزء وما أنكى الحوادث ان
كانت تباغت فى غير المواقيت
هل‌يستوى وقع ماقد كان منتظرا
ووقع ما كنت منه جد مبغوت
أيفتك الدهر بالاعلام فتكته
أنى تخطى طغاما من طواغيت(٥)
ان نظير ابن مصلوت يقل ؛ وهل
يقل من يخلفون كل جالوت (٦)
هل عاقر لصلاح كل والدة
وناتق للعفاريت النفاريت (٧)

---

١) أعمٌ بضم الهمز واسكان العين وضم الميم مشددة . المراد به القاضى السابق قبل ابن المصلوت . وهو سيدى محمد أعم .

٢) الاصليت من الرجال الماضى فى الحوائـج . ومـن السيوف الصقيـل الماضى . والمراد هنا المعنى الثانى .

٣) كلمة مصلوت هنا تقرأ بالفتح للمنع من الصرف للضرورة .

٤) المراد هنا من معانى الكبت الصرع والهلاك . والتضعيف للمبالغة . اذ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

٥) الطغام أوغاد الناس وأراذلهـم . والطاغوت المعتـدى . والضال . والصارف عن طريق الخير . والمراد به الظالم لانها مجتمعة كلهـا فيـه . ولكثرة الطواغيت وجهلهم واعتدائهم عدوا من الطغام الاراذل . اذ الخاصة الافاضل لا يفعلون أفعالهم .

٦) المراد بالجالوت من كان على شاكلة جالوت المعلوم فى القرءان مـن الطغيان والتجبر . ولاشك أن غالب حكام وقت صدور القصيدة على ذلك الشكـــل .

٧) العاقر التى لاتلد . والناتـق الكثيرة الاولاد . والعفريت الخبيث . والداهبة من الناس . والجمع عفاريت . والنفاريت جمع نفريت وهو كلمة يتبع بها لفظ العفريت لتأكيد معناه فيقال عفريت نفريت أى هل عقرت النساء عن ولادة الصالحين واصبحن لايلدن الا الخبثاء الدواهى بكثرة .

انى التفت وجدت الطالحين وهل من صالح دون تفتيش وتنكيت
هذا ابن مصلوت يمضى هل له خلف يضم شمل المعالى بعد تشتيت
من ذا يرشح أو من ذا يظن وهل في الفحص يوجد أو أجبال ولتيت (١)
حتى ليحسب أن الجمع بين قضاء اليوم والنسك جمع الضب والحوت (٢)

* * *

من ذا يسامي ابن مصلوت فيخلفه في كل خلق عجيب منه منعوت
من للتجهد فى الاسحار من لصلاة الصف ما بين تهجير وتبييت(٣)
من للتواضع ما بين المجامع لا يمد للكبرياء الرأس بالليت (٤)
من للمباحث ما بين الدروس وقد فصل من عقدها درا بياقوت
من للفنون على أنواعها نظمت دروسه وحده فيها بتوقيت
من للصرامة يستل الحقوق بها ان أعوزته بتمسيح وتربيت (٥)
من للتحرى لحكم سبله اشتبهت حتى يفوز بنص فيه مبتوت (٦)
ينخل الفقه مما كان يحفظه فى الصدر لامن دواوين التوابيت(٧)
منكبا سبلا للترهات التى نهج المحجات توا فعل خريت(٨)
فيمعن النظرة العليا مخافة أن تلفى ندامته من بعد تفويت

---

١) المراد بالفحص أزاغار — أى السهول . والمراد باجبال ولتيت قبيلة أداولتيت بالاطلس الصغير السوسى . وهما مكانان مشهوران بأمجاد العلماء

٢) الضب حيوان معروف لايعيش الا فى الماء . كما أن الحوت لايعيش فى البر . ولذلك استحال اجتماعهما .

٣) التهجد : التعبد بالليل . والتهجير الذهاب وقت الهاجرة أى القائلة .

٤) الليت : صفحة العنق .

٥) التربيت ضرب اليد على جنب الصبى قليلا لينام . والتمسيح معروف يعنى انه يخرج الحقوق من غامطيها بالصرامة ان لم تنجح فيهم الملاطفة التى هى عادة فيه .

٦) المبتوت المقطوع به .

٧) معنى النخل هنا : الاختيار والتصفية . والتوابيت الصناديق . التى هى دواوين الكتب .

٨) الخريت : الدليل الحاذق الذى يهتدى فى المفاوز الى مضايقها ومسالكها الخفيفة .

تقليب ظهر لبطن كل نازلة تأنيا غير مبهور ومبهوت (١)

* * *

قالوا يطول حتى اليأس يغلب من تأخيره الحكم من ضيق وتعنيت
فلو رضا الناس - لا مولاه - يطلب لا
يعييه كيف اعتسافات السباريت (٢)

* * *

ان ابن مصلوت يا للناس مفخرة بها يصوت سوس أى تصويت(٣)
قوموا انظروا هل يرى بين القضاة سوى
أهل الهراوى وأصحاب النبابيت
قد كان فذا بهذا القطر منفردا بأى عدل صفى غير ملتوت (٤)
هل زن قط حوالى ما يزاوله برشوة ماولو ببعض سحتوت(٥)
ان كان يلفت عنها كل ذى ورع فان صاحبنا لخير ملفوت
ان الرشا فى قضاة اليوم أسحر من ابناء بابيل هاروت وماروت
وهل تمس الرشا من حرف نازلة الا كمس ثقاب عود كبريت (٦)

* * *

ان القضاء لمعيار فهمة ذا فى الحق يعلى؛ وهم ذاك فى القوت(٧)
والناس سرعان ما يلفى قضاتهم كما هم بين محبوب وممقوت

* * *

قضاة سوس جميعا من يريد ثنا من بعده فليكن مثل ابن مصلوت
وأنتم كلكم أهل لرتبته لانكم أهل تمكين وتثبيت
ان القضاء لفى الاحكام تفرغ فى قوالب العدل حقا غير منحوت
وكل من ليس ذا باع ليفرغها فى حقها فقمىء باعه كوتى (٨)
هل تمخر السفن الامواج زاخرة الا بقلب جرىء من يدى نوتى(٩)

* * *

عزيتم يابنى سوس الكرام وان تغذ القلوب بهذا ذات تفتيت
تعازيا من أخ ضفارة يده للمستحق أكاليل اليواقيت

---

١) التأنى فى الامور : التريث فيها . المبهور الذى انقطع نفسه من السعى الشديد . والمبهوت : المبغوت .
٢) السبروت : الفلاة
٣) يرفع صوته بالاشادة بهم
٤) الملتوت : المخلوط
٥) السحتوت : الفلس الصغير القليل القيمة
٦) الثقاب صغار الحطب ودقاقه . وعود الكبريت معروف
٧) المعيار : المقياس الذى يقاس عليه .
٨) الكوتى : القصير
٩) النوتى : الملاح فى البحر خاصة

ان كـان يسكت أحيانا فليس لدى
خطب كخطب ابن مصلوت بسكيت (١)

الرشيد الولد الثالث

وثالثهم رشيد ـ الجامع لهذه التراجم ـ ولد ١٣٢٨ هـ بـ(تارودانت) في (مجمع الاحباب) وقرأ القرءان على عدة أساتذة منهم سيدى عبد الرحمن ابن عبد الله الهوارى الكردانى يعرف بابن الفقير المتوفى نحو ١٣٤٩ هـ وتلقى العلـوم العربيـة والفقهيـة من أول وأجـل شيوخه الفقيه العلامة البحر المورود سيدى الحاج مسعود بن أحمد الوفقاوى . ونص ما أجازه به يوم فارقه الى (فاس) : « الحمد لله المرشد المعين . والصلاة والسلام عـلى سيدنا ومولانا محمد المرشد الرشيد الامين . الهـادى الى الحـق المبـين الداعى الى الرشد كل وقت وحين .

(وبعـد) فمن فى الدين فقه مجتبى مراد به خير والمرشد أهلا (٢)

وثبوت الحديث . من يرد الله به خيرا يوفقه فى الدين . وقول الله تعلى (يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) يكفى اذ هو جامع لامع هامع . لكل ذى بصيرة منور السريرة .

ثم ان حامله أخانا وولدنا الفصيح فصاحة رائقة . البليغ بلاغة فائقة رجع الينا بعد المفارقة . وبعد الوداع والمعانقة . كأنما رجع الى أجسادنا الروح . أو جلت بعد الغياهب يوح (٣) هو سيـدى الرشيـد ابن الفقيه سيدى الحاج مبارك السعيدى الساعد والمساعد . النازل منى بلا مراس . منزلة عينى الرأس. الخير الفقيه العلامة . الذى لايقابل بحول الله بعلى مه . طالبا منا طلب الغنى المجدود . من المقل المجهود . أكثر الله لديه أى اكثار. أكثر من نزول جليد أو هاطل المدرار (٥) بحسن ظنه الجميل . الذى أثمره علمه الغزير الوبيل(٦) أن أجيزه بكل ماقرأه علىَّ أوسمعه منى. فاشمأزت من ذلك نفسى . لعلمى بالتقصير . والباع القصير . وعدم التأهل أن أجاز

١) السكيت : الكثير السكوت .

٢) بيت من منظومة (الزقاقية) فى فقه المعاملات

٣) يوح : من أسماء الشمس . ويقال بالياء والباء .

٤) نسبة الى أولاد سعيـد أحد أفخـاذ (هـوارة) والثانى (ايكـردان) والثالث (المعائم)

٥) كان يوم كتب هذه الاجازة يوما منهمر الامطار . فأثر ذلك فىالاجازة بهذه السجعة .

٦) لم نر الوبيل من أسماء المطر . وانما وجدنا الوبل والوابل .

فضلا عن أجيز . مع عدم احسان الكلام الوجيز . ولكن ساعدته فاجزته اجازة مطلقة على شرط معتبر عند أهله . باجازة علامة الامصار . والاقطار والاعصار . نفاع الاخيار . شيخنا سيدى على بن عبد الله الالغى . حفظه الله من كل ما يلغى . وغيره وأسأل الله أن يوفقه وأن يجعل علمه عذبا فراتا سائغا . لهوى النفس دامغا . يقصده الواردون من منهله العذب أفواجا . فرادى وأزواجا . كما أذنته أن يذهب لفاس للاخذ عن علمائها . وزيارة صلحائها . فالله يبلغه أمله . وارض اللهم عنه رضا يبلغه غاية المامول . وكتبها مسعود بن أحمد الوفقاوى عام ١٣٤٥ والسلام »

(ثم ذكر اجازة سيدى على بن عبد الله لسيدى الحاج مسعود . وهى مذكورة فى ترجمة سيدى الحاج مسعود فى (الجزء الثالث) المتقدم) وأخذت أيضا قبل أن أذهب الى (فاس) علم الاصول والبيان والمنطق وغيرها عن العلامة الدراكة النفاع . المتفق على تفوقه على الاقران بلا نزاع . المغفور له سيدى احفوظ بن عبد الرحمن البعقيلى الادوزى . رحمه الله وبالنعيم جوزى . ونص طلبى الاجازة منه :

(الحمد لله الذى بفضله على الصراط الى الجنة الاجازة . التى هى بعد رضى الله والنظر اليه غاية المفازة . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له علام الغيوب . شهادة عبد غرق فى بحار الذنوب . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صفوة ولد عدنان . وأشرف الثقلين من أنس وجان . صلى الله عليه وسلم . من مجيز لأمته فى هول يوم القيامة . يوم يقوم مقاما يحمده فيه الاولون والآخرون يوم يقر له الكل بالتقدم والامامة ما حفظت شريعته بسلسلة المشايخ الاعلام . وعلى ءاله وأصحابه هداة الخلق الى دار السلام . (أما بعد) فالملتمس من سيدنا بعد الرضا . والصفح عن الزلات والاغضا . والدعاء بصلاح الاحوال . فى الاقوال والافعال . أن يجيزنى اجازة مطلقة لانواع العلوم شاملة . بمنقولها ومعقولها كافلة . اذ تلك سنة مضى عليها السلف . واقتفى أثرهم الخلف . ولولا الرواية بالاسناد . لقال كل قائل ما أراد . وأقسم على سيدنا بجده سيد الكونين صلى الله عليه وسلم وأشياخه وأجداده من بعد الى الابوين جعل الله الجنة مثوى الجميع . بجاه من له القدر الرفيع . أن يمنحنى طلبتى . وأن لايمنعنى بغيتى . وحاشا سيدنا أن يخيب من قصده . وهو البحر لاتفنى الدلاء مدده :

هو البحر من أى النواحى اتيته ... فلجته المعروف والبر ساحله
فلو لم يكن فى كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

وقــال ءاخر :

ماذا أقول وقولي فيك ذو حصر وقـد كفيتني التفصيل والجمـلا

على أني وان كنت لست أهلا لذلك . يكفيني أن أخطر ببالك . وأرجو من المولى تعلى أن يرقينا بها غاية المراقي . وأن يجعلها سر بصيرتي ونور ءاماقي . كما أجازني بذلك الغوت الجامع . الحبر البحر الضوء اللامع . شيخنا ومولانا سيدى محمد بن علي الرسموكي التامالـوكتي قـدس الله روحـه . وأحله في مقعد صدق . والمحل المسموكي . واختم هذا الاستدعاء بعد طلب الدعاء بقول من قال . وأجاد في المقال :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهـذا دعاء للبرية شامـل

والسلام على سيدنا من العبد المجهول . المجترى على نفسه الصئول . رشيد بن الحاج مبارك الهوارى السعيدى الكَناوى . صانه مولاه من جميع المساوى . بتاريخ أواخر ربيع الاول الانور عام ١٣٤٥ هـ . على صاحبها وعلى ءاله أفضل الصلاة والسلام . وأزكى التحية)

فاجاب بخط يده على ظهر الكتاب ونص ما كتب :

(اللهم صل على سيدنا محمد وءاله وسلم . ثم انه قد علم سيـدى المستجيز بمحولـه أني لا غيرى المتصف يقينا بقول العلامة أبى العبـاس المقرى :

ولست بأهل أن أجاز فكيف أن أجيز ولكن الحقائق قـد تخفى

وليعلم مع ذلك أني ما استجزت واحدا من أشياخي . لعلمي بحـالي الموصوف ثم كم من ظان بي التأهل فاستجازني فامتنعت عملا بالواجب . وسيدى لما لم يقنع مني الا بالاجازة ولم تعتبر اعذارى لامحالة أساعفه جبرا لخاطره (فأقول) أجزته الاجازة العلامة بجميع مروياتي عن أشياخي على المعروف . والطريق المالوف . فالله يجعل سيئاتنا سيئات من أحب . ولا يجعل حسناتنا حسنات من أبغض . أعلم به في ربيع الثاني عام ١٣٤٥ هـ الضعيف المحفوظ بن عبد الرحمن الادوزى . أمن اللـه تعالى الجميع من مكاره الدارين بمنه ويمنه ومحض فضله ءامين)

كما أجازني أيضا العلامـة الفرضي الحيسوبي الفقيه الباقعة سيدى سيدى محمد بن علي اكَيـكَ الرسموكي (وتوجد هذه الاجازة في ترجمـة اكَيكَ في (القسم الثالث)

وأجازني أيضا من أهل فاس الفقيه البركة ميمون السعي والحركة

العلامة سيد كل مرءوس ورئيس . الحاج عبد الكريم بنيس فى ٨ت شعبان عام ١٣٤٩ هـ . وقد كتب الى ما نصه :

(نجلنا البار الفقيه الاديب العلامة سيدى رشيد بن الحاج مبارك السوسى . السلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد وصلنا كتابك تاريخ شعبان الجارى . واستفدنا منه سلامتك . والحمد لله . جوابا عن كتابنا سابقا . وقولك لاتخال يخفى علينا أمرك . وانك كنت مسجونا الخ . فى قضية اللطيف ـ ما علمت من أمرك شيئا . حتى تلاقيت بمن هو منكم وأخبرنى . فوجدتك سافرت . ومكننى من مختصر (المواهب) الذى كان لى عندك . ولو وجهت لى وأنت فى السجن لعلمت ما نفعل فى القضية . ولكن الحمد لله على السلامة . ولما سرحت كنت تودعنى . والخير فى الواقع . وعرفت أنك الآن مقيم . ولم يتيسر لك التدريس . فكيف وأنت أهل لذلك وللتأليف . وما هو أكبر . وعند الامتحان يعز المرء أو يهان . وقد اختبرناك فى علوم . فوجدناك أفضل من كثير . والحمد لله . يسر الله لنا ولكم كل كل عسير . فابتدىء باسم الله ولا تجد الا خيرا . وقد أجزناك بما لدينا اجازة عامة فى التدريس والافادة . وقد وصلتنا هديتك . وما كان ينبغى لك ذلك . تقبل الله منك . وهيأ لنا ولك كل ما فيه خير الدنيا والآخرة . ولا تغيب عنا خبرك كتابة . ولا تترك القراءة والتلاوة . واجتهد ولا تنسنا من دعاء الخير . كما نحن كذلك . وسلم منا على الفقيه السيد أحمد . ويسلم عليك جميع أنجالنا بأتمه . والسلام . عبد الكريم بنيس لطف الله به) .

وأجازه الفقيه الاجل القاضى الافضل سيدى أحمد سكيرج ونص الاجازة :

(الحمد لله وحده وصلى الله على الفاتح الخاتم وءاله وصحبه وسلم . فى ٤ رجب الفرد عام ١٣٥٥ هـ . الكوكب الوهاج . المنير لكل داج . أديب زمانه . وفريد أوانه . الفقيه الارشد . سيدى رشيد بن الحاج مبارك . بارك الله لكم فيما تحاولونه . وبلغكم مرامكم فيما تناولونه . وعليكم السلام والرحمة والبركة . فى كل سكون وحركة . فانه وصلنى كريم كتابكم . مؤكدا لنا بل علينا ما كنا شافهناكم به من اجازتكم التى سارعنا بها لكم طبق المطلوب . ولكن الى الآن لم نتفرغ لكتبها لكم . وان كان فى المشافهة كفاية . فنرجو منكم أن تصبروا أياما . ثم تذكرنا لنوجهها لكم طبق المقصود . غير أنى أستفهمكم عمن أخذتم عنه الطريقة التى أنتم سالكون عليها ـ لا أدرى أى طريقة ـ ولا تجبنى بأنك محمدى لا طريقة لك الا السنة والكتاب . فان سائر الطرق من هذا الباب . والطرقى كيفما كان

سنى . وغيره ملحد . أو يدعى من غير شعور منه . وكثيرا ما يحصل الغلط فى وصف الغير بما فى الواصف . سائلا من المولى جل اسمه أن يسلك بنا مسالك النجاة . معيدا السلام على القاضى أبى عمران . والقائد التيبيوتى . وجميع الاحباب من غير تخصيص . وقد تعرضنا لكم فى نظم الرحلة السوسية وهى الآن تحت الطبع . وستصلكم منها نسخ بحول الله . ودمتم فى حفظ الله . ونحن على العهد نرعى الذمام . وعلى المحبة والسلام . وكتبه عن عجل خديم الحضرة المحمدية . عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله)

ونص ما ذكره فى الرحلة المشار اليها :

وقد اجتمعت هناك أيضا بالرشيـ	ـد رشيد ابن مبارك الرودانى
حلف المروءة والعفاف وطالب العلـ	ـم المنيف متوج التيجانى
وقد استجاز اجازة منى يتـ	ـم بها مناه وبالدعا جازانى
فأجبته طبق الذى يرجوه بالشـ	ـرط الذى شرطته أولوا الشان
فلـيرو عنى كل ما أحرزته	أو قلته فى كل ما ديوان
والله ينفعه وينفع كل من	عنه روى سرا وفى اعلان

وهو أول من أخذ عنه المترجم له الحديث الرحمة المسلسل بالاولية .

وأجازه أيضا فارس المعقول والمنقول . المقدم فى الفروع والاصول . الفقيه العلامة سيدى العباس بن أبى بكر بنانى . كما أخذ أيضاً عن عدة شيوخ أجلة . منهم الشريف العلامة أبو العباس مولاى أحمد بن المامون البلغيثى . والشريف العلامة النفاعة شيخ الجماعة . ورئيس المجلس العلمى بكلية (القرويين) مولاى عبد الله بن محمد الفضيلى العلوى . والعلامة المحدث سيدى محمد ابن الحاج . وأخوه العلامة الاصولى العضو بمجلس الاستيناف الشرعى الاعلى . بشريف الاعتاب . سيدى الطائع ابن الحاج . والعلامة الفهامة . نائب رئيس مجلس الاستيناف والعضو فيه . الشريف سيدى عبد الرحمن بن عبد الهادى الشفشاونى . والعلامة الحافظ المرحوم سيدى محمد الشهير أقصبى العضو أيضا بمجلس الاستيناف . ورئيس مجلس الاستيناف الشريف المحدث سيدى المدنى بن الحسنى . والعلامة المتضلع المشارك سيدى محمد بن عبد المالك الرسموكى ثم الفاسى . والفقيه البركة المقدم فى الطريقة التجانية سيدى محمد بن عبد الله الفاسى الحمزاوى وممن أجازه مشافهة العلامة المحدث الحجة . فخر المغرب . وزينة المشرق . المغفور له . أبو شعيب الدكالى . على ضريحه سحائب رحمة المتعالى .

وفى ١٤ شعبان عام ١٣٦٢هـ خطا أيضا خطوة أخرى الى الامام. والقناعة من الله حرمان. فكان من بين الذين انخرطوا فى سلك المباراة الواقعة بـ(الرباط)

بالاعتاب الشريفة . على يد لجنة الامتحان . بكلية (القرويـين) تحت اشراف وزير العدلية حينئذ . العالم العامل الصادح بالحق الكامل الشريف سيدى محمد بن العربـــى العلـوى . لنيل الشهادة العالمية فجاء المترجم ثـانـى اثنين نجحا بالقسم الدينى . والاول هو الفقيه العلامة سيدى محمـد بـن ادريس من قرية (بَامحمد) بأحواز فاس . كما أنه لم ينجح فى تلك المباراة من القسم الادبى الا أخونا الاديب البـارع سيدى عبـد العزيز بن ادريس الفاسي . وصديقنا الشريف مولاى عبد الله بن ابرهيم المراكشي . وقد عاق الناجحين الاربعة من سبعة عشر المتبارين عراقيل عن حيازة شهادة العالمية ـ الى أن قدم صاحب الترجمة طلبه لها الى جلالة الملك المحبوب المفدى بالارواح سيدنا ومولانا محمد ابن جلالة المقدس مولانا يوسف . فى١١ محرم الحرام فاتح ١٣٦٥ هـ فاصدر مولانا أعزه الله امره العالى بالله بالبحث عـن ملف ذلك الامتحان . وبعد العثور عليه وجه وزير العدلية للمترجم له كتابا نصه بعد الحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله :

(محبنا الفقيه قاضي (ايكودار) السيد رشيد بن الحاج مبارك الردانى. أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا دام علاه (وبعد) فقد وصل كتابك طالباً فيه الشهادة المقررة للناجحين فى مثل امتحان العالمية . الذى حضرته بشريف الاعتاب بـ (الرباط) فى شعبان عام ١٣٦٢ هـ موافق غشت ١٩٤٣ م . ونجحت فيه كتابيا . وشفويا الخ وبعد انهائـه للعلم الشريف أسماه الله ودام علاه أمر بمساعدتك على أن يعطى لك قرار وزيرى بنجاحك وعليه فها هو ذا يصلك صحبته فاستلمه عن أمره الاسمى . دام عـلاه . والسلام . فى ١٨ شوال ١٣٦٥ هـ موافق شتنبر ١٩٤٦)

ونص القرار الوزيرى :

(يعلم من هذا القرار بوجود سيدنا أعزه الله أن حامله الفقيه السيد رشيد ابن الحاج مبارك الردانى كان حضر امام لجنة امتحان العالمية المنعقد فى شهر شعبان ١٣٦٢ هـ الموافـق غشت ١٩٤٣ م بشريف الاعتـاب دام عزها بـ (الرباط) ونجح فيه كتابياً وشفاهيا . وبمقتضاه سلم له هـذا القرار باذن من مولانا الامام نصره الله . وأدام علاه . والسلام فى ١٨ شوال ١٣٦٥ هـ موافق شتنبر ١٩٤٦ م) ـ والامضاء فيهما ـ محمد الحجوى أمنه الله .

وفى عام ١٣٦٤ كان صاحب الترجمة من جملة المتبارين لنيل خطة القضاء الشرعى فجاء أول الستة الناجحين ـ بتفوق ـ وفى صباح يوم الجمعة ٢٠ جمادى الثانية فى العام المذكور عين بمجلس الاستيناف الشرعى الاعلى .

بالحضرة العلية . قاضيا مدربا فأنشده حين اجلاسه به شيخه العلامة سيدى عبد الرحمن الشفشاونى نائب رئيس المجلس المذكور . ما نصه :

ان الولاية ليس فيها راحة   الا ثلاثـا يبتغيهـا العاقـل
حكم بحق او ازالـة باطـل   أو نفع محتاج سواها باطل

وفى عاشر محرم الحرام ١٣٦٥ انعم عليه الجنـاب الشريف بولايـة القضاء فى مركز (ايكودار) من (المنابهة) على بعض قبائل (رأس الوادى) ثم انعم عليه مولانا بالوسام العلوى برتبة فارس .

في الحواضر

بقى هناك يكابد ما يكابد مع المستعمرين . الى أن جاء الاستقلال . فنقل الى (مراكش) قاضيا أولا . الى أن تأسس مجلس الاستيناف الجهوى . فكان رئيسه هناك ثم نقل الى المجلس الاعلى للنقض والابرام حيث هو الى الآن رجب ١٣٨١ هـ وهو يتمتع بشهرة علمية واسعة .

هذه تقلباته فى الحياة باختصار .

اعماله في الوطنية

كان من المعتنقين لهذه الفكرة وهو مجاور فى (القرويين) . فكان من المعتقلين فى (فاس) نحو أسبوعين ١٣٩٤ هـ فى وقعة الظهير البربرى مع القائدين للحركة اذذاك . ثم نفى الى مسقط رأسه . حيث صار متبوعا من الاستعمار . وقد تسلط عليه الباشا الشنكيطى المؤتمر بأوامر المستعمرين. وان كان فى باطنه يكبر منه ما يعلمه منه من التفـوق . فتسبب له حتى سجن ثانيا هناك زمنا ١٣٥٦ هـ . وقد اشتغل اذذاك بالعدالة . ثم بالتعليم فى احدى المدارس . ونجح ثانيا فى المباراة للقضاء . ثم لما أمضى مـدة التدريب فى مجلس الاستيناف . عين قاضيا . وطلب من جلالة الملك أن يحرز شهادة العالمية التى منعها لافكاره الوطنية . فصـدر لـه المرسوم الوزارى المتقدم . وبينما هو يتردد أين يتعين قاضيا . اذا بصاحبه الباشا الشنكيطى رحمه الله وقع له ما وقع فى الاسبوع نفسه . فاختار(ايكودار) الذى كان يحبه لولا الباشا . ثم لاقى هناك أيضا من مقاومة المستعمرين ما لاقى . وهم يتتبعون عوراته . فيأبى الله والكرم والمجد المصلوتـى أن يقعوا له على عورة . وفى ابان الازمة سربوا اليه طغاما من الاراذل بمظاهرة ضده . ولكن الغبار لا ينال الشمس فى عليائها . هذا وهو دائما يعمـل اذذاك سرا مع أصحابه مولاى سعيد ومحمد هرماس والحاج اسمعيل وسيدى

عمر الساحلي في كل ما يرفع شأن الامة . ويفضح الاستعمار . والهم خلايا سرية شعبا للحزب . وكم وكم لاقى المترجم من الشدائد اذذاك . فلولا عزيمته الفولاذية . ونزاهته في الاحكام . وصموده في نحر الحوادث بكل شجاعة لما استطاع أن يثبت هناك نحو عشر سنين . وهو أول وطني حقيقة في (رأس الوادى) كله . وقد قال أحد كبار المستعمرين لولا رشيد في سهول سوس . والمختار في جبال سوس لسلم سوس من وسوسة الوطنية. هذا ما يقولون . وأنا أقر كما يعلم المطلعون انني لست في مسلاخ هذا الاخ ولا في عزيمته . والحق أحق أن يقال . وقال الشنكيطي لو كان في (تارودانت) رشيدان لما اكلنا فيها الخبز .

نزاهته واخلاقه

ان للمترجم نواحي شتى . كدعائم لمجده الخالد . وارسخها وأعظمها نزاهته في القضاء . وتباعده عن العسف . فلم تعرف له ساقطة ولو واحدة في ذلك وتلك شنشنة أصيلة مصلوتية . موروثة عن والده وعن أخيه سيدى أحمد . وفيه من سعة المعارف. ونباهة الذكاء وسرعة الادراك والالمعية النادرة والمشاركة في الفنون ما يجعله في راس قائمة علماء أسرته بل يجعله في طليعة كل علماء الجنوب . وقد شهد له بذلك كل عارفيه المنصفين . وكثيرا ما يطرق برأسه أمامى في مجلس . وهو مجتمع الاعضاء شخت الخلقة . ساكن النامة . فأقول : سبحان من جعل في هذا الشخيص كنوزا عظيمة . ولو أكرمه الله بسعة الصدر عندما يتجاذب المتخاصمون أمامه دعوى . أو يتباحث الاعضاء معه في مسألة . لكان فذا . ولكن هذه النكتة التي تنكر عنه - ولم أرها منه أنا - جعلها الله فيه لتقي كمالاته من العين . وأنا أعذره لان في من ذلك ما لو وجدت دواء أن لايكون في لاغليت ثمنه في السوق.

بيني وبينه

أول ما عرفت هذا العلامة الجليل . كان يوم مروره بنا في (مراكش) حين رجع من (فاس) . ثم لقيته مرارا في (تارودانت) وقد سألته المراقبة عني يوم مر بي منفيا في (تاوردانت) وقد زعمت أننا نتكاتب مع أننا ما تكاتبنا اذذاك . ثم لما نقلته الاقدار الى (الرباط) ساقته السعادة الي . فنمضي غالب العشايا . فوجدته من أفاضل الاصحاب . نتباسط ونتعاطى النوادر . واستفيد منه . ويصبر ان سمع مني أحيانا كلمة نابية . وما كان ليصبر لغيرى . فأعرف له ذلك . وهو خير رفيق شفيق . حسن الظن . مصون العرض . محفوظ المروءة ما رأيته قط غضبان . فأتعجب مما يحكونه

لي عنه. فهذه شهادتي وان كنت ضنيبا ازاءه لما بيننا من الممازجة . حفظه الله.

ادبيات حـول سيدي رشيد

قال الاديب الكبير بقية الادباء الكبـار فى (سوس) سيـدى داود الرسموكى يخاطب المترجم سيدى رشيد . ومولاى سعيـد . والقـاضى الحاج اسمعيل وقد زاروا (تيبيوت) حيث مدرسة الشاعر :

أبدور مجد أم بدور زمان ... زارو على شط المزار مكانى
وفدوا على هذى البقاع فجددوا ... فيها السرور لصفوة الاخوان
ولو اننى أنصفتهم لبسطت أحـ ... ـداقى لارجلهـم مـع الاجفـان
لكنهم سكنوا الفؤاد فهذه ... أنفاسهم قد نفست أحزانى
لله درهم فكـل منهـم ... فذ السيادة مصدر العرفان
أهلا بهم من سادة زاروا كما ... زار الحدائق عارض النيسان
ماشئت من خلق لطيف قدزرى ... بلطائف الازهار فى البستان
من كل ذى فهم يفوت مداه ما ... يحكون عن تحريرهم (سحبان)
أو همة لاترتضى الا العلا ... فيفوت ادناها ذرى كيوان
أو فكرة لله نور ذكائها ... بهرت أديب (معرة النعمـان)
من مثل مولانا الشريف ابن الشر ... يف ابن الشريف الكامل الربانى
بـدر الهدى . بحر الندى . ليث العـدا ... سر الوجـــود ومنبـــع الاحسان
مولاى سيدنا سعيد من به ... فى أرض (أولز) قرت العينان
أما الامامان اللذان تطأطأت ... لهما الرؤوس بمجمع الاقران
فهما لعمرى السيدان الاجودا ... ن الامجدان الفارسا الميدان
القاضيـان الاعـدلان الامثلا ... ن الزاهدان تورعا فى الفانى
فبرشد سيدنا رشيد أظهرت ... تلك الولاية بهجة الجذلان
فتناسقت درر القضاء بسمطها ... وتلألأت كقلائـد العقيان
فليهنه وليهن (سوس) جميعـه ... أن قدمته عناية الرحمـان
هذا وخاتمة الكرام البرمكـى ... اللوذعى فريد هذا الشان
انسان عين الفضل والآداب اسـ ... ـمعيل فرد ما له من ثان
رب السيادة والسعادة والقر ... يض العبقرى الساحر الاذهان
خضعت له ولشعره الاعناق من ... غرب ومن شرق الى بغدان
برهانه هذى الذى فى صـدره ... (خطب الهوى بتواصل وتدان) [1]

---

1) مطلع قصيدة للحاج اسمعيل خاطب بها اذ ذاك أستاذه داود .

لله منه قريحة أبدت لنا في طي قرطاس عقود جمان
لفظ كما صيغ النضار ومنزع يعنو له ولحسنه الصادان (١)
وبديع معنى تحتسيه تلذذا من لطفه الاذهان بالاذان
هذا هو السحر الحلال وغيره ما كان غير مجرد الهذيان
بوركت يارب الفصاحة والسما حة والنباهة في ظلال أمان
بوركت يا رب البلاغة والبرا عة والشهامة والندى الهتان
بوركت ياسرالزمان وملجأ اللـ ـهفان في أمن من الحدثان
بوركت يا كنز المعارف والعوا رف واللطائف أنت روحي الثاني
لازلت ترقى دائما رتب العلا ء أمين خاتم دعوة الانسان
وعليكم مني السلام مرددا كتردد الانفاس والازمان
والله يحفظ مجدكم ويقيكم شر الحسود ونزغة الشيطان
بالمصطفى بحر الصفا كنز الوفا عين الشفا المختار من عدنان
صلى عليه الله ما هبت صبا فتمايلت طربا غصون البان
والآل والاصحاب أقمار الهدى الطالعين بمشرق الايمان

وخاطبه الاديب محمد بن أبي بكر الرداني بقوله :

علوت على الاقران يا ابن مبارك وفزت وجزت الفضل من سر ماشتهر
وذلك يا ابن الصالحين طريقكم ومن سار سير الوالدين فقد خبر
سموت وانت ابن الكرام ومن زكت أصول له نال المكارم في البشر
فأبقاك رب الناس منية قاصد تبلغه ما يبتغي كلما حضر
وابقى الاله سركم في فروعكم يسيرون كالاصول متبعي الاثر
بحرمة خير العالمين وآله عليهم صلاة الله ما شارق سفر
وقد أمكم ظمئان هذا ـ محمد ـ وعذبكم بالثرى وارده صدر
فمنوا له فضلا بحسن دعائكم عسى أن يفوز من رضا الله بالظفر
ويرحمه المولى بعافية بها له الخير في الدارين كلتيهما ابتدر
فمجدك والاحسان والحلم والتقى دليل على ذا الفضل أغنى عن الخبر

وخاطبه أستاذه سيدي الحاج مسعود بعد ما راسله :

حروف جعلن القلب أبيض بعدما تكدر من بين الاحبة والبعد
حروف بأنفاس المداد تعطرت تنافس انفاس الاحبة في المجد
دعاءك فاسمح واجعل الحب وصلة ينال بها الرشد الرشيد بلا بعد

---

١) الصابي . والصاحب بن عباد .

وخاطبه هو ورفيقه سيدى مولاى سعيد سيدى الحاج اسمعيل القاضى يوم زاراه فى (سكتانة) :

ان اللذائذ فى الحيـاة جديدهـا ... وصفا الاحبة زورها وعهودها
هذا رشيد من (ردانة) زائرا ... أهلا بمن هو تأجها وفريدها
هذا سعيد فى معيته كند ... مانى جذيمة فالوئام يسودها
فلتفتخر (سكتانة) بضيوفهـا الا ... علام وهى سعيدها ورشيدها
حلوا عواطل ناديات ربوعها ... فزهت على ثغر النحور عقودها
فتزينت بهم المحافل مثل ما ... زان الخمائل ءاسُها وورودها
نالت بهم شرفا ونالت بغية ... (سكتانة) أحرارها وعبيدهـا
وكأنمـا عيد بيـوم لقائهـم ... ولقا الاحبة فى الحقيقة عيدها

وخاطبه سيدى عمر الساحلى ـ مدير المعهد الردانى الآن ـ يوم تولى القضاء فى (ايكودار) ٦ شوال ١٣٦٤ هـ

سلبت بحسن جمالها الافكارا ... واستعبدت بجميلهـا الاحرارا
واستبشرت أهل النهى بقدومها ... فمحت بنور جبينها الاكدارا
طرقت فاشرق وجهها فى غيهب ... كالبدر حين استكمل الابدارا
وتمايلت طربا وقالت جهرة ... هذا الرشيد جلوتـه مختارا
فأجابهـا الملك الامام محمـد ... نعم الامين من اصطفيت جهارا
فحبا بها حبرا نقيا ناصحا ... جعل التقى والعدل منه دثارا
فرعى الحقوق وصانها من جور من ... يبغى الضلال ويبغض الاحرارا
جزت الفضائل يا رشيد فربنا ... يحمى حماك ويهلك الاشرارا
ثقة الامير بكم تخبر مـن درى ... أن المعـالى تطلب الاخيـارا

هذا ما وقفنا عليه مما خوطب به . ولا بد أن يفلت عنا بعد هذا كثير .

الفقيه سيدي

احمد بن محمد الالياسى الماسي

نحو ١٢٧٥ هـ = ٧ - ١٠ - ١٣٧٠ هـ

نسبه :

هو أحمد بن محمد بن الحاج محمد ابن الحاج محمد ابن الحاج أحمد ابن سليمان .

وينتهى النسب الى سيدى حميد الشيخ المدفون فى قرية (تاوريرت نيت حِيمد) برسموكة . ثم يرتفع النسب الى أن التقى بسلسلة نسب الجيشتميين التمليين البكريين المذكورين فى (الجزء السادس) ولم نظفر بسلسلة النسب الآن .

هذه الاسرة الالياسية من الاسرة العلمية الكبرى . وقد عرفنا فيها علماء كثيرين . فلنذكرهم بحسب ما حكى لنا العالم العلامة الكبير سيدى أحمد بن محمد . ولا ريب أن أهل مكة أدرى بشعابها .

الاول سيدي حيمد

هو حِميد - بكسر الحاء - الذى دفن فى (رسموكة) كما تقدم . وقد تواتر عند الاسرة أنه عالم . وان لم يكن عندهم من ترجمته ووقت حياته شيء. وهو الذى انتقل من قبيلة (أملن) الى (رسموكة) وقد كان له اتصال بسلطان عصره . فوهب له المكان الذى انتقل اليه .

(أقول) : ربما كان هذا السلطان أحد السعديين . لانهم هم الذين لهم اتصال كثير بالسوسيين . فلئن صدق هذا الحزر . فان المذكور يكون من أهل القرن العاشر .

الثاني الحاج احمد بن سليمان

هو أول عالم معروف من الالياسيين المتأخرين بعد سيدى حِيمد . وكان علامة كبيرا مدرسا . وكان يعيش فى أواخر القرن الحادى عشر . فيكون

على هذا أحد أفراد تلك الحلبات الذى أقامت أعلام المعارف فى (سوس) فى ذلك العصر الذهبى . وهو الذى انتقل من (رسموكـة) الى (وادى ماسة) . لوجود أملاك لاهله هناك . فلم يزل يختلف الى أملاكه . حتى انقطع اليهـا فسكن . واعقب أولاده هناك .

الثالث الحاج محمد الاول

عالم جليل ذائع الصيت فى أسرته . وقد عاصر أحفاد سيدى عبد الله ابن يعقوب السملالى . فكان يدرس فى قريته (أيت الياس) . ويعيش فـى النصف الاول من القرن الثانى عشر وفى أواسطه . ويتوفى فـى وقت لـم نقف عليه بالضبط . وقد ادرك الشيخ أحمد الصوابى المتوفى ١١٤٩ هـ

الرابع الحاج محمد الثاني

غادره والده حملا . فسمي باسمه على العادة فىذلك . كان فقيها نحريرا متمكنا . اليه مرجع الافتاء والقضاء فى عصره . وديدنه الجولان فى النوازل لمهارته فى الفقه . وقد تخرج بالعلامة سيدى محمد بن أحمـد التاساكاتى المتوفى ١٢١٤ هـ . ومحرراته فى النوازل كثيرة فى تلك الجهة . وتوفى بعد ١٢٦٠ هـ

الخامس عبد السلام

أخو المذكور قبله . تخرج أيضا بالتاساكاتى . وكان يلزمه ولايفارقه ولا يزال يخدمه . وكان مسكنه فى قرية (اخربان) فى (ماسة) ولـه فـى الكرم حكايات تؤثر . ومما يتداول كثيرا منها أنه هيأ مرة لاهل القرية فى يوم عيد خبزا وسمنا . فعندما . كانوا يأكلون قال قائل منهم لأصحابه كلوا سمن الرعديد وأمعنوا . ولم يكن القائل يظنه يسمع الكلمة . فاذا هو أتى بهراوة فراغ ضربا على أوانى السمن حتى شتتها . وهو يقول بغضب كلوا كلوا سمن الرعديد . فلست بشجاع ان أكلتموه بعد . وقد امتد عمره الى نحو ١٢٦٩ هـ . وكان صالحا . تربى بالشيخ التاساكاتى المتوفى ١٢١٤ هـ

السادس الحسين بن الحاج محمد

فقيه حسن مشارك . لكنه دون أخيه الآتى . تخرج بالعلامة سيدى أحمد أوجمل العلامة الشهير . قال الحاكى سيدى أحمد بن محمـد : كـان

يحكى لى كثيرا عن رجالات أسرتنا . فمنه استقيت كلما أعرفه عنهم . توفى عند مختتم القرن الماضى .

السابع محمد بن الحاج محمد

أخو المذكور قبله . العلامة الجليل الدراكة الفهامة البارع المتفنن . تخرج في (السويرة) عن الاستاذ اللغوى الاديب سيدى عبد الله الديمانى شارح ديوان الحماسة . وقد حكى لنا سيدى أحمد بن محمد أنه كان رأى طرفا من هذا الشرح . فقد قطن ذلك الثغر مدرسا مفيدا فى أواسط القرن الثالث عشر. ثم لم يزل المترجم يلازمه . حتى توفى . فانفتل عن تلك المدينة باكيا وهو يقول : مات العلم ودفن . وله أساتذة ءاخرون غيره . وانما هذا هو عمدته . ثم انه استقر في بلدته . فرزق الشهرة الكثيرة . فصار قطبا للافتاء والنوازل . فهو قاضي عصره في (ماسة) وما اليها . وقد تولى نيابة قاضي الجماعة بـ (تارودانت) وهو اذذاك سيدى عبد الكريم . التملى الشهير المتوفى ١٢٩٥ هـ . وسبب ذلك أن نازلة كانت بين الرئيس الحاج على اوركى الوادريمى والد القائد الحسين الوادريمى المعروف أخيرا . وبين انسان من الخاملين المستضعفين . فكتب المترجم لهذا الانسان فتوى تؤيده . فأدلى بها عند قاضي الجماعة . فأعجب بتحريره . فكتب اليه . واستنابه فى (ماسة) وما اليها رسميا . فازداد بذلك شهرة واحتراما . فكانت له مكانة وشفوف بين الماسيين فحظيت حياته كلها بذلك . ولا ينسى الرؤساء الماسيون مشورته فى كل أمورهم . وقد جربوا فى مشورته كل خير . ومما وقع فى عهده أنه اتفق الجزوليون وعلى رياستهم سيدى الحسين الايليغى وكل الازاغاريين على التنكيل بالماسيين . فأحاطوا بهم من كل جهة . فأشار المترجم على الماسيين أن ينتظروا فى المناجزة حتى يرجع الشيخ احمد الديملى . أخو القائد ابرهيم المعروف أخيرا . وقد كان الشيخ أحمد ذاهبا الى (مراكش) ثم ذهب اليه المترجم بعد ايابه . فداوله فى الذى فيه الماسيون . فرده خائبا قائلا له : أن الناس أجمعوا على أن تقدم كل قرية من قرى (ماسة) ذبيحة . وألف ريال فرجع عنه ءاسفا . فقال لاهله : انكم الآن معذورون . فدافعوا عن أموالكم وأولادكم . فانكم فى جهاد مشروع . فمن قتل دون ماله فهو شهيد . فليكن كل واحد منكم بمنزلة العشرة . فابدأوا بالهشتوكيين فمزقوهم كل ممزق . ثم ناهضوا غيرهم مدافعين ماشاء الله . حتى خرجوا من تلك الحرب منصورين وقد فصلنا ذلك عند ذكرنا (ماسة) فى (الرحلة الثانية) من رحلات (خلال جزولة) وكان ذلك ١٢٧٦ هـ وكانوا يرون كل تلك الانتصارات ببركة

الفقيه سيدى محمد بن الحاج الذى أخلصوا له المحبة .

وقد قال الحاكى . انه قد تخلف فيه ماقيل :

ان نصف الناس أعداء لمن ولى الاحكام هذا ان عدل

وكان دينا كريما لين الجانب متمكنا من الفنون . ومحرراته في النوازل كثيرة . وولادته قبل ١٢١٤ هـ . ووفاته نحو ١٢٨٢ هـ

الثامن احمد بن محمد

هو هذا المترجم الفقيه المحصل الدراكة النوازلى الجرىء المشارك المعمر علامة (ماسة) اليوم ١٣٦٤ هـ . والمرجوع اليه فى النوازل الكبرى منذ نحو خمسين سنة .

منشأه

توفى والده عنه وعن اخوته وهم صغار . فنشأ يتيما . فضاعت تركة والده وكتبه وكل ما له . واليتم اذا طاف بمن لا يجدون وليا قيما لا يبقى ولا يذر . فهذا هو السبب حتى ضاقت متوفيات العلماء المتقدمين فى كتبهم .

اساتيذه

أما فى القرءان فقد أخذه عن الاستاذ سيدى على الجبهى الماسى من حفاظ حرف المكى . وقد كان مشارطا فى (سيدى بونوار) فى (أكلو) فلازمه هناك حتى تخرج منه . توفى هذا الاستاذ فى أوائل العشرة الاولى من هذا القرن . ثم عن الاستاذ البركة سيدى محمد بن الحسن الاغبالوى الماسى الشهير . الذى كان يلازم مدرسة (سيدى همو بن الحسن) فى (الاخصاص) . والغالب أنه أخذ عنه من هناك . وعن الاستاذ سيدى محمد ابن على الاكلويى فى قرية (ايمى نتركا) ـ وهو مذكور فى مشيخة أوعامو فى الجزء الثالث عشر ـ وأما فى المعارف فانه افتتح فى مدرسة (أزاريف) عند الاستاذ سيدى الحسين الازاريفى مفتتح سنة ١٢٩٩ هـ . فلازمه أربع سنوات كان فيها على جد كثير . واكباب غريب . فلم تتم حتى ظهر منه نبوغ كبير . وصار يقرض الشعر . ويتعالى الى أن يلتحق بـ (فاس) ولم تعد بعد سوس تملأ عينيه . ولا يكفيه أساتذتها مستقى للعلوم التى نوى أن يتبحر فيها . ولذلك لم يكد مولاى الحسن يحط رحلته فى سوس سنة ١٣٠٣ هـ حتى تقدم اليه بقصيدة يمدحه . ويتطلب منه ظهيرا يكون له

ظهيرا في (فاس) ليستتم نهمته في الاخذ . فأجيب من السلطان بطلبته . ثم اتصل بالقائد أحمد الحراب . وبالقائد محمد أبو الرايس من رؤساء الجند السلطاني . فأخذا بضبعه في الحال . حين انسا ما قابله به السلطان. والناس من يلق خيرا قائلون له كل ما يشتهي . وينيلونه فوق ما يريد . فكتب له القائد أبو الرايس رسالة الى أهله بـ (فاس) . لينزل في داره هناك . وحمله القائد الحراب على بغاله الى (مراكش) فأنزله هناك في داره . ثم اتصل بالعلامة الحاج على الدمناتي صاحب المؤلفات المشهورة . فئانس منه ما أنساه (فاسا) فلازمه سنة تامة . أخذ عنه فيها مسرودات من الالفية . وكان يتمها في ستة أيام . ومن منظومة ابن عاصم يتمها أيضا في مثل ذلك . ويتم المختصر في شهور قليلة ـ وقد درسه أكثر من أربعين مرة في حياته ـ وقد كان الدمناتي من التحصيل في مكانة مكينة . لانه مارس كثيرا . فيصور كل ما يتعلق بالمتون وفاقا وخلافا بديهة . . فكان كل من له حافظة كمترجمنا يحصل مراده من عنده بسرعة . وهو من الآخذين أولا من (تامكروت) ثم استتم في العلوم بالجولان . وقد زار سوس وأخذ عن أحمد التيمكيدشتي وأبي زيد التاغارغارتي كما هو في فهرسه المطبوع . وله مؤلفات شتى . قال المترجم . قال لنا فمنذ افتتاحنا عنده المختصر . انني ضعفت وعجزت . ولكنني سأبذل معكم جهدي هذه المرة فقط . وكما أخذ عنه أخذ عن الاستاذ الكبير سيدي محمد ـ فتحا ـ أزنيط الصغير بعض المختصر . كما أخذ أيضا عن الاستاذ الحسن الموصلي الذي جال من المشرق . الى أن وصل الى سوس . ولعل المقصود هو النازل في (ماسة) حينا . فأخذ عنه سيدي عبد العزيز الادوزي . ثم رجع الى (مراكش) وقد كان المترجم يعرفه في (سوس) حين كان يأخذ عنه أمثال ابن مسعود المعدري . وكانت له يد مكينة في علم المعقول . وقد صار يدرس في (مراكش) . فأخذ عنه المترجم متن السلم . وجمع الجوامع لابن السبكي . وقد توفي في (مراكش) نحو ١٣٠٦ هـ فيما يحسبه المترجم . قال : كنت يوما أذاكره في حديث . من قتل قتيلا فله سلبه . فصار يسرد على ما حول الحديث من أقوال الايمة . وقد كان ذا حافظة واعية . يستحضر من أقوال الايمة ونصوصهم ما يبهر به السامعين . ثم بعد أن مكث المترجم في الحمراء الى سنة ١٣٠٥ هـ أمره الاستاذ الدمناتي بالرجوع الى بلده . وأمره بالاكتفاء بالمراجعة والمطالعة . وقال له : ان الكتاب امن غلطا . واسهل تناولا لمثلك . فدع فاسا . وارجع الى بلدك . فتبع اشارته فئاب . ثم عرج بمدرسة (أزاريف) فربض فيها أيضا عند أستاذه سيدي الحسين . فبعد سنة عنده مكث فيها بداره مكتفيا

بما أخذ قبل . رجع الى أهله فاستقر .

فهؤلاء مشيخته ـ وهذه رحلته العلمية التى استغرقت فى أخذ العلوم سبع سنوات . أخذتها عنه املاء . وانا أكتب .

تصديه للنوازل

لم يكد يستقر في بلده ويتزوج . حتى ولى وجهته الى ميدان النوازل الذى هو ميدان أهلــه . فصار يقبل ويدبر . ويقبل ويرد أحكام غيره من فقهاء الوقت . فيصير أحيانا فى مشادة مــع البــارزين اذذاك أمثال الاستاذ محمد بن العربى الادوزى والعلامة ابن مسعود . فقد كان حكم مرة بصحة أقرار انسان عن نفسه في نحلة ومعه فى الحكم ابن مسعود . فنقض الاستاذ الادوزى حكمهما . بأن ذلك انما هو خبر يحتمل الصدق والكذب . فكــتب اليه المترجم متعجبا من ذلك غاية العجب . يقــول لــه : أو ليس أن أخبار الانسان عن نفسه في شىء هو عين ما يسميه الفقهاء الا قرار . فأين هــذا مما عند المناطقة والبيانين من أن الخبر هو المحتمل للصدق والكذب . وقــد كانت غفلة من الاستاذ الادوزى . مع أنه فى النباهة فى مكان . فحين توصل بجواب المترجم انخنس فسكت . وقد رجع الى الحق . كما كانت له مشادة أخرى مع الاستاذ ابن مسعود . قال : وحين استبان ابن مسعود الحق فيما أقول رجع الىَّ . قال : ثم أمرت ابن مسعود أن يجمع ما تحرر لنا معا فى مؤلف خاص . وبدأ فى ذلك المؤلف . ولكنه لم يتمه . (أقول) : يوجد ما كتبه ابن مسعود فيه فى كتابنا (مجموعة الغ الفقهية) وهكذا كان الرجل صريحا يقبل ويرد . صحيح النقول . ذا المعية كبيرة . واقــدام وجرأة . لايحترم أحدا ولا يعرف الا الذى يظهر له منه الحق . ولم يزل قطبا من أقطاب النوازل فى ذلك الوادى يعتمد ما يقول . ويرجع اليه فى المشكلات الملمات . حتى انتظمت العدالة بقضاء (تزنيت) بعد ١٣٤٠ هـ فكان أحد عدول (ماسة) الى أن كتب مرة رسما وحده وقد تلقى الشهادة أيضا وحده . وذلك ممنوع بعد انتظام العدلية . فلا يتلقى الشهادة الا اثنان . فحين أدلى المكتوب له بذلك الرسم استدعى الى المراقبة . فأقر وقال : ان هذا ينفع الرجل . أوليس أن الماليات يكتفى فيها بشاهد واحد . ويمين . ثم لما راجعته المراقبة بكونه خالف النظام . قل : أما نظام الفقه الخالص فلم أخالفــه . وأمــا أنظمــة الحكومة الحادثة فحين تسير فى غير الطريق الذى نعرفه . فأنا أسلم فى هذه العدالة منذ الآن . فخط بيده تسليمه فى الحين . فهكذا غادر العدالة الرسمية . ثم وقع النداء فى أسواق (ماسة) بأن لايكتب لاحد بعد . فلم

ينقص ذلك مركزه عند الناس . لانه خرج بأنفة وشموخ وطهارة ذيل .

مع الكيلولي

كان القائد سعيد الكيلولي سمع بعلمه الجم يوم تولى فـي (تزنيت) سنة ١٣١٦ هـ فأرسل اليه لتعليم ولديه الحسن . وعبد الرحمن . قال : فاذا بأولاده لايرجى منهم نفع . فأخرجت رأسي من الربقة . فرجعت الى داري .

مع اولاد عبد الله بن بلقاسم

كانت الرياسة الكبرى في (ماسة) لآل (اغبالو) وحين نازعهم أولاد عبد الله بن بلقاسم وأبوهم من قبل . أوى اليهم . لكونه لا يـأوى الى ءال (اغبالو) وقد كان جرى بينه وبين القائد همو والد القائد الحـاج محمـد الاغبالويي الذى لايزال الى الآن حيا ١٣٦١ هـ شيء أدى الى النفرة . فقدم المترجم شكاية الى الوزير أحمد بن موسى بقصيدة منها :

وقائدنا هَمّو كـأن اسمه هَمّ ‌ ‌ ‌ فجئناكم نستكشف الهم يا قوم

وله قصيدة أخرى في ابنه الحاج محمد بعده . ولهذا كله التأم مـا بينه وبين القائد الجديد محمد بن عبد الله بن بلقاسم . قائد (ماسة) بعد . فكان كاتبه الخاص حينا . وجليسه وصاحب شوراه . ثم لما ضرب الدّهر ضرباته . وفسد ما بينهما أراد أن يسترجع منه بغلا كان للقائد أعطاه له ليركبه بين داره ودار القائد وكان يركبه الفقيه دائما . فأبى المترجم أن يرجعه . قائلا : اننا كنا نستحق أكثر من ثمن البغل . لوكان يقدر قدر العلم . ثم كان بعده مع القائد مبارك أخيه الى أن توفي . وعند القائد عرفناه

اخلاقه واحواله

كان صليبا في كل ما يذهب اليه . لايحنى هامته لاحد . جريئـا صريحا لايجمجم في الرد . يستحسن ما يستحق الاستحسان . ويستقبح ما يراه يستحق الانكار . ثم لا يرده عن قوله راد كيفما كان . وله ألمعيـة غريبة أعجبت بها يوم اجتمعت به مع هرمه . كما له تؤدة وألفة وصفـاء سريرة . وما أنس لا أنس . عشية امضيتها معه في دار القائد مبارك الماسي ءاخر ١٣٦١ هـ . فالرجل حقا رجل . وعالم كبير . مـا دام العلـم يكبر بالصراحة والنباهة . والاشادة بالحق . واعلان الرأى الذى يعتقده الانسان

ولو كان فى الحاضرة لكان له شأن ءاخر . ولكن البادية مرمس الرجال الاحرار . وأكاد اذوب خجلا منه حين خاض الينا ظلمة ليلة ليلاء الموفاء بلقاء كنا منه على وعد . فأرى ابن الثمانين لايزال ذا أريحية ومصافاة ونشاط وكان حديثه لطيفا حلوا يحسن أخذ أطراف الحديث. ويعرف كيف يستولى على جليسه . وله استحضار كثير . وصراحة مجيبة فيما يراه . وان كان يخالف الجمهور . وقد صلى بنا صلوات بتؤدة واطمئنان متناسبين . كما قرأ لنا قراءة تخالج الافئدة . فلم أفارقه حتى استولى على لبى .

بينه وبين الشيخ الافراني

كان المترجم صاحب الدمناتى المتقدم . وهو مربى تربية أهل (تامكروت) فكان يجول فى سوس وفى غيره . فكما أخذ عن أبى العباس التيمگيدشتى اجازة كما فى فهرسته نزل فى (ايليغ) على الرئيس سيدى الحسين بن هاشم . فاجتمع هناك بالشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى وقد حكى لنا شيخنا سيدى الطاهر ما يدل على أن سيدى الحاج الحسين الافرانى لم يعجبه حال الدمناتى اذذاك . ثم انه درس فى (تامكروت) ما شاء الله وتزوج فيها أخت سيدى محمد بن أبى بكر . ثم استقر فى (الحمراء) ومن كون الدمناتى نشأ ناصرى الطريقة ينكر على غيرها من الطرق بعضهم فى بعض . الا من عصمه الله . وقليل ما هم . فسرى ذلك الى المترجم . فصار يصرح بذلك فيبلغ الشيخ الافرانى . بل كتب اليه بقصيدة هائية منها هذا البيت . يطلب منه أيضاح أشياء من الطريقة الاحمدية :

وذاك كايثار الصلاة افاتح ... على المنزل القرءان أجرا أترضاه

فأجابه الشيخ بقصيدة هى عندى بخطه منها :

وقفت على جهل المريد طريقه ... وظن بأن الظن ينظر مغناه

الى أن قال :

ولو طلب الجواب عن فطنة بدت ... بنور الهدى بربه نال مبناه
فعين اليقين مبدأ الحر ان رمى ... سرورا بعلمه الى الحق أصماه
فحين بدت له جواهرهم(١) غدا ... يريد جواهرا بفلس لمعناه

الى ءاخرها وقد ألف الافرانى المذكور فى تبيين ما أنكره عليه المترجم كتاباً سماه (تحفة الاكياس) ثم طلب من شيخنا أبى محمد التامانارتى أن

١) يعنى كتاب (جواهر المعانى)

يجيب بقصيدة فأجاب بما نصه :

أتم سلام طيب النشر اذكاه ... على من سما من شاهق المجد أعلاه
على أحمد الصدر المبجل من غدا ... اماما وفى ثغر لـ (ماسة) مغناه
(وبعد) فقد وافى نظام تفتحت ... أزاهره اذ صوب فكرك أرواه
يسائل عن أشياء تزعم أنها ... أتتك بوجه جانب الحق يأباه
رماك بها شيطان(١)(دمنة) اذأتى ... اليك وكم قلب على الشر أغواه
يحرف من قول المشايخ ضلة ... عن القصد أيهاما وجهلا بمعناه
فلا تغترر ان ساعدتك عناية ... بأهل ضلال فى فلاة الهوى تاهوا
وسلم لارباب الكمال فمن غدا ... ليؤذيهم يوما يحاربه الله
فدونك ايضاحا لما رمت كشفه ... بقول متين أسس الصدق مبناه
ففضل كلام الله عن كل ما سوى ... ه أوضح من شمس فما الشك يغشاه
بذا صرح الشيخ التجانى جاده ... غمام رضا يروى مقدس مثواه
وقولهم أجر الفريدة ضعف ما ... سواه كلام كل ذى اللب يرضاه
وما لازم من ذاك تفضيلها على ... كلام قديم مالك الملك أوحاه
لما فيه من تخصيصها بمزية ... وما تقضى تفضيل شىء مزاياه
وذاك لما يحظى به مستديمها ... من الوصل عن قرب لغاية مرماه
وقد يودع المفضول سرا يخصه ... يعلمه الرحمان أهل عطاياه
وحسبك تسليم لما لم تحط به ... فمن رام خوض البحر بالرجل أرداه
وبحثك فى مأثور تفضيلها على ... نظائرها محض التعصب أغراه
لما فيه من تفريق حالى وفاته ... عليه صلاة الله تترى ومحياه
ولا فرق فى أمر الخصوص وانما ... غدا الفرق فى أمر يعم بفحواه
كذا البحث فى تأخيرها عن زمانه ... وذاك لسر ذو الجواهر أبداه
فطالعه ان رمت الجواب مطولا ... عن الكل فالمنظوم ضاقت زواياه
وقولك فى أمر الزيارة صادر ... على عجل من قبل فهم معماه
وليس بممنوع يرى الشيخ غيرها ... تضمن افسادا لحال مرباه
وذاك كاتيان الشيوخ توسلا ... بجاههم فى كل امر تعناه
لما فيه من تشتيت قلب مريده ... فيمنع من سر له الشيخ أسداه
واما قبور المسلمين فانه ... يحض عليها كل من يتلقاه
فراجع كلام المتمين لبابه ... باصدق ما عزم مشيد واقواه
وهاك اذا انصفت ما يشتفى به ... فؤادك من لبس رماه فاضناه
فاصغ لما يملى عليك فانه ... جواب تلقاه الصواب بيمناه

---

١) يعنى العلامة الحاج على الدمناتى شيخ المخاطب

وكثيرا من الناس يظنون ان المترجم يرد حقا على الشيخ الافرانى انكارا فقط . من غير أن يكون له قصد حسن . ولكن الواقع انه انما كان يطلب منه تبيين المشكل عليه . لانه حسن الظن بالطريقة الاحمدية . واظنه من أهلها . والرجل على كل حال لايقعقع له بالشنان . ولا يقرع له بالعصا لانني رأيت منه خلاف ما ذاع عنه . وكانت له مشاركة فى الفنون حتى فى الكيمياء . وقد حدثنى عن الصنعة مما يدل على أن له يدا فيها . وقد أطال معى فى ذلك الا أننى ازهد الناس حتى فى السماع عنها .

بيني و بينه

جرت بينى وبينه مذاكرات تتخللها انشادات من أقواله ومن محفوظاته . فقيدت ذلك كله . فمنه :

كل من حاك يعرف النسج لكن ليس داود فيه كالعنكبوت
القنى فى لظى فان احرقتنى فتيقن ان لست بالياقوت

ومنه جواب هذه الابيات لبعضهم :

نسج داود لم يفد صاحب الغا ر (١) وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند فى لهب النار مزيل فضيلة الياقوت

ومما أنشده أيضا لبعضهم مغزا :

وذات خال لها ألحاظ وسنان وريح مسك وجيد الاغيد الجانى
تختال يزهى بها تاج يرصعه در تزاهى بياقوت وعقيان
كأن وردا وتفاحا بوجنتها يضاحكان بها مفتوت رمان
تلك الفتاة التى من أجلها فرحت نفس الغنى ونفس المعسر العانى

وانشد بيتا من قصيدة جرى فيها ذكر علم الكيمياء الذى ينسب لخالد بن يزيد بن معاوية . وقد ذكر أن القصيدة فى خزانة بـ (أيت حامد) وهو يصدق بهذا العلم ويقول به . ويذكر أن له فيه يدا . وأطال التعجب من منكر وجوده . وقد قال : ان لب الصنعة فى البيض . والبيت الذى أنشده :

تجارة ابن يزيد خالد فلقد اضحى كتوما لها من شدة الامرا

وأنشد أيضا :

يا عمر وانك ان توسد لينا وسدت بعد اليوم صم الجندل

١) يعنى غار ثور الذى أوى اليه الرسول وأبو بكر يوم هاجرا من مكة . وقد ذكر هناك نسج العنكبوت .

فاعمل لنفسك صالحا تسعد به فلتندمن غدا ان لم تفعل

وأنشد أيضا :

وهذا سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الاهواء عمت فأعمت

ومما أنشده لنفسه من قصيدة رفعها الى المولى يوسف رحمه الله يؤيده في سياسته :

ما زال يرقى الى العليا مساعده ومن عصاه يدم في الخزى والنقم
نور السعادة في ميمون طلعته أوفى كفيل بكشف الكرب والازم
يا من تقول في أمر الامام ولم يكن لحل وعقد راسخ القدم
هذا لعمرك بهتان أتيت به ان الامام بصير غير متهم
دقت سياسة مولانا ومقصده لولا تداركه للناس لم تقم
محمودة كلها عقبى سياسته أطفا به الله آلام الوُثَى(١) الدُّهُم

ومنه أيضا من قصيدة لاحمد بن موسى يطلب منه تحريره .

كل شيء فيه زكاه فكانت في المماليك أن يحرر مثلي

ومما أنشده لغيره :

اذا لم تكن الحاجات في همة الفتى فليس بمغن عنه عقد الرتائم (٢)

مؤلفاته

ذكر لي أن له مؤلفات . فأراني منها بل كتبها لي منها : (عقيدة نثرية) حسنة . كما له (رجز) في الفرائض رتبه على الوراث فيضع ازاء كل ذي ارث ما يستحق بتفصيل . ولم يتم . ومجموع منثور في (المقاصة) ونظم في (الجمل) رجز كان من باكورته . وأرجوزة صغرى في (التيمم)

ءاثار من قلمه

كتب الي بعدما رافقته هذه الرسالة :

(الاستاذ الجهبذ النحرير سيدى المختار . المختار للمكارم والمحامد ومعاملة الاخيار . انى تذكرت بعض ما استرشدت اليه . فأقول : اعتقادى من الآية الكريمة (فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) ان اطلاع أولياء الله على الغيب مشاهد بالعيان . فلا يصح انكاره . فيجب تقرير الآية الكريمة بما يوافق الواقع . والذى عندى فيها أنها على حذف مضاف أى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من جانب رسول . وهم

١) الوُثْيَا : الجرح . وهو مفرد الوُثَى
٢) الرتيمة : نوع من التمائم .

أحباب الرسول الذين احبهم وادخلهم حضرة مولاه . فاذ ادخلوا معه حضرة الملك لزم أن يطلعوا على ما أطلع الرسول عليه . فاطلاع أولائك على الغيب كان بحب الله لهم . ولارتضائه لهم . فيكون ذلك الاطلاع عاما فى السفليات والعلويات مما شاء الله أن يطلع عليه من شاء من عبيده . بخلاف غير المخلصين المحبوبين من عبيده . فان اطلاعهم لايعدو الظلماتيات . لانهم لم يكونوا من جانب الرسول . (أولائك ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) ـ الى أن قال بعد تبيين هذا ـ هذا معتقدى فى الآية وأما قول من قال كالزمخشرى . ان الآية دالة على بطلان كرامات الاولياء فليس بشىء ـ لان الواقع يكذب ما قال ـ وبقى عندى شىء اخر من كلام أولياء الله . كقول ابن العربى الحاتمى . سبحان من خلق الاشياء وهوعينها فقد انكره شيخنا الدمناتى انكارا كثيرا . وعندى أنا ذلك صحيح . وانما أشار الى القيومية . ولا محذور فيه . فمعنى كونه تعلى عين الاشياء انه أقامها وأوجدها وأمدها بالبقاء . بمعنى أنه تعلى لو قطع عنها فعله من المدد بعد الايجاد لتلاشت وعادت عدما . فهذا معنى قوله : وهو عينها . وانما المحظور فيما لو قال : وهى عينه . فليفهم . ومثل هذا التأويل الصحيح قول بعض الاولياء خضنا بحارا وقفت الانبياء بساحلها . فأنما هى بحار المعاصى والمخالفات . فالانبياء معصومون منها . فألكلام اذن صحيح . فالله يلهمنا الى الصواب .

(أقول) : ان الذى ذهب اليه المترجم وأول اليه الآية هو عين ما كان ذهب اليه الحاتمى . فقد قال : ان اطلاع بعض اتباع الرسل على اشياء لم يطلع عليها رسل أخرى . مزية فقط لاتقتضى تفضيل هؤلاء الاتباع على اولائك الرسل الآخرين . أولا ترى أن اتباع رئيس يدخلون معه الى حضرة السلطان تبعا لرئيسهم . فى الوقت الذى يبقى فيه رؤساء اخرون خارج الحضرة . ثم لايؤدى ذلك الى تفضيل هؤلاء الاتباع على اولائك الرؤساء . فهذا هو الذى ذكره المترجم بعينه . وأراد أن يؤول اليه الآية ذلك التاويل الذى ذكره . ويحتاج هذا التأويل الى تكلف . وكذلك تأويله لخوض تلك البحار بجعل البحار هى بحار المعاصى . أعرف عن الشيخ الالغى أنه كان يجعل تلك البحار التى يخوضها الاولياء . ولا يخوضها الانبياء بحار الحقائق . فان الانبياء لكمالهم لا يخوضونها . وغيرهم لقصور قدمهم عن قدم الانبياء لا يكاد يمسك أحدهم نفسه أن يخوضها . وهذا التأويل أحسن من تأويل المترجم . كما لايخفى عمن يمعن نظره . وقد رأيت تأويلات أخرى لهذه البحار .

اتصاله بالشيخ الالغي

حكى لى أنه كان يعرف الشيخ الالغى فى نحو ١٣٠٠ هـ وهو اذذاك لايزال متجردا بين يدى شيخه سيدى سعيد بن همو . قال فرأيته يوما اذذاك يصلى بأصحابه . وسمعت المسمع يمد باء الله أكبر . فانكرت على المسمع ذلك . قال لى : لله درك . ثم انه صار يلاقيه دائما فى (ماسة) وقد كان يجالسه هناك كلما ورد مع أصحابه . وكذلك يجلس الى الشيخ التاموديزتى . وقد حكى لى حكايات وقعت له معهما ومذاكرات ومحاورات على عادة المترجم مع كل أحد . وخصوصا مع الصوفية أمثال الدرقاويين كالشيخ الالغى الذى كان من عادته محادثة أمثاله من كبار العلماء .

ذلك هو العلامة سيدى أحمد الالياسي . وتلك هى الاسرة الالياسية التى فيها علماء أمجاد . والفقيه سيدى على بن عمر القاضى من أسباطهم وليس منهم . وقد جرى ذكره فى (رجالات العلم العربى بسوس) وفى (من أفواه الرجال)

وفاته

وصلتنا وفاة المترجم ونحن فى (البيضاء) فى ذى القعدة سنة ١٣٧٠ هـ فكثر تأسفنا على انهيار جبل راسخ من أجبال العلم فى سوس. رحمه الله . وهو والد القائد عبد العزيز الذى له مواقف مشكورة فى عهد الفداء . ثم صار قائدا على (ماسة) وما اليها الآن ١٣٧٨ هـ وفقه الله لما يحبه ويرضاه .



محمـــد

ابن عبيل الغرمى الجراري

نحو ١٢٦٤ هـ = ٢ - ١٢ - ١٣٢٨ هـ

نسبـــه :

محمد بن عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن سعيد بن منصور بـن موسى بن ابرهيم بن عبد الله بن يعقوب .

وعبد الله بن عبد الله هو الذى يسمى (عبيل) يعنون بـه عبـد الله الاصغر وهذه الاسرة يقول أهلها انها شريفة . انتقلت مـن قريـة (ذات عبيد الله ازاء (تيخفيست) بـ(سملالة) وليس عبد الله بن يعقوب هذا بعبد الله يعقوب العلامة الشهير من أهل الحادى عشر . وليس عندنا الآن مسلسل نسبهم المرفوع الى الشرفاء الاولين . والذى عرفت منه هذه الاخبار رجل هذه الاسرة الفقيه محمد بن محمد بن عبيل . الذى لايزال الى الآن حيا . وقد لاقيته فى (تالعينت) جمادى الاولى ١٣٦١ هـ

هذه الاسرة من الاسر العلمية الكبرى . وقد تيسرت لنا مجموعة من أسماء علمائها وبعض أخبارهم . فلنتتبع ما عندنا عنهم واحدا واحدا .

الاول موسى بن ابرهيم بن عبد الله ين يعقوب

ذكر الفقيه محمد بن محمد أن جميع هؤلاء الاجداد علمــاء . موجودة ءاثار أقلامهم . الدالة على مكانتهم . الا ما كان من ابرهيم فمن فوقه . فانه قال : لم أطلع لهم على شيء .

فموسى هذا ممن لعله عاش من أواخر الحادى عشر . الى أوائل ما بعده . فقد وقفنا على كثير من علماء ذلك العهـد . ولم أتذكر الآن أنه مر اسمه تحت بصرى فى كتب تاريخ رجالاتنا . ولا بين الموقعين فى ذيـول الفتاوى . ولو تيسر أن نرى له ولغيره من أهله تلك المحررات التى ذكرت لهم لما احتجنا الى الحدسيات .

الثاني منصور بن موسى بن ابرهيم

كنت وقفت فى فتوى نقضها العلامة ابرهيم بن محمد اليعقوبى . وفيها ذكر لمنصور بن موسى . ووصفه بأنه يخبط خبط عشواء فى تلك الفتوى . لانه لم يتوسع فى الفقه . وهل هو جد الغرميين هذا ؟ فانه يمكن أن يعيش نحو ذلك العهد . والله أعلم . (وقد ذكر لى القاضى ابن سعيد أنه أول من انتقل من مساكن أهله أمس . من (تيخفيست)

الثالث سعيد بن منصور

لم أعرف عنه شيئا . الا أنه يمكن أن يعيش فى أواخر الثانى عشر الى أوائل ما بعده .

الرابع احمد بن سعيد

وقفت فى خط لعله للاستاذ أحمد المرابط الادوزى على ما نصه – اثناء كلام – (وكان سيدى أحمد بن سعيد السملالى استعار منا كتاب المنامات . فتلف على يده . ثم أسامحه لوجه الله ولوجه علمه . ولما بيننا من المحبة . فلا يواخذهأحد بعد هذا الوقت)

فهل أحمد بن سعيد هو هذا ؟ فاننى كنت متوقفا فيه قبل أن أطلع على اسم هذا الفقيه . فلئن كان هو – والله أعلم – فانه من أهل أواخر الثانى عشر . ولا يبعد أن يعيش الى أوائل ما بعده .

الخامس عبد الله بن احمد بن سعيد

لا أعرف عنه الآن الا أنه توفى وولده عبد الله لايزال حملا . وربما توفى نحو ١٣٠٢ هـ – وكون الانسان يسمى باسم أبيه ان ولد بعده مشهور فى المغرب . وقد رأينا ذلك من ادريس بن ادريس – وقد أخبرنى حفيده الفقيه محمد بن محمد بأخباره .

السادس عبد الله بن عبد الله

عبد الله هو المسمى بعبيل . وهو علامة جليل القدر . ذكره الاستاذ ابن الحبيب المؤرخ بقوله :

(ومنهم الفقيه المسمى السيد الحاج عبد الله بن عبد الله الغرمى

الجراري . كان رحمه الله لايجادل الناس في علم من العلوم الشريعة . الا بقصد الاخلاص فيه . رحل الى المشرق . وجال فيه وحج . ورجع الى المغرب واستقر ببلده (ايغرم) مقبلا على شأنه . تاركا ما لايعنيه . صواما قواما عابدا . وهو ممن يذكره والدنا المقدس برحمة الله . ولقيه وجالسه . وله مع أسلافنا المقدسين محبة تامة بينهم . وصداقة خالصة . قال والدي رحمه الله : استدعيت منه الدعاء بخير . فدعا لي به . فرجوت لاثر تلك الدعوة بركة . قال كان رجلا صالحا . سالم الصدر . كريم الطبع . حسن الظن بالله وبعباده . قال وسألته عن أشياخه في العلم . فاخبرني أنه قرأ على الشيخ سيدي عبد الله ابن أحمد التوماناري في (تازاروالت) . قال : قال لي صاحب الترجمة لما أراد شيخنا المذكور التوجه الى الحرمين الشريفين . استصحبني معه أنا وصاحبي وخليلي الفقيه السيد أحمد بن سعيد العركوبي الجراري بـ (الذراع الابيض) ـ ايغير ملولن ـ فسرنا معه . ونحن في خدمته الى أن قضينا حجنا . ورجعنا الى مصر . فمرض الشيخ المذكور . فقعدنا بمصر أياما نعالجه . الى أن قضى نحبه رحمه الله . واشترينا له قبرا للدفن . فدفناه فيه . فلما فرغنا من دفنه وجدناه قريبا من قبر الشيخ خليل بن اسحق . رحمه الله . قال : وكان شيخي المذكور يعتني بمختصر الشيخ خليل غاية الاعتناء . وكان(١) يشارط بمدرسة (ايغرم) سنين عديدة وهناك اشتهر . وقصد لفصل الخصوم . وكانت له معرفة بعلم الميراث . توفي رحمه الله عن سن عالية تناهز التسعين . وكان رجلا مائلا الى الطول. رقيق الاطراف . أصفر اللون لكبره . توفي في سبعة وعشرين من شعبان عام اثنين واربعين ومائتين وألف . وقد رثاه عمنا الفقيه سيدي الحسن بن علي السكرادي بقوله :

أم من زورة زرناك سحت مدامع	بعين همت لم تدر ما الله صانع
فوالله ما زرناك الا تمتعا	كان اللقا به لدى الجمع مانع
لعمرك ما في العيش بعدك مغنم	تلذه أعين لنا والمسامع
وهل هو الا دورة من تقلب	متى ما دنا قرب تتابع شاسع
وقد ما جرى المقدور فالكل هالك	ولم يبق الا بارىء الخلق رافع
على ان مرزأ الاحبة لم يكن	يقوم له عند التصبر جازع
ولم لا وفقد العلم اد فكيف لا	تفيض البكا منا المئوق الهوامع
اذا ما ذكرنا الخل والحب سيدي	عبيد الاله نعم تال وراكع
سليل التقى والجود والصبر منزله	الى العلم ركن وهو خلف ونافع
تعز أخي عن محاسن جنها	تراب ولحد فالشجون توابع

١) الضمير يرجع الى عبد الله المترجم .

وحسبل وحوقل واحتسب واعتقد لـه
من الله رحمى فهو ذو الفضل واسع)

(أقول) : قد أخبرنى حفيده الفقيه محمد بن محمد أنه كان أيضا شارط في مدرسة (بوتمزكيدا) أخيرا . ثم لازم داره . الى أن توفى . وانه كان ضعيف البنية . وكان مسنا هما يوم مات . يستند الى العصا . وان وفاته سنة ١٢٩١ هـ

هذا وقد مر فى كلام المؤرخ أنه توفى ١٢٤٢ هـ وذلك بلا ريب غلط بالقلم فقط . لان والده الحبيب الذى نقل عنه أنه رءاه . لم يولد الا فى سنة ١٢٧٢ هـ وهذه السنة التى أخبرنى بها حفيده من حفظه فقط هى ١٢٩١ هـ والذى يظهر أنه توفى ٢٧ ـ ٨ ـ ١٢٩٢ هـ وان هذا هـو المقيد الذى نقله المؤرخ ـ ولكنه سبق قلمه فكتب ما كتب فحرف تسعين الى أربعين . وان ما قاله حفيده انما هو تقريب . ثم أخبرنى الحفيد أنـه توفى فى ذلك الحين بالضبط . وأما عبد الله بن أحمد التومنارى فهو من اخوان الاكراريين المذكورين فى (الجزء الثالث عشر) المتقدم .

السابع الحسن بن عبيل

أحد أولاد من قبله . قال فيه المؤرخ على بن الحبيب :

(ومنهم الفقيه العالم الجليل . الجواد السخى النبيل . سيدى الحسن ابن عبد الله الغرمى . كان هذا السيد لا يميل الى الدنيا وحطامها . ءاخذا بحجزة الدين . مرزوقا سخيا جدا . كان من تلاميذة سيدى سعيد الشريف الهشتوكى . شيـخ على سنن أهـل الدين . سالك سبيل المهتدين . دأبه الاقتصار على تجويد القرءان والتردد بين بيته والمحراب . وكان ممن ءاثر الدنيا . قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ءاثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث : هم لا يفارقه . وفقر لا يستغنى أبدا . وحرص لايشبع أبدا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : اذا أراد الله بعبده خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة . وبصره بعيوب نفسه . وفى ءاخر عمره أجرى عليه عامل البلد نفقة كافية . أحسن الله للمحسنين . توفى رحمه الله عام سبعة وخمسين وثلاثمائة وءالف . وقد ناهز المائة . ودفن ببلده (ايغرم) وحدثنى الفقيه محمد بن محمد . أنه كان يشارط فى مدرسة (ايغرم) كثيرا وفى (بوكرفا) وفى (اغبولا) وربما درس العلم . ولكن الغالب عليه تعليم كتاب الله . وكان يعرف حرف المكى . ويجول فى النوازل . لانه نوازلى حسن وكان دينا الى الغاية . تلاء لكتاب الله . ولد نحو ١٢٦٩ هـ وتوفـى ءاخر

جمادى الثانية ١٣٦٢ هـ - وهذا هو التحقيق لا ما ذكره المؤرخ المذكور . وقد ظفرت برسالة منخط يده الى الاستاذ سيدى مسعود المعدرى. نصها :

(الاخ في الله الفقيه الاغر سيدى مسعود الطالبى . السلام عليك ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فالاهم الدعاء بصلاح الحال والمئال . واحب من اخوتك أن تنظر لى نسخة مصححة من الصلاة المشيشية . فان ولى الله شيخنا سيدى سعيدا الكونكى أكدنى على حفظها وتلاوتها وردا . ولم أظنها الا عندك . ورحم الله من قال :

عليك صلاة مصباح المشيشي فطر منها الى الرحمى بريش
فحافظها فتاليها يرى من صيانته على عليا العروش
فما أحلى الصلاة على نبى الاله بصيغة لابن المشيش

كتب اليك أخوك ومحبك الحسن بن عبد الله بن عبد الله الغرمى وفقه الله في عاشر رجب ١٢٩٥ هـ)

هذا الاثر يصدق ذلك الوصف الذى وصفه به فيما تقدم . وقد دفن عند مقابر أهله في مقبرة (أدرن)

الثامن احمد بن الحميد بن عبيل

ابن أخي المذكور قبله . وهذا السيد قد رأيته في مدرسة(تالعينت) جمادى الاولى ١٣٦١ هـ وهو شيخ تقل الشعرات السود في شعره . وهو هادىء مائل الى الخمول . وان كان يبدو منه حذق يلمع من عينيه . قال فيه المؤرخ المتقدم :

(ومنهم عصرينا الفقيه الفاضل . والحبر الكامل . ذو التواضع والانصاف . المعروف بوطأة الاكناف . أبو العباس سيدى أحمد بن الحميد الغرمى الجرارى . وصل الله صيانته . وأدام على الخيرات اعانته . وهو رجل له مقول منقاد . وذهن مشتعل وقاد . حسن الخلق . سخي جدا . مقبول الصورة . وهمته متسلطة على علوم العربية . وقد أكثر من مطالعتها واتقن فهم مؤلفاتها . واحتفل في تحصيل مصنفاتها . فاجتمع له في ذلك ما دل على نبله . وأعانه على تسديد نبله . اذ فضل علم العربية شهير . غني عن التشهير . قد خصه الامام ابن الازرق بتأليف سماه (روضة الاعلام . بمنزلة العربية من علوم الاسلام) ومن الاحاديث المرفوعة ما أخرجه المرهبى (١) في فضله من طريق زيد بن جدعان . قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

١) كذا

اعربوا الكلام . كى تعربوا القرءان . وأخرج المرهبى أيضا عن سالم عن ابن عمر . قال : مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوم رموا رشقا فأخطأوا فقال لهم عمر : ساء رميكم . فقالوا نحن متعلمين فقال لهم : لحنكم أشد على من سوء رميكم . فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رحم الله امرءا أصلح لسانه . وقلما تأتى علينا عويصة نحوية فى المجلس الا حل صاحب الترجمة مقفلها . وأوضح مشكلها . قال : أخذت العلم عن فارس زمانه أبى فارس سيدى عبد العزيز بن محمد الادوزى . وأتقنت عليه جميع مروياتى . فكان عليه المعول فى العربية واللغة . وسمع البخارى من والدى رحمه الله . توفى رحمه الله فى شعبان سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف)

وكتبت من فيه أنا ما ياتى :

ولد ١٢٨٩ هـ وأخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن على الفركلاوى الرسموكى . حين كان فى مدرسة (ايغرم) . وهو استاذ طائر الصيت فى القراءات . ثم افتتح فى مدرسة (دودرار) من رسموكة عند الاستاذ ابى فارس الادوزى ١٣٠٦ هـ العلم . فلازمه متدرجا الى أن نال منه شفوفا. وفى ١٣١٣ هـ ودعه . فشارط فى سنة ١٣١٨ هـ فى مدرسة (موزايت) عاما . وفى ١٣٢٠ هـ تزوج . ثم شارط فى مدرسة (تيزكين) بـ(رسموكة) أربع سنوات . وفى ١٣٢٥ هـ انتقل الى (ايدغ) فبقى فيها عاما . ثم راجع مدرسة (تيزكين) أربع سنوات أيضا . ثم الى مسجد (انامر ايتريون) فى (مجاط) . ثم الى مدرسة (سيدى حسا أحسين) فى (ادا كيلول) بحاحة عام ١٣٣٥ هـ ثم فى (تيمولاى السفل) ثمانى سنوات متتابعة . وقد أبقى هناك ذكرا جميلا . وبذلك الذكر عرفته قبل أن ألقاه . ثم فى مسجد (ايغبولا) ازاء (تيمولاى) ست سنوات . ثم فى مدرسة (أمسرا) سنة . ثم الى دار القائد عياد فى (تالعينت) فكان فى مسجده الخاص ثلاث سنوات ثم الى مدرسة (تالعينت) منذ سنوات حيث لايزال الى أن توفى . يخطب فى الجامع ويعلم الفنون .

هذا متقلبه فى مشارطاته . وقد لاحظت منه فى جلسة جلستها معه فى دار الاستاذ سيدى ابرهيم ابن محمد الايكرارى . انه اجتماعى محاضر مجاذب للاحاديث . مما يدل على نبل وسراوة وأدب . وقد كتبت اليه هذه الابيات استمد منه ما أودعه فى ترجمته هذه :

أدرك العلم أحمد بن الحميد ... باجتهاد مواظب وبجد
علم المجد شامخا والمعالى ... شرفا باذخا على كل ند

وراءها من العلوم فامضى	همه فيه بانكباب وكد
فتبدى من بعد أن أسهر الليـ	ـل كموج قد مد غاية مد
كرع العلم من بحار عظام	من فحول ما بين فحل وفرد
انتقاهم بين الاماجد فى العصـ	ـر جبالا فى كل فضل ومجد
فثوى ما ثوى بعزم الى أن	أصدرته الافهام عن خير ورد
فاذا شمسه المنيرة فى الافـ	ـق أشعت على طفاوة سعد
فتنادى اليه كل نجيب	يتعالى الى المعالى بجد
فرأوا منه ما يرام من الاكـ	ـباب والبذل بينهم كل جهد
مقبلا مدبرا مكرا مفرا	باهتمام يفت أصلب صلد
درسه راحة الفؤاد لديه	وأريج يغنيه عن كل ند
دام للعلم والدراسة كالسيـ	ـف صقيلا يزهو بأى فرند

ثم أجابنى بهذه الرسالة الصغيرة . ولم يزد عليها :

(أطال الله عمر سيدنا الفقيه الجليل . الجهبذ الكبير . الاديب سيدى محمد المختار ابن الشيخ الكبير سيدى الحاج على الالغى . وعليكم السلام والرحمة والبركة . أما بعد فقد قرأت رسالتكم . وفهمت ما تريدون . فلم يتيسر لى شىء من ذلك . بل لا أريد أن أشتغل بما هنا لك . فليسامحنى سيدى ان رددت اليه الجواب على رسالته مع القصيدة . لاننى الآن فى حالة لا يمكن لى فيها الا ذلك . والعذر عند كرام الناس مقبول والسلام) .

هذا جوابه الغريب . ثم لم أسمع عنه شيئا . كأن كتابى ما وصله. حتى شككت فى الرسول هل أخذ الجواب منه أو من غيره تعمية لى . وأيا كان فهذا هو المقدر . وذلك فى أخريات أيامه . ولعل ضيق النفس غلب عليه فضاق خلقه .

الآخذون عنه

كان سيدى أحمد ممن يكبون على التدريس فى كل مدرسة شارط فيها . وكان فى النحو اية . ولا ريب أن تلاميذه سيكونون كثيرين . ولكن لم يتيسر لنا أن نعرف الا البعض الذين أخذوا عنه فى مدرسة (تالعينت). وقد ذكر لى القاضى سيدى محمد بن سعيد منهم :

١ ـ محمد عبد الرحمن ابن القائد عياد الشاعر البليغ الذى له قصائد مستحسنة وسنلم به عند تعرضنا لاهله فى (الفصل الثالث) من هذا (الباب الخامس) نفسه .

٢ ـ على أخوه . وهو حسن الاخذ . وسيذكر أيضا هناك .

٣ ـ الشيخ المختار أخوهما كذلك .

٤ ـ أحمد أخوهم كذلك .

هؤلاء كلهم أبناء القائد كان شارط لهم المترجم فاشتغل بهم وحدهم فانتفعوا به غاية الانتفاع . كما انتفعوا بغيره .

وفاته

توفى منتصف شعبان ١٣٦٧ هـ ودفن عند أهلـه فى (أدرن) وهو ءاخر المدرسين من هذه الاسرة الكريمة رحمه الله .

التاسع ـ بلقاسم بن محمد بن أبى جمعة بن محمد بن على بن ابرهيم

ابن سعيد بن منصور . وفى سعيد يلتقى مـع (ءال عبيل) . قـال فيـه المؤرخ المذكور : (ومنهم الفقيه الصالح سيدى أبو القاسم بن أبى جماعة الغرمى الجرارى . كان ممتع المجالسة . كثير التواضع . حسن الظن . سنى المعتقد (شعر) :

تواضع اذا نلت العلا تزدد العلا وتكتسب الشكر الجزيل من الورى

قرأ على سيدى عبد العزيز الادوزى وهو معتمد علمه ومحصولاته فى الفقه وحالته مائلة الى التقشف . يتزيا بزى الفقراء . ولا يتعـالى الى المراتب . قنوعا نساخـا لكتب العلم . خطـه حسن . وكان لا يخلو طـول حياتـه من الشرط فى المساجـد . ولا يعتنى بغريب الكلام . ولا يتصرف فى أنـواع الالتزام . وقد جمعنا واياه نطاق الـزمان . فى هالـة بدور الاخوان . فاذا رأى نملة ظنها جملا . واذا رأى غير شىء ظنه رجـلا . الا أن طينته تخمرت بالندا . وأفرغت فى قالب الهدى . وهو فى قيد الحياة)

وقد كتبت عن الفقيه محمد بن محمد عن الفقيه بلقاسم ما ياتى :

ولد ١٢٩٤ هـ وحفظ القرءان عند الاستاذ المدنى التنانى فى مسجد قرية (ايغرم) ثم أخذ عن ابن عمه الاستاذ محمد بن عبيل ـ الآتـى ـ ثـم التحق بأبى فارس فلازمه الى سنة ١٣١٤ هـ فصدر من عنده مكتفيا . فأقبل على المشارطة من ذلك الحين . فمن الامكنـة التى مر بهـا مدرسـة (ايغرم) ومسجد (ايسارامن) من (أيت بوياسين) بالاخصاص . وفى مساجد أخرى ثم ألقى جرانه فى مدرسة (ايسگراد) حيث هو الآن ١٣٦١ هـ .

(أقول) : كانت سمعته بلغتنى قبل اليوم . ويذكـر لى بعلم . ويـد طولى فى النوازل . فقد كان قبل الاحتلال يجول فيها بكثرة . ولم يتيسر لى

ان ألقاه الى الآن . كما لم اتصل بأى أثر أتصور به مكانته فى بنات اليراع (ثم توفى أوائل جمادى الاولى ١٣٦٩ هـ ودفن فى (اسكراد) ازاء المسجد)

العاشر عبد الله ولده

من نجباء الابناء يذكره الوارد والصادر . وذكر أنه أخذ عن الاستاذ سيدى محمد المؤرخ الايكرارى وعن شيخنا سيدى الطاهر الافرانى . وعن ولده . وعن سيدى ابرهيم بن عبد العزيز . وله مشاركة حسنة . وله كما يقال براعة زائدة فى النحو والفقه . وميل الى الادب . وله خط مذكور كخط أهله . ويكون اليوم فى الخامس والاربعين من عمره ـ غير أنه لايتجاوز المساجد مشارطة . ولم تتيسر له مدرسة يظهر فيها علمه . هذا ما كنت كتبته قبل . ثم انقلبت به الاحوال حتى صار معلما فى احدى المدارس الحديثة بعد الاستقلال . ولا يزال حيا الآن ١٣٧٨ هـ وولادته ١٣٢٦ هـ .

الحادي عشر محمد اخوه

ذكره لى الاخ الاديب الحسن السملالى الكوسالى . فأثنى عليه كثيرا . وقد كان يأخذ هناك فى مدرسة (تانكرت) عن شيخنا ابن الطاهر ووالده ويستعين بهذا الاديب الذى حكى لى . لانه كان يعين فى الانصبة . توفى نحو ١٣٤٠ هـ

هؤلاء الثلاثة من أعرفهم الآن فى فرع ءال ابى جمعة الغرميين . وقد سابقوا أبناء عمهم العَبَّـِلْيين فى ميادين المعارف .

الثانى عشر : محمد بن سعيد بن محمد بن مبارك بن محمد بن سعيد ابن على بن مسعود بن بلقاسم بن ابرهيم بن عبد الله بن يعقوب .

وفى ابرهيم يتلقى مع أبناء أعمامه العَبَّـِلْيين الغرميين . قال فيه المؤرخ ابن الحبيب :

(ومنهم الفقيه الاديب الفهامة الاريب أبو عبد الله سيدى محمد بن سعيد الغرمى الجرارى كان هذا السيد فى أول أمره رجلا جوالا رحل الى (تافيلالت) وأخذ عن أعيانها مثل سيدى الطيب الغرفى . وسيدى الطالب على الزريقى. وغيرهما وجود بها القرءان برواية نافع. ورحل من(سجلماسة) الى أرض (فيكيك) واستقر به زمانا . ثم تحول منه الى أرض الجريد فى (الصحراء) الشرقية . ودخل (القنادسة) وتلقى عن بعض علمائها . وسمع منه جملة من التصوف . وطرفا من كتب (العهود المحمدية) ومن (منن)

الامام الشعرانی ومنهاانتقل الی (فاس) المحروسة . وأخذ بها عن الشیخ الفقیه سیدی عبد السلام بنانی . وعلی الفقیه المرشد سیدی محمد بن عبد الله . ثم رجع الی مسقط رأسه ببلده بـ (بنی جرارة) وكان ذا جد واجتهاد في دينه . ثم اتصل بأمیر البلد واستخلصه . وجعله ساردا فی خزانة كتبه بحضرته . لانه أوتی فصاحة المنطق فی السرد . لان المرء اذا اعطی فصاحة فهو عاجز عن شكر اداء ءالاء الله عليه . واسأل الله أن يبقيه بهجة الاخوان . ويزيده عزا واقبالا . ومع هذا كله فهو في عنفوان شبابه . وهو من أجل اصدقاء والدنا المرحوم بكرم الله . وممن يرعى وده وحسن عهده حتى انه رحمه الله قد أوصى عليه . ثم ان لنا معه لصحبة وصداقة بطول الليالی والايام تماثل طراد خيل اللهو فی حلبة المحبة . وفی محاز قصب السبق . والالمام بالبدور فی أجواز الظلمات . فكل وقت لنا معه عيد . وفی سرور جديد)

وأما ما كتبته أنا عنه فمه اوجهی عن رحلته وعن حياته فهو هذا : ولد ١٣١٧ هـ فی ربيع الاول . وأخذ القرءان عن الاستاذ علی البراييمی وعن الاستاذ بلقاسم بن ابی جمعة . فی قريته (ايغرم) ثم عن الاستاذ اليزيد بن محمد من ءال سيدی علی أكَومی فی قرية (السوالم) من (هشتوكة) ثم عن الاستاذ اليزيد الجبلی قراءة قالون والمكی فی مدرسة (سيدی بيبی) بهشتوكة . وقد ختم القرءان وما اليه من تلك القراءات ١٣٣٠ هـ . فذهب مع رفيق الی (بودنيب) ازاء (تافيلالت)فمكث هناك عامين . يشتغل بتجويد القرءان أخذا . ثم الی (وادی الرتب) فأخذ فيه عن الفقيه علی بن عبد الكريم الرزيقی وهو عالم حسن خامل . كان أخذ عن علماء (تافيلالت) وكان لايزال حيا عام ١٣٣٨ هـ وهو فی هذه السنة مسن ابن الثمانين . أخذ عنه ختمة من التجويد . ومبادیء النحو . ثم الی (الغرفة) فی (تافيلالت) نحو ١٣٣٤ هـ فكان يأخذ فی قرية (أسرغين) عن العالم الاستاذ عمر بن محمد من (أيت حديدو) من المتخرجين من (فاس) وهو علامة جيد التحصيل . متضلع مستحضر . كما أخذ أيضا عن الاستاذ الاديب عبد الكريم السرغينی الغرفی . وهو أديب جيد له شهرة كبری هنالك . أخذ من (تافيلالت) فقط أخذ عنه لالفية فی النحو والمرشد المعين . كما أخذ عمن قبله مختصر خليل. يحفظه عليه . ويتفهمه علی يده . ثم دخلت ١٣٣٦ هـ فانخرط فی زمرة الثائر مبارك التوزونينی الشهير . قال : سبب معرفتی به أنه رءانا نحن الطلبة وسألنا عن بلادنا . فحين عرفنی بأننی غريب . جعلنی أولا مع أمين علی الجلود وعلی ما تدبغ به . فنتوصل بالمكس فی الباب . فيجتمع من ذلك مال كثير . ثم كأنه أعجب بعملی . فسارنی فی أن أكون له كعين علی رئيس

جنده (النكادى) . فالحقنى به كاتبا خاصا . فكنت أسرب اليه اخباره . وذلك بعدما فسد ما بين الثائر وقائد جنده . وقد كان الثائر يستعجله فى القضاء على (أرفود) ـ وفيه حامية كبيرة للحكومة . فكان النكادى مع كل البربريين المستجيشين اليه يترقبون الفرص . فكان الحاج محمد بن جماعية البوعامى وزير الثائر بينه والنكادى أحنة . فيتحامل عليه عند الثائر ويستغشه . فكتب الثائر اليه مرة أن أئت بكل ما عندك من السلاح . فأتى اليه فى لمة قليلة من أصحابه بمائتى مكحلة . جيدة . فكان يهم أن يلقى عليه القبض الا أنه لأمر مَّا أخره الى ما بعد اليوم . ثم أرسل اليه رسالة يعلمه فيها بأنه قادم عليه . فليستعد هو وكل من عنده من الجيوش للاحتفال بقدومه ولعرض كل ما هناك من الجند . ثم قال له فى الرسالة . استعد لتغادر تلك الرياسة التى اشتغلت فيها بالمآدب لا بالحرب . فاننا سننظر من يقوم مقامك . فاما أن نعفيك بالكلية . واما أن نردك الى مركز اخر . فهكذا صرح عن نيته بسوء تدبيره . قال : فأمرنى النكادى أن أجمع اليه كل الرؤساء البربريين . فحين طعموا أمرنى بأن أقرأ عليهم الرسالة . ثم قال لهم : ألا تعلمون أننى كنت تعاهدت معكم يوم أردنا أن نقدم على هذه المغامرة . فقالوا له : لا نزال على ذلك العهد . ولم يدفعنا الى نصر هذا السيد وبيعته الا أنت . فقال لهم لا أحب منكم الا أن يتمكن كل واحد منكم فى اخوانه ان طرأ شىء . لئلا يقع النهب والاختلاف . ثم أمرهم بالخروج ليتهيأوا للاحتفال وقد أوصاهم بكتان أمر الرسالة عن كل أحد . قال : وقد كنت أنا أحضر كل هذا . ففى يوم قدوم الثائر اصطفت القبائل . ووقفت كل قبيلة على حدة فكان وزير الثائر المتقدم يقدم له كل قبيلة وقف أمامها . فتحييه بالتحية الملوكية ـ التبندقة ـ والثائر فى نحو ٣٥ فارسا وأمامه الاعوان وبعض الجنائب . وفى يده مكحلة جرمانية قصيرة مذهبة . كان أخذها من تركة مولاى الرشيد هناك . حين انتهب كل متاعه . فذهب قدما يستعرض القبائل فى طريقه الى أن وصل موقف النكادى . فبادره هذا معمن اليه بالتحية . فمال الثائر على النكادى بالتقريع جهرا . فيسبه وقد أجفل عليه تثريبا. ثم لم يكفه ذلك حتى صار يضربه بالطرف الاسفل من مكحلته . والنكادى يعلن التوبة والخضوع والامتثال . الى أن اكتفى . فتقدم الى فسطاط كبير هيء لنزوله ـ وهو كأفراك ـ فمال الى النزول . فضربه النكادى برصاصة على خده فخرق الرأس الى أحد فوديه . فلم يزد على أن قال (وا أماه) فسقط فنادى الوزير ابن الجماعية فى أصحاب الثائر . ما ذا تنتظرون . ايعتدى العبد على مولاه فبادر أصحاب النكادى أيضا . فوقعت مصادمة قليلة قد

وولت فيها رصاصات داخل الفسطاط . فكادت تكون ملحمة . لو لم يناد بعض الحاضرين قائلا : ان مات مولاى محمد فلينصر الله النكادى فانطفأت الهيعة في تلك اللحظة . فتسرب قاضي الثائر عمر الحديديوى ووزيره المتقدم . وكل من يخاف على نفسه من النكادى . فهربوا . فخرجنا الى الناس وهم لايدرون ما وقع داخل الفسطاط . قال: وقد أصبت أنا اذذاك برصاصة في أحد مرفقي . ثم لازمت النكادى على عادتى . الى أن خرجت من(تافيلالت) وتركته هناك . وكان يذكره بالبسالة . الا أنه جاهل غير فطن . تتمشى عليه الحيل . وكان خروج الحاكى من (تافيلالت) سنة ١٣٣٩ هـ فتوجه الى (القنادسة) فراجع الاخذ على الاستاذ أحمد بن سيمو . وهو عالم كبير جليل في تلك البلاد . له خزانة مذكورة . غادرها جده العلامة محمد بن أبى زيان. ولهذا مشهد كبير مقصود هناك . وهو أحد أركان الطريقة الزيانية المنتشرة في تلك الجهة . وأحمد المذكور عميدها اذ ذاك هناك . وهو صوفى كبير صالح متبرك به . أخذ عنه تدريسا الحكم العطائية . والعهود المحمدية . ثم الى (بشار) بـ (فيكيك) . فلم يبطئ فيهما . ثم نزل فاسا يأخذ فى(القرويين) عاما ونصفا عن المذكورين فى كلام المؤرخ المتقدم وبعد ١٣٤١ هـ انقضت رحلته . فأوى الى بلدهفاتصل بالقائد عياد . فلازم داره الى ان فرق الدهر بينهما . هكذا حكى لى رحلته . ومن هذا يظهر أنه مغامر . مداخل لكل ما تعرض له . ثم هو ذو لسان حاك . يعرف كيف يحكى . وما ذكرت كل ما حول ذلك الثائر الا لان لصاحب الترجمة بذلك اتصالا . والا فان الكلام فيه مستوفى كما ينبغى فى (الجزء السادس عشر) المتقدم .

كنت مرة ركبت السيارة بين (السويرة) و (الحمراء) فرأيت ازاءى شابا متهلل الوجه فسرعان ما تعرف الىّ . فأقبل يخبرنى بأخبارالتوزونينى الثائر . فأمررنا طوال كل الطريق بخبره . ثم مرت سنوات . فحين رجعت الهمة الى الكتابة فى هذا المجموع . تذكرت ذلك الجرارى الذى حكى لى ماحكى من أخبار هذا الثائر . فلم أخل أننى القاه بعد . لاننى لا استحضر اسمه ولا مكانه . فلم أدر من هو . ولا أين هو الآن أحى هو أم ميت . فلما كنت فى (تالعينت) جمادى الاولى ١٣٦١ هـ وقرأنا الحزب بعد المغرب فى المسجد الخاص فى دار القائد . اذا برجل تقدم الى السلام علىّ . فذكرنى بنفسه . وانه ذلك الرفيق فى السيارة . فقلت أهو أنت ؟ عجبا وقد يجمع الله بفضله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أنهما لايتلاقيان بعد . فأعظم بفرحى به . فوجدته كذلك يتتبع تقلبات الزمان بى . وينتسخ من قصائدى ولا يذكر لاحد أنه يعرفنى . فقد طال عجب من حضروا حين ظهر لهم أنه

كان يعرفنى قبل اليوم . ثم لم يجر لسانه قط بذكر اسمى . ومثل هذا ككثير من أحواله مما يدل على أنه ذو صدر رحب يصلح للاسرار . ولاريب أن هذا ومثله ما يجعل المكلفين بالامور ممن يأوى اليهم يطلقون فى أيديه كل ادارات الشئون الكتابية وما اليها . فان ادارة (تالعينت) الكتابية كانت فى يده . يبرم وينقض ويستدعى ويجيب . ويعرف ما يستدعيه مقام كل واحد . وهو سريع الكتابة . نقى العبارة . كان عمل يديه يستمد من بشاشة وجهه المرونق وهو ذو اللحية الكثة السوداء المستديرة التى تأخذ بالابصار زيادة على هيأة لباسه الابيض المتوسط . وهو مائل الى القصر . ضحوك السن . لايتكلم الا مع التبسم . يغلب عليه الانبساط . وكل هذا ادركته منه حين جالسته مرارا . وذكر لى أنه غير كلف بالتأثيل . وان كل ما يحتاج اليه ياتيه من عند مخدوميه . وله عند الشيخ عبد الله ابن القائد عياد مكانة ما فوقها مكانة . ولاسيما بعد أن رماه مرة خطأ فى طلب صيد فجرحه . فانه ازداد مكانة على مكانة . وقد كتبت اليه بعد ما فارقته فى (تالعينت) أن يوافينى بكل ما عنده حول ذلك الثائر . وقد اقترحت عليه أن يجمع ذلك كمؤلف . يودع فيه كل ما ذكر أنه عنده من رسائل وقصائد ومقيدات تواريخ حول الوقائع . ولعله يجيبنى فأكون له دائما من الشاكرين . (ثم اننى كتبت عنه ما يتعلق بذلك فى ترجمة الثائر . فكان يملى وأنا أجمع . فجمعت أنا بقلمى كل ما عنده)

أما علمه فانه يظهر منه التوسط فيه . الا أن له فى الادب الجرارى الرائج هناك اليوم قصائد كثيرة . انتسخت منها البعض فلننتق مما عندنا ما يحلو لى فى الاذواق . ويحلىَ فى أعين الادباء .

قال يمدح رب نعمته الشيخ عبد الله ابن القائد عياد من قصيدة مطلعها :

اذا شئت ان تحظى بكل المحامد ... وتنجح فى الدنيا بكل المقاصد

يقول فى مديحها يصفه :

مقلد سيف المجد قبل بلوغه ... نفور عن الانذال خدن الاماجد
له همة أربت على كوكب السما ... سما شأوها عن مثل زيد وخالد
له فى الندى والباس أعظم زينة ... فاكرم به شبلا لأعظم والد

وقال يذكر ملاطفته لمجالسيه :

نعاطى كؤوسا للطافة بيننا ... بحضرته مع نيل كل الفوائد

وقال معتذرا عن قرضه لانه ـ كما زعم ـ ليس من أرباب الميدان :

وخوفى أن أبيت أطوى على الحشا ... حدانى الى أن قلت غير معاند

والا فلست للقوافي وقرضها ولا أنا من فرسان نظم القصائد

وقال أيضا وقد ختم البخارى فى حضرة الشيخ عبد الله . وتسابق أدباء الحضرة فى القاء القصائد :

هذى الرياض وريقة الافنان والروض يضحك من بها الالوان
والماء أبيض من سلاسل فضة والورق تصدم فوق ذى الاغصان

يقول فيها فى قطب الحضرة :

يمم مناخ العز تظفر بالمنى وسوابـغ الانعام والاحسان
حيث الهبات الوافرات تهاطلت فوق الورى كالصيب الهتان
حيث المكارم والمفاخر والهنا وجنى الجنـان مقرب للجانى

الى أن قال :

تلك المكارم لاتنافس معشر بذخائر الامـوال والبنيـان

وقال أيضا فى رثاء الاديب العلامة الحبيب السكرادى الذى رثاه أيضا جميع الادباء الجراريين :

أحقا غاب بدر السوس حقا فهـل غابت نجـوم الاهتداء

يقول فيهـــا :

عزيز أن نرى العلماء يجرى عــلى أنفاسهـم قـدر الفناء
فليس العلم يرفـع بانتزاع ولكـن موت أعـلام اهتـداء

يشير بهذا البيت الى الحديث المشهور . ان الله لايقبض العلم انتزاعا من الصدور وانما يقبضه بقبض العلماء . حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فاستفتوهم فافتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا . أو كما ورد فى الحديث (والقصائد المتقدمة ذكرت كلها فى كتاب ابن الحبيب)

اخبار اخرى عنه

دار الزمان دورته . وتقلبت بأهل (تالعينت) الكرماء دوائر الدهر. فمات القائد عياد ثم ولده عبد الله . فأقفرت تلك الدار . واضمحلت تلك المكارم . وانفضت تلك المجالس . وقد جاء الاستقلال . فلمحه السعد فتعين قاضيا فى (أمينتانوت) حيث لايزال الى الآن ١٣٨٦ هـ . وهـو مشكـور المساعى . محمود السيرة . ولنكتف بهذا مما انتقيناه مما عندنا من الاثار والاخبار لصاحبنا الاديب ابن سعيد الغرمى . وأما مـا خوطب بـه مـن القوافى فهاك مما خاطبه به العلامة سيدى عبد الله بن عبد المعطى السباعى يهنيه بالقضاء . ما نصه :

فحي أبا عبد الالـه وقل لـه — هنيئا لك بما تجدد من نعم
لقد حزتم فوق الايالة ضعفها — ونلتم مقاما فاق بالفضل والشمم
فقد وجد القضاء كفؤا فحسبه — عليم يبـارى بالعلوم وبالقلم
فدونكـم منى تهانـى زففت — توافيكم قبل التنقل بالقـدم
لقد سعد الاقوام بابن سعيدهم — وقد غرفوا من بحرعدل ومنحكم
فدم ترتقى فى المجد دوما وغيركم
سيقضى عليه الشؤم والذل عن آمم (١)
حبـاك الـه النـاس عـزا وسؤددا
وكنت لشرع الله أفضل من خـدم

والمترجم ولد نجيب اسمه أحمد . فهاك ما كتبت عن والده عنه :

ولد ١٣٥٥ هـ أخذ القرءان عن والده . وعن عم والده مسعود بـن محمد وعن العربى بن أبى جمعة التادايغتى . ثم افتتح العلم عند والده . ثم عند الاستاذ بلعيد بن عبد القادر بن منصور التالعينتى الجرارى مـن المتخرجين بالمحفوظ الادوزى . وبالاستاذ المؤرخ الايكرارى . ولا يزال حيا وهو الآن ١٣٧٨ هـ فى مدرسة (ايغرم) . ثم عن الاستاذ ابرهيم بن عبد العزيز . ثم الى مدرسة ابن يوسف بـ (مراكش) حيث حصل على السادسة الآن . ولا يزال يتتبع بتفوق وتحصيل .

ومما يتعلق به ما كتب به استاذه عبد الله بن عبد المعطى الى والده المترجم وهو عنده من ١٣٧١ هـ الى ١٣٧٤ هـ فى رسائل احداها :

(الكامل الذى لا يلحق له غبار . والعالم الذى لا يجارى فى مضمار . أجرى الله الصواب على يده ولسانه وقلمه . وجعله من الكرام الكاتبين فى قوله وفعله وكلمه . الرئيس الذى ما برح صدره محلا للاسرار . من عليـه فى البلاغة المدار . ان ركب القلم أنامله . خضعت رقاب الانام له .

ان هـز أقلامـه يومـا ليعملها — أنساك كل كمى هـز عاملـه
وان أقر على رق أناملـه — أقـر بالرق كتاب الانـام لـه

ذا الـرأى السديـد . الفقيه الاديب . السيد محمد بن سعيد . ذاك الكريم الجرارى . أبقى مجادتـه البارى . سلام عليكم يرفعـه الغمام . الى مواطن القبول . وتحية تتأرج بنشرها الجنوب والقلـوب . فـان تفضلتـم بالسؤال عن هذا العبد المشتاق . المترجرج بأشواق . لايحيط بدائرتهـا النطاق . وبأتواق . لايبل غليلها سوى برد سلام التلاق . فلا ما يشـوش

١) من آمم : عن قريب

البال . ولا مـا يثير البلبال . وقد خيم بالمدرسة العالية بالله . التى التى نظر عبد الله . نجلكم البر . أبو العباس الاغر . واشتغل بالدروس . بيد أنه يحتاج للاعانة بالطروس . فعجلوا له بالاعانة. جعله الله من أهل الديانة. والعرفان والامانة . وكمل مرادكم فيه . بجاه النبى وذويه . والمولى يحفظكم. ويرفع قدركم . وعند الختام أقبلوا منا فائق الاحترام . والسلام فى ١٧ ذى القعدة عام ١٣٧١ هـ) .

أخــــرى :

(الماجـد الغطريف . الاديب الظريف . ذو القدر المنيف . الحافـظ . اللافظ . الشاعر الناثر . الفاضل الكاتب الماهر . أبو عبد الله السيد محمد ابن سعيد .الذى يوده تامورى (١) فى القريب والبعيد

سلام واهداء السلام من البعد دليل على صدق السرائر فى الود

على سيادتكم الشما . ومجادتكم العظمى . ما أرزمت أم حامل . وتلفظ بالقول قائل . ورحمة اللـه وبركاتـه . ما أساغت محض الحـلال ذكاته . (وبعد) فقد وجهت لحضرتكم السامية . وفضيلتكم العالية . ابنكم وابننا أبا العباس ليزوركم . ويؤدى ما يجب عليه فى جانبكم . من صلة رضاكم . ويستريح بملاقاتكم . ويتمتع بمشاهدة طلعتكم . ويلتمس رضاكم . وبعد أن يراكم فلا تتركوه يتعطل عما هو بصدده . وما جاء لاجله . نسأله سبحانه أن يجعله من العلماء العاملين . والايمة الهادين المهتدين .

ءامين ءامين لا أرض بواحدة حتى أضيف اليها ألف ءامينا

توليه للقضاء

جاء الاستقلال فجاءت حظوظ سعد لأناس . وبخوت نحس لآخرين. وقـد كان حظ المترجم سعيدا . فكان قاضيا فى (أمينتانوت) فى أحـواز (مراكش) . فظهر بمظهر اللبق المحنك . وها هو اليوم يزاول خطته بكل نزاهة منذ تولى سنين قبل الآن ١٣٨١ هـ . ولا يعلم الا الله ما يعانى الا أنـه صبور .

الثالث عشر محمد بن عبيل

هـذا هو الذى سقنا بسببه كل الغرميين . وقد أخرناه لنتفرغ له . وساقى القوم ءاخرهم شربا .

١) التامور : القلب

هـذا العلامة الجليل . أحـد العلماء الكبار النوازليين . الذين ازدان بهم (أزاغار) من أواخـر القرن الماضي . الى أوائل هـذا القرن . وهو ذو شهرة كبرى . عمت جميع هذا النواحي . وكان يفتي ويقضي في قبيلته وما اليها . منذ تخرج الى أن لاقى ربـه . وقد كان من الذين لاقوا المولى الحسن سنة ١٢٩٩ هـ كما لاقاه كل العلماء . وقد أخبرني من رءاه هناك في حاشية القائد محمد الجراري الذي صار قائدا اذ ذاك . وكانت له صحبة مع الشيخ سيدي المدني الناصري التانكرتي بجامع الطريقة الناصرية . فقد وقفت على رسالتين تبادلاهما . وهاك نصهما :

(الفقيه النبيه . الذي يستحق كل تنويه . سيدي محمد بن عبد الله الغرمي الجـراري . فعليك وعلى من معك ومن اليك أتـم سلام طيب . يسح عليك كالسحاب الصيب . (وبعـد) فقد وردنـا الى (تيزنيت) وسنمر بقبيلتم بعد الاسبوع الآتي . وقـد طلب مني الحامـل أن أشفع له عندك في نازلة تقف معه فيها أتم الوقوف . فقد ظهر لي بحسب ما رأيته في يده من الحجج أنه صادق في دعواه . فكن له عونا . فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه . كما في الحديث الشريف . والسلام)

الجـــواب :

وعلى الشيخ البركة والقدوة الهمام . سلالة ناصحي الاسلام . الايمة الاعلام . مصابيح الظلام . وشموس الانام . سيدنا ومولانا وسندنا وعيننا سيدي المدني الناصري رضي الله عنه وعن كل ءاله . أفضل السلام النافـح الاطيب . ما شرقت شمس . وتلا اليوم أمس (أما بعد) فقد تلقيت كـلام سيدي باليدين . ووضعنه على العينين . وفرحت به جدا ـ وخلتني نلت به مجدا . فالحمد لله على معرفة أمثالكم . فانني يشهد الله لم أزل أحب سيدي . بل كلَّ السادات الناصريين اسوة بشيخنا سيدي سعيد الذي كان يقول : ان من لا يحب ءال(ابن ناصر) فان في قلبه عداوة لدين الاسلام . وأما ما ذكره سيدي الشيخ رضي اللـه عنه من النازلة ـ فاننا فيها وفي كـل ما يريده منا سيدنا لواقفون غايـة الوقوف أبد الابدين . وهل نحن الا عبيد لمواليهم . نمشي الى حيث تقودنـا أيديهم . والاهـم من سيدي أن يتذكرنا بدعوة صالحة . وأن يعطف علينا عطفة تزج بنا في عين الرحمة . ومرحبا بك يا سيدي متى وردت الى قبيلتنا . فليتك تجعل ذلـك عـادة سنوية . كما تفعله في قبائل الظهر . فاننا كلنا تحت طاعتكم والسلام)

(أقول) : هذا الاثر وحده هو الوحيد الذي رأيته للمترجم ابن عبيل الى الآن لاننا لانخالطهم كثيرا . الا أن الشيخ الالغي كان اذا مر بـ (تالعينت) أو بات في (ايغرم) في سياحاته يجتمع معه . وقد أخبرني الفقراء أنـه

كان يتأدب مع الشيخ غاية الادب . وانه يرسل اليه السلام معهم . ويتطلب منه الدعاء . وكذلك الشيخ يفعل معه مثل هذا . ولهذا ذكرته في هذا القسم وقد حضر مرة محاورة فقهية في بعض مسائل الصلاة كان فقيه هناك يقول فيها رأيا . فجرت فيها منه المذاكرة مع الشيخ الالغي فأيد أولا ما ذهب اليه ذلك الفقيه . ثم وقع على النص . فرجع عما كان يقول انصافا منه .

أما متقلباته في حياته من مبدئها فقد قيدت عن ولده الفقيه محمد ما ياتي :

ولد نحو ١٢٥٥ هـ ثم كان يرعى الغنم في صغره . وذلك بعد أن افتتح في المكتب . وكان والده يحبه محبة مفرطة . فألقى حبله على غاربه . الا أنه توفق فحفظ القرءان . ثم التحق بالشريف الكثيري . فهو أستاذه الوحيد من مبتدئه الى مختتمه . حتى صدر فقيها بارعا نوازليا . فكان الجولان في النوازل ديدنه عمره كله . وقد شارط في مدرسة (ايغرم) ٤٠ سنة كما شارط أيضا سنة في المدرسة (الرخاوية) وكان متهجدا عامر الاوقات . وما يجيف عليه بابه أفضل مما يتظاهر به . رحمه الله .

قولة الايكراري فيه

(ومنهم الفقيه النوازلي أبو عبد الله سيدي محمد بن عبيل الغرمي الجراري . من صميم (اولاد بلا) كان رحمه الله مكبا على الدنيا اكباب الذباب على العسل . فهمته منحصرة في تجديد الاملاك والماء . وعلى ذلك يصلي ويصوم الى أن حصل جملة كافية . فبمجرد موته اضمحل ما جمعه . سنة الله في أرضه من الجمع ثم التفريق . وله يد طولى في النوازل . يعرف فيها من أين توكل الكتف . وعلم الحساب لم يستحضر منه ولو ضرب اثنين في اثنين . وانما يقسم على أربعة وعشرين سهما دائما . فيجعل الاسهام في الاحجار . ثم يفكها بالبعر . ثم بالشعير . وعلى ذلك قسمه غفر الله لنا وله . ومن هفواته أنه أفتى بجواز كراء الفلوس الذي هو عين الربا . سرى اليه الوهم في كلام (التسولي) في فصل الكراء . بعد أن ذكر الدنانير والقدور . ومذهب المدونة الجواز . وقال : كلامه يرجع للدنانير والقدور . وصمم على ذلك . مع أن كلام التسولي بعد ذلك فرق بينهما . فعند ما ذاكرته سد أذنيه . وقال : لا أستمع لما تقول لكيلا توسوسني . والفقيه الادوزي رحمه الله برح في الاسواق بأن الفتيا بذلك باطلة لا أصل لها . ومع ذلك لايلقى بالا اليه . قرأ رحمه الله على الشريف سيدي سعيد في (أداومحمد) * وعليه تفقه . وعلى الناصرية تصوف . دينه متين . لايهز هزه من تدرقو ولا من

تتجنَّ . الى أن اتاه هاذم اللذات فى الثانى من ذى الحجة عـام ١٢٢٨ هـ . سقط عن بغل فى (الركادة) فكسرت هامته . فحمل مغمورا أياما . فمات رحمــه اللــه)

بذلك ذكره المؤرخ . ولعل ما يقع بينهما مما يقع بين المتعاصرين هو الذى حمله حتى قال فيه ما قال .

وقال فيه المؤرخ ابن الحبيب بعد ما ذكر والده سيدى عبد الله :

(ومنهم ولــده الفقيه البركــة أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الله الغرمى الجرارى . كان رحمه الله فقيها عالماً . مشاركا فى فنون العلم كلها. قرأ على الشيخ أبى عثمان سيدى سعيد الشريف بـ (أداومحمد) بهشتوكة. وتبرز وحصل العلم فرائض وحسابا. حتى فاق فيها كثيرا من الناس من أبناء جنسه . وكان ذا جد واجتهاد . وعلى ما فيه من كرم الاخلاق . وحفظ أمور دياناته وأوقاته . مداوما على الطهارة . وعــلى قراءة القرءان . وكــان يعمل بيده ويحترف ويتشرع فى تدبير عيشه وتحصيله . لايتطلب أحدا . ولا يسأل الناس الحاحا ملحوظا عند العامة . اليه انتهت صنعة النوازل فى زمنه قيد حياته . يصدرها مصدرا غريبا . وهو بيت القصيد فى صنعــة القضاء . مستحضرا لادلة الفقه . حافظا لها . لايحتاج الى نقل من كتاب : ولا الى نظر فى ديوان . وكانت تاتيه من الافاق . فينقض ويبنى . ولاتتعقب أحكامه . ومــع هــذا كله فهو مشهور بالعفاف . وحفظ الازار . على سنن أسلافه . وكان لايقف مع الاسباب . ءاخذا بعلم الله الذى انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم . مقتديا بالصالحين الهداة . مبرءا من الهوى ومتابعته قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه : ما رأيت العز الا فى رفع الهمة عن الخلق . وقال تعلى : (ولله العزة ولرسوله وللمومنين) فمن العزة التى أعز الله بها المومن رفع همته الى مولاه . وثقته به عمن سواه . توفى رحمه الله فى ءاخر ذى الحجة عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف) وقد كنت كتبت على هذا التاريخ فى يوم وفاته أن فيــه خطــأ . وان مــا ذكره الايكرارى هو المعتمد وقد أطال المؤرخ ابن الحبيب على عادته فى تحليته ومقصوده الرد على ما قاله المؤرخ قبله وما ألف كتابه الا ليتعقبه .

الرابع عشر التهامي بن محمد

أحد أولاد الفقيه محمد بن عبيل . كتبت من فم أخيه الفقيه محمد ما نصه :

ولد ١٢٩٣ هـ ثم أخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن ابرهيم المرغتى

ثم افتتح مبادىء العربية عند أخيه هو الذى يحكى لنا . فى مدرسة سيدى محمد بن داود . وذلك سنة ١٣٠٧ هـ لازمه سنتين . ثم التحق بأبى فارس الادوزى فلازمه ست سنوات . ثم شارط بعد فى مسجد (أكجكال) من قبيلة (ادبنيران) فى (مجاط) عشر سنوات الى أن توفى هناك فى ثالث رمضان ١٣٤٦ هـ

قولة الايكرارى فيه :

قال فيه بعد ذكره والده المذكور :

(ومنهم ابنه الطالب السيد التهامى مقدم التيجانية . فقد أبدأ فيها وأعاد . وطول فيها النجاد . وادعى أن غيرها من الطرق لايفيد . وان من سلك غيرها يميد . ويقول نحن أهل الله ولا فخر . وغيرنا أمعة بلا أجر . فقد ضيق الواسع . واوسع الخرق على الراقع . ان الجنون فنون . سلم تسلم ؛ وسر مع النية تربح . والمنتقد قلما يسلم . وتوفى فى رابع رمضان ١٣٤٦ هـ)

أقول : انه هنا ذكر وفاته فى اليوم الرابع من رمضان . وقد تقدم لنا عن صنوه أن ذلك فى ثالثه . ولعل ما عند أهله أوفق .

قولة ابن الحبيب فيه :

(ومنهم سيدى التهامى بن محمد الغرمى . الولى المرشد المربى . عصرينا الاوحد . وصديقنا العلم المفرد . فرع الشجرة النقية . وغصن الروحة الزكية ملاذ الخائف . وكعبة الطائف . هذا السيد رحمه الله لقيته فسرنى لقاؤه . وواليته فى ذات الله فنفعنى ولاؤه . وحاضرته فأعجبنى ذكاؤه . وصحبته فبهرنى تواضعه ورجاؤه . مبرزا فى حلبة العلم والعمل فى طريق القوم . أدرك المشايخ على شباب سنه . فما يتكلم فى علم القوم الا قلت هذا معظم فنه . له الاعتناء التام بجمع علومهم . فاتسعت بذلك دائرته . ثم له مشاركة حسنة فى العلوم . قرأ العلم الظاهر على الشيخ أبى فارس الادوزى . وهو من الصلاح والدين والفضل والتمسك بأخلاق السلف الصالح . والاعراض بالجملة عن الدنيا . واقباله بالكلية على الآخرة بالمحل الاعلى . جالسته كثيرا . وترددت اليه مقتبسا من سره ومتبركا بصالح أدعيته . وهو فى غاية الاجتهاد . والمواظبة على لوازمه . وحسن الظن بالناس . وسرعة الدموع . لا يفتر عن العبادة ليلا ونهارا . قليل النوم . لايتراخى عن شهود الصلوات الخمس فى الجماعة . ولا يتخلف عن التهجد له رواتب ونوافل سفرا وحضرا . واما أخلاقه وتواضعه وقوة رجائه وخوفه من ربه فغاية فى بابه (شعر)

ان حارت الالباب كيف تقول　　في ذا المقام فعذرها مقبول
سامح بفضلك مادحيك فما لهم　　أبدا الى ما تستحق سبيل

اخـــر :

ربمـا قصر الصديـق المقل　　عن حقـوق بهن لا يستقـل

وكان أكسير الحكمة . من صحبه أنهضه حاله . ودله على الله مقالـه أفادني سلسلة أشياخه . قال لي أخذت الطريقة التيجانية عن الشيخ أبي علي سيدي الحاج الحسين الافراني بالعهد والصحبة . قال وأخذتها مجازا فيها وفي جميع أذكارها عن الفقيه سيدي علي بن أحمد الايساكي . والله هو الهادي الى الصواب . توفي رحمه الله في الرابع من رمضان عام سنة وأربعين وثلاثمائة وألف ودفن ببلده (ايغرم)

هذا هو الصحيح لافي (أكجكال) كما يظهر مما قاله الايكراري .

ثم أقول بعد ذلك هذا السيد طالب حسن في الفهم . مشارك يقرض أحيانا قرضا وسطا . وقد كتب الى شيخه أبه فارس يوما وهو عنده :

الى شيخنا الحبر الهمام الذي له　　على كل حبر رفعة ومزيـة
فان العبيد هم ان سيزور أهلـ　　ـه فـاذَنَنْ فالاذن يمنـه يثبت

فاجابه الاستاذ بقوله :

فلا بأس فاذهب أيها السيد الذي　　ثراه لكل الخير حقا سينبت
ولكن سراع يا بني فموعد الـ　　ـمجيء الينا ذا خميس فجمعة

وكذلك وقفت له عند بعض المجاطيين على أبيات في الشيخ التجاني أولهـا :

الا أن خير الطرق جمعاء للورى　　طريقة قطب الكون والدين أحمدا
فيا سعد من أضحى بها متمسكا　　يمكن فيها ناجذ الفم واليدا

الـــى اخرهـــا

وهي ثمانية أبيات . وكانت له أخلاق دمثة . واقبال عـلى شأنـه . ـ وملازمة الاذكار . ومناصحة المدين ـ يشارط عند الناس . فيثنون عليه كل خير . رحمه الله . وقد دفن في مقبرة أهله في (أدرن)

الخامس عشر محمد بن محمد

الولد الثاني للفقيه ابن عبيل وهـذا هو الذي لاقيته في (تالعينت)

فالقى الىَّ كثيرا من أخبار علماء اسرته . وقد كتبت عنه حول حياته مانصه:

ولد ١٢٨٤ هـ وأخذ القرءان عن الاستاذ ابرهيم خاله . وهو استاذ وهناك توفى ١٢٩٥ هـ لازمه المترجم قبل أن يكون ملتحقا بابن العربى . مجود متقدم فى المعارف . من أصحاب الاستاذ محمد بن العربى الادوزى . ثم استتم على الاستاذ المدنى بن محمد التيغانيمينى الساحلى .

أما العلم فقد أخذ المبادىء أولا عن الاستاذ والده . فـى مسجـد ازاء دارهم فى (ايغرم) . وكان يتلقى عن والده وحده ما شاء الله . ثـم التحق بالاستاذ مسعود المعدرى سنة ١٣٠٠ هـ فى مدرسة (بونعمان) فلازمه سنوات ثم فى مدرسة (أدوز) عند ابن العربى الى ١٣٠٧ هـ فتخرج فشارط فى مدرسة (ءامالو'و) بقبيلة (ادموساكنا) عاما . ثم فى مدرسة (سيدى محمد ابن داود) هناك أيضا ثلاث سنوات . ثم تزوج ١٣١١ هـ ثم بمدرسة (تادارت) ما شاء الله . ثم بعد ذلك شارط فى (الرخاوية) ثم جلس سنوات فى الدار ثم فى مدرسة (ميرغت) ثلاث سنوات . ثم فى مدرسة (اد شاعود) عامين . ثم فى مدرسة (اسكراد) ثلاث سنوات . ثم بعد ذلك فى مدرسة (ادغزال) وفى ١٣٣٠ هـ التحق بالقائد عياد . فلازمه . وكان يدرس تدريسا وسطا فى كل تلك المدارس . ثم لم يزل مع القائد ككاتب الى أن توفى أخوه وهو مشارط فى مسجد (اكجكال) فأتم لهم السنة . ثم بقى هناك أربع سنوات ثم راجعهم أيضا بعد ما فارقهم . وبعد ١٣٥٠ هـ لازم داره الى الآن . وقد كان قبل الاحتلال التام لقبيلته . وقبل انتظام العدلية فيها سنة ١٣٤٥ هـ يزاول النوازل ويحكم . فسار فى ذلك أشواطا . فكان يقوم مقام والده رحمه الله . أما حاله فانه حاذق لبق . مجاذب لحبال المباحث . وقد جرت فى مجلسنا محادثة حول السكر . وكيف يصنع . فجال هو والسيد الحاج عبـد الله الجرارى القاطن فى (انزكان) فى (كسيمة) فى ذلك الميدان . فصار يسرد على السيد الحاج عبد الله من بعض رحلة ابن العربى الادوزى فيما ذكره حول السكر . مع تأييد كلامه ببراهين وحجج وانشادات وأدلة فقهية . فأعجبتنى مذاكرته . وقد كان أريحيا اجتماعيا . لبقا ماهرا . يعرف كيف يواتـى جليسه . مع تؤدة فى كلامه . وتأن فى مجاذباته للحديث . رأيت منه ذلك مع نور المشيب . فكان ممن استلفت نظرى فى (تالعينت) لانه وان ناهز الثمانيين فانه ليس متزمتا . بل لايزال ذا حركة ومجالسة طيبـة . يقبل ويرد . فهكذا العلماء الذين وطئت اكنافهـم . ودمثت أخلاقهـم . وتشربوا لطافة الشمائل ادركه أجله فى سفرة لزيارة الشيخ التيجانى فى (فاس) وصل الى الوادى المالح بين (البيضاء) و(الرباط) فنزل على اصهار له هناك

فمرض أياما قليلة . فتوفى منتصف شوال ١٣٦٨ هـ

هؤلاء الخمسة عشر من يمكن لنا الآن ذكرهم من الغرميين الكرام . ولعلنا أتينا على جميعهم بحسب ما ألقاه الينا من لاقيناهم من علماء هذه الاسرة . وقد اعتنى المؤرخ ابن الحبيب بكل علماء الجراريين . فيذكرأمواتهم واحياءهم . كما يفعل فى غيرهم . فينفعنا ذلك . فنستتم على من ذكرهم ونذكر من لم يذكرهم . فكان ممن ذكرهم علماء هذه الاسرة . فكان يذكرهم بتراجم طويلة . كما رأيت . رصفت فيها الاسجاع . فرحم الله الغرميين الاموات ؛ وأطال فى بلهنية العيش من لا يزالون منهم الى الآن أحياء .



الحاج عبد الله الجرارى

مفتتح ٣ - ١٢٩٥ هـ = حى

نسبه :

عبد الله بن الحسين بن محمد بن على الكاهية الى أن انتهى النسب الى محمد بن داود وهم من شرفاء (سملالة)

أحد من يشار اليهم الآن من (أولاد جرار) ومن الذين جالوا فى هذا العصر الجديد . فعرفوا ما يجهله كثير من السوسيين من انقلاب الامور كلها اليوم عن حالها المعهود أمس .

داود - وابنه محمد

كتب الىَّ المترجم بأن ءاباءه أولاد الكاهية ينتسبون لسيدى محمد بن داود السملالى دفين قرية (تافركراكت) بـ (سملالة) وأبوهم « داود » هذا هو الذى بنى مدرسة (أيت بوياسين) بـ (الاخصاص) وكان فقيها فى عصره . كان فى هذه المدرسة يدرس فيها . وقد كان ءاية من ءايات الله فى الحفظ . ويقال ان من محفوظاته المدونة . وكان متقشفا لايلبس الا الصوف وله عارضة واسعة فى الفقه . وصبر على التدريس . فيجلس فى مجلس التدريس من الاسفار الى الزوال . وكان قيوما على مختصر خليل . ودفن فى تلك المدرسة . وعليه قبة . والدعاء عنده يستجاب . هذا ملخص ما كتب به الىَّ . ولم يذكر عصره . والغالب أنه من أهل نحو القرن العاشر .

الحسين بن محمد

هو والده المتقدم فى سلسلة النسب . وهو فقيه صالح . متبرك به فى حياته . ولد نحو ١٢٤٠ هـ فى قرية (أيت الطالب يحيا) من قرى الجراريين . أتقن حفظ القرءان على الاستاذ الكبير الفقيه سيدى عبد الله بن عبد الله الغرمى الجرارى - وهو المتقدم بين الغرميين - ثم حصل الفنون على الاستاذ العلامة الشريف سعيد الكثيرى - وهو من تلاميذه الاولين . وقد لازمه أزمانا . ثم أصحر بعد استتمامه . فنزل فى (الحوض) وراء (شنكَيط)

فتزوج هناك . فولد له . ثم صار يفد على (سوس) مع الطوائف الناصرية يقدمها . لانه من الآخذين عن ءال (تامكروت) واعل شيخه منهم هو على بن يوسف أو ابنه أبو بكر . فكانت له بغال وفساطيط . فتصدر لوعظ الناس وارشادهم . وقد بات مرة على تلك الحالة فى قريته . فرأى والديه وأهله من غير أن يتعرف اليهم . ثم نزل فى جبل (درن) فقالت له قرينته الصحراوية يوما : ان أولادنا نريد أن يتعرفوا الى ءالهم الجراريين . فكتب الى ذويه فورد عليه والده . ومعه نحو خمسين راكبا من أهل القبيلة على الخيل والبغال . فوجدوه فى قرية (ايمولاس) فى زاوية سيدى سليمان . فرجعوا به الى مسقط رأسه . ولكن بدا له بعد سنة أن ينتقل الى (رأس الوادى) فى (اداكايلال) وقد كان يفد على السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن أمير ذلك العهد . ثم انه بدا له فشرق . فنزل فى (مكة) مجاورا عامين . وكان صالحا مؤلفا . له رحلة مخطوطة . وفيها رحلته الصحراوية ـ ولكنها ضاعت ـ وقد ساقته تربته الى (أداكايلال) . ولوجود ضيعة له هناك راجع سكنى ذلك المحل مع قرينته وولده . وهذا المحل قريب من (تارودانت) وهناك توفى نحو ١٣٠٧ هـ

المترجم

كانت ولادته فى (مكة) المشرفة . وأمه الغالية بنت ابرهيم السباعية . كانت عالمة صالحة متفننة حافظة . تخرجت بوالدها فى (الحوض) بـ (الصحراء) وكانت تعلم القرءان . وقد اتقنت حفظه . كما حفظت المختصر الخليلى . وألفية ابن مالك وغيرهما من المتون المعتاد حفظها . وكان لها باع فى العربية والفقه والفرائض . وما الى ذلك مما يتداول . وقد توفيت ١٣٠٥ هـ فى (اداكايلال) بـ (رأس الوادى) وعنها تلقى ولدها هذا القرءان أولا . ثم انتقل الى مدرسة (سيدى بومازكيدا) من (اداكاران) فى (هشتوكة) فجود هناك القرءان . وأخذ حرف قالون والمكى والبصرى .

اشياخه في العلم

افتتح فى مدرسة (دودرار) برسموكة عند الاستاذ أبى فارس الادوزى سنة ١٣٠٧ هـ فلازمه الى ١٣٠٩ هـ . ثم انتقل الى المدرسة (الادوزية) فمثل بين يدى استاذها العلامة محمد بن العربى الشهير . وذلك فى سنة ١٣١٠هـ فمكث عنده عاما فقط . وفى ١٣١١ هـ سافر الى الصحراء السوسية . فنزل فى مدينة (الطرفاية) فصار يعلم هناك سنة . وقد كان زمنا قليلا عند الاستاذ سيدى الحاج الحسين الافرانى فى مدرسة (سيدى بوعبدلى) وفى

١٣١٢ هـ سافر الى (الحجاز) فلازم الامير عونا الشريف . كما أخذ عن الشيخ صالح رمال . وعن الشيخ صالح جمال الليل . لازمهما سنة . ثم جاور فى (الازهر) فأخذ عن الاستاذ عبد العزيز المغربى . فى رواق المغاربة ـ ثم الى (تونس) فأخذ فى (الزيتونة) عن الشيخ سالم ابى حاجب . وعن الشيخ نيفر ـ فبقى هناك ثمانى سنوات . وقد يشتغل بأمور الحياة ـ فطبع هو وصاحب له كتابين أحدهما (الحلل الموشية) تلك المطبعة المحرفة ـ زيادة على نسبة الكتاب الى ابن الخطيب غلطا ـ وثانيهما (العكاز . المضروب به من افتى للاب بعد موت ابنته بأخذ الجهاز) وهى فتوى للاستاذ محمد بن العربى الادوزى. وهو صنو سابقه فى الطبع تحريفا . وفى ١٣٣٠ هـ قصد المغرب ءائبـا . فلاقى فى (أكادير) محنة من الاعراب الذين كانوا فيه اذذاك . فنهبوا بغلته ومتاعه . بتسليط من لايتقى الله فى الضعفة وأبناء السبيل عليه . فشكـا على (الهيبة) فلم يقدر أن يشكيه فصبره على ما أصابه لوجه الله .

هذه هى رحلته العلمية التى تقلب فيها شرقا وغربا .

استقراره بسوس

القى عصاه بلده . فصار أولا مع القائد عبد السلام الجرارى . وقـد كان معه يوم فتك به الاعراب فى طريقه الى (تارودانت) ثم انه بعده سكن فى (اكادير) فكان يتقلب فى الميدان الحيوى . فتـارة لـه سيارة الكراء . وتارة هنا وهناك يتكسب للمعاش . الى أن استقر الآن فى (انزكان) فـى الزاوية الاحمدية . وهو مكاتب جريدة (السعادة) من ذلك الثغر الى الآن سنة ١٣٦١ هـ

احوالـه

كان تقلب به الدهر تقلبا كثيرا . فقد زاول التجارة فى المشرق وفـى (تونس) فيكاتب ديـار التجارة ويقايضها ما شاء الله . ثم كانت له جولـة واسعة دخل فيها الافغان . وبومباى . وكلكتة . والاستانـة . وذلك فـى الوقت الذى انتصرت فيه جمعية الترقى . فسجنت عبد الحميد وابا الهدى الصياد . وبايعوا محمد رشاد . وقد كتبت الىَّ بملخص رحلته وافتتحه بهذا البيت :

فانى أحب النابغـين لعلمهم　　واعشق روض الفكر وهو نضير

فذكر أنه أبحر من (طنجة) فى باخرة (ايطالية) فنزل فى(الاسكندرية)

فزار (طانطا) و (بنها) ؤ (منت القمح) فاجتمع بالشيخ جودة فـي قريـة « العزة »ووصفه بالكشف وبالصمت . فعلمه اسما من الاسماء الحسنى وسره ثم (القاهرة) فـ (الحرمين) فـ (بيروت) فـ «العراق» فـ «الافغـان» فنزل فى «قندهار» فـ «بومباى» فـ (كلكته) فنزل على الشيـخ محمـود سليـم الخونجي . كما نزل فى (بومباى) على العالم الشيخ مصطفى زيـن الديـن الشافعى . فمرسى «سنغافورة» فنزل فيها على الحاج محمد أبو بكر مدنى العباسى التاجر ـ ثم انتقل الى (بيروت) فمر بـ (اصطانبول) قاصدا الشيخ أبا الهدى الصياد . فاذا به تحت مراقبة الحكومة ـ فـ «اليونان» فنزل فى مرسى «خانية» وفيها مساجد والقرءاة الاسلامية . ثم الى مرسى (أزمير) . ثم الى «مالطة» حيث مكث شهرا . قال : ان أهلها لايزال منهم من يحسنون اللغة العربية . ومن هناك توجه الى شمال (افريقية) . هذا ملخص ما ذكره وخطه بخط جيد . وعبارة عصرية مصقولة . لولا بعض تصحيف قليل فى كلامه . لعله من سرعة كتابته . ولم يمنعنى من سوق رحلته هنا كما هـى الا ضيق وقتى حين كنت أكتب هـذه الترجمـة . والا فهـى انشاء حسن مستحسن عند أهل الاذواق مما تتحلى به طروس الاوراق .

واخلاق المترجم لطيفة . فبـذلك تيسر له ما تعسر عن غيره . يألف ويولف . وقد كنت اسمع به قبل . وحين كنت فى (كسيمة) هذه السنـة ١٣٦١ هـ وهى مسكنه . سمع بى فزارنى حيث أنا . فاذا به لم يصادفنى فرددت عليه الزيارة . فوجدته أنيسا لطيفا . مستحضرا للاناشيد . وعارفا غاية المعرفة لسياسة هذا العصر . نعم كنت لاقيته قبل من سنوات كثيرة . ولكنها سحابة صيف . فلم تثبت المعرفة بيننا الا الآن .

وله اليوم حركة منها يعيش . وقد سمعته يشكر الله على حالتـه . فعلمت أنه من الشاكرين الذين يستحقون زيادة النعم .

(واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) وهو من أصحاب الالغيين . ولذلك ذكرناه فى هذا القسم المخصوص بمن له بهم اتصال منّا .

(وبعد) فلا يزال المترجم حيا الآن ١٣٨١ هـ حفظه الله ووفقه .

القـــارئ سيـــدي

محمد بن عبد الكريم الاخصاصي

نحـــو : ١٣٠٣ هـ = حـى

نسبـــه :

محمد بن عبد الكريم بن بلقاسم بن أحمد بن بلقاسم بن الحسن بن أحمد بن ابرهيم .

وإبرهيم هذا هو المعروف بالطالب ابرهيم المدفون في شفا (ميرغت) في مقبرة هناك . وأولاد اطالب ابرهيم اثنان : أحمد . ومبارك . فـامـا اعقاب أحمد بن ابرهيم فكثيرون الآن . حتى انهم ليناهزون خمسين دارا . بخلاف عقب مبارك فانه لايتجاوز ثلاثين .

وهناك محمد بن بلقاسم بن الحسن . هو عالم مذكور بكل ما يذكر به الفقهاء في عصره .

وهناك ابرهيم بن محمد عالم أيضا . وهو من حواشي أهل هذا النسب

وهناك علي بن بلا . عالم أيضا . وهو كذلك من الحواشي . وليس عند المترجم عنهم ما يوضح تراجمهم .

وقد اشتهر آل أحمـد بن ابرهيم في مسكنهم القديم بـ (سملالة) من (عقبة العباسيين) وفي مسكنهم الجديد بـ (الاخصاص) بالصياغة . ومن اخوة آل أحمد بن ابرهيم: الحسن والحسين الاخصاصيان الفقيهان المشهوران أخيرا في (سملالة) وأحدهما من الآخذين من (الغ)(١) ويقال ان الطالب ابرهيم واهل الطالب يعزى واهل يحيا الجراريين اخوة في النسب . قال المترجم: هكـذا يقـال .

متعلمه

افتتح القرءان في مسجد القرية عند الاستاذ ابرهيم بن علي الاغبالويي وكان شديدا على التلاميذ يضربهم أفدح ضرب . وكان طوال عمره مـدررا

---

١) يذكر في « الجزء الحادي عشر » ان شاء الله .

يعلم الفرءان . توفي بعد : ١٣١٨ هـ قال وصلت عنده حزب: (فمن اظلم ممن كذب على الله) ثم الاستاذ محمد بن على الابراييمى من قرية (ايمى أوغاراس) من تلامذة على الفركلاوى الرسموكى . وكان هينا لينا . توفى بعد ١٣٢٨ هـ وصلت عنده الى حزب (أفمن يعلم) . ثم الى مسجد (افرض) بـ (الاخصاص) عند الاستاذ موسى بن على بن بلقاسم من اهل تلك القرية أصيب بفالج أخيرا الى أن توفى نحو ١٣٦٠ هـ فختمت عنده خمس ختمات قال : ثم تطلبت من والدى أن التحق بمدرسة (بوزاكـارن) عنـد الاستاذ مبارك البعقيلى . الفقيه الشهير . لأفتتح عنده العلوم . فمنعنى من ذلك . لانـه لايريد الا أن ينتفـع بى فى بعض أشغاله التى أزاولها له . فكـان ذلك هو السبب حتى انقطعت فى الدار بلا قراءة سنة . ثم تملصت من غير اذنه من دارنا الى قرية (العيون) فى (بعقيلة) الازغارية . ثم مررت بقرية (بوكورا) فصاحبت انسانا الى (سوق الاربعاء) فلقانى مـع الهشتوكيين . فصاحبتهم الى (هشتوكة) ثم لحقنا طالب قرآنى بلوحتى وهى عادة الطلبة اذ ذاك . يحمل لوحته وخنشة كتان فيها متاعه ـ والخنشة كيس صغير ـ . حتى انهم ليقولون : اخنْنشْ . أى رَحَل بخنشته من المدرسة . فدلنى على الاستاذ سيدى أحمد من (آل الامـين) وكـان فى مسجد مـن (أداوعيسى) بـ (هشتوكة) وهناك مصلى كبير بناه سيدى مُمَّاد الامسراوى الافرانى . من تلامذة سيدى الحاج محمد الجزولى من تيزى الاثنين . من أهل (تاوريرت وانو) (١) فأرسله الى هذا المسجد . وقد كان كالنساء لا لحية له . فردوه على أنه صبى . فقال لهم : اننى رجل . فان أردتم الملتحين الكبيرى الشعور فى الاذقان . فعليكم بملاح (تاماليحت) حيث اليهود . وكان اليهود مشهورين بطول اللحى . وقد كان أتقن عنده حرف الشامى . وبقى هناك أربع سنين. فاصلح المصلى ببعض ما جمعه . والباقى ذهب به الى أستاذه . ثم انتقل الى مدرسة سيدى (بوتمزكيدا) بـ (الاخصاص) حيث توفى . فأوصى أن تلقى كناسة المصلى كلما كنس على قبره . فيفعل به ذلك الى الآن . حتى صار ما فوقه كناسة كبرى . قال : وقد ادركت أولاده .

قال : وصلت الاستاذ أحمد من (آل الامين) فوجدت المسجد مكتظـا بالطلبة وهم كثيرون . وكان شديدا فى تعليمه . لاتفارق العصا يده . ولذلك لم أبق عنده كثيرا . ثم الى قرية (ابراييمن) ازاء سيدى (أبى السحاب (٢) بـ (هشتوكة) وهناك الاستاذ ابرهيم بـن ابرهيم الاساكـى الافـرانى .

---

١) ذكر مع أهله فى (الجزء الخامس)

٢) ذكر هذا بين رجالات (أيت يعزى ويهدى) فى (الجزء العاشر)

توفي : ١٣٣٤ هـ لازمته ثلاث سنين . ختمت عليه أربع ختمات . ثلاث منها بالمكي . ثم الى (تادارت) في (ايت عميرة) في (هشتوكة) عند الاستاذ سيدى على بن الحاج أحمد البعقيلي . ومنشأه قرية (تينزكن) من (أفلا أوكنس) من الآخذين عن ابن العربي الهوارى . القارىء المشهور . عاصر عنده عبد الله أخرباش وطبقته . ثم راجع أيضا أستاذه ابن العربي في (سيدى أبي البركات) وقد تزوج في (حاحة) من (أيت أمر) بنت الفقيه محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى : كاتب القائد الكيلولي . وسكن عنده ما شاء الله . وقد كان شارط في (سيدى أبي البركات) بعد أستاذه قبل هذا التزوج . وبقي هناك حتى توفي . وقد وقع له حين سكن في (أيت تامر) أن غزيت القرية بجيش دهمها ليلا . فكاد ينتهب كل ما في القرية . لولا أن صار يرميهم بالاحجار . فلا يفلت الرؤوس من المهاجمين . فهزمهم . واسترد منهم كل ما انتهبوا من القرية . فكنن سعيدا عليهم .

قال أخذت عنه حرف البصرى في ختمة . وقد اجتهدت عنده كثيرا في نصف سنة . وذلك في سنة : ١٣٢٠ هـ ثم ذهبت الى (عين المداور) فلم آلف عنده لفقرى . ولا أملك الا نصف بسيطة . ثم رجعت الى أبي الذى صار يترضانى بعدما فقدنى أعواما . فاتصلت بالاستاذ سيدى محمد بن مولود في المدرسة (العبلاوية) فأخذت عنه خمسة وعشرين حزبا . وكان رجلا صالحا زاهدا . يملأ وقته في تعليم القراءات . قال : أخذت عنه حرف المكي
صالحا زاهدا . يملأ وقته في تعليم القراءات . قال : أخذت عنه حرف البصرى
وهناك وقعت لي واقعة وذلك : انني ذهبت لأصل أستاذى سيدى ابرهيم ابن ابرهيم الاساكي في (افران) فلاقاني رجل من (أمسرا) فسلبني سلهامي وخنجرى . بحجة أن له حسابا مع أهلي . وبعد التي واللتيا أعطاني السلهام . وأبى أن يرد لي الخنجر . مع أن العادة اذذاك أن لايسير انسان محترم الا وقد تقلد خنجره . وهذه هي العادة اذذاك للعامة ولأبنائهم حتى من الطلبة . فكان ذلك هو السبب حتى نويت أن أطلق سوس الذى فيه الهرج الكثير بعد أن انجلى عنه القائد(انفلوس) بجيوش الحكومة ١٣٢١هـ فكتب لي سيدى محمد بن مولود رسالة الى الاستاذ ابن العربي الهوارى . لان هناك محمد بن عثمان الذى تزوج ابن مولود عمته ثم التحقت بالاستاذ سيدى محمد بن العربي الهوارى المشارط في مدرسة (سيدى ابي البركات) في (حاحة) فلازمته سنوات آخذ عنه القراءات السبع . وقد انتقلت بانتقاله من هذه المدرسة . الى المدرسة في (بوزركون) بـ (متوكة) وكان الذى تسبب في اخراجه هو القائد محمد انفلوس . وكان انتقاله من هذه المدرسة

الى تلك : ١٣٢٦ هـ . وقد كان المترجم التحق به فى مفتتح : ١٣٢٢ هـ ثم فارقه نهائيا: ١٣٢٨ هـ فرجع الى سوس .

ثم الى مدرسة (سيدى ابرهيم بن علي) الوادريمية . عند سيدى محمد ابن ابرهيم من (تاوريرت وانو) فافتتح عليه المبادىء العلميــة . فلازمــه ثلاث سنوات . أخذ عنه الجرومية . وابن عاشر . والرسالة . وبعض الالفية والهمزيـــة .

تقلبات احواله بعد تخرجه

ثم رجع الى بلده فتزوج هناك عام : ١٣٣٤ هـ ووالده لايزال حيـا . لانه لم يتوف الا سنة : ٣٥٢ ١هـ وشارط فى مدرسة (سيدى همّو بــن الحسن) أواخر ١٣٣٥ هـ حيث أمضى عمره الى الآن ١٣٧٨ هـ وقد كان أولا مــع سيدى محمد بن الحسن المـاسى مضافا الى أن مـات هــذا ١٣٤٧ هـ فاستقل بالمدرسة .

قال : كان من عادة ابن العربى الهوارى أنه يفتتح للمتقنين للسبع العلوم العربية . وكان جيدا فيها . وقد أخذها عن سيدى حميـدة المطاعى فى (مزوضة) وقد لازمه كثيرا . ثم عــن سيــدى العربى بـ (الساعدات) قليلا . وعن الدمناتي بـ (مراكش) .

قال : كان سبب جلاء ابن العربى عن مدرسة (سيدى ابى البركات) أن ريحه تهب مع ريح الكيلوليين ضد النفلوسيين . وذلك بعد قيام السلطان مولاى الحفيظ . فحين كانت هذه المدرسة فى ايالة النفلوسيين غادرها الى (ايمكراد) فى ايالة الكيلولى فارحل كل بهائمه ومتاعه . وهذا المكان فى ايالة الكيلوليين . فكتب ابن العربى رسالة ذهب بها المترجم الى القائــد عبـد الملك المتوكى . فرحب به القائد . وقبل أن يرتحل ببهائمه ومتاعـه غزا النفلوسيون (ايمكراد) فاحتوشوا كل ماله . فنزل فى محله الجديد فــى (بوزركون) .

ثم ذكر تلاميذ ابن العربى السوسيين الذين أخذوا عنــه القراءات قبله وبعده . وكانوا من القراء الكبار :

١ ـ الحسين أبو الشبوك الخلفى البعمرانى . لايزال حيا الآن ١٣٧٨ هـ

٢ ـ محمد بن الحسن من آل موسى الاكلويى . لايزال حيا الآن أيضا .

٣ ـ سعيد بن سعيد البوالطيبى الهشتوكى توفى ١٣٥٠ هـ

٤ ـ على بن مبارك البوالطيبى الهشتوكى توفى : ١٣٧٥ هـ

٥ ـ سعيد المنتاكى نزيل (مراكش) وهـو عدل فيها بعد ما اخذ من

(الساعدات) لايزال حيا : ١٣٧٨ هـ

٦ ـ الناجم بن الحسين البوالطيبى الهشتوكى توفى : ١٣٧٢ هـ

٧ ـ محمد بن الحاج عثمان العبلاوى البعمرانى . توفى : ١٣٧٧ هـ

٨ ـ عبد الله أخرباش المشهور . وتذكر ترجمته مستوفاة ان شاء الله في (القسم الرابع) فى (الجزء الرابع عشر)

٩ ـ محمد بن عبد الكريم الاخصاصى الحى الى الآن . وهو هذا المترجم الحاكى .

١٠ ـ الطاهر البوالطيبى . لايزال أيضا حيا .

١١ ـ على البعقيلى ـ والد صاحبنا الوطنى الآن فى أكادير ـ توفى: ١٣٧٠هـ في (أيت تامر) هؤلاء من يعرفهم .

ثم قال : كان القائد المدنى حررنى تحريرا تاما . ثم دام ذلك فى زمن الاحتلال الى أن جاء زمن الاستقلال . فاذا بى أعد كآحاد الناس. حتى ان أولادى الذين لايزالون يقرأون يعدون فى المستخدمين فى الاربعة أيام

من لاقاهم من الرجال

قال : بات عندى ذات ليلة سيدى على بن عبد الله الالغى . وسيدى ابرهيم بن أحمد أخو الشيخ الالغى ـ يعنى عمى ـ ورفقتهما . وقيل لى : هؤلاء أضيافك من بين أضياف القبيلة . وذلك فى احدى جولات مربيه ربه بجيشه الذى يضم الناس على اختلاف طبقاتهم . قال : أخذ الفقيه سيدى على بيدى عند مفارقتى اياه ذلك اليوم . فقال لى : ان من أنعم الله عليه نعمة يجب عليه أن يقيدها بالشكر . ولا قيد للنعم كتقوى الله تعلى . ثم أرسل يدى فركب . فوعيتها منه . ثم صرت ألاقيه مرارا .

وممن لاقاهم : السيد محمد الناظم الناشىء فى قرية (أسديم) فى (امجكيكيلن) من (أيت باها) . سافر اليه وزاره سنة١٤١٨ هـ ثم لم ينشب أن توفى فى تلك السنة . وكان يشارط فى مدرسة (سيدى أبى الرجاء) يعلم القرءان . وكان يتقن حرف المكى .

ومنهم القارىء سيدى أحمد الامينى الذى ورد عليه فى (أيت عيسى) وكان زاهدا فى الشهوات . وقد ذكر فى ترجمة سيدى الحاج عابد بين ذكر تلاميذه فى (القسم الرابع)

ومنهم سيدى محمد بن صالح التودماوى . ثم الهوارى ـ وقد ذكر أيضا بين تلاميذ البوشواريين فى (القسم الرابع)

ومنهم سيدى عبد الله آخرباش المترجم أيضا فى (القسم الرابع) أيضـــا .

ومنهم سيدى محمد بن مبارك البصير . السيد المفتـوح عليـه فـى المكاشفات وهو أعمى . وكان اذا اراد ان يقول شيئا . رفع عينيه ـ وهما عمياوان ـ الى السماء . ثم يقول . وقد قال المترجم: انه كثيرا ما يقول للقائد المدنى قبل الاحتلال . حين يراه مجدا فى المقاومة : لابد من أن يعم النصارى هذه البلاد . يقول ذلك صراحة فى الوقت الذى لايقدر أحد أن يتفوه بذلك. ثم صار يقول أيضا فى وقت الاحتلال : ان أمر النصارى ينطوى طيا بسرعة يجهر بذلك فى وقت لايقدر أحد ان يجهر فيه بمثله . فبلغ ما يقوله المراقبين الفرنسيين . فأرسلوا اليه فذهب اليهم بشجاعة . فلمـا رأوه استحقروه وتركوه .

أقول : ان له ذكرا مع أخيه سيدى ابرهيم فى (القسم الرابع) .

ومنهم سيدى محمد بن الحسن الماسى الآخذ عن (انجار) وقد صاحبه فى المدرسة وانتفع به كثيرا (ويذكر فى القسم الرابع) مع أهله الاغبالوئيين

ومنهم ابرهيم ابو حارشيش . ممن أخذوا أيضا عن أنجار . كان يرد على سيدى محمد بن الحسن . فيصاحبه المترجم . ويجالسه هناك . وهـو ربانى . معرض عن الشهوات . كشرب الاتاى . كان فى مدارس (وجـان) و (ايغرم) و (تازروالت) . وكان يقرأ دائما القراءات السبع . توفى نحو ١٣٣١ هـ ومنشأه من (وجان) وهناك سكناه دائما الى أن دفن فيه .

ومنهم الشيخ مولاى محمد الدرقاوى البوزاكارنى المشهور . قال كان استاذى ابن العربى الهوارى ذكره لى . ووصانى أن لا أفلت زيارته . وقد قال ابن العربى : انه مر بنا ونحن فى (سيدى ابى البركات) وهو قاصد للحج . فنصح الطلبة نصحا بليغا اثر فيهم . يحثهم على الاستقامة . وينبههم على عيوب الطلبة . فتأثر به ابن العربى غاية . ولذلك وصانى على زيارته . فساقتنى الاقدار يوما الى (بوزاكارن) فبت ازاء زاويتـه من غير أن أعلم . فسمعت ذكر الفقراء . فسألت . فاذا به هو . فتذكرت ما وصانى عليه ابن العربى . فبكرت اليه . فدعا معنا أنا ومن معى . ثم استخرج لى بجاهـه تحريرا من القائد المدنى . وذلك سنة ١٣٣٤ هـ .

ومنهم الشيخ مولاى أحمد الوادنونى . قال : تبركت بـه مـرارا . وكان كثيرا ما يقول : الحمد لله على فضله واحسانه . وهو رجل عظيم المقام (أقول) : انه يذكر فى هـذا (القسم الخـامس) نفسه ان شاء الله . فـى (الفصل الثانى)

ومنهم الفقيه سيدى على أمزيل من قبيلة (أيت بوبكر) وهو خلاسى من أسرة سوداء . تمتهن الحدادة . وقد أخذ عن الادوزيين . وكان ربانيا . زويت عنه الدنيا . قال : فكان يرد على الاستاذ سيدى محمد بن مولـود . حين كنت ءاخذ عنده . فاتبرك به . وله شفوف بين فقهاء بلده . وقد غادر سوس لما ضاق به المعاش . فوصل (الشياظمة) فنزل فى قرية . فشارط عندهم . وله خط جميل ثم ظهر علمه . لانه عالم متمكن . بسبب أن قاضى أولاد الحاج ـ فخذ من (الشياظمة) ـ قضى على انسان فى قضية . فأتى بما كتبه الى سيدى على . فقال له : ان هذا ينقصه شرط . فطلب منه أن يزيده فى المكتوب . فكتبه بيده . فقامت قيامة القاضى . فوصل الخبر الى القائد الحاجى . فاستدعاه . فسأله : من أين لك ما زدته على ما كتبه القاضى . ثم أراه ما كتبه . فقال له : اسألوا العلماء عما كتبته وكتبه . فبعث المكتوب الى فقيه محقق هناك . فأيد ما قاله سيدى على . فأتى بـه القائـد الى داره . فصار يعطيه ما كان يأخذه من تلك المشارطة . وقد كان شارط هناك ثلاث سنوات . وقد توفى هناك فى دار القائد نحو : ١٣٣١ هـ

ومنهم الفقيه أحمد بن مبارك بن الحسين أبو الكَيد ـ القيد ـ من فخذ أيت على . الآخذ عن الحسين بيبيس . كان ربانيا عابدا قنوعا عيوفا . يرفع همته عن العوام . كان يشارط فى مدرستى : (ميرغت) و (سيدى على بن سعيد) وفى مساجد أخرى . وقد قال ان مقصودى بالمشارطة ان أكـون حيث يجدنى الناس فأنفعهم بالافتاء . وفى فصل قضاياهم بالشرع : توفى ١٣٥١ هـ وأصل أسرته من (آمانوز) .

ومما يتعلق بأخبار سيدى على أمزيل . أنه لاقى يومـا سيدى عبـد العزيز الادوزى فقال له : اننى نقضت حكما لسيدى محمد بن العربى . فهاك أنظره . فقال له : دعه لاتخرجه لى . وقد كان يجب عليك أن تتذكر جلوسك ازاءه . وهو يعلمك . وأنت صغير حتى حصلت ما حصلت . فتأثر سيدى عبد العزيز فبكى بكاء عظيما . فيوثر ذلك من مآثرسيدى على أمزيل حين يحافظ على الادب مع أشياخه .

قال : فهؤلاء من تبركت بهم . وأعدهم من الذين انتفعت بهـم فـى حياتى . قال : وقد فاتنى سيدى محمد الضحاكى الشهير . فقد توفى نحو ١٣٢٤ هـ وقد كان أخذ عن أحمد بن القاضى الماسى . ثـم كـان منزويا عن الناس . لايخرج الا الى تلاميذه . وكان يتقن القراءات السبع . ويعلمها فى مدرسة (بوكرفة) حتى مات هناك . وهو شيخ مسن . ومن تلاميذه الاستاذ محمد بن على الاكرمى الاخصاصى . تخرج به فى القراءات . فيعلمها تحت

أيدى سيدى ابرهيم بن المحجوب . وأحمد بن مولود . وسيدى عابد بن الحسين بيبيس فيمدارسهم . توفى نحو ١٣٤٩ هـ في(ءاسفى) قال المترجم: كان يختلف الىّ فيمكث عندى ما شاء الله . وكان درقاويا . كلامه كله حكم ومواعظ . وقد تأثر بسيدى ابرهيم بن المحجوب الساحلى الدرقاوى من أصحاب التاموديزتى الكبار توفى ليلة ١٨-٦-١٣٥٣ هـ . ووالده المحجوب منالقراء ايضا لازم مسجد (أكاديرايكشران) ستين سنة . وتوفى فى جمادى الثانية ١٣١٥ هـ .

وأما معاصروه في (الاخصاص) من مطلق الفقهاء . سواء كانوا أسن منه أو كانوا لداته فكثيرون .

منهم الفقيه محمد بن ابرهيم المانوزى ابن عم (ابو الكَيد) المتقدم . أخذ عن بيبيس كثيرا . وعن الالغيين فى(الغ) . ثم راجع بيبيس فى صحبة سيدى أحمد بن الحاج محمد اليزيدى . وكان يشارط فى مدارس (ميرغت) . وفى (سيدى محمد الشريف) وكان يزاول النوازل كثيرا . توفى نحو ١٣٦٤ هـ وله ولد يسمى أحمد . أخذ عن سيدى عيسى . وهو الآن فى المكتبالحكومى فىسوسالثلاثاء (وقد يذكر محمد بنابرهيم فى(القسمالرابع)

ومنهم الفقيه سيدى على بن ابرهيم بن عبلا البحمانى العلوىالاخصاصى أخذ عن بيبيس . وعن المدنى الالغى . وعن محمد ابن الحاج الافرانى . فى مدرسة (سيدى على بن سعيد) قبل سيدى المدنى . ثم صار يشارط الى الآن . كان فى مدرسة (الاثنين) فى (اولاد تيمة) بـ (هوارة) وفى «الثلاثاء أفلا» من «ادشعود» بـ (الاخصاص) وفى مدرسة (سيدى ابرهيم بن على) وفى (تيغانيمين) وهو الآن ١٣٧٨ هـ فى (تاكانت) وهو دين محصل من أماثل المعاصرين .

ومنهم أحمد بن عبد الله البحمانى عم المذكور قبله . تخرج بابن العربى الادوزى . ثم صار ينتصب للنوازل ولا يشارط . وله أملاك تكفيه. وحاله حسنة يملأ وقته بالعبادة . حتى اذا ذهب الى (سوق الثلاثاء) يتحين الطرق الخالية ليملأ وقته بالذكر ذهابا وايابا . توفى ١٣٥٤ هـ .

ومنهم الفقيه سالم أكاروش . والد هذا السيد الموظف الآن فى (أكادير) أخذ عن الكثيرى . قال : أدركته وهو فقير مقل . حسنالاخلاق . قال لا أعرفه مشارطا . توفى بعد ١٣٤٠ هـ وفى اجداده وحواشيهم علماء وهم من أيت على الاخصاصيين . (أقول) : اننا استوفينا فيهم الكلام فى ترجمة سيدى أحمد بن مسعود المعدرى فى (الجزء الثالث عشر)

ومنهم سيدى الحسين بيبيس . العلامة الشهير . الذى يذكر دائما فى كل مناسبة . وقد ذكرناه وأهله باستيفاء فى (القسم الثالث) واولاده : منهم عابد المتخرج بأبيه . وقد أخذ أيضا من (مراكش) . ولايزال حيا الآن

١٣٨٠ هـ يشارط في المدارس . ومنهم محمد المتخرج بأبيه . توفي قبل وفاة أبيه . ومنهم أحمد العلامة . الآخذ عن أبيه . وعن سيدى الطـاهر . وفي (مراكش) . حيث سكن الى أن مات .

ومنهم أحمد بن ابرهيم التاكانتي (وستراه أمامك قريبا)

ومنهم جامع الشريف التازروالتي . الآخذ عن ابن العربي . ومسعود المعدري . وسيذكر بين أهله ان شاء الله في (القسم الرابع) بين التازاروالتيين

ومنهم سيدى مبارك أوشن . الآخذ عن الكثيرى . وله أخبار كتبناها في كتاب (من أفواه الرجال) توفي نحو ١٣٣٢ هـ وله ولد يسمى محمدا من أنجب الطلبة . أخذ عن الحاج أحمد الاقريضي وعن بيبيس . وعن محمد أوالقائد الحاحي في مدرسة (سيدى حسا أحسين) في (اداكيلول) وذلـك قبل أن يذهب ابن القائد الى الحج . وقد كـان ترك المدرسة فـي يـد بعض تلاميذه . فذهب محمد بن مبارك وصاحب له الى مسجد في (اداوكازو) ليبقيا فيه حتى يرجع الاستاذ من الحج . ولكن لما جاور هناك في (مكة) رجـع الى سوس عند سيدى الحاج أحمد في (أيت صواب) ثم طلب أناس من أبيه مبارك أن يبعث اليه ليشارط في (بوزاكارن) فلما ورد على أبيه . وذكر له ذلك استمهله ريثما يزور خاله أحمد بن ابرهيم في (تاكانت) فحين أقبـل عـلى (بوزاكارن) وهي اذذاك لاتزال غـير مسورة . رآه بعض الشبـاب أصحـاب الرعونات والاستهزاء . فقالوا : هذا أوشن أى الذيب . فصاروا يتصارخون عليه . كما ألفوا أن يتصارخوا على الذيب في الحقول ان رأوه . فدخل الى دار أبيه في القرية . فراوده على المشارطة عندهم . فقال له : يا أبي كيف أسكن في بلاد يحتقر فيها العلماء . فكان ذلك هو السبب حتى غادر سوس الى (فاس) ثم بعد أن مكث في فاس ما شاء الله كتب معه سيدى الحاج الحسين توصية الى معاريفه في (مصر) فالتحق بمصر حيث بقي الى أن اختل عقله . فتوفي كذلك بعد ١٣٤٩ هـ وأسرتهم من فخذ (اكورارن) من (ايت بيفولن)

ومما يتعلق بسيدى مبارك انه كان يوما مع جماعة من نفاليس القبيلة ففض نازلة . فأخذ عنها : ١٤٠ ريالا . فلم يعطهم شيئا . وحـين رجعـوا قال المدني ـ وهو اذ ذاك لم يتول القيادة بعد ـ انني أهم أن أفتك بهـذا الذى أخذ ما أخذ . ولم يعطنا ولو درهما . قال بعضهم : فصرت أراوغه حتى نجا سيدى مبارك من يده . مع أن المعروف عن المدني احترام العلماء .

ومنهم مبارك بن عمر صهر بيبيس على بنته . أخذ عن بيبيس . كان يفض النوازل . وذلك شغله الدائم . وهو من (أيت ويزكان) ويقـال لهم : (أيت أوكني) وهم الاصليون هناك . وكل من لم يشتر من عندهم فلا ملك

له . توفى قبل ١٣٣٠ هـ

ومنهم الحسين التّاطّاروستى . صهر بيهيس أيضا . أخذ من المدرسة الالغية . وتاطاروست قرية . كان يشارط فى مساجد . توفى نحو ١٣٣٨ ويذكر ان شاء الله فى (القسم الرابع)

ومنهم محمد بن سعيد من (اد الحسن بـن موسى) من (اد الاربعـاء) ـ فخذ من أفخاذ الاخصاص . أخذ سيدى محمد الامغارى التاغماوى . ثـم لازم سيدى محمد أو القائد الحاحي ـ ولعله أخذ معـه عنـد سيدى محمـد الامغارى قبل أن يذهب الى (مراكش) ـ فكان هناك فريدا الى أن مات نحو ١٣٣١ هـ قال : وقد كنت حاضرا لما مات سيدى محمد أوالقائد اثر رجوعه من الحج سنة ١٣٢٥ هـ (أقول) : ان أوالقائد هذا مترجم فى (الجزء الخامس)

ومنهم الحسن بن أحمد بن بوكّايبر . مـن (اد الاربعـاء) قارىء يتقن البصرى أخذه من (البعارين) من (هوارة) وكان أتقى الناس وأخشعهم . وقد قال فيه سيدى الحاج أحمد اليزيدى : لايستحق أن يكون عدلا حقيقـة الا سيدى الحسن ابن بوكّايبر وحده . كان يشارط . ومما مر فيـه : مسجـد (أيت بوياسين) فى قرية (أيت أومجوض) ومدرسة (سيدى همو بن الحسن) سنتين . يعلم قراءة البصرى . وسبب موته : أنه أراد أن يجير طالبـا مـن النهب الحاصل فى حرب بوهيا لما زحف من (أيت جرار) فقتل وقتل معـه صاحبه . وذلك سنة : ١٣٢٢ هـ

ومنهم مبارك الايكيسلى الآخذ من المدرسة (الالغية) . كـان ثريـا . فاستغنى عن المشارطة . لكنه وقع فيما هو أدهى وأمر . فقد رأس فى عهد الاحتلال اخوانه شيخا عليهم . ثم وقعت منه زلة . فسجن بسببها شهورا . وقع ذلك عليه مرارا . قال الراوى : كنت أصله فى داره كثيرا . مات قبل : ١٣٦٠ هـ وله ولد يسمى محمدا من الآخذين من (الغ) أيضا . وهو لايزال حيا . وسيذكر فى (القسم الرابع) ان شاء الله مع كل من أمكن لنا من رجالات (أيت يعزى ويهدى)

هؤلاء من عرفهم فى قبيلـة (الاخصاص) وادركهم . وامـا الذين لـم يدركهم فمنهم :

سعيد من آل التاجر الاخصاصيين . قال : عندنا نقض حكم كان حكم به فى قضية . أصدره ضده سيدى العربى الادوزى . وقال فيه : ان صاحب هذا الحكم لايزال تنقصه القراءة . فعرفنا عصره بذلك . فان سيدى العربى توفى ١٢٨٦

ومنهم الحسن بن عبد الله عم القائد المدنى . فقيه صوفى من أصحاب الشيخ المعدرى . توفى نحو ١٣٢٠ هـ . وهو مذكور فـى ترجمـة القائـد المدنى فى (الفصل الثالث) من هذا القسم نفسه .

هؤلاء من ذكرهم لى المترجم . والمقصود أن نعرف أنه ليس بجامد وانه يبحث عن العلماء ويحصل أخبارهم .

وقد حدث أيضا عن عمر سيدى محمد بن الحسن الماسى . فقال انـه اكبر من (١٠٠) عام . وقد عمى : ١٣١٧ هـ ومات ١٣٤٧ هـ وقد نحل حتى صار شختا . وقد أخذ عن انجار . وعن العربى الخنبوبى . وكان يذكره كثيرا . وقد حكى أن سيدى العربى كان كبير الاعقاب . وقـد كـان بعض الطلبة يغتابه لذلك . قال وفى يوم رأيت عقبى الاستاذ الكبيرتين . فتذكرت ما يقوله فيه ذلك المغتاب . فأخذتنى الغيرة . فتناولت خنجرى . فقصدت المغتاب لأقتله . لولا أن هرب منى حتى أفلت الى دار .

وقد أخذ محمد بن الحسن بعض العلوم عن الاستاذ سيدى أحمد بن حمو التاغجيجتى . فى مدرسة (سيدى همو بن الحسن) وقد أخذ أحمد هذا عن سعيد الكثيرى . لا عن بيبيس . وانما الذى أخـذ عن بيبيس هـو ولده محمد بن أحمد . وكان أحمد بن حمو مات أبوه وتركه لأخ له يسمى محمدا هو الذى رباه . وكان أحمد يروى عن سعيد الكثيرى النهى عن الاخذ للاجرة الكثيرة عن النوازل . ثم قال مات أحمد بن حمو قبل أن أعقل .

(أقول) : سترى ترجمة أحمد بن حمو قريبا .

ثم ذكر أن عليا بوضاض توفى نحو : ١٣٣٨ هـ وقد أخذ أيضا عن سعيد الكثيرى . كما أخذ عنه أيضا على الجزار الويسارنى الحاحى من (اريغ) وكان فقيها . كما أخذ عن سالم والد سيدى محمد الاخصاصى الموظف الآن فى أكادير. وسيذكر بوضاض فى (القسم الثالث) ان شاء الله فى (الجزء الثامن)

ثم ذكر أن أحمد انجار أخذ القراءات عن ابن حسين الاكلويى الكبير. كما أخذ العلوم عن أحمد التيمكيدشتى . لازمـه ثمانى سنوات. وقد كان تطلب المشارطة فأعوزته . فقال له انسان فـى المنام : بينك وبين حاجتك ثمانى سنين . فلما أتمها فى (تيمكيدشت) دخل عليه الشيخ سيدى أحمد فوجده يقرأ حزبا فى المصلى بالرواية . فجلس حتى أتم ما يقرأه . فقال : ألا تستحضر ما ذكره لك ذلك الانسان من الثمانى سنوات . فاذهب الآن . فودعه . فسافر حتى وصل الى (شيشاوة) فدخل قرية (النواصر) فوجـد استاذ المسجد متوفى . ووجد ثمانية يتطلب كل واحد منهم المشارطة فى المسجد . فحين أتاهم المقـدم بالعشاء . فاستدار أولئـك الطلبة بالقصعـة

يتعشون . ومن بينهم انجار . وعليه مرقعة . خاطبه المقدم بأن يشارط فقبل ففاز وحده بالمسجد . فبقي هناك حتى مات شيخه ابن حسين في مدرسة (أكلو) فذهب اليها . فبقي فيها حتى مات . بعد سنين كثيرة . وممن أخذوا عنه الحاج حمو الكزميرى الحاحى . وقد حكى عنه الحاكى لنا أنه حضر وفاته ١٢٨٦ هـ قال : فقرأنا عليه يوم مات ٦٠ ختمة . وقد شاخ انجار حين مات. ويذكر أنه يعرف الجداول كما ذكره عنه ابن العربى الهوارى . وقد حكى ابن العربى ان بعض أشياخ انجار الذين أخذ عنهم القرآن . ورد عليه في (أكلو) فذكر له أن له أعداء في بلده . تعدوا عليه . فسافر على أن لايرجع حتى يتعلم ما يهلكم به . فسأله انجار هل يعرف أسمائهم واسماء أمهاتهم فقال له نعم . فبات الضيف وفى الصباح قال له انجار : ارجع الى دارك . فان الله سيكفيك مؤنة أصحابك . فكان الامر كذلك . فقد هلكوا كلهم قريبا في حرب . وقال ابن العربى : ان انجار عمل عليهم جدولا ـ فيما نظن ـ

ومما يتعلق بذلك أن رجلا من (أكلو) أتى بقصعتين . مكللتين لحما . فوضعهما في الساحة أمام القبة . فخرج ليستدعي أناسا من العامة اليهما . فخرج الطلبة فاتوا عليهما بسرعة . فلما رجع ووجد ما وجد . ثار على الطلبة يلمزهم بالشره وقلة الحياء فيسبهم ويلعنهم . فاشتكى الطلبة على الاستاذ . فقال لهم : تستحقون أكثر من ذلك لانكم لستم من الطلبة ـ يعنى لا يصيب من تعدى عليكم شيء ـ وفى الصباح أصبحت أمة وفرس ميتين للرجل . فأتى بكبش يستسمح به الطلبة . قال ابن العربى الراوى: نرى أن الاستاذ عمل عليه جدولا .

قال الراوى : كان ابن العربى لايحب عمل الجداول . وقد قال يوما لهذا الراوى ما نهاه به عن ذلك البتة . ثم ذكر سيدى محمد الناظم البوزياوى الهشتوكى . المشارط فى مدرسة (ابى الرجاء) بـ (هشتوكة) فقال : حكى ابن العربى أنه ذهب اليه . فطلب منه أن يدله على شيء يستعين به على المعاش فقال له : هل أدلك على ما فيه لك السلامة . أو على ما لاسلامة لك فيه . فقال له : بل ما فيه السلامة . فقال : افتتح بمعزة وتيس . ونعجة وكبش وبقرة وثور . واحرث في مفتتح اكتوبر . ثم اطلب الله أن يكمل لك . قال ابن العربى : فمن ذلك الوقت القيت وراء ظهرى كل ما ينافى الاسباب المشروعة . قال الراوى : وقد ذهبت الى هذا السيد فزرته . وقد وجدته شيخا هرما أوفى على المائة . وهو من حفاظ كتاب الله . ويعرف حرف المكى ويجتهد فى التعليم . وكان يصبغ لحيته بالحناء دائما . وقد قال بعض الحجاج انه رآه فى الحج بمكة . فقال الناظم : ما أكثر الشيوخ أصحاب اللحى

المصبوغة . أو أنا وحدى فى الدنيا يتستر بذلك . وينكر ما قيل فيه ـ وقد تقدم بعض كلام حوله ـ

وذكر الضحاكى المشهور . فقال : انه حببت اليه الخلوة فى (بوكرفة) حتى مات . ولا يخالط أحدا . ولا يدخل اليه داخل . فان اضطر لدخول البعض لايتجاوز معه كلمتين . ثم يريه المصحف ودلائل الخيرات . فيقول : له : ان هذين لا يحبان كثرة الكلام . توفى نحو ١٣٢٤ هـ . قال : وصلنى خبر وفاته فى (سيدى أبى البركات) وقد أعقب ولدا لا فائدة فيه . وبنات وهو من شرفاء (بوكرفة) كما يظن . ومنشأه من قرية (الضحاك) فى (الساحل) .

ثم ذكر الفقيه ابرهيم بن أحمد من (تاوريرت وانو) أستاذ مدرسة (سيدى ابى السحاب) بـ (هشتوكة) قال : مات سنة أربع وستين من القرن الماضى . وقد أعقب الحاج محمدا والطيب وعابدا . وقد ماتوا كلهم قبل : ١٣١٨ هـ وهم كلهم طلبة قرءان مع بعض العلوم . وأما الحسن ابن الحاج محمد بن ابرهيم . فانه عالم حسن . قال : أعرفه شيخا مسنا . توفى بعد : ١٣٥٠ هـ وأخوه ابرهيم ابن الحاج محمد . فانه من القراء الكبار . يتقن حرف البصرى . توفى نحو ١٣٤٠ هـ

وأخوهما عبد الله بن الحاج محمد عالم مذكور . اخذ عن أوعبو توفى بعد : ١٣٥٠ هـ ولهم أخ ثالث يسمى أحمد من القراء ايضا . مدرستهم هى مدرسة (سيدى أبى السحاب) وكان نزاع بين محمد بن الحسن ابن الحاج محمد . وبين الفقيه عبد الله عمه على مدرستهم . (أقول) : ان الكلام فى هؤلاء مستوفى فى (الجزء الخامس) ولكن يظهر أن هنا زيادة على ما هناك .

قال : كان ابن العربى هينا لينا . لايضرب تلاميذه . على عكس تلميذه سيدى عبد الله أخرباش . ولم يذهب الى (سيدى أبى البركات) الا نحو ١٣٢٠ هـ وقد كان شارط أولا فى (تادارت) فى (أيت عميرة) بـ (هشتوكة) فكثر عنده الطلبة وقد تزوج امرأة عند أهل (البعارير) ثم فارقها قبل أن يستتم سنة . وسبب مفارقته ذلك المحل ان القائد الحسين التامجلوجتى الوادريمى . مر هناك فذبح ثورا على مشهد ينسب لسيدى وكاك بـ(تادارت) هناك . فتخاصم عليه طلبة المدرسة . وطلبة القبيلة . حتى كاد القتال يكون بينهم . وقد أيد أهل البلد من العامة طلبة القبيلة . ولم يكن الاستاذ ابن العربى حاضرا يومذاك .ذهب الى تلقى زوجته التى تزوجها . فقام سيدى عبد الله أخرباش . وهو رئيس الطلبة . فامرهم أن يخرجوا . فغادروا المحل وهم نحو (٦٠) فباتوا فى (اغرايسن) محل هناك . فوصلوا

مدرسة (أيت عمرو) فوجدوها خالية . فدعا معهم سيدى عبد الله نيابة عن ابن العربى . فلما رجع ابن العربى الى (تادارت) حاول النـاس أن يبقى عندهم فأبى الا اتباع أصحابه . فبقى فـى (أيت عمرو) سنتين . ثـم الى مـدرسة (ايمى نسبت) حيث بقى سبع سنين . ثم الى (اغرايسن) سنـة ونصفا . ثم تسرب خبره الى (حاحة) فأتى اليه (اداويسارن) فذهبوا به الى (سيدى ابى البركات)

قال أخذ ابن العربى أيضا من (مراكش) ثم شارط فى (شيشاوة) أيضا فى (النواصر) ومن هناك الى (سوس) (١) قال : كان سيدى عبد الله اخرباش ياخذ عن خاله محمد بن عبد الله من قراء البصرى فى (المنيزلـة) ولم يتصل بابن العربى الا فى تادارت . ومن مدرسة (ايمى نسبت) ذهب الى (عين المداور)

قال : هناك قرية تسمى (أخياطن) من قبيلة (أيت ويكمان) بـ(أيت وادريم) ومنها على الخياطى . من القراء الكبار . أخذ القراءات السبع مـن (جبالة) وقد اعقب ولدا يسمى موسى . ولم يرث من أبيه شيئا . ويعاشر نفاليس القبيلة . كان فى (الكفيفـات) من (هـوارة) وهناك أخـذ عن ابن العربى . وقد جاءه خبره وهو لايزال عند انجار . ثم من (الكفيفات) الـى (ادوسكا) فى المدرسة من (ايلالن) وهناك بقى الى أن توفى . فنقل الى قريته فدفن فيها . ولم يبطىء فى (ادوسكا) وسبب هلاكه أنه كان دخل المدرسة على فقيه . واخرجه منها بالقوة . فاشتكى هذا الفقيـه عـلى استاذه سيدى عبد الله بن ابرهيم . فلم ينصره بشيء فعمل جدولا تأثر به على الخياطى . فخرجت فيه قرحة أهلكته . فلما كان خبر ذلك عند سيدى عبـد الله بن ابرهيم أرسل الى الفقيه أن لايقربه بعد اليوم لكراهته ما فعله بجدوله . وتلاميذ الخياطى هذا كثيرون . وممن أخذوا عنه الاستاذ بوهوش الاخصاصى من قرية (تاكنيت) من (أيت على) وكانت فى أخلاقه حزونة . ولذلك لم ينتفع به كثيرا . وكان يشارط فى مساجد صغرى . توفى ١٣٥٨ توفى الخياطى فى صدر هذا القرن . وهو من غير الخياطيين التمليين ثم الردانيين .

قال : ومما وقع لابن العربى : أن والده توفى وهو صغير . فكان يرعى لأمه غنما . فعدا عليه وعلى غلمة من لداته لصوص . وهـو وراء أغنـامهم . فألقوهم فى نطفية خالية من الماء . فبقوا هناك الى الليـل . فصـار أهلهـم يفتشون عنهم . فلم يقعوا عليهم الا ليلا . قال ابن العربى : فاستحضر أن

---

١) توجد ترجمة ابن العربى القارىء الهوارى فى (الجـزء الرابـع عشر) ان شاء الله . وهناك أيضا ترجمة عبد الله أخرباش .

أمي حملتني لما استخرجت من النطفية على عنقها . وهي تقــول : لارد الله الغنم بعد ما رجعت اليَّ يا ولدي . وكانت قريته تسمى (تامـدا ارعمـان) ازاء (المنيزلة) قال كانت أمي تدعو لي أن أكون كالحبق . يستطيبني القريب والبعيد .

قال الحاكي : وممن أخذ ابن العربي عنهم : الشيـخ سيـدي الحسن التملي في (ايرازان) فقد ابطأ عنده . وكان يذكره كثيرا . ومن هناك عرف الشيخ الالغي. وكان يحكي ما وقع بين الحسنين : الحسن الايرازاني والحسن التيمكيدشتي . قال كنت أشارط فأراجع قراءة العلم سبع مرات . وكان شارط بادىء ذي بدء في قرية وكان عنده فقيه . فبكرت اليه امرأة تسأله عن أمور دينية . فصار الفقيه يقول من حيث يسمع ابن العربي . ولا تسمع المرأة . انما عنده حرف حمزة . لا العلوم . قال : فكرر ذلك . فانفتلت في الحين . فذهبت الى (ايرازان) حيث افتتحت المبادىء .

ومما وقع له في (ايرازان) أنه كان يتعلم الحساب عند طالب هناك في المدرسة اشتهر به وحده . فكان يبخل بعلمه عن الطلبة . قال : فكان عندي الخبر بأن استاذا في (سكتانة) يتقنه . فسافرت اليه يدا ليد الى أن وصلته بالتعرف . فحكيت له سبب مجيئي . فاشترط عليَّ أن أمر بألواح تلاميذ عنده في القرءان . ثم نادى فيمن هناك : ان الدراسة منذ الآن لاتكون فـي كل وقت الا في الحساب . فدام الامر على ذلك حتى اذا أخذته أحسن أخذ. ورضي الاستاذ عن تحصيلي فيـه ناداني . فقـال لي : الوداع الآن . فدعنا لنتفرغ لما كنا فيه قبل . قال : فرجعت الى (ايرازان) فتلقاني ذلك الحيسوبي فامتحنني في العويصات . فوجدني ماهرا . فسلم لي . وقد كان ابن العربي ماهرا في الحساب مشهورا به .

وممن أخذ عنهم ابن العربي أيضا مبارك أمارا من (أيت باها أوزاغار) بـ (هشتوكة) أتقن البصري . كان في مدرسة بـ (رأس الوادي) ينافس عليا الخياطي الذي يفوقه بالتحصيل. ولم يزالا مختلفين حتى صالح بينهما ابن العربي . بعدما أخذ عنهما معا وقد كان شيء أشكل على مبارك . فحصلـه ابن العربي على الخياطي . فجاء فعلمه لمبارك فذهب به هذا الى ضريح هناك. فأمر ابن العربي أن يعلو على ظهره . فحمله فأطاف به مرات . فقال له : انك محمول دائما دنيا وأخرى فرحا بما استفاده منه .

قال : كان في (سيدي أبي البركات) أولا . ثم في (بوزركون) ثم لما قتل انفلوس ـ قتله عبد له ـ ذهب اليه الناس . فردوه الى (سيدي أبـي البركات) ثم رجع أيضا الى (بوزركون) وقد كانت زوجته البعريرية ماتت .

فتزوج أخرى من (متوكة) ١٣٢٨ هـ قال الراوى : انا الذى وقفت له حتى تزوجها . وكان يأنس بى . وقد كنت لما وردت عليه فى (سيدىأبىالبركات) باقيا بلا بيت أحد عشر شهرا . لكثرة الطلبة . فلما تيسر لى البيت . وهو ازاء الباب . مقابل لنطفية المدرسة . مررت بها يوما . وعليها صبية يلعبون من بينهم ولد صغير لابن العربى . فلم أكد استقر فى البيت . وأنا أقابل النطفية من نافذة البيت اذا بصبى من الصبيان يصرخ ويقول ان ابن الفقيه سقط فى النطفية . فبادرت مسرعا . وقد كنت عواما . فألقيت نفسى فى الماء وهو كثير . فوجدت الولد لم يشرب كثيرا من الماء بعد . ولا يزال طافيا عاقلا فحملته على عنقى فصرت أسبح فجاء الطلبة . فعالجته حتى ربطته بحبل . فأخرجناه ثم خرجت بعده . فكان ذلك هو السبب حتى نلت من الاستاذ مكانة . فقال لى اذا كتبت لوحتك فأتنى بها . فكتبت ذلك النهار حزب (تبارك الذى بيده الملك) فقال لى ائتنى دائما أنت بلوحتك . فأنا الذى أمر لك عليها بنفسى . وقد كانت العادة أن يقوم الطلبة النجباء ببعض ذلك عن الاستاذ . فمن ذلك اليوم صار ينظر الىَّ بعين الرضا . والحمد لله . ويلج على بيتى . ويكلفنى بقضاء حاجاته الخاصة .

قال : كان يحضر مع علماء (متوكة) فى (بوو ابوض) على عادة القائد عبد الملك . فكان القائد يعظمه كثيرا . حتى نفس عليه ذلك بعض العلماء هناك . فوسوسوا لابى السلام خليفة القائد ـ والقائد غائب ـ فخرج العون يوما اليه . وقد أقبل ليدخل . فقال له : لا تأت أنت بعد اليوم . ولكن عرف الخليفة الدسيسة بعد . فاستدعاه اليه أيضا . واعتذر له . وذكر من أولئك الفقهاء : القاضى الحسن أوباها . والحسين نسومر . وأحدهما هو صاحب الدسيسة . وكان الاستاذ ابن العربى يبيت فى عشية كل خميس فى مدرسة (وادرار) عند الفقيه محمد بن كروان . متى ذهب الى(بوو ابوض) وكان الحسن أوباها زوجه القائد احدى مستولداته . فولد معها . فذبح يوم العقيقة : ٥٤ كبشا . فاستدعى جميع رؤساء (بوو ابوض).

قال : كان ابن العربى يقول : لم يمر فى هذه البلاد من القراء فى العشرين : العشر الكبير . والعشر الصغير . الا اثنان : مولاى أحمد السباعى وسيدى الحسن أضارضور . الاول نزل فى (اصبويا) بعد ما أجلاه الملك من بلده . لانه كان سلطان الطلبة . ثم كأنه استطاب ذلك . فأراد أن يجعلها حقيقة . فنفى لذلك الى (سوس) من بين قبيلته السباعية . وكان مشارطا فى (مدرسة الثلاثاء) فى أواخر القرن الماضى . وبنته هى التى تزوجها سيدى الطيب البوسليمانى . كان الطيب مشارطا هناك . فاقترن بها .

وهى أم أولاده . وولد منها الفقيه محمد بن الطيب . كان من الآخـذين عن محمد بن العربى الادوزى العلامة الشهير . وأخوه عبد الرزاق . أخذ عـن محمد بن المحفوظ السملالى . والثانى منهما : الحسن أضارضور . تخرج فى العشرين من (جبالة) وهو ممن أخذ عنهم سيدى ابرهيم الماسى . أخذ عنه فى (تادارت) فـ (موساكنة) ولم يطل عمر الحسن أضارضور كثيرا (واعل ابرهيم هذا هو المقيم فى مدرسة (مسفيوة) يعلم العشر الى أن توفى)

قال : ومن السبعيين فى القراءات : الاستاذ الحسن بن محمد أوبواشوالن فى (تارحالت) من قبيلة (أيت عبلا) أخذ عن استاذ يسمى عـلى بن بـلا . يجهل الحاكى عنه كل شيء . كان الحسن بن محمد يشارط فى (تانكارفـة) من (أيت ييسيمور) وهناك أمضى حياته . توفى نحو : ١٣٥٨ هـ وله اخ سبعى أيضا يسمى أحمد . أخذ عن عبد الله الركراكى . كان يشارط فى (سيدى عكايش) من (أيت زلضن) بـ (حاحة) الى أن مات نحو ١٣٧٥ هـ . ثم ذكر أن سيدى عليا التنانيالسبعى الشهير. كان شيخ عبد الله الركراكى كان على مدرسة (ابى السحاب) (١) الماسكينى ما شاء الله . ثم فسد ما بينه وبين (ماسكينة) أهل المدرسة . فغادرها فسافر الى أن وصـل مـدرسة (سيدى غانم) فى (حاحة) وقد كان الركراكى فيها . فحكى له ما وقع له . فجمع هـذا متاعـه . فترك المدرسة لشيخـه حيث بقى الى أن استرجعه الماسكينيون .

قـال : أخـذ سيدى مبارك الميلكى عـن الركراكى . ثم شارط فى (ايغرايسن) بعد ابن العربى الهوارى . ثم فى (ايمى نسبت) قال : كان ابن العربى من أعبد الناس . بت معه ليلة فى قرية (تانارايت) فى(نكنافة) بـ (حاحة) فلما ظن أننى نمت أحسست به قام للتهجـد . فافتتـح حزب (قال الملأ) بحرف حمزة . فلم يزل كذلك الى أن نمت . مع أنه ذلك النهار كان فى سوق . والظن به أن يصيبه الاعياء . وكانت له مكاشفات كثيرة . ولكنه يخفى حاله . وقد وقع يوما أنه بكر الى قبل الفجر . فقال لى : اننى سأذهب الآن الى قرية (اسماعيلن) لأقضى فيها غرضا . فقوموا أنتم الطلبة واذهبوا الى الضريح فى (أبى زركـون) واقرأوا هنـاك التفريق ـ اجزاء المصحف ـ ثم فعلنا ذلك . فاذا بذبائـح خمسة وردت عـلى المشهد . فجاء طلبة القبيلة ليتوصلوا بها . فثاورناهم عليها . ثم تداعينا الى الخليفة أبى

---

١) وهو غير الهشتوكى المتقدم . فهذا من أهل أواخر القرن الخامس وأوائل ما بعده . مترجم عند الحضيكى . كان ابن تومارت يلم بـه . وذاك معدود من (ايت يعزى ويهدى) المذكورين فى (الجزء العاشر) .

السلام . وهو نازل تحت أشجار الزيتون هناك بجيشه . فحكم لنا نحن الذين نقرأ في المدرسة . فرجعنا وقد انتصرنا على طلبة القبيلة . ففرقنا الكباش . وحزت للاستاذ كرشا ونصف كبش . فلما جاء قال : لهذا أمرتكم أن تبكروا الى ضريح الشيخ . كأنه كوشف بما سيكون . والله أعلم .

قال لما احتوش أنفلوس أموالا في (ايمگراد) كما تقدم. وهو في (متوگه) كما ذهب اليها . جاء على طريق أداوتنان . فمر بـ (تمانار) فقال له أصحاب القائد مبارك الكيلولي : اخلف الله عليك ما أضاعه لك أنفلوس . فقال آمين واشهدكم أنه في حل مما نهبه لي . فقال له أحد الحاضرين : الآن نرجو أن يواخذ الله الظالم انفلوس . حين يمد يده في مثلك . فلم يمر الا قليل فقتله عبده الخاص . قال : وكان أزهد الناس في الدنيا . لايهتم بها . وكثيرا مايبني الديار فيتركها . تركها في قرية (بوزاكارن) من (أيت ميلك) بـ (هشتوكة) وأخرى في (ايفرايسن) وأخرى في (سيدي أبي البركات) وأخرى في « بوزركون »

قال : ذكر لنا أنه شريف النسبة . واصل أبيه من (أداوزيكي) ازاء (تارگانت) وأبوه هو الذي انتقل الى (تامدا ارعامن) حيث ولد له ابنه هذا

قال : كان ازهد الناس في المطعوم الذي يتشهاه الناس . الا أنه يحب الاتاي . وكانت له كأس طويلة . لايكاد يشرب الا منها . حتى اذا استدعاه أحد الطلبة الى بيته . يعطيه مفتاح محله ليأتي اليه بتلك الكأس وكانت تسع ثلاثة أكؤس معتادة . فيشرب منها ثلاثا . فيقال له : ان كثرة الاتاي تضر . فيقول نستدرك منه ما فاتنا قبل أن نعرفه . وقد قدم اليه طالب يوما خبزا وعسلا فيسيغهما بالاتاي . فقيل له : ان حلاوة السكر وحلاوة العسل لاتلتئمان . فقال نعم لا تلتئمان في بطن (واش) أي الشقي .

كانت له بنات زوج احداهن للاستاذ سعيد البوالطيبي تلميذه . والاخرى للطاهر البوالطيبي من تلاميذه أيضا . وهو ممن أخذوا عن أخرباش وعن محمد بن صالح التدماوي . ثم طلقها .

قال : شارط اخرباش حينا في (أدوسكا) في أوائله .

نتف اخرى من اخبار المترجم محمد بن عبد الكريم

كان لصيت صلاحه وأنابته وحسن أخلاقه دوى كبير . وهو معتقد في جميع تلك النواحي . وقد حج حجتين . في سنة ١٣٦٧ هـ في الباخرة وفي : ١٣٧١ هـ في الطائرة . وقد كان محترما محررا من جميع الكلف . لانه مشتغل بخويصة نفسه لايتداخل في أي شيء . زام للسانه . لايغتاب

ولا يعيب . وقد وفد الى الرباط اليوم : ١٥ شوال فبات عندى فرأيت خير الرجال من بقايا الجيل الماضى : حسن سمت . ودماثة أخلاق . ولطف شمائل . وامتاع مؤانسة . وهو يدب الى نحو الثمانين . فقد طال به العمر حتى صار يشاهد ما لم يشاهده قط . فقد كان من جملة من كانوا يسهرون الليالى يدعون الله أن تنفرج الازمة . وان تنقشع سحب الاحتلال . ولكن لما جاء الاستقلال المرجو اذا بأمثاله يقول لسان حالهم :

وكنت كالمتمنى أن يرى فلقا — من الصباح ؛ فلما أن رآه عمى

كان قطب حياته الدين ونشره . وكان أفرغ زمانه كله فى بث القرآن فى صدور الرجال . فاذا به يرى من يتنكرون فى زمن الاستقلال للدين وللقرءان . فيهينونه اهانة لايطيقها الاحياء . ومن ذا يطيق عيش الهوان .

كان القائد المدنى حرره من كل الكلف بهذه البطاقة :

« ليعلم الواقف عليه : أن حامله حامل كتاب الله العزيز السيد محمد ابن عبد الكريم الاخصاصى العرباوى : حررناه من جميع التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية . والبلدية . فلا يسأل عن شىء جل أو قل . فمن وقره وعظمه كما عظمناه . فالله يجازيه خيرا واحسانا . وكل من خالف . فلا يلومن الا نفسه . وكتبه بتاريخ ذى الحجة عام ١٣٣٤ هـ المدنى بن أحمد الاخصاصى أمنه الله »

وهذا محرر بقلم الاستاذ أحمد بن ابرهيم التاكانتى . فعلى هذا التحرير تأسس احترام المترجم قبل : ١٣٥٢ هـ ولما جاء الاحتلال . بقى كذلك . لان سياسة المحتلين مؤسسة على احترام أمثاله . ممن لايقبلون ولا يدبرون فى أى ميدان . ولكن بعد الاستقلال . جاءت الاهانات الى أمثاله تترى . فيحتقرون . ولا يعتبر كتاب الله الذى يحملونه مما يستحق ان يحترم أربابه . بل يقال له : انك جامد متزمت رجعى . فلا تسأل عما يروج فى مسامع أمثاله من أمثال هذه الاهانات . ويسمعونه أن القرءان والاشتغال به وبرواياته تضييع لأعمار الشباب - كبرت كلمة تخرج من أفواههم - :

ان دام هذا ولم تحدث له غير — لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

ولهذا جاء الىَّ متشكيا من أمرين لا ثالث لهما :

أحدهما : أن جميع من فى المدارس هناك فى(الاخصاص) يعطون من الاعشار مايكفيهم مؤونة - على العادة المتبعة - من عشر عبرات فأكثر للشهر وهو وحده دون جميع من فى مدارس (الاخصاص) لايعطى الا عبرة واحدة بعدما كان يأخذ ما يكفيه منذ كان فى المدرسة . وكذلك كانت الذبائح على

ضريح هناك يأخذ الجلود منها عادة فيقيم بها أوده . فمنع من ذلك في هذا العهد عهد الاستقلال . فاعطيت لغيره . ممن لايقوم بأية مصلحة عامة .

وثانيهما أن أولاده يحسبون اليوم فقط لاأمس في الخدمة العمومية. مع ان المحسوبين عليه لايزالون يقرأون القرآن تحت يده وكأن أصحاب السلطة لايحترمون من يقرأون القرءان كما يحترمون غيرهم . وقد تكون هناك أعـذار لبعض ذوى السلطة . ولكن ما يحس به المترجم من الاهانة في ذلك لم يألفها هو ما يجعل حياته نكدة . وقد وقفت معه فارسلت الى القائد (مروان) هنـاك . ولعل ذلك يجدى - نعم أجدى ذلك . ورجعت اليه حقوقه بفضل القائد -

وبعد ؛ فقد سطرت هذا للتاريخ غدا . ليعلم أننا في وقت استقلالنا لانمشي كما ينبغي أن نمشي في كل ناحية . ولعل ذلك يتحسن عن قريب ان تولى أمورنا عقلاؤنا . وعرفوا كيف يحافظون على التقاليد الحسنة . كما يعرفون كيف يقتبسون من غيرنا ما لابد منه في النهوض بالبلاد . فـالله يتول الحق وهو يهدى السبيل .

أولاده

له سبعة ذكور . وست أناث . وأعلمهم الآن : الحسن . وهو في محكمة القاضي صاحب التقطيع في (أكادير) وفق الله الجميع . وايا كان فيظهر أنه لم يرث منهم القراءات السبع بالاتقان من أبيهم فيما نعلم .

الآخذون عنه

ان الآخذين عنــه كثيرون . ولكن لانهتبل الآن الا بأصحاب السبــع وبأصحاب البصرى منهم . وهم :

١ - على بن بلخير

٢ - الحسين بن بوهوش العلوى الاخصاصي . لايزال حيا الآن ١٣٧٨ هـ

٣ - محمد بن عدى الرسموكي . في (أداى) بـ (رسموكة) توفى نحو ١٣٤٦ هـ ولم يطل عمره .

٤ - محمد بن موسى البعقيلي . كان يشارط في (أنونعمرو) في (أيت مزال) وفي غيره . مات : ١٣٧٤ هـ

٥ - أحمد الوناسي البعقيلي . هو الآن فـي مدرسة (اكفى) عنـد أولاد سيدى عمر . وهو لا يزال حيا .

٦ - محمد التيزكيبي البعقيلي . يشارط في مساجد بلده . لايزال حيا .

٧ ـ محمد الحاحي النكنافي . نزيل (الخميسات) حيث توفي ١٣٤٩ هـ
٨ ـ محمد السكرادى . من الاسرة الشريفة . لم يبطىء بعد تخرجه . فتوفي مسموما كما قيل . نحو ١٣٤٦ هـ وهذه الاسرة تذكر ان شاء الله في (القسم الرابع) في (الجزء الحادى عشر)
٩ ـ عبد الله أخوه . يشارط في مساجد (ايغير ملولن) ولا يزال حيا .
١٠ ـ أحمد بن سى بيهى بن موسى الاخصاصي . خال المترجم يشارط في (أيت برابيم) لايزال حيا .
١١ ـ مبارك بن أحمد بوعدول البوالطيبى . نزيل (بني ملال) . توفي هناك : (١٣٧٠ هـ)
١٢ ـ مبارك المتوكى من ذرية سيدى عبد الرحمن بن مسعود الشهير. يشارط في بلده . لايزال حيا .
١٤ ـ محمد بن على السيمورى البعمرانى . هو الآن مشارط في (الثلاثاء أوفلا) من (الاخصاص) وهو حى .
١٥ ـ بوهيا بن صالح العرباى . يتقن حرف البصرى وحده . يشارط في (أيت رخا) لا يزال حيا .
١٦ ـ ابرهيم الخنبوبي . يشارط في (ابن كمود) بـ (هشتوكة) لا يزال حيا .
١٧ ـ مبارك بن المختار الحمرى . اتقن حرف البصرى . لايزال يتتبع بنجابة عند الاستاذ الآن .
١٨ ـ الحسين الوادريمى . يشارط في (أفيفن) ولا يزال حيا .
١٩ ـ الحسين بن صالح العرباوى الاخصاصي . أتقن البصرى . يشارط في قرية (اكالمن) بـ (الاخصاص) ولا يزال حيا .
٢٠ ـ أحمد بن عبد الكريم . أخو الاستاذ . اتقن البصرى . لايزال حيا وهو من العملة بفرنسة (وكثير من الطلبة السوسيين هناك) .
٢١ ـ محمد بن الحسين التاكانتى . أتقن بعض الحروف يأخذ الآن العلوم في (أدوز) عند سيدى عيسى .
٢٢ ـ أحمد بن الحسن . من (بوفورنا) أتقن البصرى . يشارط في مسجد قريته . لايزال حيا .
٢٣ ـ الحسين بن محمد بن الحاج التانكرتى من ءال الاديب . أتقن بعض الحروف . لايزال حيا (ومحمد بن الحاج الاديب ذكر في(الجزء العاشر)

٢٥ ـ الطاهر بن البشير . أتقن البصري . شارط الآن في (كسيمة) .

هؤلاء من استحضرهم الاستاذ . وقد قال : ان الذين حفظوا على يدي المكي ـ فضلا عن ورش ـ كثيرون جدا يعدون بالعشرات .

هذا ما تيسر كتبه في جلستين عن المترجم الرجل الصالح . والمقصود أن نأخذ عنه ما لانجده عند غيره . وخصوصا أخبار القراء . ولذلك حرصنا على أن نملأ محادثتنا معه بأخبارهم . وان كان بعضهم سيترجم على حدة . وقد بات عندي في الرباط في الدار التي أنزل فيها في شارع (الولايات المتحدة) بأكدال . في ١٥ شوال ١٣٧٨ هـ . وهو لايزال حيا الآن أواسط رجب ١٣٨١ هـ

(أقول) : كانت القراءات السبع . بل العشر . بل العشران مزدهرة بسوس دائما . ولها مدارس خاصة في (هشتوكة) و (رأس الوادي) و (بعمرانة) و (ماسة) وغيرها . ومضى أعلام كبار صالحون من صفوف حملتها . كمحمد بن ابرهيم أعجلي . وتلميذه الحاج محمد الركراكي . وأحمد أنجار . والضحاكي وعلي التناني . وعلي الخياطي ومحمد ابن العربي الهواري . وعبد الله خرباش . وأمثالهم . ومن المتأخرين منهم الحاج محمد التيزنيتي . وعبد الله الركراكي . وابرهيم الماسي . وكان هؤلاء وازاءهم اخرون يبثون هذه القراءات المختلفة . الى أن تبدلت الاحوال . وأفل نجم الاعتناء بغير حرف ورش . فلم يبق الآن من أعلام الفن الا المترجم مع ثلة قليلة جدا يعدون على الاصابع . هم هامة اليوم أو غد . ثم كنا نتعلل بأن في بقاء حرف ورش خيرا كثيرا . الا أننا اليوم نشاهده أيضا يندثر بسرعة . حتى اننا لنرى جيلا ينشأ بيننا يكاد يجهل كل شيء . فلئن بقي الحال هكذا ـ ونخاف أن يبقى كذلك ـ فان سوس ستكون خاوية على عروشها . فيطوى فيها القرءان طيا . لا قدر الله . وما يربح بعد خسران القرءان ؟



الـفقيــه

سيدي احمد بن ابرهيم التاكانتي

نحـو ١٢٨٧ هـ = ٤ ـ ٨ ـ ١٣٦٤ هـ

نسبـــه :

أحمد بن ابرهيم بن محمد بن أحمد بن مسعود

من فخذ (نحيمدات) وهو أخو فخذ (ادو أوفقير) . والفخذان معا من (أكورارن) من (أيت بيفولن) من (الاخصاص) . وفي مجموع الفخذين علم. ففي (اد' أوفقير) العلامة مبارك (أوشن) ابن عبد الله بن مَحمد بن أحمد . وهو علامة جليل ممن أخذوا عن الشريف الكثيري . وقد لازمه كثيرا . وكان من الحفاظ . ومن محفوظاته الشفاء لعياض . لان الشريف يحب قراءتـه . ومنظومة في أهل بدر . بله غيرها مما يعتاد حفظه كالمختصر لخليل والمتون الاخرى . وقد أساء الادب مع شيخه هذا . فزور عليه رسما . فأصيب مـن هناك . وله وقائع تعرضنا لبعضها في الجزء الثامن من أجزاء (من أفواه الرجال) . وقد قال فيه المؤرخ الايكراري :

(ومنهم الفقيـه النوازلي سيـدي مبارك الذيب به عرف البوفولني الاخصاصي . كان رحمه الله خواضا في مسائل القضاء . يكتب ويرجـع . حتى زال جلباب الحياء عنه . وحقرته العامة . فلا يساوي عندهم جناح بعوضة وذلك من مهانة نفسه . وعدم نشأته بين اخوان لهم سطوة . يدور مع شيخ البلد كيما دار . ويراعي غرضه . فسلط الله عليه الفقر . وهو من تلاميذة الشريف سيدي سعيد الهشتوكي . نقل كتبه لدار القائد بوهيا الاخصاصي أيام أنفلوس فمزقت كل ممزق . فبقي بلا كتاب . يتنهد حتى تـوفي في ءاخر صفر عام ١٣٣١ هـ رحمه الله . وكتاب (الشفاء) يحفظه في صدره)

أقول : له ولد من نجباء الطلبة . وهو محمد بن مبارك فقد أخذ عن أبيه أولا . ثم عن الحسين بيبيس . ثم عن سيدي الحـاج أحمد الصوابي . وكان أيضا أحفظ الناس . ومن محفوظاته الموطأ . وهو مـن أوداء الاديب المانوزي . وقد ذكره فيما كتبه عن حياته في (الجزء الثالث) المتقدم . وقد شارط حينا في المدرسة الرسموكية ـ تيزكين ـ ودرس فيها لنحو عشرين من الطلبة . بقي هناك عامين . وقد كان نوى أبواه والفقيه سيدي أحمد بن

ابرهيم والقائد المدنى أن يشارطوه فى (بوزاكارن) . ولكـن سفهاء هنـاك تندروا عليه . فذهب مغاضبا . وقد التحق بشيخه سيـدى الحـاج الحسين الافرانى . فكتب معه رسائل الى فاس . ثم الى مصر . وهناك رسالة كتبها الى أبيه من فاس وقفنا عليها . ولم تحضر لدينا الآن .

وأما فى مصر فقد رءاه هناك ثقات . فذكروا عنه التوسع فـى العلم وفى التأليف . فقد أولع بالحديث . وشرح به بعض المؤلفات . أظنه الرسالة القيروانية . ثم انه أوى الى الزاوية الاحمدية عند مشهـد سيدى عبـد الله الغريب فى الاسكندرية . فكان قيما عليها . فتزوج بنت مقدم الزاويـة . فهناك اشتغل بالاسماء الى أن تأثر بها . فاختل وقد وصفه الحاج الاحسن البعقيلى لما حج بأنه رءاه فى حالة زرية . وقد كان يكاتب أصحابـه الى أن انقطعت رسائله عنهم . وقد توفى بعد ١٣٤٩ هـ . (أقول) : ذكر مبـارك (أوشن) وولده مرارا . منها ما كتبناه عن محمد بن عبد الكريم قريبا .

واما المترجم أحمد بن ابرهيم . فهو عالم كبير . له شهرة طنانة فى تلك الناحية . اكتسبها بسنه وبعلمه وبالقضاء والافتاء . ولم يكـن لاحـد معه ظهور فى (تاكانت) وما اليها سنين كثيرة .

متعلمه للقرءان

أخذ القرءان عن الاستاذ أحمد بن هادا الاخصاصى ـ ولقد ذكرناه فى ترجمة محمد بن على التاكانتى فى (الفصـل الاول) من (القسم الرابـع) وهو وحده عمدتـه .

مشيخته فى العلوم

أخذ أولا عن الاستاذ العلامة الحسين بيبيس شيخ (الاخصاص) وفقيهها ثم عن الاستاذ شيخ الجيل محمد بن العربى الادوزى . هما وحدهما شيخاه وقد أجازه بيبيس بهذه الاجازة :

(أما بعد فان الاخ فى الله . والاحب لأجله . الفقيه النبيه . سيدى أحمد بن ابرهيم البوتاتنى الاخصاصى . أدام الله توفيقه وجعل عونه فى كل حال رفيقه . طلب منى الاجازة لظنه الجميل أن الهزيل سمين . فأسعفتـه رغبة فى دعائه فأقول : أجزته جميع مروياتى ومسموعاتى . كما أجازنى أشياخى الذين هم بـدور الملة . منهم منبعة حكمتى . وشجرة ثمرتـى . ومعظم استفادتى . سيدى أبو عثمان بن أحمد الكثيرى أصلا . قاطنا بمدرسة (اداوكَمْد) الهشتوكيين . عن شيخه أبى سالم الولياضى الهشتوكـى .

وعن شيخه أيضا الصوفـي الزكي سيـدى أبي العباس أحمد بن محمـد التيمگيدشتي . وعن شيخه أيضا الفقيه النبيه سيدى محمد بن علي من زاوية سيدى يعقوب الهلالي ـ الايلالني ـ اجازة جامع البخارى عن والده سيدى علي بن سعيد . عن شيخه أبي العباس سيدى أحمد بن سعيد النظيفي . من (ذات الارحاء) عن أبي عبد الله محمد بن الحسن البناني الفاسي . عن أبـي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني . عن أبي العباس ابن الحاج . عن شيخ الشيوخ عبد القادر الفاسي . عن أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي . عن الشيخ القصار . عن الشيخ التسـولي . عن الشيـخ الدقـون . عن المنثور . عن القاضي أبي الخطاب أحمد بن واجب . عن الخطيب محمد ابن يوسف بن سعادة . عن الصدفي . عن الباجي . عن أبي ذر الهروى . عن المستملي. عن الفربري . عن الشيخ محمد بن اسمعيل البخارى . عنالحميدى عن سفيان . عن يحيا بن سعيد الانصارى . عن محمد بن ابرهيم التيمي . عن علقمة بن وقاص الليثي . عن عمر بن الخطاب القرشي عن النبي صلى الله عليه وسلم . فرضي الله عنهم أجمعين . انتهى . اجازة عامة مطلقة بشرطها المعتبر من التثبت واليقظة . وتقوى الله . واتباع السنة . والبخل بالدين . فلا يبيعه بعرض دنيوى . والتحصن والتوقي بجنة لا أدرى . فالله يوفقنا واياه . ويجعلنا من الذين (قالوا ربنا الله ثم استقاموا) الآية . وكتبها من ليس أهلا لان يجاز فضـلا عـن أن يجيز . فـي غرة شعبان ١٣١١ هـ : الحسين بن عمر العلوى ثم الاخصاصي لطف الله به ءامين) .

مشارطاته

شارط أولا في (أداى) الحربيلية عاما . ثم في (فاصك) حيث بقـي نحو عشرة أعوام . ثم في (بوزاكارن) عامين . فهذه مشارطاته . وقد زاول التدريس قليلا حين كان في المحل الاخير .

أعماله الاخرى

كان الميدان الذى عرف به ميداني الافتاء والقضاء في النوازل . ففي ذلك كان يخب ويضع طوال عمره . وقد كان قبل الاحتلال يجارى في هذا الميدان الفقيهين الالغيين سيدى عبد الله بن محمد . وسيدى المدني . حين كانا في مدارس (الاخصاص) والاستاذ محمد بن أحمد المؤرخ الايگرارى . وابنيعمه سيدى عثمان وسيدى الحسن بن عبد الرحمن حين كانوا مشارطين

في مدارس (الاخصاص) والاستاذ محمد بن أحمد التاغجيجتي . فكان يقبل معهم ويدبر . فيوافقه من يوافقه . ويخالفه من يخالفه . عـلى عـادة الذين يتجاذبون اذ ذاك الافتاء والحكم في النوازل .

بعد الاحتلال استدعاه المراقب في (بوزاكارن) فصار يحضر فيجلسات الحكم عاما واحدا . ثم بعد ذلك لازم داره الى أن توفي .

بعض نتف من اخباره

كان له مع القائد المدني صلة تامة . وكان يحترمه ويجله وكان ربما ردَّ على القائد ما لا يريده وقد لازم القائد حتى صار ككاتب خاص له . يحرر عنه كثيرا من الرسائل وغيرها قبل ماء العينين الذي له مكانـة خاصة فـي كتابته . وما فارق المترجم القائد حتى توفي . وقد صاهر بأختيه الشيخ سيدي الحاج محمد البوزاكارني صاحب الزاوية الدرقاوية في (بوزاكارن) واحداهما هي أم الاديب الكبير مولاي عبد الرحمن . واسمها رقية . ومـا صاهره حتى حسن فيه الظن . وقد كان أشتهر عنه أنه يحب المنتسبين الى الخير . وقد كان له اتصال أيضا بالشيخ مولاي أحمد الوادنوني مجـاوره في قرية (تاكانت) وهذا مما يدل على أنه رقيـق الشعـور . ليست فيـه العنجهية المعلومة للفقهاء نحو الصوفية . وقد كان يكاتب الاستاذ عـلى بن عبد الله الالغي . وقد وقع له معه . أنه كتب حكما في نازلة . فقرىء فـي مجمع المجاطيين . فاختلفوا عليه . فرفع الى المترجم ليستأنف عنده . فكتب اليه الاستاذ الالغي فيذلك . فصحح حكمه .والمراسلات بينهما موجودة عند أهله . وكذلك كتب اليه العلامة سيدي الطاهر في ذلك . وقد ساق فـي رسالته هذه الآية : (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) وقـد كـان معتمد القضايا عنده الحق وحده . حتى صار الناس يقولون : ان القائد المدنـي لا يرسل اليه عن القضايا الا التي يريد فيها اتباع الحق . هذا هو المعلوم عن الفقيه سيدي أحمد بن ابرهيم رحمه الله فيما قيل لنا عنه .

أولاده

له أولاد عدة . وانما الذي ورثه كعالم هو الفقيه سيدي محمد بن أحمد المولود في ربيع الاول ١٣١٥ هـ . وقد أخذ القرءان عن والده وعن الاستاذ أحمد بن هادًا . ثم أخذ العلوم عن الاستاذ سيدي محمد بن مبارك بن عبلا الاخصاصي ـأوشنـ فيمدرسة (تيزكين) بـ(رسموكة) ـالمتقدمـ ثمعنالعلامة

مبارك البعقيلى . ثم عن الاستاذ أحمد بن صالح حين كانا فـى (بوزاكارن) ثم شارط فى مدرسة (بوتمزگيدا) ثم فى (بوزاكارن) وبعد الاحتلال صار يحضر فى جلسات الحكم نحو عشر سنين . وهو الآن ١٣٧٩ ﻫ فى مسجد قريته (تاكَانت) وقد كان يصاحب الاديب مولاى عبد الرحمن . فتلا عليه كثيرا من كتب الادب كـ (تزيين الاسواق) و (نفح الطيب) و (ابن خلكان) و (المستطرف) و (حياة الحيوان) للدميرى . فاستحق بذلك أن يكـون مـن أشياخه .

ويليه فى حوز ارث والدهم أخوه ابرهيم المولود في سنة ١٣٥٠ ﻫ وقد أخذ القرءان عن والده . ثم لازم الاستاذ الكبير سيدى محمد بن احمد الامسراءى . ثم انخرط فـى المعهد الردانى . حتى حصـل عـلى الشهادة الابتدائية بتفوق . ثم صار أستاذا في احدى المدارس الابتدائية . وهناك ءاخر يسمى عبد الله من حفظة كتاب الله وآخرون عوام .



الفقيه مبارك بن ابرهيم

الايكناوني المجاطي

نحـــو ١٢٤٠ = ١٣٠٦

نسبـــه :

مبارك بن ابرهيم بن محمد بن حمو بن داود الايزليتنى .

أصله من (عرب سلاَم) انتقل أسلافه الى (مجاط) أواسط القـرن العاشر من قرية (تينزيضن) وراء وادى (تامانارت) وقد حكى لى ثقة أنـه شاهد فى رسوم أسلافه ما يدل على ذلك .

أخذ القرءان عن الاستاذ عدى التيفودرى . ولازمه حتى اتقنه . ثم انتقل الى المدرسة الجيشتيمية . فلازمها من المبادىء الى النهاية . فما زاغ عن اساتذها الا ماثل يمينا أو شمالا . فأخذ منهم عن سيدى الحاج أحمد بعد ما أخذ عن أخيه الحاج عبد الله بن عبد الرحمن . ثم بعد أن امتلأ وطبه . وتسدد سهمه . ءاب ابجر الحقيبة . ميمون النقيبة . فرفرفت عليه راية الاقبال . وسالت اليه القضايا من كل جهة يحكم فيها . فتدر عليه الاموال . فتأثـل أملاكا كثيرة . فى سقى (تاكجكالت) . وكانت له صحبة مع رؤساء (أيتعلى) كأمغار محمد وعلى نبوهونس . وغيرهما. فكانوا كلما تعرضت مسألة شرعية يأمرون أصحابها ان يرتضوه هو بعينه لا غيره من الفقهاء . فكان ذلك دعامة له ثابتة . هذا وصاحبه الفقيه مسعود الايشوحارى قلما يبالى به . أخبرنى مخبر ان أهله ارتضوا مع ءاخرين فى بستان من قرية (تيزورزين) يسمى (بستان الذيب) مشهورا الى الآن الفقيه سيدى محمدا الويمينكى الاكمارى الايمزوغنى . فحكم لهم . ثم ثنوا بصاحب الترجمة . فأيد لهم ذلك الحكم . وكان ذلك سنة ١٢٩٥ هـ ثم وصفه بأنه ربعة ضخم الجثة . بارز العينـين انجلهما . . وقد وخطه الشيب . ثم قال : انه كان يغالى فى أحكامه . بحيث لايكتب لمن ظهر له أن الحق معه الا بدراهم كثيرة . وهذه القضية المتقدمة قد أخذ عن الحكم فيها ثلاثين ريالا حسنيا وذلك فى ذلك الحين مال كثير ان عددناه بحساب اليوم ١٣٥٨ هـ . ثم ذكر أن موته كان حتف أنفه . وقـد أعقب ولدا قضى على كل ءاله فى الحين .

هيهات أن يوجد لمن نشأ في أمة جاهلة كمجّاط. وفي أسرة مفرطة . ءاثار يحافظ عليها الى مثل هذا اليوم . فقد فتشت كل جهدى . ولم أجد الا هذا الذى تنقع به الغلة وان لم يكن ما نريد . فلنرد ما يكون . وهو بخط سيدى الحاج الحسين الافراني ونصه : (نسخة رسم من أم صحيحة نصه : بعد ما يجب تقديمه من الحمدلة والتصلية بعده . البيع الذى استظهر بـه الفقير همو بن بلا بن الحاج عبد الرحمن البونيراني . المنصدر له من عمته المرحومة بكرم الله خديجة بنت الحاج عبد الرحمن المتضمن جميع ما صـح لها مـن متخلف والدها المذكور . مؤرخا برجب الفرد عام ١٢٧١ هـ هو بخط سيدى عبد الرحمن بن ابرهيم . وسيدى محمد بن محمد بن داود الساموكنين . محمول على الصحة والجواز . كسائر عقود المسلمين . اذ لا يحل في عقود المسلمين المكلفين الاحرار الا الصحة واللزوم . وذلك بعدما حملت على الفقير همو بلا المذكور تعريف خط الطالبين المذكورين وتزكيتهما كما هو الشأن فأثبت الجميع بشهادة الطالب سيدى على بن الحسن من (بنى عبو) وسيدى أحمد بن أحمد بن حمو من (بنى بيهى) بن صالح المشارى . فما زعمه وارث البائعة المذكورة حينئذ من أن بيعها ذلك زور مستعمل عليها . ساقط وباطل لثبوت ما ذكر . فلما ذكر حكمت لهمو بن بلا المذكور بصحة ابتياعه ذلك وامضائه . وبطلان دعوى خصمائه ورثة المذكور . حكما لازمـا . انفذتـه وامضيته بعد التحكيم والتحاكم والرضا للحكم . بعد اتمام الموجبات بأسرها وبرسمه كتبه بانتصاف جمادى الاولى عام ١٢٨٨ هـ عبد ربه تعلى مبارك ابن ابرهيم لقبا العلوى . ثم المجاطى أمنه الله اهـ ما فـى الفصل مقابـلا بالفرع حرفا بحرف من غير زيادة ولا نقصان . كتبه بأوائل شعبان عـام ١٢٨٩ عبد ربه الحسين بن الحاج أحمد ابن الحاج بلقاسم الافراني ومعه فيما ذكر عبد ربه . محمد بن ابرهيم السملالى)

عمدا سقت هذا الرسم مع أن من عادتى في هذا الكتاب أن لا أسوق مثله . ولكن قصدى أن يفهم منه القارىء التزكية الضمنية للمترجم . من العلامة سيدى الحاج الحسين الافراني الذى له مقام عظيم في زمانه بعد هذا الحين . والمعلوم من قبيلة (مجاط) قلة العلماء . وهذا من القليلين فيهـم . وقد كان له اتصال بعلامتى الغ سيدى محمد بن عبد الله ثم أخيه على بعده . رحم الله الجميع .

الفقيه مسعود بن علي المجاطي

الايشوحاري

قبـل ١٢٦٠ هـ = ١٣٠٠ هـ

نسبـــه :

مسعود بن علي بن محمد من اخوة (ايت علي أوباها) ءال الرئيس أمغار محمد . والقائد سعيد بن محمد .

أخذ القرءان عن عدي التيفودري . ثم لما أتقنه عليه انتقل الى مدرسة الجيشتيميين . فأخذ عن الاستاذ الحاج أحمد . وأظن أنه أخذ أيضا عن صنوه عبد الله . فلازم تلك المدرسة وأولئك الاعلام . حتى أثمر غرسه . وازبـد بحره . فرجع الى قبيلته . فانتصب للافتاء ولفصل الخصومات والقضايا . فهو وقرينه الفقيه مبارك بن ابرهيم ـ المتقدم ـ فقيها (مجـاط) غـير أن الاقبال الذى وقع على مبارك بن ابرهيم لم يقع على المترجم . وكان لايزال أعزب حين مات . وسبب موته لا يعرف . غير أنه وجد صباحا ميتا . وكان هووعمه الحاج عدي علىحالة واحدة فىالدار فيقول الناس انه هو الذىتسبب في قتله . فنادت عليه القبيلة بذلك . وأباحت دمه لأوليائه . ثـم قتلـوه بعد حين .

آثـاره

لم نقع له على أثر من الاثار . الا ما كان من هذا الذى اتحفني به بعض الاخوان . نصه :

(الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (وبعد) فالواجب عـلى الاب لابنه المعسر . الغير البالغ . النفقة والكسوة . وهي مأبه قوام معتـاد حال الآدمي . دون سرف . كما هو حد ابن عرفة . ومن ذلك المحدود يباع مال الاب في حق الابن . كما هو صريح ابن سلمون وغيره . ولا يباع مال الاب لتقتضى منه ديون الابن دون رضاه . اذ لايستباح مال امرىء معصوم الا بالنص عليه أو الرضا الذى لا مرية فيه . ولا وجود لواحد منهما فـي

نازلتنا . فبقى المال مال رب المال الذى هو الحسين بن مبارك (أويات) به عرف . وعقد الرهن الذى عقده مع المرابط سيدى البشير بن سيدى الحسن من أبناء يحيا فى حقله صحيح لان البيوع الفاسدة تعطى حكم الرهن . وهو ينعقد بل يصح ويلزم بمجرد القول . ثم يطلب المرتهن الاقباض . قال ابن الحاجب : يصح الرهن قبل القبض ولا يتم الا به .

فتعريف ابن عرفة الرهن بقوله : (ما قبض توثقا به فى دين) معترض بأنه لايشمل من الرهن الا ما هو مقبوض . فظاهره أن غير المقبوض لايسمى رهنا . وليس كذلك . لانه لا خلاف فى المذهب ان القبض ليس من حقيقة الرهن . ولا شرطا فى صحته ولا لزومه . فأنت ترى القبض والاقباض متأخرين عن الرهن . والمتأخر عن الشيء غيره . ولما حصل الرهن واذن الراهن للمرتهن أن يضع يده على المرهون . مع رفع الراهن اليد عن المرهون . وتخليته بينه وبين المرتهن . فذلك حوز يتم به الرهن . وليس لأحمد بن المبارك ان يمنع المرتهن الذى هو المرابط سيدى البشير بن سيدى الحسن من حقلة أخيه الحسين بن المبارك المرهونة تحت يده بوجه من الوجوه ولا بحال من الاحوال . الا بالافتداء منه . باذن مالكها فيه . وبه كتب فصلا بين المذكورين . وحكما للمرابط أن يتصل بتلك الحلقة . وعلى خصمه أحمد ابن المبارك القناعة بعد التحكيم . بتاريخ أوائل شعبان عام ١٢٩٨ عبد ربه مسعود بن على بن محمد (المجاطى الجوى من أبناء على بن ابرهيم لطف الله بالجميع) وهذا كل ما ظفرنا به من آثار هذا الفقيه . وكفى به دالا على معرفته بالنوازل . وكيف تفصل . وكيف يجول فى النصوص الفقهية حتى يؤيد ما رأى أنه حق . وعذرنا فى ايراد هذا الاثر الفقهى هو بعض أعذارنا التى ذكرناهافى ترجمة رفيقه مبارك بن ابرهيم . ليطلع القارىء غير السوسى على بعض الرسوم فى سوس . وكيف تصاغ . وليرى العربية تستعمل فى الرسوم لافرق بينها وبين مثلها فى الحواضر .

اتصاله بالالغيين

كان يرد على العلامة سيدى محمد بن عبد الله وعلى والده سيدى عبد الله قبل . ويردان عليه .

على التازونتى العداني

المجـاطي

نحـو ١٢٤٢ هـ = ١٣٢٢ هـ

نسبـــه :

على بن محمد بن محمد بن يحيا بن عبد الله بن الحسن بن الحسن .

يا عجبا ما أضيع التاريخ فى المغرب . ومـا أكثر تفريط ذويـه فى رجالهم وعظمائهم . حتى لايكاد يمر عن أحدهم الا بضع سنوات حتى يصير نسيا منسيا . مع أنه كان له فى حياته دوى كما يتناول المرء اذانه بأصابعه العشر . فلا أدل على ذلك من على التازونتى هـذا . فانـه من أسرة علميـة كبيرة من (اكنى ايعدان) وممن اشتهر شهرة كبيرة فى اخر القرن الماضى وفى أول هذا القرن . وأول ما رأيته يذكر . أننى وقفت على مجموعة فى أوراق الاستاذ محمد بن بلقاسم التيبيوتى الالغى . فوجدته يكاتبه كثيرا . ويعتمد على فتاويه . مع أن هذا من أقرانه . وذلك فى العقد التاسع مـن القرن الثالث عشر .

(اكنى ايعدان) يوجد فى شرقى منازل (أيت موسى) أحد أفخاذ مجاط . قرية مر فيها علماء . وكانت فيها مدرسة قديمة . تدرس فيهـا العلوم ـ كما أخبرنى العم ابرهيم ـ وهذه الاسرة التى رفعت فيها رايـة المعارف تنتسب ـ فيما يقول العدانيون ـ الى عكاشة الصحابى الشهـير . ويقولون انهم من قبيلة (الازد) . وبهذا أخبرنى الفقيه الحسين التيمكيدشتى ولد صاحب الترجمة . ولم استحضر الآن أينتسب عكاشة الصحابى الذى يذكرونه جدا لهم أعلى الى قبيلة (الازد) أم لا . وقد سالته عن نسب متصل الى عكاشة فقال : ليس عندى الآن .

اتصل صاحب الترجمة على بن محمد بعد ما حفظ القرءان بشيـخ الاسلام فى الجنوب المغربى فى وقته الشيخ أحمد بن محمد التيمكيدشتى سنة ١٢٦١ هـ . كما أخبرنى به ولده المذكور . فيكـون أمضى تحت يـد الشيخ ثلاث عشرة سنة . لان وفاة الشيخ كانت سنة ١٢٧٤ هـ . فهنـاك

استقى معارفه . ومن ذلك البحر روى حتى تضلع . كما كان كل من أخذوا عن الشيخ . ثم قطن هناك فى (تيمكيدشت) المباركة . وتزوج فيها . وفيها أسس أسرته . ثم انه يشارط ويقضي ويفض النوازل . وكثيرا ما يشارط فى مدرسة (أيت وفقا) وفى مدرسة (ايزربى) . وكلتا المدرستين فى (الغ) ولكنه قلما يبغى بالاولى بديلا . لانه يألف قبيلة (أيت وفقا)حتى انه اذا لم يشارط فى مدرستهم شارط فى(تافكاغت) وكان علامة نوازليا حافظا المتون مستحضر للنصوص . قائما على ذلك العلم أحسن قيام . كما أخبرنى بـه العم ابرهيم . ولم يحظ بالتعليم . ولا اشتهر له تئاليف . كأنه من علماء مروا فى ذلك العهد ـ ومنهم ابن بلقاسم التيبيوتى ـ لا يلتذون الا بالقضاء وفض النوازل . وخوض مشاغبات المتنازعين . ورحم الله الاستـاذ سيدى سعيد بن الطيب الاكمارى الذى كان يقول عن نفسه : ان الباب الذى فتح لى . وكانت لى فيه النتيجة التامة . فصل المخاصمات . وجذ جبالها . وفـى ذلك كل لذتى . أو كما قال : فيما حكى لى أحد بلدييه . وذلك ما لم يقصد منه أخذ الرشا والبراطيل . واشادة الابيجادات (١) والاباطيل . من أفضل ومن أعظم الذخائر عند الله . وانما الاعمال بالنيات .

وقد كان لصاحب الترجمة وصلة تامة مع عميد (الغ) محمد بن عبد الله رحمه الله . وقد وقع مرة أن الاستاذ الالغى تنازع مع محمد بن بـلا بـن موسى . حول مال (أيت باها) فتراضيا صاحب الترجمة . فحكم للاستاذ . واستحكمت المعرفة بينهما بذلك . وتأصلت جذور المودة . الى أن امتـدت الى خليفة الاستاذ من بعده أبى الحسن ابن عبد الله . ولكن اصطدما فى قضية وفقاوية فتفرقا . وذلك أن أهل (أغرابو) وأهل (مستالات) من (أيتوفقا) تشاحنو على أملاك فاقتضى القانون المتبع أن يرتضيا من يفصل الدعوى من العلماء . فلم يتفقا على عالم معين . فارتضى كل فريق من راقه من العلماء . فانتدب أهل (أغرابو) صاحب الترجمة . وانتدب الآخرون الاستـاذ أبـا الحسن على بن عبد الله الالغى ـ وهذا هو القانون ان لم يتفق الفريقان على فقيه معين ـ فاختلف نظر الاستاذين . فتوقف الحكم عـلى عالـم يستأنف عنده ما حكم به كلا الاستاذين ـ على العادة أيضا فى مثـل ذلك ـ فاتفـق الفريقان عـلى الاستاذ محمد بن عبد الله الكرسيفى ـ وهو اذذاك مشارط بالمدرسة الوفقاوية ـ فأيد حكم الاستاذ على بن عبد الله الالغى . ونفذ حكمه

---

١) الابيجادات : الاباطيل . واما البراطيل . فهى الرشا للحكام .

على يد الجماعة ـ كما هى العادة ـ فكان بذلك انقطاع الوصلة بين صاحب الترجمة . وبين الاستاذ على بن عبـد الله . وكثير مـن مشاحنـات العلماء النوازليين لاتنشأ الا عن مثل هذا القضية . ثم تجيء الشخصيات فيزدادون تفرقـا .

(أقول) هكذا تدور الاحكام الشرعية فى تلك الناحية . تحكيم أولا . لفقيه أو لفقيهين . ثم استيناف . ثم التنفيذ على يد الجماعة .

ءاثـاره

الآثار التى تنتظر من أمثال الاستاذ هى الآثار الفقهية . وقد ذكرنا منها ما اتصلت به أيدينا فى (مجموعة الغ الفقهية) وفيما ذكرناه هنـاك كفاية . ولم أطلع على ما سوى ذلك . وخطه وسط . وقد عمر حتى ناهز الثمانين فيما ذكر لى ولده . وقد ذكرنا ءانفا أن قرية (اكنى ايعدان) قرية علمية . وانه تخرج منها علماء منهم صاحب الترجمة . وقد انقطـع اليـوم العلم من (أكنى ايعدان) ولكن أهله لايزال غالبهم يحفظون القرءان الكريم

الثاني من علمائهم الحسين بن علي

هـذا هو ولد المتقدم . وهو بعد والده فقيه فى (تيمگيدشت) يتولى النوازل بعد الاحتلال فى محكمة (تافراوت) عن الايسيين وقد أخذ عن والده وعن فقهاء مدرسة (تيمگيدشت) وقد لاقيته مرارا فى (تافراوت) وحالتـه التى رأيتها له حسنة . وقد توفى بعد ١٣٦٥ هـ

الثالث ابرهيم بن الحسين

أحـد فقهاء هـذه الاسرة . وقد تخرج بالعلامة محمـد بـن ابرهيم التامانارتى ثم التانكرتى فى مدرسة (تانكرت) . ثم أخذ التصوف عن سيدى سعيد بن همو المعدرى . فكانت له احوال حسنة . توفى بعـد صدر هـذا القرن .

الرابع احمد بن عدي الواوراداسي الايعداني

فقيه ءاخر يذكر من فقهاء هذه الاسرة المتأخرين . ولا أعرفه عنه الآن

شيئا الا أنه يجول في النوازل . وءاثاره في ذلك موجودة .

الخامس الحسن بن حمو

فقيه ءاخر يذكر أيضا من بين فقهاء الاسرة . لا أعرف عنه أيضا شيئا الا أنه نوازلي يحكم في القضايا . وهو غير بعيد عن وقتنا هذا .

السادس علي بن الحسن بن حمو

ولد من قبله .

فقيه أيضا كأبيه . خلفه في ميدان النوازل ويشارط في المساجد . ولا أعلم أيضا عنه الآن الا ذلك .

السابع الحسن بن سعيد

هو أيضا مثل أبناء عمومته هؤلاء . لا أعرف عنه أيضا الا أنه مثلهم يذكر بأوصافهم .

الثامن عبد الله بن الحسن بن الحسن

هذا الاستاذ عالم علامة من أحد العلماء الذين يحكمون في القضاء . في قبيلة (مجاط) وما اليها . وكانت لهم شهرة في أواسط القرن الماضي. وقد ولد قبل ١٢٢٠ هـ وتوفي نحو ١٢٧٠ هـ واحكامه المحررة في القضايا موجودة بكثرة . في سلات الرسوم في (مجاط) وما اليها . وقد توجد حتى في القبائل النائية عن (مجاط) فقد أطلعت له على كتابة تتعلق بـ (أكادير) بناه أحد شيوخ (أساكا أوبلاغ)بأزاغاروكلامه وسوقه للنصوص . وتكثيرها فيما رأيت من أحكامه مما يدل على باع الرجل وسمو قدره في علم النوازل

سالت عنه الفقيه الحسين بن علي المجاطي التيمكيدشتي ـ وقد لاقيته ٦ ـ ٨ ـ ١٣٥٦ هـ فيمركز (تافراوت) ـ فقال : انه من أبناء أعمامنا. وان كان لايعرف من نسبه ما يصل به الى السلسلة التي ذكرها لي عن والده علي التازونتي ـكما ذكر ذلك في ترجمته ـ وأفادني أنه ممن أخذوا عن الشيخ عبد الله البوشيكري . وانه ما اتصل به . ولا تصدى لأخذ العلم حتى كان كبيرا متزوجا . ولذلك ضعفت ملكته في العربية التي تحتاج الى ممارسة كبيرة من الصغر . واما الفقه فهو فقيه جيد . قال لم أعرف أنه أخذ عن غير البوشكري المذكور ـ وعبد الله البوشكري توفي نحو ١٢٦٥ هـ ـ

كان أول من حدثني عن هذا الاستاذ العم ابرهيم لانه شاهد له أحكاما كثيرة من بين رسوم كثيرة . واثنى على كل ما رأى منها . ثم أتاني الاستاذان عبد الله بن ابرهيم ابن العم . وعلى بن صالح الاوفقيرى ببضعة أحكام له . فرأيت خطا حسنا وكلاما يدل على مهارة صاحبه . وقد نشرت ما تيسر من هذه الاحكام في (مجموعة الغ الفقهية) وذلك كله ما أمكن لنا أن نتوصل به من ءاثاره . وحكمان من هذه الاحكام مؤرخان بسنة ١٢٦٣ هـ . وذكر العم أن وفاته تشبه أن تكون حوالى ٧٠ من القرن الماضى . ولكون تلك الشهرة التى كانت له تتوقف على زمن كثير بعد أن يتصدر ترجح لنا أن لايكون له من العمر ما هو أقل من ٥٠ سنة . ولذلك ذكرنا أن ولادته قد تكون قبل ١٢٢٠ هـ . وذلك حدس لا غير . ولكنه ظن غالب . والله أعلم . فوا أسفاه على ضياع التاريخ . حتى يكون أعظم عالم ليس بيننا وبينه الا بضعة عقود من السنين . لانجد له من الآثار ما يحقق لنا مكانته التى نتراءاها له من بين بعض الآثار التى أفلتت من الضياع . ولولا حقوق الاموال التى تتعلق بهذه الآثار . ولولا سلات الرسوم التى يختم عليها . ولولا يد الضنانة التى تكون للناس على رسومهم وما اليها . لكان صاحب الترجمة مع جلالته فى زمانه . وشهرته الكبيرة فى منصبه . ممن انمحت منه اليوم ذاكرة التاريخ كما انمحت من ءالاف مؤلفة من أمثاله فى المغرب الذى عشش فيه التفريط وفرخ . وبذ فيه سكانه جميع سكان الكرة الارضية . وماأضيع أمة أضاعت تاريخها . وما أجهل خلفا ليس لهم اسلاف يحتذون خطاهم فى طرق المعالى ولكن أكثر حملة الاقلام لايعلمون . فضلا عن غير حمله الاقلام .



الفقيه سيـدي

على البوعلاشى المجاطى

نحو ١٣١٤ هـ = نحو ١٣٧٢ هـ

نسبـــه :

على بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن ابرهيم البوعلاشي .

من فخذ (أيت يوسف) أعلى من (تاسريرت) واصل أسرته من(أمانوز) ثم الى (تاوريرت) من (ايت وفقا) ثم الى (أمالو أوسرگ) ثم الى «وانكيم» ثم الى محلهم الآن . ومحمد بن ابرهيم هو الذى سمى بوعلوش – أى صاحب الثور – لان سيدى هاشما التازروالتى أعطاه ثـورا بعد أن انتهب قبيلـة (مجاط) فكان يحرث به . وكل من مر به يقول له سلاما عليك يا أبا علوش فلصق به . ثم سمى ولده بأبى علاش . أى صاحب العجول . ثم أطلـق ذلك على المحل .

مقعلمه

ابتدأ حروف الهجاء عند الاستاذ سيدى ابرهيم بن أحمد من ءال العسرى السملالى ثم عند الاستاذ ابرهيم الكثيرى . وكان عند الاول فى بلده فى (بيعلاش) وعند الثانى فى (أداومحمد) فى المدرسة بهشتوكة . ثم ابتـدأ الاجرومية عند سيدى محمد أوعابو ١٣٣١ هـ والزواوى والجمل واللامية . ثم قتل أوعابو . فكان صاحبنا من الدين واروه فى رمسه . ثم انتقـل الى مدرسة (سيدى الزوين) فعاد الى تجويد القرءان . فأتم هناك ختمة فى أيام سيدى حامد . وذلك فى ١٣٣٢ هـ . ثم اشترط فى مسجد بقبيلة (حمر) ثلاث سنوات . ثم حالت به الدواليب الى نحو ١٣٣٨ هـ فالتحق بمدرسة (ايغشان) فلازم أستاذها أبا القاسم التاجارمونتى الى سنـة ١٣٤٦ هـ . فقرأ عليه الالفية أربع مرات . والمختصر مرتين . تمت احداهما . والتحفة مرة . والتلخيص والمقامات مرتـين تمت أولاهمـا . والمقنـع والسلـم . والاستعارات مرتين . والهمزية والبردة مرارا . والفرائض الرسموكيـة

والسملالية من الحساب مرات . والبخارى من أوله الى اخره مرة . وثانية الى كتاب المغازى . ولامية العجم . وبانت سعاد . والمتون النحوية الصغرى أعادها عليه كالاجرومية والجمل والزواوى واللامية . وهذه المتون الصغار عند معين ذلك الاستاذ في المدرسة سيدى محمد بن أحمد بن الحاج صالح الالغي . والزقاقية عند الاستاذ التاجارمونتي نفسه مرتين . والرسالة مرتين . وابن عاشر مرة . هذا ما أخذه هناك فاشترط في (تاوييت) عام ١٣٤٧ هـ . ثم تزوج ولازم داره . ثم لما مدت الحكومة يدها على قبيلة (مجاط) كان من الذين تجول أيديهم في المسائل الشرعية في قبيلته المذكورة . وقد استنشدته فأنشدني لعبد الله بن طاهر (كما زعم) :

أبى دهرنا اسعافنا في نفوسنا   واسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها   ودع أمرنا ان الاهم المقدم

وانشدني أيضا في معرض الثناء على انسان :

ولا زال محروس الجناب منعما   بأصناف نعمى وارفات ظلالها

وانشدني أيضا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

ولست ببراء عيب ذى الود كله   ولابعض ما فيه اذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة   كما أن عين السخط تبدى المساويا

متقلباته

كان كما ذكرنا يخب ويضع في القسمة للتركات في (مجاط) في سنين كثيرة . مع ما يصيبه في ذلك من المراقبة من الاهانات . في عهد الاحتلال . ثم لم يطل في ذلك . فقد لاقى ما يلاقيه كل أمثاله من الفقهاء والصالحين . وبعد ١٣٦٥ هـ ورد علينا بـ(مراكش) فوقفت معه عند القائد الحسين الكنتافي . فكان في مدرسته التى بناها للعلوم في (تينيمل) بـ (وادى نفيس) بضع سنوات . ثم كان في محل اخر . ثم رجع الى بلده فبقي فيه قليلا . فوافاه أجله . رحمه الله . وقد كان يتردد كثيرا على الالغيين بل قلما يغبهم . فتلاحم ما بينه وبينهم . جعلها الله صلة الفوز أمام الله . وله مع أخينا سيدى محمد مودة ومواصلة . فضلا عن الطلبة الالغيين .

الفقيه سيدي

احمد بن حمو التاغجيجتي

١٢٣٥ هـ = ١٢ - ١٣١٧ هـ

نسبـــه :

أحمد بن حمو - محمد - بن صالح بن بلخير بن علي بن ابرهيم بن بلا بن الحسين ابن أحمد بن عثمان بن بلا .
من فخذ تسمى أبا الارواح من قبيلة (أداحمد) وتنتسب لأحمد بن عثمان هذا . وهذه القبيلة سبعة أفخاذ :

١ - فخذ أبي الارواح ٢ - فخذ اد هيـّران ٣ - فخذ اد الهرهار ٤ - فخذ الراموش ٥ - فخذ اد مبارك ٦ - فخذ اد محمد بن مبـارك ٧ - فخذ اد باعدي .

وفي(تاغاجيجت) - الآن - فخذان منها : اد أبو الارواح . واد هيـّران ومركز القبيلة الخاص (فاصك) وقـد كانت (تاغاجيجت) تضـم جميـع (اداحمد) الا أن قبيلة (اد برهيم) حاربوا (أداحمد) حتى أجلوا غالبهم عنها

الاول احمد بن عبد الله الهيراني

يوجد فقيه من (اد هيران) اخوان (اد بو الارواح) . وهو أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن عبلا بن الحسن بن مبارك الهيراني . ولد ١٢٦٣ هـ . واخذ القرءان عن الاستاذ عمر التاجگالتي . والعلوم عن الاستاذ الحسين بيبيبس . وشارط في مدرسة (اد شعود) وفي مدرسة في (بعمرانة) وفي مدرسة (أگدير مقورن) وكان يفتي ويقضي قليلا . ويكثر منه الاصلاح بين الناس . ويميل الى المسكنة . وقد توفي بعد عمر طويل سنـة ١٣٤٧ هـ وله ولد يسمى عليا من حفظة كتاب الله . وهو حي الآن في بلده .

الثاني احمد بن حمو

الفقيه الكبير المذكور الذي رفع راية الافتاء والقضاء في تلك الجهـة

ما شاء الله .

مته‍لمه

هذا الاستاذ الكبير أخذ القرءان من مسجد (ايرز) من (تاغجيجت) عند الاستاذ بلقاسم بن المحجوب الركراكى التاغجيجتى والركراكيون كثيرون هناك . توفى هذا الركراكى قبل انصرام أواخر القرن الماضى لازمه نحو ١٦ سنة . ثم انقطع للعلم فى (أدوز) أربع سنين عند الاستاذ العربى بن ابرهيم . ثم لازم الشريف الكثيرى ١٤ عاما . وقد كان هناك نساخا . حتى عد ما نسخه هناك باثنين واربعين مجلدا .

استقراره في بلده

وحين جاء وجد أهل بلده جاهلين لا يعرفون كيف الوقوف مع الشرع حتى انهم يدفنون الميت أولا ثم يصلون على قبره . فبذل جهده فى تقويم اودهم وتعليمهم حتى لقنوا الشرع وعرفوا كيف ينقادون له .

مشارطاته

كان ثمانية أعوام فى مسجد (أگادير مقورن) وكان حينا فى مدرسة (سيدى على بن سعيد) وفى مدرسة (سيدى محمد الشريف) وفى مدرسة (بوزاكارن) وفى (أداى) الحربيلية وفى سنة ١٣٠٣ ﻫ حين زار ملك ذلك الوقت مولاى الحسن (أكلميم) وفد عليه هو وسيدى الحاج المدنى الناصرى . فأهدى اليه بعض كتب . ثم أصدرهما راكبين على رمكتين . وزودهما بالتحرير . ثم بعد ذلك لازم داره الى أن توفى . وقد كان درس حينا . فهناك بعض من ذكروا انهم أخذوا عنه . ولم يكن يترك الدراسة فى داره . وقد كانت له صحبة مع الالغيين . فكان يكاتب العلامتين سيدى محمد وسيدى عليا . وقد يتراد معهما بعض المشكلات الفقهية .

الثالث ولده محمد

ورد العلامة سيدى الحسين ببيبيس على (تاغاجيجت) للتعزية فى سيدى أحمد لما بينهما من التعارف عند الشريف الكثيرى . فذهب بولده محمد . فحفظ القرءان تحت يده . وقد كفاه كل المؤن . ثم علمه الفنون الى أن تخرج . فوقف معه حتى شارط فى مدرسة (بوزاكارن) بعد ١٣٣٠ ﻫ . وقد ولد ١٢٩١ ﻫ فبقى هناك ثمانى سنوات . ثم الى (أگادير

مقورن) في بلده . أربع سنين . ثم سنة في(أمسرا) ثم رده القائد المدني الى (بوزاكارن) الى ١٣٥٢ هـ . ثم ذهب به القائد الحاج أحمد الضارضوري الى الكتابة . حيث بقي في مركز الحكومة عامين ثم لازم داره الى ان توفي شعبان ١٣٧٧ هـ وقد كان يزاول الافتاء وفض النوازل كثيرا وقد خلف ولده أحمد وهو من كتاب الله . ولد ١٣٣١ هـ

قولة ابن الحبيب في احمد وابنه محمد

ومنهم العلامة الذى حاز قصب السبق فى الفقه . العلامة أبو العباس سيدى أحمد بن حمو التاغجيجتى . قرأ هذا السيد رحمه الله على الفقيه بيبيس بالاخصاص . فكأن الفقه فلك هو قطبه . أو جسد هو روحه ولبه وقد انقشع به غمام الغي والجهل فى تلك الجهة . حكم بين الناس وافتى . وازال ظلم الجبابرة فى أحكامهم العرفية . حتى صار الحق واحدا فيحياته ولا يطمع أحد غيره . وبقى على حاله منقبض الحال مع النـاس . لا يعرف للبسط معهم طريقا حتى هابوه . ولا يقدر أحد أن يقابله بمكروه أبدا . فجعل قبضه مع الخلائق ترياقا . توفى رحمـه الله فـى حـدود العشرين وثلاثمائة وألف)

ثم قال فى ولده محمد :

(ومنهم ولده الفاضل . والمولى الكامل . أبو عبد الله سيدى محمد ابن أحمد الوارث من أبيه كل المجد . كالنفحة من الند . أديب أريب نجيب وقد صحبنى بـ (الاخصاص) مدة قراءتنا لدى الفقيه بيبيس . وصحبنى اذ رأى انعطافى عليه (وشبه الشيء منجذب اليه) كان عاكفا عـلى دروسه متعففا . ولجنى العلم مقتطفا . وهو الآن فى قيد الحياة . يعلم العلم للاولاد أصلح الله حالنا وحاله)

(أقـول) ان ابن الحبيب ذكر أن أحمد أخذ عن بيبيس . والذى تحقق وثبت أنه أخذ عن الشريف الكثيرى بلاريب . وهو من أقران بيبيس لا من الآخذين عنه . نعم أخذ عنه ولده محمد كما رأيت .

الرابع احمد بن بلخير

نسبـــه :

أحمد بن بلخير بن بلعيد بن محمد بن صالح الى ءاخر ما تقدم ابن عم أحمد ابن حمو المتقدم . ولد ١٣٣٧ هـ واخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن الحسن الشريف التازاروالتى الاصل يقطـن فى (تاغاجيجت) فـى مسجـد

(اد بلا همو) في(تاغاجيجت) توفي ١٣٦٧ هـ وعن الاستاذ محمد بن الحسين من (اد باعدى) كان يشارط في ءاخر عمره في (اصبويا) وهنـاك توفـى بعد ١٣٦٣ هـ

ثم افتتح العلم عند الاستاذ القاضي محمد (أوبالوش) فيمدرسة (الجمعة) من (أيت عبلا) لازمه ثماني سنين . ثم الى الاستاذ محمد بن الطاهر فـى (تانكرت) عامين . ثم الى المدرسة (الوفقاوية) عند الاستاذ أحمد اليزيدى . عامين . فتخرج استاذا لقنا فهما مشاركا . وقد جالسته فوجدته من سادة أقرانه . يستحضر الادبيات وأخبار الوقت . فطن لبق لاتطرق له العصا.

مشارطاته

أول ما شارط فيه مدرسة (اد موسكنا) في (بعمرانة) ثلاث سنين . ثم الى الجامع الكبير في (افنى) ثم الى مسجد (تاوريرت نحروش) عامين . ثم الى (إيغير) في (تامانارت) خمس سنين حيث صار أستاذا فـى المـدارس الابتدائية الحديثة . ثم انه قدم الاستعفاء من تلك الدراسة أملا في أرفع من تلك المرتبة . وهو أهل لكل مرتبة قعساء . لو يساعد الدهر أمثاله من النبهاء . ولكن شيمة الدهر الاعراض عن الالمعيين .

من منشداته

أنشدني لأبي العباس اليزيدي يخاطبه ملغزا :

يا أيها البارع في الحساب لا جرت في القصد عن الصواب
ما عدد لـه نصيف وعشر فذاك ما بين الحساب قد ذكر
وليس الا أن تضرب نصفا مثـلا فيما تلا وما جلا فيما تلا

فأجـــابـــه :

جوابك القارع في العشرينـا قبيـل خمسمائـة مبينـــا
وبعدها الالفان هذا ما قصدت اذ هو جامع لكـل ما أردت

وخاطب الاستاذ محمد بن ابرهيم البعمراني الذي تولى الآن منصبا في القضاء يقول :

اسقنيها فانني ذو اشتياق لارتشاف من شربها الترياق

فأجـــابـــه :

دونك الكأس يا نـديمي دهاقا فاشربنهـا يا صاحب الاشتيـاق

وهكذا يجارى أقرانه فى المذاكرات وفى المساجلات الادبية . ولـه يد غير قصيرة فى المشاركة بين الفنون . كما لـه نباهـة وشفوف وألمعيـة وتطلع الى المعالى التى كان أحق بها وأهلها . مع عزوف وترفع عن الدنايا .

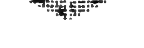
الخامس صالح بن بلخير

أخو سيدى أحمد المذكور قبله . وأسن منه . وقد ولد نحو ١٣٢٥ هـ وأخذ القرءان عن الاستاذ أحمد بن محمد نبوهيا التاغاجيجتى ولا يـزال حيا . ثم لازم مدرسة (تانكرت) فأخذ عن ءال سيدى الطاهر . وهو وسط فى معلوماته . ويشارط الآن فىمسجد (أكادير مقورن) ولا يزال حيا الآن

السادس محمد بن بلخير

أخوهما وهو تلو أخيه صالح ولد نحو ١٣٢٧ هـ . وأخذ القرءان عن الاستاذ المذكور . وكذلك لازم ءال الطاهر حتى حصل ما قسم له . وقـد أخذ أيضا عن أبى محمد سيدى عبد الله الالغى فى مدرسة (سيدى على بن سعيد) الاخصاصية .

هؤلاء فقهاء هذه الاسرة التاغاجيجتية المباركة . وهى كما ترى مـن الاسر العلمية السوسية . ينبغى أن تزاد على الاسر المذكـورة فى كتـاب (سوس العالمـة)



الفقيه سيدي

احمد الايغيري التامانارتي

نحو ١٢٨٠ هـ = ١٣٢٧ هـ

نسبـــــه :

أحمد بن محمد

من فخذ يسمى (ءال على أوموح) وتسمى فصيلته (أيت مبارك) من قرية (ايغير ويلولن) وكلهم سود . وقد ظهر هو واخوته المحفـوظ و محمـد . وللمحفوظ يد من المعارف وأما محمد فانه فقيه يذكر . وربمـا جـال فـى النوازل كأخيه المترجم. وسمعت أنه من الآخذين من (تيمكيدشت) ولم يتوف الا بعد الاستقلال . وكان يشارط فى المساجد فى تلك الناحية عمره كله .

وأما أحمد فذكر لى أنه أخذ عن الفقيه محمد بن على السوقى التانكرتى المذكور فى ترجمة سيدى الحاج الحسين الافرانى(١) ولا أعلم له الآن أستاذا ءاخر . الا أن يلم بـ (تيمكيدشت) لان أهله يتنابونها كثيرا . ثم لازم مسجد قريته فاعتنى به . لانه جامع تقام فيه الجمعة . فجدد بناءه . ثم ارتطم فى الحكم بين الناس . وله اتصال بفقهاء عصره . خصوصا ءال (الغ) وقد رأيت مراسلات بينه وبين الاستاذ ابى الحسن . وكثيرا ما يستفتيه فى العويصات . وكان يلازم حضرة القائد الحاج أحمد . ولا يكاد يزول عن حضرته . كالفقيه الشافعى السكتانى . ولذلك قام القائد بأخـذ ثاره حين قتل . وهاك خبر قتله وما جرى بسببه من الحرب ـ باختصار ـ

كان بين عدى انفلاس من (أيت ويلول) وبين بعض أهله دعوى عنده . فحكم عدى ثم استدعاه ءال سعيد بن ابرهيم من (اد ابرهيم) فحملوه على أن يرجع عما حكم به . فجاء فبات عند عدى . فخاس فيه العهد . فأغلى مقراجا من الماء فصبه فى فيه الى ان مات . ثم ربطه على حمار . فأمر انسانا أن يذهب به الى أهله . فقامت الهيعة بأعلام الناس بالطلقتين من بندقيتين (على العادة) فصلى عليه الناس . فقام أهل (ايغير) وقعدوا . وقالوا للقائد اننا سنضع أيدينا على أموال (أيت يلول) فوافقهم على ذلك. فاذا بـ (ادبرهيم) وردوا على

١) فى (الجزء الرابع)

القائد ينكرون عليه ذلك . فقال لهم : انما ابرم وانقض بكم . . واذ أبيتم فانني أرجع في الذي أمرت به . فحضر ١٤ من الايغيريين . فلما أحسوا بما ينويه القائد تسللوا فذهبوا . ثم أرسل اليهم الابراهيميون باننا سنبيت عندكم . فلم يقبلوا ذلك . فأتى الايغيريون ببقرة فذبحوها على أهل (القصبة) من ءال نحلة (تاحكات) أعداء القائد الذى هو مـن ءال نحلـة (تاكوزلت) فاجتمع شملهـم . فذهب الابراهيميـون الى (وادى نون) فـ (الاخصاص) فـ (مجاط) يجمعون قبائل (تاكوزولت) فـأتى رؤساؤهم الى (تامانارت) على نية توطيد أعدائهم (تاحكات) فاذا بهؤلاء قاوموا بأشد مقاومـة . قـال القائد المدنى الاخصاصي بعد ذلك : انني كنت أظن أن أهـل (القصبـة) لايقدرون على المدافعة فاقترحت في المجمع أن لا تمس يد المرابطين أبنـاء الشيخ ان احتلت (القصبة) فقيل لى : وهل هناك عدو سواهم . فلما خرجنا الى الحرب . قلت لأصحابى من (الاخصاص) اجتمعوا لنا لنكون على أهبـة لتخليص ديار المرابطين . ولكننا بقينا الى أن انتصف النهار . فاذا بأهـل (القصبة) ردوا عن أنفسهم . واذا بالاموات في الرجل والخيل فيأصحابنا واذا بأصحابنا يندحرون فينفضون . فلما رأى أصحابنا ذلك . تفرقوا على أن يجتمعوا ثانيا بعد ٢٢ يوما . هذا وقد جاء الى (القصبـة) البعقيليـون وبعض أتباع (تاحكات) فأعان في مئونتهم ما في اهراء الجماعات من (ايغير) و (القصبة) وما في (هرى الشيخ) وفي هذا الوقت جاء وفد العلماء مـن (الغ) يسعون فيالصلح . ولم يجدوا أولا ءاذانا صاغية. ثم لم يقبل الصلح الا بعد اعياء الفريقين . هكذا دافع القائد عن ثأر الفقيه ما استطاع أولا . حتى غلب على أمره . ثم دافع أهل قريته مع من أعانهم من أهـل نحلـة (تاحكات) ما شاء الله . وهذه من الحروب التى أثرت في مدخرات القائد الحاج أحمد . حتى أداه الحال الى أن صار يرهن من أملاكه . لتموين الجيوش ولكن ماذا عسى أن تجدى الحرب بعد ما ذهب الفقيـه غيلـة رحمـه الله . ومحررات قلمه تطفح به سلات الرسوم في تلك الناحية .



الشيخ احمد دوكنا

نحو ١٢٦٠ هـ = ١٣١٨ هـ

نسبـــه :

أحمد بن محمد المختار ابن الفقيه ابن الاعمش .

أسرة كبيرة في العلم من قبيلة (تاجاكانت) التي يقطن بعضها اصالة قطر (شمامة) ازاء (كندر) ومن هذه كانت أسرة (ءال ابن الاعمش) هؤلاء . ومساكن «تاجاكانت» شتى . فمنهم (ءال تاكَانتم) وهو قطر بين (نـدر) و (شنكَيط) وهو قطر عظيم تقطنه قبائل شتى . ومنهم فـي «الحوض» . والذين في مدينة (تيندوف) أصل بعضهم من غير (ءال ابـن الاعمش) . كانوا يقطنون «زمور» في الصحراء و (الساقية الحمراء) الى (اكَيدى) الـى (وادى درعة) . يتنقلون ما بينها . وقد كانوا نزلوا في (تيندوف) حوالى ١٢٧٠هـ فيالقرن الماضي . وعمارتها قريبة غير بعيدة . ومنءال(تاجاكانت) علماء كثيرون . وقد قرأت مجاوبة بين أحدهم وبين أبي العبـاس أحمـد أحوزى الهشتوكي في أواخر القرن الحادى عشر . وأحسبه ذكره فـي رحلته الاولى الى الحج . وهي مخطوطة . وقد كان فريق من (تاجاكـانت) نزل في « رأس الوادى» من قرون . وفيه علماء رأينا بعض ظهائر تتعلق ببعض صلحائهم ثم كانت رئاسة أخيرا في بعضهم . فالقائد أحمد بن مالك المشهور من عهد مولاى الحسن الى عهد مولاى عبد العزيز من هذا الفريق . ثم ان (ءال ابن الاعمش) المتأخرين فيهم علماء نتتبعهم كما هي عادتنا في علماء الاسر .

الاول ابن الاعمش الكبير

كان يسمى هكذا . ولد في (شمامة) وهناك تعلم حتى صار عالـما كبيرا . ثم حج ومر بـ (تاجاكانت) في (زمور) في الصحراء فنزل عندهم. ثم تزوج فولد له ولده الآتي محمد المختار . ثم رجع الى (شمامة) مع ابنه هذا وهو صغير . وفي (شمامة) توفي قبل ١٢٦٠ هـ . هكذا حكى لي العلامة سيداتي . ولم يكن عنده عنه أكثر من هذا . مع أن الرجل عظيم القدر . رفيع الشأن . يستحق أكثر من هذه الترجمة الصغيرة . وتوجد فتاواه

مخطوطة عند القاضي محمد بن سعيد الغرمي الجزاري فيما يذكر .

الثاني محمد المختار

هو ابن ذلك العلامة المتقدم الذكر . وكان عالما جليلا يدوى صيته في كل هذه الجهات . وهو فريد في العلوم وفي القراءات . فاليه يصار في حل المعضلات . وفتح أبواب المشكلات . كان تعلم على والده وعلى غيره من علماء (شمامة) ثم نزل بالشيخ سيدى محمد ابن الشيخ سيدى المختار الكنتى . فلازمه حتى صار بحرا عظيما متموجا كبيرا في كل ناحية من نواحي حياته . ويقولون انه لم يبطىء عنده . وقد استخدمه الشيخ في نساخة كتاب . ففتح عليه في الحين . ثم ودعه فذهب الى اخواله (ءال تاجاكانت) بـ (زمور) فشارطه رئيس من تلك القبيلة . يقال له الديماني يصلي به ويعلم بنيه . وزوجه بنتيه بالتتابع . وهما أمهات بعض أولاده . وبعد موت الديماني فارق (شمامة) وقد كان محمد المختار مولعا بمحاربة قبيلة (الركَائبات) لانهم كانوا قتلوا الشرفاء بـ (أكَيدى) ءال مولاى الطائع أحفاد مولاى على الشريف السجلماسي . ونهبوا متاعهم . وتركوا عيالهم بمضيعة . فكان يرى جهادهم لانهم محاربون . فكان يقوم في ذلك بسلاحه وبيراعه . فيكتب الفتاوى في ذلك . ويغرى الناس على محاربتهم . ويقول: ان السلاح يصلى به بدمائهم كما هو مشهور في دماء الكفار . وكان الذى تولى كبر قتل الشرفاء أحد كبار (الركَايبات) رئيس يسمى ابن ناصر . فحين سمع المترجم بفعلته أقسم أن الله لابد أن يسوقه الى يده حتى يذبحه كالشاة . فأبر الله قسمه . فأغار هذا على البربر (أيت خباش) بأصحابه . ثم في رجوعهم تفرق أصحابه عنه . فمر مع صاحب له الى (تيندوف) وقد أخذ العطش بأكظامه . فأخذه المترجم بيده . فأمر العبيد أن يذهبوا به معتقلا الى ربوة هنالك . تسمى الآن (كويرة ابن الناصر) فقتلوه هناك حداً وأخذاً بثار الشرفاء .

وكان المترجم هو الذى أشار على (تاجاكانت) أخواله ببناء مدينة (تيندوف) فكان أول ما بنى فيها المسجد الاعظم . يخدم فيه حتى النساء المحتجبات ليلا . والرجال نهارا . احتسابا لله . ثم شرعوا في بناء الدور . وذلك ١٢٧٠ هـ أو في ١٢٧١ هـ . وكان يدرس هناك الحديث . وقد مر هناك العلامة الشهير في الشرق محمد محمود التركزى . فبقى هناك ما شاء الله . يدرس صحيح البخارى ثم توجه الى المشرق كما مر هناك الشيخ ماء العينين فصلى في المسجد . ما شاء الله . ومحمد يحيا الولاتى في رحلته الى الحج . وكان من عادة محمد المختار ان يهتم بمحاربة (الركَائبات) وبفصل

الخصومات . وبدراسة العلم . وكانت له مؤلفات . منها مؤلف عندى . وهى رسالة صغيرة . وعنده غيره . وكان صالحا مكرما خصوصــا لآل البيت . وكان يسمى الشرفاء اخوان الله وجلاويزه (١) . توفى ١٢٨٥ هـ . ودفن فى (تيندوف) فى مشهد عليه قبة ـ بناها الشريف مولاى على ابن التهامى . من تلاميذه . وهو صهره على بنت من بناته ـ ولم يكن من عادة العرب فى كل الصحراء بناء القباب ـ الا أن (تيندوف) تأثرت بما يجاورها من المغاربة الذين ألفوا هذه البدعة التى نهى عنها الشارع ـ كذا قال سيداتى ـ

الثالث محمد الصغير

أحد أولاد محمد المختار . وكان مشهورا بالبسالة والعبادة . ولــه مشاركة فى المعارف . ويشتغل بالتجارة الى (تنبكتو) فاكتسب أموالا طائلة وكان معروفا بالتهجد سفرا وحضرا . لايفتر عن ذلك . وقد أغار ليلــة (ءال أسا) و(الركائبات) على مدينة (تيندوف) فوافقه ذلك عند سدس الليل الاخير . وقد خرج للصلاة فى المسجد على عادته ـ فصادفهم دهموا القرية ـ فقاومهم مقاومة عجيبة بعدما اتصل الى داره . فتسلح منها . فأردى منهم قتلى فتنحوا عن جهته . ثم صدقهم ءال المدينة الحرب صباحا . حتى أجلوهم عن المدينة . توفى ١٣٣٠ هـ ؛دفن فى قرية (توزونين) بعد أن رحل أهله عن (تيندوف) عام ١٣٢١ هـ وله دار فى (توزونين) وبنته هى زوجة الفقيه سيداتى الذى يحكى لى الآن هذه الاخبار .

الرابع محمد المولود

أكبر الاخوة . له فى العلم يد . وشغله تلاوة القرءان . وقد يسكن أحيانا بين (ءال مربيض) و (دو بلال) يزوره الناس . لانه معتقد . مات فى أوائل هذا القرن ودفن فى الروضة فى (تيندوف)

الخامس محمد الامين

أحد الاخوة . هو عالم جليل كبير القدر . وله رسائل فى الحض على صون النساء . كما يحضهن أن يصن ألفسهن. وأخباره خافية مع قرب عهده. ولكن الالسنة متفقة على الثناء عليه بكل جميل . توفى قبل محمد المولود . ودفن ازاء والده فى القبة .

السادس عبد الله

أحد الاخوة . كان له رسوخ فى العلم . حفظ المختصر لخليل . وكان

١) الجلاوزة : الاعوان . جمع جلواز بكسر فسكون .

يجول في القضاء بين الناس . وكان كأخيه أحمد دوكنا من رجال العلم فى ناحيته . والناس يقتدون بهما . وربما درس ان وجد تلميذا . وتوفى نحو ١٣٢٦ هـ في (توزونين) بمقبرة (تاجاكانت) هناك . وهى خاصة بهم منذ نزلوا هناك ١٣٢١ هـ الى ١٣٥٢ هـ وقد دفن فيها من النساء التاجاكانيات الحافظة لكتاب الله اثنتا عشرة . وكانت له يد لا بأس بها فى المعارف .

السابع مُحمد احمد بن محمد المختار

هـذا وقد وجدت بخط شيخنا سيدى محمد بن الطاهر ما نصه : (خاطب سيدى محمد أحمد بن محمد المختار بن الاعمش جنـاب شيخنـا ووالدنا سيدى الطاهر التامانارتي بقوله :

يا طاهر زانت الدنيا مفاخره ... وانحط عن قدره الاسنى مفاخره
فالغيث بجًا وثجًا دون نائلكم ... والغوث علما وحلما أنت باقره
لازلت ترقى العلا منفضل خالقنا ... ونسلكم أبدا تعلو مفـاخره

وانشدنى لنفسه ما بدا على حسن ظنه بالله :

جهلى كثيف وافعالى مصرحة ... أنى قبيح وفعل الله بى حسن
ان جئته تائبا أنسى الكرام حياً ... أو جئته سائلا حفت بى المنن

ولـه أيضـا :

عليك بباب الله يقضىلكالارب(١) ... ولا تذكرن غيرا فذاك هو الحجب
فان شموس الذكر يشرق نورها ... على السر اشراقا يضىء له القلب
ولازم طريق القوم واعلم بأنه ... هو المنهل الاصفى ومشربه عذب
تواضع تنل بالذل مرتبة العلا ... وتابع طريق المصطفىيغفر الذنب)

الثامن عبد الله بن محمد الصغير

ولد أحد الاخوة المتقدمين . له مشاركة فى العربية . أخذ عن أهله وعن الفقيه سيداتى فى مدينة (أراوان) حين كانا هناك . وكـان تـاجرا كعادة أهله . توفى فى (توزونين) نحو ١٣٣٤ هـ

التاسع احمد دُوكْنا

أخذ عن ابيه محمد المختار . وتطبع بطباعه فى المحاربة مع (الركَائبات) وعنده كما عند أهله علم سر الحرف . وكان متواضعا . يأخذ عن العلمـاء الذين يمرون بـه الى الحج . فيأخذ عن محمد محمود التركزى . كما أخذ

١) بسكون الراء هنا . مع أنها محركة فى الاصل .

بلا ريب عن الشيخ محمد يحيا الولاتي قرينه حين مر الى الحج ١٣١٢ هـ فقد نزل الشيخ في قرية (ءال العبد) فكان المترجم يذهب من قرينته الرمضانيين الى منزل الشيخ . ولا يبالي بما عسى أن يقول الرعاع فيمثل ذلك حين يعيرونه بالخضوع بعد لعلماء عصره . مع أنه من أكابرهم . فقد كتب المترجم الى الشيخ الولاتي اذ ذاك نذكرها على ما في قافيتها :

الى العالم الارضى الكريم المبجل — وفاتق رتق المشكلات من أول
وحائزخصل السبق فيكل مشهد — وراضع البان العلوم بلا مثل
من أحيا به الرحمن كل شريعة — أميتت واخزى ملة الظلم والجهل
سلام يفوق المسك ريا وطعمه — ألذ مذاقا من جنى النحل والنخل
فموجبه اعلامكم بمحبة — من الحائر المحتاج للخدن والشكل
واني على العهد القديم اليكم — واعلامكم من واجب القول والفعل
فلا تنسنا في كل حين بدعوة — جليلة قدر يا امام ذوى فضل

كما خاطبه أيضا الولاتي بقوله :

سلام كزهر الروض فاح له عرف — فتاهت علىالاسماع مننشقه الانف
سلام يفوق المسك طيبا تحفه — تحية تكريم يرافقها ألف
سلام الى كهف المكارم من اذا — بدا وجهه استحيا لهيبته الطرف
الى أحمد البر الفتىالشامخ الذرى — له العدل يمنى والكرامة والعرف
هو الفضل نجل الفضل والفضل جده — له أكرم الاحساب والنسب الصرف
(وبعد) فان البر والفضل والندى — واكرام أهل الفضل سيمى لكم تصفو
تبرهم بالقول والفعل والقرى — وتكرمهم دأبا وترفو ولا تهفو
وان جاء غر ثان لعلم سقيته — بأكؤس علم زانها اللطفوالعطف
واني لكم حب جميع وداده — يزيد على مر الظهور ولا يجفو

ومن نظم أحمد دوكنا أيضا ما خاطب به شيخنا أبا محمد الطاهر التامانارتي ـ نذكرها على ما فيها في القافية ـ

الى الطاهر الارضى الكريم المبجل — رضيع لبان الجود والعلم والفضل
ووارث أرباب المكارم والتقى — من أجداده حتى علا كل معتل
سلام كعرف المسك أذكى أريجه — واشهى مذاقا من رحيق معسل
وأطيب فيالاسماع منصوت مزهر — بكف خبير بالغنا مترسل
تشفعه أسنى التحايا ورحمة — تدوم مدى الاصباح من متطفل
يروم بذا عرفانكم ووداكم — وحبكم فالفضل للمتفضل

جزيتم باحسان كثير ونعمة — وخير كثير دائم متسلسل
فلازلتم للحق ركنا مشيداً — متينا وقامعا أقاويل مبطل
ولا غرو ان كانت مئاثر فيكم — وراثة نور عن كرام وأول
فانت بذا أولى وأحرى وليس من — يباريكم فى القول صاح او الفعل
وصلى على عين الوجود محمد — دوام اندفاع السيل من هاطل الوبل

احواله

كان عالما فقيها . مشاركا في العربية والفرائض والتاريخ . وعلم الاسماء . والتفسير والحديث والسيرة . قائما على ساق الجد في دائرة علمه فيدرس ويقضي ويفتي وينسخ ـ وقد أحيا الله به العدل في تلك الجهات ـ لانه كان جبلا راسخا في العض على الحق . لايتحول عنه قيد شبر ـ ولم يعهد منه أن توصل برشوة . ولا يقدر أحد أن يزنه بذلك . لانه علم مشهور في ذلك . يشهد له الاباعد قبل الاقارب . وقد كان شمس « تيندوف » كل حياته . فكانت الاستفتاءات . والاسئلة العلمية . وأهل الدعاوى . يترددون اليه . وكثيرا ما يثوى في قرية (توزونين) في حضرة القائدين محمد بن علي وبلعيد المريبطيين. وقد رأيت بين ظهائرهم ورسائلهم خطه كثيرا . وكان حينا من الدهر قاضي كل جهة (تامانارت) لايعلى عليه . والناس يقبلون عليه ويرضون حكمه ويفضلونه على أقرانه من فقهاء تلك الجهة كأحمد الايغيري. وكمحمد بن بداح الاقاوى .لانهم يوقنون أنه لايجنف ولا يحول عن الصراط المستقيم . وقد كان في علم النوازل بارعا . الا أنه لسكناه في الصحراء . ولعدم مخالطته كثيرا أهل هذه النواحي الشلحيين ربما يغيب عنه ما به العمل عند الناس في بعض القضايا المحلية . ولهذا نقض بعض أحكامه العلامة أبو الحسن الالغي . ولاشك أن مثل هذا لا يقدح في علمه . ولا يجعل ثلمة في عظمته . وقد مثل في حضرة السلطان مولاى الحسن . ومدحه بقصيدة . فولاه قضاء (تيندوف) أخبرني بذلك الشيخ سيداتي وقد رأيت أنا ظهائرملكية وظهائر لأهله قبله في يد أحفاده أما ديانته وتالهه . وانحياشه الى الخير وأهله . فان ذلك عنه مستفيض . وقد راوده بعض جبابرة تلك الجهة أن يكتب له شيئا مما يخالف الحق. فقام من أمامه غضبان وهو يقول له : هل تحضر لي يوم الحساب حين تعرض على أعمالي ؟ وقد كان ذاكرا كثير الاوارد . متحريا في معيشته . لايتقوت الا الخالص من الحلال . وقد ألقيت له المحبة في القلوب . وزرع له الاحترام في الصدور . فأينما توجه هناك يلاقى باكبار واجلال . ومتى ذكر فاضت حوله سجال مفعمة من الثناء العطر .

كانت لاهله خزانة كبيرة جلها مخطوط . فيها ـ على ما سمعنا ـ نوادر من الكتب القيمة . فكان حريصا عليها . وقد صارت اليه بعض كتب الشيخ محمد يحيا الولاتى التى عجز عن الاصحار بها بعد مرجعه من الحج . فلا تزال الى الآن ضمن الخزانة .

مع الالغيين

قد رأيت أن له اتصالا بالاستاذ ابى الحسن الالغى . وقد نقض لـه حكما حكم به فى قضية . ولكن المترجم لم يزورً جنبه بذلك عن الاستاذ . فلم يزل بينهما تراسل. فقد وقفت على هذه الرسالة من المترجم الى الاستاذ (الفقيه البركة . امام الادباء . وقدوة البلغاء . أبو الحسن سيدى على بن عبد الله من قرية (الغ) السلام على ذلك الجناب . وذلك المقام المستطاب . ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فقد وصلت رسالة سيدى وفرحت بما فيها . ونطلب الله أن يجعـل الاخوة لله . وقضيـة (بيمخيويضن) وكذلك قضية (اليوساوى) لم أحكم فيهما الى الآن .. وان أراد سيدى أن أعلمهما برأيه فى ذلك فلا بأس . وما عليه خاطركم فاعلمونى به . والسلام فى شعبان ١٣١٦ هـ الفقير أحمد دكنا وفقه الله) . وقد لاقى مرة الشيخ الالغى مع طائفته . فتأدب مع الشيخ . وتعجب الناس الحاضرون من كثرة تأدبه معه. ثم لما أراد أن يفارقه طلب منه المشابكة على الاخوة لله . فشابكه الشيـخ . وقد كان الشيخ كلما ذكر عنده من قبل هذا اللقاء يثنى عليه . وقد أخبرنى أحد أصحاب الشيخ من أهل قرية (ايموگاديس) انه سمع المترجم يقول : ليس فى زماننا هذا مثل الشيخ سيدى الحاج على . وقد تأثرت بملاقاته . فوجدت فى قلبى ما لا أجده مع غيره .

أولاده

أولاده عدة . منتلا ومحمد المختار . ومحمد الصغير . فاما الاخير فانه لايزال حيا الآن رئيسا فى مدينة (تيندوف) وله طلب ما .

العاشر محمد

هذا هو الولد الثانى لاحمد دكنا وهو أصغر اخوته المتقدمين . ولعله تخرج باخوته . عالم مهتم أخذ من (تيمگيدشت) ومن (أيت صواب) اعتبط صغيرا . جرفه نهر (انليوًا) فى تاگراگرا ازاء (ايسى) هو ورفيق لـه من أهل بيته . وذلك فى نحو ١٣٤٥ هـ

أحد أولاد أحمد دوكنا . وهو الذى له علم كثير . بين اخوانه . ومعنى الاسم أمانة الله صحف الى ذلك . أخذ عن أبيه الفنون فى المبادىء . ثم عن الاستاذ محمد مبارك الامام الراتب لمسجد (تيندوف) علمه الواسع فـى الفقه . وقد حفظ كثيرا من المختصر . له بصر حاد فى الفقه . ثـم ءاب الى (ولاتة) والى (تنبكتو) وكان أيضا معينا بالتجارة وبقي فى (شمامة) حتى رجعت الحياة الى (تندوف) ١٣٥٢ هـ . فأرسلت اليه الحكومة . فاستقر في مثوى أهله . فكان قاضي المدينة حتى توفي نحو ١٣٦٠ هـ وبه انقطع العلم في ءال ابن الاعمش على ما سمع .

هذه التراجم أخذتها عن الشيخ سيداتي . ولاريب أنه أعرفهم .

الثانـي عشر : ومن شباب هذا البيت عبد الرحمن الذى كان يأخذ في الحواضر وقد صحبني قليلا في (مراكش) وحضر بعض الدروس . ثم كان في (البيضاء) فانخرط في أصاب الكفاح سرا . أيام الازمة ١٣٧١ هـ ثم التحق بالعراق . فكان يعمل بقلمه وينشر من أخبار المغرب . ثم بعد الاستقلال . وقع له اصطدام في سيارة . فلحق بربه . وهو شاب لقن مخلص رحمه الله . ولم يزل والده يتردد الينا . وقد رزئت الاسرة بموته وباللحاق مدينتهم (تيندوف) بالصحراء الفرنسية . فتفرق شملها بذلك . وكتبهم قيل لى لاتزال فى (تيندوف) .



القاضي محمد بن بداح الاقاوي

١٢٦١ هـ = ١٣١٢ هـ

نسبـــه :

محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن ابرهيم بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد ـ فتحا ـ بن أحمد بن محمد بن على ابن الشيخ الشهير محمد ـ فتحا ـ بن مبارك بن على بن زيان بن موسى ابن محمد ـ فتحا ـ بن يحيا (ويحيا هو المشهور المدفن في مقبرة مـدينة (تنبكتـو) بالسودان ابن عبـد الله بن مَحمد ابن الشبكى (دفين المقبرة بزاوية (آسا) وقد اشتهر هناك) ابن على بن الشبلى بن يعلى بن محمد بن بربوش بن وصفى ابن ظفر بن يعرب بن ايلالـن بن غفير بن حسن بن ثابت (وفى الحسن بن ثابت هذا التقى بنو الحسن الجعفريون . وهم دليم ابن الحسن . وجعفر بن الحسن . ومحمد بن الحسن ورحمان بن الحسن . وبوربوش بن الحسن) وهو الحسن بن ثابت بن عباس بن عبد الله بـن جعفر بن أبى طالب .

هكذا وجدت نسب هذه الاسرة الاقارية ـ ويقولون ان جدهم يحيا بن عبد الله كان مدفونا في مدينة (تنبكتو)ـ ومن هناك جـاء بعض أولاده الى مدينة (تامدولت) ثم لما تخربت انحاز هؤلاء الى (أقا) حيث لايزالون الى الآن ويقولون ان مَحمد بن يحيا وعلى بن زيان قبراهما موجودان فـى مقبرة (القصبة) بـ (أقا) والسيد الشبكى له مشهد في زاوية (أسا) . وله ذكر مع الشيخ (يعزى ويهدى) الذى توفى بعد صدر القرن الثامن (١) . وقد انتشر هؤلاء الذين ينتسبون هـذه النسبة الجعفرية في (سوس) وكلهـم يقولون انهم من (تامدولت) . وقد رأيت من أنساب بعضهم فـى قبيلـة (ايغشان) وفى (أملن) وفى (ايلالن) ما يدل على أنهم يتصلون بهؤلاء فـى اجدادهم الاعلين ـ وقد علم ما أدعاه ابن خلدون من عدم دخول الجعفريين الى المغرب ولكن المؤرخ أحمد بن خالد الناصرى رد عليه فى كتابه (طلعة المشترى) والكتاب مطبوع فى (فاس) فليراجعه من شاء فالناس مصدقون

---

١) وقد ذكر هو وأهله فى « الجزء العاشر » .

في انسابهم – ولا يمكن أن يتفق المتفرقون في قبائل شتى على انتحال نسب واحد مكذوب . وانما الذى يلفت النظر أن كل الجعفريين الذين ينتسبون هذه النسبة في هذا الجبال الجزولية كلهم يرون أن أصلهم من (تامدولت) – ولا يبعد أن تكون هناك جالية كثيرة في هذه المدينة جاءتها من ناحية (تينبكتو) ثم تفرعت هناك . ثم في مساكنها الجديدة المتفرقة – وهذه الكثرة التى ترى في قبيلة (ايلالن) ممن ينتسبون هذه النسبة . لا يستبعدها العقل . فانظر الى سيدى أحمد بن موسى المتوفى ٩٧١ هـ فان المحققين من أولاده المتفرقين في البلاد الكثيرة الآن – يناهزون ألف دار – فان كان هذا من رجل واحد له من عهده الى الآن نحو ٤٠٠ سنة . فكيف نستبعد مثل هذه الكثرة في الجعفريين الذين ربما تفرعوا عن أسر متعددة من (تامدولت) التي تخربت حوالى رأس ٨٠٠ هـ فلها الى الآن زهاء خمسة قرون ونصف – ان لم تكن خربت قبل ذلك وبعض أهل البادية ينمون نمواً غريبا يلفت الانظار – فقد عرفت انسانا توفى ١٢٦٩ هـ وفى أولاده الآن أزيد من ثمانين دارا . والله أعلم بحقيقة الحال . وانما نريد أن يتسع مجال تفكير القراء (ثم وقفت على أن خراب (تامدولت) كان بسبب حروب بين الجعفريين . والشرفاء . مما يدل على أن الجعفريين هناك كثيرون . وهذه الاسرة الاقاوية من الاسر السوسية المباركة – لها ولرجالها ذكر في التاريخ – فأردت أن ألقى عليها نظرات على ما هو معتاد منا في الاسر السوسية . خصوصا التى تتصل بالعلم وبالارشاد بسبب متين . وحبل مرير .

الاول محمد بن مبارك

شيخ عظيم جليل . مضى عنه الآن نحو خمسمائة سنة . وذكره لاتزال الالسن به رطبة . وبه لهجة .

قال الحضيكى فيه :

(محمد بن مبارك الاقاوى السوسى من قبائل (المصامدة) المشار اليه بالولاية الكبرى . والخصوصية العظمى . كان رضى الله عنه أعجوبة من عجائب الدهر في التمكن . سريع الاجابة والانفعالات . كثير البكاء . وله من الكرامات مالا يعرف به اللسان . وكان رضى الله عنه يبعث اذا هاجت الفتن بين القبائل بالكف عن القتال . فمن تعدى أمره عجلت عقوبته في الوقت . وكان رضى الله عنه جعل لهم اياما معلومة يسمونها ايام سيدى محمد بن مبارك . لايحمل فيها أحد سلاحا . ولا يهيج فيها أحد عدوه . ولا يقدر فيها على المشاجرة . ويجتمع فيها الرجل بقاتل أبيه أو ولده .

ولا يقدر أن يكلمه . وذلك شائع في بلاد (سوس) عند العرب والعجم .
قال صاحب (الدوحة) : أخبرني السيد الفقيه الفاضل أبو القاسم بن يحيا المصمودى : قال أخبره والده وكان ثقة أنه كان مع أمه في نخيل لـه . فذهب يتوضأ . وبقيت المرأة . فرأت عرجونا أى عنقودا في نخلة شاهقة سحوق صعبة جدا . فقالت يا سيدى محمد بن مبارك خاطرك أن يرزقني الله من يقطع لي ذلك العنقود . فاذا رجل مر وراءها قد مد يده لرأس النخلة . فطأطأت النخلة رأسها اليه . فقطع العنقود . فطرحه بازاء المرأة وقال : كلي واشكرى الله . وأطيعي زوجك . ثم غاب عنها كلمح البصر . ورجعت النخلة الى حالها . وبقيت المرأة باهتة متعجبة ـ فجاء زوجها الوالد المذكور . فقال لها : مالك .فقالت : رأيت العجب . فقال لها : مـا صفة صفة الرجل . فوصفته له . فقال لها : ذلك سيدى محمد بن مبارك ورب الكعبة . وكان عرفه . ومناقبه كثيرة لاتحصى ـ وهو الذى أمر قبائل سوس بالانقياد الى السلطان الشريف أبى العباس أحمد . وأخيه أبى عبد الله محمد الشيخ وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله . لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد . فكان من أمرهما ما هو معلوم ـ توفي رحمه الله في صدر العشرة الثانية من القرن العاشر . ومما فشا وذاع في الناس من كراماته عن الثقات من ذريته وغيرهم أنه بلغه تحدث الناس بأمره . وقولهم ما علامة هذا الرجل أنه صالح . وما برهان كونه وليا كما يقول الناس ـ فلما أطلعه الله على ذلك أمر الخدام في الزاوية أن يجعلوا قفاف الخوص على الكوانين ـ أى مواقد النار ـ ويوقدوا تحتها . ويصنعوا فيها العصيدة للناس . ففعلوا فعجب الناس . وأيقنوا عند ذلك أنه من أكابر أولياء الله المخصوصين . فاعتقدوه واحترموه . وكان رضى الله عنه جعل للقبائل ثلاثة أيام في كل أسبوع . وفي كل شهر . كما تقدم أن لا يتعرض فيه أحد لاحد من خلق الله . حتى الحيوانات والحشرات . فصاد اعرابى يربوعا في يوم من تلك الايام ـ فقال بعض أصحابه أطلقه . فان هـذا اليوم من أيام عافية المرابط . فعدا عليه بكسر رجله . فصاح الاعرابى رجلى مكسورة عند ذلك. فلامه أصحابه في تعديه ـ ومنها أن عكـازه رضى الله عنه متى وضعه على شيء أو في مكان لا يتعداه أحد الا أصابته مصيبة . فيهاب الناس ما وضع عليه عكازه . ولا يقربه أحد في حياته وبعد مماته . وغير ذلك مما لا يعد) هكذا ذكر الحضيكى . ولم يبين وقت وفاته بالضبط . وقد ذكر بعض أهله أنه توفي ٩٢٤ هـ فتكون وفاته في العشرة الثالثة من القرن العاشر . لا الثانية . ومما يتعلق بالشيخ ما في (نزهة الحادى) ونصه . لما رأى

قبائل سوس ما دهمهم من تفاقم الاهوال ـ وطمع العدو فى بلادهم ـ ذهبوا الى الشيخ الصالح أبى عبد الله مَحمد بن مبارك ـ فذكروا له ما هم فيه من انتشار جماعتهم ـ وافتراق كلمتهم ـ وكلب العدو على مباكرتهم بالقتال ومراوحتهم ـ وطلبوا منه أن تجتمع كلمتهم عليه ـ ويعقدون له البيعة . فامتنع من ذلك . فذكر لهم أن رجـلا من الاشراف بـ (تاكمادارت) من (درعة) يقول : انه سيكون له ولولديه شأن . فلو بعثتم اليه وبايعتموه كان أنسب بكم . وأليق بمقصودكم . فبعثوا اليه . وكان من أمره ما كان . انتهى . من هذا الكلام تظهر مكانة الرجل حين زهد فى الرياسة وتنحى عنها لغـيره . وتلك مزية أعظم من كل تلك الكرامـات التى انتشرت عنه رحمه الله . وهؤلاء المبايعون انما كان أصلهم من (درعة) وأما منشأهم ففى (تيدسى) حيث كان الاخرون منهم يقطنون ـ كما ذكره (الزيانى) نقلا عن (مناهل الصفا) .

هذا وقد وقفت على مخطوط نقل من مخطوط ءاخر كتب سنة ١٠٧٢ هـ يتعلـق بأنساب الشيخ وأبناء عمومته بعد ما كتبت ما تقـدم فأحببت أن أسوقه باختصار . ونصه :

ان الشيخ مَحمد بن يحيا الذى قـدم من (تينبكتو) ـ وهو الذى تقدم أن والده يحيا دفن هناك ـ له أولاد : موسى وجعفر وعمران وأبو بكر والربيع ومنيع وعبد الرحمن ـ فأولاد موسى هم ءال الشيخ محمد بن مبارك. وأولاد جعفر هم ءال أحمد بن ابرهيم . وبنو شقيقه عبد الرحمن بن ابرهيم ابن محمد بن عبد الله بن على بن جعفر ومن معهم من بنى عمهم أولاد على بن جعفر . وأولاد عمران بن محمد تركهم والدهم مع (الشبانات) وهم أولاد الشيخ ابرهيم بن عبد المولى . وبنو عمهم سعيد . وأولاد الشيخ معاش . والشيخ أبو بكر أولاده مع مجاط فى (تيزلمى) وبعضهم فى (هشتوكة) . والربيع ترك أولاده مع (اولاد مطاع) بـ (تاشبيبت) وهـم أولاد يحيا بن مدغار . ومعهم اخوانهم بين الواديين . وهم أولاد محمد بن منصور وأخيهم منصور . وأولاد عبد الرحمن بـ (دكالة) وأولاد منيع بادوا بالوباء الاول. ـ لعله يعنى وباء سنة ١٠٠٦ هـ ١٠١٦ هـ ـ كتبه فى جمـادى الثانيـة ١٠٧٢ هـ عبد الله بن مُحمد بن أحمد بن مُحمد ابن على بن مَحمد بن مبارك ـ وهو من علماء الاسرة سياتى ـ ومحمد بن على بن محمد بن أحمد عم عبد الله بن مُحمد الذى كتب المخطوط . أعلم بثبوت النسب وصحتـه الحسن بن ابرهيم بن داود الايسى ـ وهو عالم جليل مشهور المشهد فـى قرية (أيت عبد القادر) من (ايكنان) بـ (وادى ايسى) لايزال قبره مشهورا

الى الآن تقام عليه حفلة سنوية - واعلم بمثل ذلك أيضا ابرهيم بن يحيا الاقاوى - وهو الفقيه الصالح القاضي في (أقا) زمانه - نقل ما في الاصل ١١٥٠ هـ عبد الله بن موسى النظيفي - وكان طالبا مشارطا في(القصبة)- وابرهيم بن أحمد) انتهى ما هناك باختصار .

وكان منازل ءال سيدى محمد بن مبارك منذ مجيء أول جد من أجداده القادمين الى (أقا) وهو سيدى محمد بن يحيا في قرية (القصبة) ولم ينتقل منها الى (الزاويــة) التى هى قرية الزاوية الآن الا الشيخ سيدى محمد ابن مبارك . فانه أمضى هناك كل حياته . لانه لما تكاثر عليه الطلبة . بنى لهم فى محل الزاوية الآن . ويختلف اليهم حتى سكن معهم . ومما يتعلق بالمترجم اننى وقفت على رجز فيه توسل باولياء صلحاء - فجـرى مـن بينهم ذكره بقول المتوسل - :

وبــولى الله خــير العلمــاء	من سره لاح كشمس فى السماء
القدوة المغيث ذى الرسوخ	خير الرجال علم الشيوخ
رب الكرامات التى قد اشرقت	أنــوارهــا فغربت وشرقت
صفوة كــل الاولياء حيــا	وميتــا بحر الصفا المهيــا
كم أبرأت همته العميانــا	وكشفت دعــوتــه الاحزانا
وهدأت عصاه حربا لاظية	فشملت بين العدا بالعافية
شيخ الشيوخ الكمل الهداة	رباهــم بالصدق والثبــات
سيدنا نجل مبارك ومــن	شهرته تزداد ما ازداد الزمــن
بجاهه يــا ربنــا أعنــا	واغفر لنا ذنوبنا وصنــا
ورد كيد الصائلين وادفــع	شرور كل جــاهل ومــدع

لا أدرى لمن هذا التوسل الا أنه لأحــد علماء (سوس) فــى القرن الحادى عشر - والزجر ينيف على السبعين بيتا . ومطلعه :

الحمــد لله الذى قــد شرعا لنــا اذا رزء يسومنــا الدعــا

وقد توسل فيه بالشيخ ابرهيم التامانارتى . وبالشيخ سيدى أحمد ابن موسى . وبالشيخ محمد بن يعقوب التاتلتى . وبالشيخ سيدى وكاك وسيدى الحاج يعزى . وبأبى محمد صالح بن واندلوس المشهور بـ (سيدى أوسيدى) بـ (تارودانت) وبسيدى محمد بن ويساعدن . وبسيدى عبد الله بن مبارك الاقاوى وبأبيأبرهيم الدغوغي. ومما خوطب به أيضا المترجم هذه القصيدة لبعض من شد الرحلة الى زيارة قبره :

اليك شددنا الرحل يا ابنمبارك	فأنت فريد السر غير مشارك
فمثلك من يشكى اذا ماشكا على	مسامعه المعروك ضيم المعارك

فانك باب الله يفتحه لمـــن	يراد به الاضرار بين المسالك
وانك سيف لا يفـل غراره	وان ظل يفرى الهام بين المعـارك
خصوصية نالتك من ربك الذى	أنالك كل النيل يا ابن مبارك
أتيناك يا شيخ الورى بتعطف	لنحظى بحفظ الله من كل شائك
فقد ناوشتنا العاديات فكن لنا	نصيرا معينا دافعا كل عارك

قد بحثنا عند أهل سيدى محمد بن مبارك عن مشيخته . فلم نقع على شىء . وقد حكى لى بعض الناس أن من بين أشياخه الشيخ سيدى محمد بن سليمان الجزولى وان لم يعرف أهلــه ذلك . وذلك ممكن كل الامكان . لان وفاة الجزولى كانت سنة ٨٧٠ هـ . ولم يعش ابن مبارك بعده الا نحو خمسين سنة . وترجمة الشيخ ابن مبارك ضاعت فى الحقيقة الا بقايــا لاتسمن ولا تغنى من جوع . فلا مشيخة ولا تلاميذ ـ مع أنه استفاض أن له جيشا جرارا من التلاميذ من الطلبة . ومن الاصحاب والمريدين ـ ولا نشك فى أن مقامه عظيم . وان صيته له دوى كبير . وناهيك بمن بلغ أن يقترح عليــه القيام بالامارة العامة . وبلغ انقياد القبائل له بما له من التأثير فيهم كما تقدم . وقد علم فى ترجمة الاستاذ العلامة سيدى على والد الاديب سدى محمد بن على التيلكاتى أنــه توفى فى (أقــة) وذلك فى نحو ٩٠٠ هـ والغالب أن له اتصال بالمترجم الذى له اذ ذاك صيت وشهرة فى كل جزولة ـ وربمــا تكون وفاته فى زاويته . والله أعلم .

الثاني عبد الله بن محمد ـ فتحا ـ

أحد ولدى الشيخ سيدى محمد بن مبارك ـ ويسمى عندهم الاعرج . وهو أصغر من أخيه على الآتى ـ وكان يعرج باحدى رجليه . وكان يذكر بعلم كغالب أهله الاولين . وقد تخرج بوالده فى العلم وفى السير والسلوك. وقد حببت اليه العبادة . فانخنس فى الاكمة التى بنى عليها بعد ذلك داره فى القرية التى احدثها وهى المسماة بـ (أكادير أوزرو) ـ حصن الحجر ـ فصار يتعبد هناك فى حياة أبيه . ثم أداه ذلك حتى أسس دارا هناك لايزال محلها معلوما الى الآن . وكذلك مسجد صغير فيه صفان ـ لايزال مزورا الى الآن . وقد زرته أواسط شوال ١٣٦٢ هـ وكان الناس يبتعدون عن الحلف فيه ـ ثم بعد ذلك حين عمرت القرية صار أيضا يذهب الى محل بعيد من القرية بقدر ساعتين . يتحنث فيــه فى قمة (وينسين) وهناك عين جارية تنسب له بكرامة فى نبعها هناك ـ وكان لا يزال حيــا ٩٧١ هـ لان رســم تحبيس له لايزال موجودا . وهو مؤرخ بهذا العام .

وقد ذكره البعقيلي في كراسته بما نصه بعد ذكر والده . بما كان الحضيكي نقله عنه بفصه . وان لم يعزه له :

(ومنهم ابنه السيد الوقور . العابد الشكور . سيدى عبد الله بن محمد بن مبارك . كان رجلا صالحا عالما عاملا . أدركته في حياته رحمه الله وزرته وتبركت به ـ وعاش على حالته تلك ـ حتى توفاه الله . نفعنا الله ببركاته)

وقد كان بعده أمر الزاوية لأخيه الكبير علي . وله ولدان محمد وأحمد

الثالث علي بن مَحمد بن مبارك

هو الثاني من الاخوين . وقد تولى الزاوية بعد وفاة والده . وكان عالما كبير الشأن . محترما عند الملوك . وقد كنا نعلم أن أباه هو الذى وطأ لهم الدولة ـ وزهد لهم فيها ـ وهو الذى وسع دائرة الزاوية . فأثل الاملاك وخصوصا في (هوارة) وفي (تارودانت) وفي(ترنة) وما الى ذلك . وقد لحقه أجله في « تيدسى » وأقبر هناك . وقد توفي قبل أخيه عبد الله كما يحسبه أهله . وقد اشتهر بغير ما اشتهر به أبوه من تدريس وغيره . وكانت زاويتهم اذذاك من أكبر زوايا (جزولة) لان عين الملوك متى لاحظت مكانا أعلت شأنه. وافلجت سهمه . الا أن أخباره مندثرة حتى عند أولاده . الا أنهم يقولون ان العلم لم ينقرض الا بعد سيدى عبد الله بن مبارك . فان كان رب الزاوية لايدرس . فانه يدرس من يستنيبه عنه .

الرابع مبارك بن على

كان لعلي بن محمد ولدان . أحدهما مبارك هذا . وءاخر يسمى محمد ابن علي ـ سيأتي ـ ومبارك تولى الزاوية . ولم يعلم من أخباره شيء . الا أنه مشهور بالصلاح . يقصد حيا وميتا . وقبره هو الذى يسامت قبر جده محمد بن مبارك من جهة رأسه . وقد شاع وذاع أن له كرامات كثيرة توثر. وله ولدان : عبد الله ومحمد .

الخامس مَحمد بن مبارك

كان عالما صوفيا . ذا قدر كبير . ومقام شريف . ووقع بينه وبين أخيه شيء فهجره الى (ماسة) الى أن توفي . وقبره مشهور هناك . فوق الكدية التى تحجب قرية (أغبالو) عن مكان مسجد (ماسة) . وقد زرت مشهده في شوال ١٣٦١ هـ كما في (الرحلة الثانية) من كتاب (خلال جزولة) ويحكى

أهل (ماسة) أنه كان يصحب السلاطين حتى مات هناك . وجهلهم بالتاريخ يجعلون السلطان الذى يصاحبه هـو السلطان الاكحل أبا الحسن المرينـى الذى كان عند عامة المغاربة . كهرون الرشيد فـى العالم الشرقى كلـه . فينسبون له كل عجيبة وغريبة . والحقيقة أن الذى سيعاصره سيدى محمد ابن مبارك هو عبد الله الغالب بالله . وولده محمد المسلوخ . أو عبـد الملك أوالمنصور الذهبى من الملوك السعديين . فلا يبعد أن يأوى اليهم فيصاحبونه معهم تبركا . حتى يدركه موته فى (ماسة) وعلى ضريحه هناك قبة صغيرة متينة . ولها فتوحات ومقدم .

السادس عبد الله بن مبارك

قال فيه تلميذه أبو زيد التامانارتى :

(شيخنا الوالى الصالح الجامع الرئيس . أبو محمد عبد الله بن المبارك كان من أعلام الدولة المنصورية ببلاد المغرب . انتهت اليه الرياسة فيها فى سياسة الادب . معظما عند ملوكها وعظمائهـا . مرجوعا اليه فى حوادث الامور عند نزولها واعترائها . ماضى العزم فى تأن وتؤدة . منتج التدبير . سديد الرأى . كامل الفضل . متين العلم والدين . شديد العنايـة باحيـاء القلب . وصفاء الباطن . حسن السيرة . ميمون المشورة . صادق الفراسة . له فطنة صادقة . ومروءة فائقة . ومئاثر حسنة . وءاثار فى الارض محمودة حدثنى العابد الزاهد تلميذه يعزى بن موسى التيملى . قال : كـان سبب اتصالى به أننى سألت ببلادنا رجلا يعرف بالخير أن يريننى وليا حيا . فقال لى عليك بفلان بـ (مراكش) فأخذت أمشى اليه . فسألت عنه . فاذا هـو رجل من أهل الاسباب . فقلت فلان بعثنى اليك أن تريننى وليا حيا . وكنا بـ(جامعالكتبيين) . فقال لى : غدا يوم الجمعة يصلى فىهذا المكان . فرصدته من الغد حتى جلس فيه سيدى عبد الله بن المبـارك . كـان بـ (مراكش) اذ ذاك وافدا على السلطان فحصل لى بذلك ثلاث فوائد فلازمتـه . ومـدار عبادته على المواساة . واطعام الطعام . وحضور الصلاة فى الجماعة . واصلاح ذات البين . ويتفقد الاسباب . وكان يؤثرها على التجريد لعموم نفعها . وله فيها نظر دقيق . واحتياط بالغ . وهو مع ذلك جواد كريم لاتفارقه أهبـة الضيافة أينما توجهت به مطيته . ويجيز الوفود بمثل جوائز الملوك . ويدارى أحسن مدارة . وينزل الناس منازلهم . ويسعى بنفسه ومالـه فـى قضاء حوائجهم . ويصابرهم فى جفائهم . فيتحمل أذاهم . ولا يكترث بما يلقاه من المشاق فى أمورهم . ويرى ذلك من أرفع المقامات فى زمانه . وردت عليه فى بلده سنة خمسة عشر وألف . فقدمنى للصلاة وحده ومع غيره . وأمر

أن أجيب عنه بالمشافهة والمكاتبة . وقرأت عليه كتاب (الانوار السنية) في اختصار صحيح الآثار . للامام ابن جزي . وكتاب (الشفاء) لأبي الفضل عياض . وكتاب (المنهاج) للغزالي قراءة بحث وتحرير . وكان ينبه على كثير من الاسرار والغوامض فيها . مع ما يضيفه لذلك من حكايات الاولياء . ومباحث الحقيقة المستغربة . ونكت أسرارها المستعجبة . وكثيرا ما كنت أتمثل في أثناء ذلك بقوله :

ولما انختها بذي الرمث واللوا	وجاوزت أعلام العقيق ورائيا
نزلت بوادي الجزع والايك ناعم	غضيض وصادفت النسيم اليمانيا
وارض ثراها المسك والنبت مندل	ورند وكافور وقد كان عاريا
فقلت أرى الوادي خصيبا وماؤه	أرى النور في ضفيه يعلوه صافيا
فقيل سعاد أقبلت بين سربها	وخاضته حتى صار بالنور حاليا

ولما بلغت قوله في (المنهاج) (وقد رأيت بمكة حرسها الله بعض المشايخ المنفردين من أهل العلم وهو لايحضر المسجد الحرام والجماعات مع قربه منه . وسلامته في حاله . فحاورته في ذلك يوما في حال ترددي اليه فذكر من عذره ما أشرنا اليه وهو أن ما يجده من الثواب . لايفي بما يلحقه من الاثم والتبعات في الخروج للمسجد ولقاء الناس) قال : ءاخذ بقول هذا الشيخ . واعتزل الناس وادخل عنهم . فقذف في قلبي أنه وري بقرب أجله . فتمثلت بقول الشاعر وكان ذلك عشية :

تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار

فاعتل علة وفاته . ولم يجلس للاقراء بعدها . وكان لاينفك أثناء مرضه عن مسألة يوردها . أو حاجة يقضيها . الى أن غلب عليه اغماؤه بنحو يوم أو يومين . فتوفي ليلة الاثنين لتسع بقين من رمضان سنة خمس عشرة وألف . ومولده رضي الله عنه . بذي قعدة سنة ست وثلاثين وتسعمائة فعمره تسع وسبعون سنة الا شهرا . أخذ عن العالم العامل الشهير فقيه (جزولة) أبي عبد الله سيدي محمد بن ابرهيم بن عمرو بن طلحة التامانارتي عن الحسن بن عثمان الجزولي التملي . عن الامام ابن غازي . وابي العباس الونشريسي. وأخذ أيضا عن الصالح أحمد بن سليمان الرسموكي(١) - المزواري - وأخذ عن الفقيه العالم العامل علم العلماء ابي العباس أحمد ابن عبد الرحمن المسكدادي . وأخذ أيضا عن الولي الكبير أبي العباس أحمد بن موسى السملالي . فقال أبو محمد عبد الله بن المبارك رضي الله عنه أتيته يوما أريد موادعته . فتمنيت أن يدعو لي بالفتح . فلما قربت حلقته رفع الي رأسه . وقال لي فتح الله لك على ما تمنيت . وأوصاني أن أعمل

---

١) وأما أحمد بن سليمان الفرضي الرسموكي فهو من (تاغاتين) متأخر .

لنفسك عملا تسعد به . قال : وحضرته يوما أكثر اعرابى من تقبيل يده . فقال له : . ان ترفع يـدك مـن الطعام وأنت تشتهيه . مامور بـه شرعا يا اعرابى) اهـ .

(أقول) وقد وقفت على رسالة لأحد أولاد أحمـد الذهبى تتعلـق بالمترجم . نصها :

عن أمر عبد الله تعلى أبى الحسن ابن أمير المومنين الشريف الحسنى أحسن الله اليه . وخار له فيما كان بمنه وكرمه ليستقر كتابنا هذا أسماه الله بيد المرابط الاحب السيد الاقرب أبى محمد سيدى عبد الله بن المبارك الاقاوى . يستمر له به العمل فيما أسسه له مولانا الوالد نصره الله من تحرير العشرين نائبة يختارها من حيث عينها من أقاربه حسبما صرح له الآن بذلك فى كتاب الوالد الذى بيده . استمرارا ثابت الرسم . مؤكدا لحكم . من غير مروم باهانة بوجه من الوجوه كلها . وكتب بـــه لانتصاف ربيع النبوى سنة تسعين وتسعمائة)

كان يسكن فى (الزاوية) حيث أمضى جده سيدى محمد حياتـه . فوجد المجد مؤثلا . والشهرة ضاربة أطنابها . والاحترامات تنهال عليهم من كل جهة ـ فكان أعظم شيخ علامة فى (جزولـة) معنيـا بالتدريس ـ اقتبس من همة شيخه التامانارتى . فاكب على التدريس . وقد تزوج بنتا من بنات شيخه التامانارتى هذا . فولدت له أحمد ومحمدا وبنات . كما تزوج أيضا بنت الشريف سيدى محمد بن محمـد بن أحمـد بن موسى . فولدت له مباركا وعكيدة التى تذكر فيما بعد . فكـان لـه أيضـا شأن بمصاهرته مع هاتين الزاويتين الكبيرتين . وقد كان ذا مال عظيم متسع . الا أن الله أكرمه فزوى عنه الافتتان بذلك . رحمه الله .

السابع مَحمد بن علي

هو الولد الثانى لسيدى على ابـن الشيخ سيدى محمد بن مبارك وذلك أن الحاضرين اجتمعوا بعد وفاة سيدى عبد الله بن مبارك . فقدمـوه على (الزاوية) فلم يطل عمره وقد وصفوه بأوصاف مغبوطة . والذلك اختير دون أولاد سيدى عبد الله بن مبارك . وقد وقفت على ظهير سعدى منخرم من محلات . نسوق ما بقى منه . . كما هو :

(أمرنا بحول الله وقوته للسيد المرابط الخير محمد بن على بن سيدى محمد ابن مبارك الاقـاوى أن . . الاعيون حيث يكـون . . . تناط من غير معارض له . و . . ينازعه فى ذلك . . كـدهـا

قبائل اهن . . دون لكلامه ويكونون عند أمره ونهيه وجدنا . . .
يكـون ناظرنا فيه و . . انبيين وبنهيهم توال . . اليه مـن
بينهم معدارشا والله تعـلى والسلام وكتب من ربيع الانور . . عشر)

الثامن احمد بن محمد بن علي

هو ابن المذكور قبله . تولى الزاوية بعده . ثم طرأ نزاع بينه وبين ابن عمه سيدى مبارك بن عبد الله بن مبارك . وذلك أن هذا قال لـه : ان الزاوية زاوية أبي واجدادى . فلابد أن استبد بها . ثم حاول أن يغتاله . فأمر ثلاثة من عبيده أن يسحرو اليه ليلا . عندما يفتح بابه قبل الفجر. فذهب احد العبيد . فأسر ذلك الى عكيدة زوجه . بنت سيدى عبد الله بن مبارك . وأخت هذا الغادر . فأنذرت زوجها . فهرب ليلا الى زاوية (أكادير الحجر) فحين جاء العبيد الى مضجعه وجدوا فيه ما يدل على أنـه فيـه . فاطلقوا ثلاث رصاصات . وقد كانت عكيدة جمعت هناك ثيابا على صفـة المضطجع . فحين فعلوا فعلتهم قالت لهم ان رأيكم قـد فال . وظنكم قـد خاب . فان الرجل قد فر . فقيدها أخوها بجامعة . فصار يثرب عليها . ويدور بها في سوق هناك سبع مرات تنكيلا بها . واهانة لها ولزوجها . فأرسلت الى خالها الامير على بودميعة فاتى بجيشه ليغيثها . الا أن مباركا ابن أخته لم يسلس القياد لنصيحته . فحاصر الزاوية ومن فيها من بعض القبائل التي تتبع مبارك بن عبد الله . الى أن سوى الامر . فرضى أحمد ابن محمد بالانحياش الى أبناء عمه (ءال أكادير) فسلم الامر في (الزاوية) للمذكور وامن بعده من أهله . ومن ذلك الحين تفرق ءال (أقا) فرقتين . كما أن ءال سيدى عبد الله بن مبارك انقطع فيهم العلم . وانبعث الشقاق المستمر بينهم .

ثم ان أولاد سيدى عبد الله بن مبارك ينقسمون الى أربعـة أفخـاذ : (١) أيت سيدى مبارك . وهم ينتسبون الى مبارك بن عبد الله هذا الذى تولى على (الزاوية) قهرا . وهم الآن زهاء عشر كوانين . يسكنون الى الآن في (الزاوية) لانهم وحدهم من يسكنون هنـاك (٢) أيت سيدى عمرو . وهو سيدى عمرو بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مبارك (٣) أيت سيدى عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن مبارك . وهم المعروفون بـ (ءال أوجـو) ويسكنون في (تاصرخت) بـ (اداوفينيس) وفي (تامكوكت) بـ«أداوزدوت» وفي (تاباينوت) بـ (رأس الوادى) وجدهم أحمد بن عبد الله دفـن فـي (تاصرخت) وهو رجل صالح مشهور المدفن فـي (تاصرخت) يقصد كثيرا في تلك النواحي بالزيارة . وله ذكـر فـي كتـاب (المحاضرات) لليوسى

(٤) أيت سيدى عبد الرحمن بن أحمد . وهو أحمد المذكور . يسكنون في (أيت وابلي) وفي (تابانيوت) بـ (رأس الوادى) .

وأما ءال أحمد بن محمد بن على المذكور ءانفا . فانهم فى (أكادير الحجر) وهم أربع كوانين فقط .

التاسع احمد بن محمد - فتحا - ءاخر

هو من ءال (تاصرخت) المتقدمين من ءال سيدى عبد الله بن مبارك . كان عالما حسنا يحترم في تلك الجهة . ويذكر بعلم . وقد أخبر من لاقاه ١٣٠٨ هـ في صلاة جنازة قدمه الحاضرون الى الصلاة عليها . فحصل لـه سهو . فوالى التكبيرات كالعيد - فسبح له الحاضرون . فتنبـه - ولعلـه الآن متوفى -

العاشر ابن بداح

هذا هو الذى عنونا به هذه الفذلكة . وهو عالم حسن مشهور من القضاة الرسميين الكبار (وهو غير ابن بداح التوزونيني . وان كانا معا فقيهين من (أقا) . متعاصرين)

أخذ القرءان عن ابن عمه سيدى الهاشمى بن عبد الله بن عبد الرحمن الوناسي . وسياتي بعد . وكان يلازمه في مدرسة (أداوزكرى) (١) وهناك حفظ عنده القرءان . ثم أخذ عنه مبادىء الفنون . وبعد ذلك لازم الشيخ سيدى الحسن التيمكيدشتي - التحق به ١٢٨٤ هـ - فهناك درس الفنون حتى اكتفى . بعد ما مكث هناك ثماني سنوات . ثم لما رجع ١٢٩٢ هـ جلس فى البلد الى أن توفى والده ١٢٩٥ هـ . ثم شارط في زاوية (أيت هارون من (ايسافن) نحو ٣ سنوات . ثم التحق بـ (ءال بلعيد) فكان عالم حضرتهم الى ١٣٠٣ هـ فتوصل بالقضاء الرسمي من السلطان المولى الحسن بعد ما أجاب السلطان القائد محمد المربيضي بقوله :

(خديمنا الارضى القائد محمد المربيضي سلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل كتابك بطلب تولية الطالب محمد بن بداح الاقاوى . خطـة القضاء بـ (أقة) و (مربيض) ونواحيهما . وان له عينا وغابة بـ (هوارة) مـن اجداده فاستولى له الغير عليها . طالبا المال الواجب لـه فيهمـا . وصار بالبال . أما طلب توليته فقد ساعدناك عليه . وهذا الظهير الشريف بذلك يصلك طيه . وأما قضية العين والغابة . فالعمل على ما حكـم بـه الشرع

١) أداوزكرى . أداوزدوت . أداونظيف . وأمثالهما مما أوله ادا . تكون الهمزة مكسورة .

فيهما . والسلام في ٢٥ شعبان عام ١٣٠٣) وفوقه الطابع الصغير
وهذا ظهير القضاء المبتور أوله : «وقع فيه بتر» :

(. . . وفصل الخصومات على التخصيص والعموم . حيثما قضى وأفتى . فعليه بتقوى الله العظيم . وطلب النجاة . وأمرنا بمراقبة الحق . وعدم مداهنة الخلق . واستحضار خشية الله في السر والجهر . وان لايحيد عن الطريقة المثلى . ويجتنب الهوى . بل يتحرى مشهور مذهب مالك . وان يتبع الشريعة في مهامه كل المسالك . والله يرشده ويسدده . وبالله التوفيق . والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله خامس شعبان الابرك سنة ثلاث وثلاثمائة بعد الالف) وفوقه الطابع الحسني الكبير .

انتهى الظهير على ما فيه من خرم . ولا يعلم الا الله كيف نسخنا بعض ما نسخنا بالتأمل الكثير . كأنما نستكشف الحروف التي تتركب منها الكلمات .

وهذا ظهير في العين نصه :

(خديمنا الارضى القائد صالح الهوارى . وفقه الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد اشتكى على حضرتنا العلية بالله . المرابط السيد محمد العربي الاقاوى من زاوية سيدى عبد الله بن مبارك . بأن له ملكا بعين أصداق من بلاد (اولاد الكورة) من ايالتك . ورثه من أسلافه . واستولى عليه عبيدة وحسون منهم . مع اخوانهما . وأبوا من اعمال الحق معه فيه . وأدعو في الملكية الشرعية . فنأمرك برفعهم معه للقاضي بـ(ردانة) وما حكم به فعليه العمل . في ١٥ شوال الابرك عام ١٣٠٣ هـ) . وفوقه الطابع الصغير .

فنفهم من هذا الظهير أن المترجم يسمى محمد العربي . وان كان لايعرف الا بمحمد وحده . وقد قرأنا أيضا بين ما رأيناه من ظهائره ما يدل على أنه كان اتصل بالسلاطين قبل هذا الحين وبعده فهاك ظهائرتدل على ذلك :

(يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أذنا لحامله الفقيه سيدى محمد بن عبد الرحمن الاقاوى في الكتابة لجانبنا العالي بالله . بما يتجدد من أخبار تلك النواحي . والاعلام بما يزيد وما ينقص . فعليه بتقوى الله . ومراقبة المولى سبحانه في تحرى الصدق . في سره ونجواه والسلام . صدر به أمرنا المعتز بالله ١٦ شوال الابرك عام ١٣٠٣ هـ)
وفوقه الطابع الحسني الصغير .

اخر :

(يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره . واجرى على ذلك مدراره .

اننا بحول الله وقوته جددنا للمرابط سيدى محمد بن عبد الرحمن الاقاوى بـ (حصن الحجر) من ذرية ولى الله سيدى عبد الرحمن بن مبارك . وابناء عمه سيدى عبد الله بن عبد الرحمن . حكم ما بأيديهم من ظهائر أسلافنا الكرام. سقى الله ضرائحهم شئابيب الرحمة. والروح والريحان. وبوأهم دار السلام . المتضمنة توقيرهم واحترامهم . وحملهم على كاهل المبرة واكرامهم ومحاشاتهم عن زمرة أهل (أقا) فى كل الاحوال . والباسهم أردية التعظيم والاجلال . تجديدا تاما . فنأمر الواقف عليه من عمالنا . وولاة أمرنا . أن يعمل بمقتضاه . ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه . صدر به أمرنا المعتز بالله والسلام ١١ جمادى الثانية عام ١٣٠٠ هـ)

وفوقه الطابع الكبير

وقوله عبد الرحمن بن مبارك غلط . وكأن المقصود عبد الله بن مبارك كما لايخفى . وان كان ابن بداح من أبناء محمد بن مبارك . من غير فرع عبد الله بن مبارك .

جواب رسالة مخزنية يتعلق به .

(الحبر الارضى الفقيه القاضى سيدى محمد بن عبد الرحمن الاقاوى سدده الله . سلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصل كتابك بأنك مشتغل بارشاد أهل تلك الناحية للخدمة المخزنية . طالبا من جنابنا العالى بالله صالح الادعية . وصار بالبال . فلتقدم على ذلك جزاك الله خيرا ووفقنا واياك والمسلمين لما فيه رضاه والسلام فى ١٩ جمادى الثانية عام ١٣٠٤ هـ)

وفوقه الطابع الصغير .

ظهير ءاخر عزيزى نصه :

(كتابنا هذا أسمى الله قدره ـ النافذ بعزة الله نهيه وأمره ـ جددنا به فى يد سيدى محمد بن بداح الاقاوى حكم ما بيده من ظهير سيدنا الوالد قدس الله روحه . المتضمن ولايته خطة القضاء . وفصل الخصوم على الخصوص والعموم . فى قبيلتى (مريبض) و (أقا) وأقررناه على ذلك . فنأمره بتقوى الله التى هى سلم النجاة والمرقى . ومراقبة الحق . وعدم مداهنة الخلق . واستشعار خشية الله فى السر والنجوى . وأن لا يخيف ولا يحيد فى قضية ولا نازلة ولا دعوى . بل يتحرى مشهور مذهب مالك . سائرا على مهيع الشريعة فى مهامه تلك المسالك . فالله يرشده ويسدده . وبالله التوفيق . تجديدا واقرارا . ونوصى من فى تلك البلاد من عمالنا أن لا يتجافى ولا يحيد عن كريم مذهبه . والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله فى فاتح جمادى الاولى عام ١٣١٤ هـ)

وفوقه الطابع العزيزى الكبير .

ثم انـه تولى زيادة على ما تقدم قضاء ما في ايالة القائد الحاج أحمد التامانارتي . وهذا كلام القائد له في ذلك :

(ليعلم الواقفـون على هـذا من اخواننا وقبائـل ءال (تامانارت) وأحوازها وغـيرهم من القبائل شركا وساحلا وأجبالا . أن الفقيه البركـة المرابط من ذرية القطب سيدى عبد الله بن مبارك الاقاوى ـ وهـو سيدى محمد بن عبد الرحمن بن بداح ـ هو منا والينا ومن أنفسنا ومن ذريتنا محسوب ـ نقبض حقه وندفع عليه ـ كذا ـ ويكون دائما منا . في تاريخ ٥ من شوال عام ١٣١٠ هـ كاتبـه اليه القائـد أحمد ابن الشيـخ محمد الكرضاوى التامانارتي لطف الله به)

وتحته طابع القائد لا يقرأ . وقول الكاتب من ذرية سيدى عبد الله ابن مبارك غلط . بل هو من أبناء أعمامه كما ترى .

هذا ما يتعلق بالقاضي من الناحية المخزنية ـ وأما من نواح أخرى فانه غير محظوظ لا في عرضه ولا في ذات يده . ولا في قضائه . فانه كما ذكره عارفوه من الثقات مع شهرته وتعاليه بمركزه يسف كثيرا . فيكتب معتسفا على خلاف ما يظن بـه ـ كذا يقال ـ وكان حينا قاطناً في قريـة (تيزكى ييريغن) ما شاء الله ـ وكـان حينا تخاصم مـع القائد بلعيد . فانحاش الى القائد التامانارتي . واذ ذاك رفع القائد شأنه بما تقدم رسمه. وبعد حين رجع الى (أكدير الحجر) بـ (أقـا) وكل سعيه في الجمع . الا أنه لم يجمع شيئاً له بال بل فوت بعض ما ورثه على يد نائبه ابرهيم بن المختار . وقد التقى مرة مع الشيخ الالغي في (تامانارت) والشيخ يعظ الناس في المسجد الجامـع . حتى بكى كل من حضر . وعند خـروجهم من المسجد . قال للشيخ اننا معشر العلماء ياسيدى لا ترق قلوبنا كما ترق قلوب العامة ـ فقال له الشيخ نعوذ بالله من قساوة القلوب . ولكن هناك دواء ان أردته دللتك عليه . فقال دلني أيها الشيخ ـ فقال له عليك بالعدل فيما وليته . وراقب ربك في كل ما تزاوله تر عجبا . فعبادة أمثالك بعد أداء الفرائض الاخذ بأيدى الضعفاء . والصراحة بالحق . ثم صار يعظه حتى قال انه تأثر بوعظه . قال الحاكي انـه لم يكد ينفتل من عند الشيخ حتى راجع ديدنـه . ثم ان القاضي لازم القائد محمدا حتى مات القائـد . ومن عام ١٣٠٥ هـ لازم داره ـ والناس يقصدونه في الخصومات الى نحو ١٣١٨ هـ فطرأ عليه مرض عضال . حتى انحبس لسانه . وانما يشير مع انه سليم كل البدن . ويقال ان ذلك من دعاء شيخ من أشياخه . لكونه نقض حكما

من أحكامه المحققة . ثم بقي في مرضه الى أن مات ـ والناس يلمزونه بانه لا يلازم الجادة في أحكامه . ولذلك يتنكبه الناس ويقصدون غيره . حتى أداه الحال الى أن يتبع غيره في الاحكام ـ وكان يفتخر دائما بكونه قاضيا رسميا . وكل ما كتب شيئا وقعه بفلان قـاضي مولاي الحسن . رحمه الله وغفر له . وهو العالم الوحيد من ءال سيدى محمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن علي بن مَحمد بن مبارك . والعجيب أنه شاع في بلده أنه ليس من هذه الاسرة . وان جده معتق . وذلك ليس بشيء . ولهذا نرجع الكلام من ءال سيدى عبد الله بن مَحمد ابن مبارك ان شاء الله .

الحادي عشر احمد بن عبد الله

هذا رجل كبير القدر رأيت من وصفه بالشيخ . وذكر أنه له الماما بالمعارف . وايا كان فانما اشتهر بالصلاح . توفي سادس صفر ١٠٢٥ هـ وهو أحمد بن عبد الله بن مَحمد بن مبارك .

الثاني عشر ابوبكر بن احمد

هو أبو بكر بن أحمد بن عبد الله بن مَحمد . قال فيه الحضيكي :

(أبو بكر بن أحمد الاقاوى الحسيب النسيب المرابط . كان رضى الله عنه ذكيـاً قصاصا . حافظـا لكرامات الصالحـين وحكـاياتهم . حسن المجالسة . كريم الخلق . حليما سليما موانسا . توفي رحمـه الله ببلـده ليلـة الجمعـة السابع مـن ربيـع الثاني عـام ثمانية وخمسين وألـف)

وقبره مجهول العين . الا أنه في مقبرة أهله . شرقي تلك المقبرة التي في قرية (أكادير أوزرو) ـ حصن الحجر ـ

الثالث عشر مَحمد بن ابي بكر

ولد من قبله قيل انه أيضا عالم ـ ولكن لم يجد مدعى ذلك ما يدل على دعواه ـ :

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينـات أبناؤهـا أدعيـاء

الا أنه وان لم يكن لنا ما يدل على علمه . فانه حج . وصار من كبار أهله . فقد وقفت له على ظهائر ملوكية تتعلق به وبأهله نص أولها :

(كتابنا هذا أسماه الله تعلى وأعز أمره . بيد حملته خدامنا وأحبابنا

ومن لهم صحبة قديمة بأسلافنا . رحمهم الله . هم السيد الحاج محمد بن أبى بكر الاقاوى . وابن عمه ابرهيم بن عبد الله . وسائر اخوانهم المرابطين أولاد الشيخ الصالح سيدى عبد الله بن مبارك . نفع الله به . يتعرف به أننا جددنا لهم على جميع ما نجد لهم من التوقير والاحترام . والرعى الجميل المستدام . وابقيناهم على ما عرف لهم من التبجيل والاحترام . والاجلال والاكرام . راعينا لهم محبة أسلافهم مع أسلافنا . ومعرفة ءابائهم مع ءابائنا . وجعلناها بعون الله دائمة متصلة الدوام ان شاء الله . استمرار الليالى والايام . من أجل ذلك حملناهم جميعا على كاهل المبرة . يستمرون عليه مرة بعد مرة . لا سبيل لمن يخرق لهم عادة . ولالمن يحدث لهم فيها نقصا أو زيادة . ويدخل معهم مدخل هذا التوقير جميع من هو مضاف اليهم . أو محسوب عليهم . وانعمنا عليهم بـ (الرحالة) فى (أقا) . وبـ (قصبة الاحرار) . وبـ (أيت وابلى) . وبـ (أولاد جلال) بـ « أقا » . وبسطنا لهم اليد عليهم . وعلى جميع من يضاف اليهم بسطا كليا . وجعلنا لهم التصرف فيهم تصرفا أبديا . كما نعهد الى جميع أولادنا أصلحهم الله . وخدامنا وعمالنا وولاة أمرنا . وجميع من يرد على تلك البلاد من قبلنا . ومن نسل أولادنا . أن يعملوا لهم بمقتضى هذا الظهير الكريم . وانيجروهم على سنن التبجيل والتعظيم . وان يعملوا لهم بمقتضاه . وان يكملوا لهم فيما أبرمه أمرنا العلى وأمضاه . والسلام وكتب بثامن ربيع الاول عام ١١١٨ هـ) . وفوقه الطابع الصغير الاسماعيلى .

ونص ثانيهما . وهو من خليفة السلطان مولاى اسمعيل أمير المومنين . ولده عبد الملك القائد العام على (سوس) :

(من فضل الله تعلى علينا . وببركة سيدنا الوالد أيده الله ونصره ءامين . جددنا لحملته أولاد سيدى الحاج أبى بكر . وكافة اخوانهم وبنى عمهم . ومن معهم حكم ما بايديهم من ظهائر والدنا المنصور بالله تعلى . الصادرة من أسلافنا التى بأيديهم . المتضمنة توقيرهم واحترامهم . واخراجهم من زمرة أهل (أقا) فلا مدخل لهم فيهم . لابوجه ولا بحال . فهم موقرون محترمون . محمولون على كاهل المبرة والانعام . وملحوظون بعين التعظيم والاكرام . فلا يقربهم أحد بشىء من الاشياء . قل أو جل . وقد سرنا معهم سيرة أسلافنا الاجلة . وأمضينا كل ما أمضوه لهم من الامور ما دامت الاعوام والشهور والسنون والدهور . تجديدا تاما . مطلقا عاما . وحسب الواقف عليه العمل به . وان لايحيد عن كريم قصده ومذهبه . والسلام فى ١٨ شوال المبارك عام ١١٢٤ هـ) وفوقه طابعه الكبير .

ونص الثالث وهى علوى أيضا أقدم من الاول . وهو من المولى احمد ابن محرز الذى كان استولى على (سوس) قبل عمه مولاى اسمعيل . ما شاء الله :

(محبنا الحاج محمد بن أبى بكر سلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاعلم أنكم أحباؤنا . وداركم دارنا وموضعنا (هذا) ولا يصدر لكم فى جانبنا الا الخير . ولا نصنع معكم الا هو . والمودة تركتها الاسلاف . واقرتها والحمد لله أبناؤهم . فلا يشوبها شىء أبدا . ولا نزال معكم فيما تعهدونه منا ومن ءابائنامادام الابد . وكل من أتى معكم أو لاذ بكم فعليه أمان الله ورسوله . الامان التام الشامل العام والسلام . وكتب رابع عشر جمادى الاولى عام ١٠٩٤ هـ)

وهناك ظهير اسماعيلى أيضا موجه الى أهل سيدى عبد الله بن مبارك فى هذا العهد ونصه :

(الى كافة المرابطين أولاد سيدى عبد الله بن مبارك الاقاوى نفعنا الله به . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فاننا احترمناكم . وعظمنا حرمتكم . لكونكم باقين على سيرتكم . ولزوم المسكنة . لكونكم لم تدخلوا فيما دخل فيه العامة . فعليكم بالتزام تلك السيرة . فانها نفع لكم ولغيركم ولا تأخذوا فى الفتن الواقعة بين جيرانكم أهل (أقا) فالله تعلى يوفقنا واياكم لما يحبه ويرضاه والسلام من ذى القعدة الحرام سنة خمس وعشرين ومائة وألف)

ويظهر أن الحاج محمد بن أبى بكر كان له مقام كبير مع المولى اسمعيل . وكأننى رأيت (١) أن وفاته كانت فى (مكناسة) لكثرة تردده اليها . وقد كانوا ينصحون للسلطان . ويخبرونه بكل ما تجدد . فكأنهم هم الذين أخبروه أن من أولاد سيدى عبد الله بن مبارك من يخرج عن الجادة ويشارك العامة فى نهابرها (٢) فلذلك أرسل اليهم هذه الرسالة الاخيرة ءانفا يحذرهم من ذلك . وقد وقفت أيضا من بين ما عند الاسرة على رسالة يظهر أنها نسخة من رسالة كتبوها من عندهم يخبرون فيها بأخبار مخزنية . ونصها ـ وفيها بعض محو ـ :

(سيدنا ملك الملوك المؤيد المعان العلوى المعان سيدنا . . . . . ضيفنا مولاى أحمد الذهبى ابن أمير المومنين . المجاهد فى سبيل رب

١) راجع مقيدات بعض أهله المنقولة فى (الرحلة الثالثة) من (خلال جزولة) حين جرى ذكر « أقا » وهى مطبوعة .

٢) النهابر : المهالك . ويقال : كل ما جمع من مهاوش فالى نهابر يصير. والمهاوش بفتح الميم : ما غصب أو سرق .

رب العالمين . . سيد الملوك . وذخيرة عقد السلوك . مولانا اسمعيل نصره الله . وأدام لنا ولأسيادنا ولجميع الشرفاء ولجميع سائر الاسلام طول حياته وادام لنا عزه وأمره . بجاه جده نبينا وشفيعنا سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى ءاله . وأدام العز والعافية والسلامة والكرامة على سيدنا . وسلام الله الاتم . ورضوانه الاعم . على مقام سيدنا أيده الله . يفوح مسكا وعنبرا . ويترادف . . . ورحمة الله وبركاته ـ وله المنة ـ وذلك من فضل الله علينا وبركة السلطان نصره الله . ونريد من الله ومن سيدنا أعزه الله أن يحسبنا من خدامه . وأهل المحبة في حرمته . كمحبتنا في خدمة سيدنا نصره الله . وكأسلافنا مع أسلاف سيدنا رحمهم الله . حسبما هو مكتوب ذلك في عقودنا بخط جدكم مولانا الشريف رحمه الله . ونفعنا ببركته . ولا ينسانا ولا يرمينا أيده الله وراء ظهره . ويصفح سيدنا . ويسمح لنا في عدم ورودنا عليه . وذلك منا اننا في بلاد بعيدة قليلة الواردين لمقام سيدنا العالي بالله . ونطلب من سيدنا أن يعذرنا في ذلك . وان تشوف سيدنا أعزه الله وادام ايامه لخبر بلدانا هذه . لعساكر السلطان نصره الله المباركة . فمحلة مولاى أبي القاسم مخيمة في (القصبة) في (افران) والقائد عبد الكريم التكنى ببلاد (أيت برابيم) لكنه يذكر الرحيل الى الظهر . ومولاى عبد الملك قريب من الظهر في قصر من قصور ابي عمران . شتت الله شملهم ببركة السلطان عليهم . وان . . . بخبر أخيكم مولاى . . . ويجمع شمله بالسلطان ؛ ويلهمه الخير والصواب . خاط السلطان . . . كربان . . ابرهيم السكتاني ۰۰۰۰
۰۰۰۰ وقال له لايليق بك الا الصلح مع والدك نصره الله . وفرق عنه الخيل يعلفونها . وطلب . . . . أهل (زاوية اكربان) أن يوجهوا بهدية لمقام سيدنا المنصور بالله كان الله له بمنه . والله يعيننا على خدمتكم . ويزيدها في قلوبنا أكثر مما هي فيه من الاسلاف رحمهم الله وبارك فيهم بالنبي وءاله . والسلام ءاخر جمادى الثانية عام أربعة وعشرين ومائة وألف) .

ويظهر ان الظهير الثاني المذكور في هذه الترجمة المؤرخ بـ ١٨ شوال ١١٢٤ هـ كان جوابا لهذه الرسالة . وقد سمي فيه أبناء أبي بكر وجميع أهاليهم . وهذه الرسالة وثيقة تاريخية . فيها أمور ما عرفناها الا منها كتوقيع المولى الشريف جد الاسرة المالكة . كأنه تعرف بأولاد سيدى عبد الله بن مبارك حين كان في سوس تحت يد بودميعة . وكاسماء قواد للجيوش الاسماعيلية . ومحلات نزولها .

الرابع عشر ابوبكر بن محمد

فقيه حسن جيد الفهم . كما يظهر فيما يوصف به . اخذ عن الفقيه

سيدى محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب . ذلك المفتى الكبير المتوفى ١١٢٢ هـ وقد رأيته يصفه في بعض منقولاته بشيخنا . ويأثر عنه أشياء من أسباب البركة . وقد حدثني بعض أحفاد الاسرة أنه كان عالما كبيرا . له ذكر وصيت يجول فى النوازل ويفتى ويقضى . وله أيضا اتصال كبير بسلطان ذلك العهد المولى اسمعيل . وقد كان يدرس . ولم نقف له علـى غـير ذلك.

الخامس عشر مَحمد بن ابي بكر

القاضي الجليل المحترم المعتنى بالتقييد اعتناء تاما . فقد وقفت على كتاب له يتتبع فيه ماوقع فيبلده من الحروب. ومن وفيات . فمنه استفدنا كثيرا مما كنا نجهله . وقد جمعنا ذلك فى (الرحلـة الثالثـة) من كتـاب (خلال جزولة) عند ذكرنا (أقا) . أخذ عن أبيه وعن الاستـاذ العبـاس الاخشاشي دفين (دمنات) فقد شارط فيها بعد رجوعـه من الحـج . حتى توفى فيها ١١٤١ هـ . والاخشاشيون بيت علم . كما أخذ أيضا عن علماء (تامكروت) ابى العباس الناصرى. وابى العباس أحمد أحوزى الهشتوكى ومقيداته استمرت من سنة ١١٢٢ هـ الى سنة ١١٤٩ هـ ويده فى العربية غير متمكنة . لاننا رأينا فى كلامه تصحيفا مكررا كثيرا . وقد تولى القضاء الرسمى سنة ١١٢٤ هـ . وهذا ظهير توليته :

(كتابنا هذا أسماه الله تعلى وأعز أمره . وادام مجده وفخره . وخلد فى المسامع ذكره . وظفر جنوده المباركة وعساكره . بيد حامله المرابط الفقيه الاجل النبيه الاكمل العلامـة سيدى محمد بن أبى بكر بن محمد ابن أبى بكر الاقاوى من (حصن أزرو) يتعرف الواقف أننا وليناه خطـة القضاء بالمشمس (أنامر) من (تيسينت) الى (وادى نون) وأحـوازه مـن عربان وغيرهم . والفتوى فيهـا . فعليه بتقوى الله فى السر والعلانيـة . وبسطنا له اليد على القضاة والفقهاء . ينظر فى أمورهم . ويعقب احكامهم وجدنا عليه بتحريره واملاك والده . ووقرناه فيها . واسقطنا عنه الوظائف كلها . وأمرنا أن يصرف أعشاره على يده لمساكينه واخوانه من قريته . أمرا تاما لايزال بحول الله مسرمدا . وتحريرا عاما لايزال بعون الله جديدا فالواقف عليه من خدامنا وأولادنا وعمالنا . وولاة أمرنا العالى بالله . أن يعمل به ولا يتعداه . ومن تعداه أو خالفه فلا يلوم الا نفسه . ولا يجنـى الا على رأسه . والله حسبه . والسلام . وفـى الثانى مـن شهر رمضان المعظم عام أربعة وعشرين ومائة وألف)   وفوقه الطابع الكبير .

يظهر من تاريخ هذا الظهير الذى صدر فى مفتتح رمضان ١١٢٤ هـ

أن المترجم هو الذى ذهب بتلك الرسالة المتقدمة من عند أهله الى السلطان فاصدره بذلك التحرير المؤرخ بـ ١٨ شوال من العام نفسه . وبتوليته القضاء .

ثم انه لم يكن قاضيا فقط . بل كان قاضي القضاة الموجودين في تخوم الصحراء السوسية . من (تيسينت) بـ (طاطة) الى (وادى نون) الواقع على البحر المحيط . وذلك يشمل ايالة كبيرة تضم كل ما تحت جبل (باني) و (تامانارت) فـ (تاغاجيجت) فـ «افران» بما يسامت كل ذلك الى «وادى نون» وكذلك يشمل كل ما يجاور تلك الناحية من الاعراب الرحالين . وقد عرفنا للمولى اسمعيل قائدا كبيرا في (افران) يسمى القائد أحمد بن مسعود أشعو كان تولى قبل ١١١٢ هـ . ثم كان من أنصار الثائر محمد العالم حين ثار على أبيه . ثم عفا عنه السلطان . فبقي في ايالته . وقد تولى أيضا على قبيلة (أيت أوسا) ولا يزال موجودا ظهير توليته . وكذلك كان القائد ابرهيم التامانارتي . رجع في هذه السنوات التي ينولى فيها هذا القاضي . فتكون ولاية قضائه على قواد متعددين ويأثر أهل القاضي الى الآن أن أسرة القاضي اذذاك نالت شرفا عظيما . وثروة واسعة . وكلمة نافذة . وهذا الظهير يؤيد كل ذلك . هذا لكننا رأيناه مع أسرته أصابهم الجلاء من مساكنهم . فقيد القاضي كل ذلك في مقيداته المشار اليها ءانفا . ونحن نعلم أن حروبا متعددة كانت تصول بين ءال سيدى محمد بن مبارك . لاتفتر ولا تهدأ . واثر هذا الخلاف المستحكم لايزال في الاسرة الى الآن . وقد رأيت حين زرت المسجد الكبير من قرية (أكادير أزرو) ـ حصن الحجر ـ نطفية كبيرة متسعة ازاء المسجد . فذكر لى أنها من ءاثار عهد القاضي . وقد وقفت على أثرين حكوميين يتعلقان بهذا العهد أولهما :

(. . . محمد عظم الله مجده اما بعد فاننا عاهدنا اخواننا المرابطين الاقاويين سيدى محمد بن عبد القادر واخوانه . ومن تبعه من الجيران وغيرهم . وجميع من أرحلهم الشيخ أبو بكر بن هبول الاقاوى كرها . عاهدنا الله ورسوله وعاهدنا المرابطين أن نردهم لبلدتهم قهرا وكرها . وأما سيدى محمد بن عبد القادر المذكور أعلاه الذى هو من ذرية سيدى محمد بن مبارك الاقاوى . وأخيه سيدى عبد القادر بن عبد الملك . وجميع اخوانهم . فعليهم أمان الله ورسوله . وعهد الله وميثاقه . بحيث لاسبيل على المرابطين المذكورين من الاموال الضائعة لهم . فلا تفريط فيها الا باذنهم . كتبه بيده محمد غفر الله لنا ولهم ءامين يارب العالمين عام١١٥١هـ)

أحزر أن هذا المكتوب هو ظهير من سيدى محمد بن عبد الله وهو اذ ذاك ولى العهد فى بدايته . كأن المرابطين حين وفدوا على والده السلطان اذ ذاك كتب لهم هو هذا بيده .

وثانيهما :

(من فضل الله علينا ووجود مولانا أمير المومنين أيده الله ونصره . فحملته المرابطون الاخيار سيدى محمد بن أبى بكر الاقاوى من أولاد سيدى عبد الله بن مبارك . وسيدى عبد الرحمن النسب من (أكادير أزرو) هم موقرون معظمون محترمون أينما كانوا وحراطينهم وسكانهم . فلا يخشون بـ (سوس) و (السويرة) و (مراكش) وجميع قبائل الطاعة . بوجود مولانا الامير المومنين . لأجل اشتغالهم بالعلم وانقيادهم للطاعة الواجبة عليهم . ولأجل هذا مكناهم بهذا والسلام . وفى أول رجب الفرد عام ١٢٥٤ هـ)

هكذا هذا الاثر . وقد وجدته مؤرخا هكذا ١٢٥٤ هـ . وكنت لا أرى هذا التاريخ الا غلطا وان الصواب ١١٥٤ هـ لانه ذكر فيه سيدى محمد ابن أبى بكر . ولانه مع ما تقدمه فى مكان واحد . الا أنه يعكر عليه ذكر (السويرة) بين تلك المدن . فانها اذذاك لما تبن بعد . وكأن هؤلاء هربوا من بلادهم حين أجلاهم ابن هبول هذه المرة الثانية فالتجأوا الى الاعتاب الشريفة . فكتب لهم ما تقدم . ونعرف الآن أن القاضى تخطى عمره الى هذا العام ١١٥٤ هـ ونحن نكتب ولا نطيل البحث . لنوجد مجالا لمن سيبحثون غدا .

واعلم أن هذه الظهائر التى أودعناها فى هذه التراجم كنت كلفت طالبا أن ينسخها لى . ولكن لم يقابلها الا مقابلة ما . وحين وجدتها مملوءة بالتصحيف كنت اصحح ما لابد من تصحيحه . وابقى الباقى ظنا منى أن التصحيف من الناسخ . وان كنت حين قرأتها بنفسى من أصولها رأيتها طافحة بالتصحيف على عادة كتاب المولى اسمعيل . كما يعرف ذلك كل من مارس كثيرا من الظهائر الاسماعيلية . ويقال ان بعض امائه هن الكاتبات ثم لم تصلح الظهائر خطا وعبارة الا من عهد سيدى محمد بن عبد الله حفيد المولى اسمعيل .

هؤلاء علماء ءال أحمد بن عبد الله . وهم فخذ من هذه الاسرة . وافخاذهم اليوم : (١) ءال ابى بكر بن أحمد . وهم اليوم كانونان فقط . أحدهما فى (أكادير أزرو) وثانيهما فى مراكش (٢) ءال يحيا بن أحمد . وهو أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك . وهم اليوم مجتمعون فى كانون

واحد فقط (٣) ءال ابرهيم بن أحمد أربع كوانين . اثنان فـي (مراكش) وواحد في (تامانارت) وءاخر في قرية (أكَاديِر أزرو) (٤) ءال عبـد الله ابن أحمد . أربعة كوانين منهم في هذه القرية . والخامس في (مراكش) والسادس في (ايكَيـدار) الثلاثاء من قبيلة المنابهة ازاء (تارودانت) وعلى جدهم هناك بيت صغير . وقد زرته في أواخر شوال ١٣٦٢ هـ ومن هؤلاء علماء ءال العالم الاتون (٥) ءال العباس بن أحمد . والعباس لقب أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك . ويكونون اليوم ثماني كوانـين . وكلهم في قرية (أكَادير أزرو) ومنهم ءال عبد القادر العلمـاء الاتـون . فهذه الافخاذ كلها من أولاد أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك .

السادس عشر محمد العالم

هو محمد بن العالم بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك . والعالم اسم لا لقب. ولكن كان ولده محمد حقيقة عالما حسنا مذكورا يعاني التعليم. وهناك متخرجون به يذكرهم الحاكون لنا . وقد كان مشارطا في (أكَادير أزرو) ما شاء الله . وقد تصدر لفض الخصومات على طريق التحكيم . فيفتي ويقضي وله باع في علم النوازل . وقد أخبرني قاضي (أقا) الحالي صاحبنا العلامة سيدي الهاشمي الفاسي أنه يرى كثيرا بين الرسوم التي تمر بين يديـه محررات أحكامه بين الناس . توفي ١٢٢٤ هـ

السابع عشر عمر بن مَحمد

هو عمر بن مَحمد بن العالم . نجل من قبله . كان له باع أطـول من أبيه في المشاركة العلمية . فكان فقيها كبيرا . يقصده الناس ويحكمونه فيقضي ويفتي . وقد كان أيضا مشارطا في قريته (أكَـادير أوزرو) وقـد تخرج بأبيه في مسجد القرية . توفي ١٠ من رجب ١٢٣٩ هـ

الثامن عشر العباس بن احمد

هو أحمد بن أحمـد بن عبد الله بن محمد بن مبارك . له كلام فـي محررات يده . يدل على أن له تمكنا في الفنون . ومشاركة حسنة . وهو من أهل القرن الحادي عشر . وقد تقدم أن أباه توفي ١٠٢٥ هـ . ولم يدر متى كانت وفاته هو .

التاسع عشر عبد القادر بن العباس

من علماء تلك الاسرة أيضا . ولا يزال دوى صيته بين أهله . وذلك كل ما بقي من أحواله واخباره . وأما غيرها فصفر في صفر . وهو ابن من قبلـــه .

العشرون محمد بن عبد القادر

ابن من قبله . من أهل أوائل القرن الثانى عشر . وفي ذلك القرن متوفاه . بعد ١١٥١ هـ فقد رأيت له ذكرا فى أحد الاثار المتقدمة . وهو مؤرخ بهذا التاريخ . يذكر أن له يدا في فض النوازل في عصره . وانه تلو القاضي سيدى محمد بن ابى بكر معاصره المتقدم .

هؤلاء أولاد سيدى العالم بن أحمد بن عبد الله . وبهم انقضى الكلام على أولاد سيدى أحمد بن عبد الله . ولم يبق منهم الآن الا ءال مبارك بـن محمد بن عبد الله . واما غيرهم فقد انقرضوا انقراضا تاما . وهـم الآن ستة كوانين فقط .

الحادي والعشرون محمد بن الشيخ

هو محمد بن الشيخ بن محمد بن عبد الله . والشيخ اسم لا لقب . لـه ذكر بين علماء أسرته . ومحرراته كثيرة تدل على مقامه فى المعارف . وقد كان معاصرا لسيدى محمد بن ابى بكر القاضي فى أول عهده بالقضاء فكان يهب بريحه . ويقول أهله . انه أول قاض رسمى فى أسرتهم . وله أحكام محررة بين الناس لاتزال بين رسومهم الى الآن . وقد كـان حينـا ساكنا في (تازاروالت) فتزوج من هناك مسعودة بنت أحمد بن علي بودميعة ووفاته في ١٤ من ذى الحجة ١١٣٦ هـ

الثاني والعشرون احمد بن عبد العزيز

هو أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن مبارك بن محمد بن عبد الله ابن الشيخ سيدى محمد بن مبارك .

كان عالمـا حسنا مشهورا بالصلاح والخـير . تخرج بأبـى العبـاس التيمگيدشتى لازم المشارطة فى مسجد (أگادير أوزرو) يعلم فيه القرءان والعلوم ويخطب في الجمع . وكان له ذكر مستمر من سنة ١٢٤٠ هـ الى

سنة وفاته ١٢٧٠ هـ . وقد كان يتردد على شيخه التيمكيدشتي دائما . وهو الذى أشاد بذكره فى (أقا) حتى عاد الاقاويون كلهم صاغية الشيخ . يسلسون له . وينقادون فى خدمة زاويته . وقد كان يأخذ عن الشيخ التيمكيدشتي قبل أن يستقر فى زاويته (تيمكيدشت) فى مسجد معلوم هناك بـ (أقا) وقد ذكروا ان الشيخ كان هناك مشارطا حينا من الدهر فى مبادئه . كما ذكروا أنه أيضا شارط فى قرية صغيرة ازاء مدرسة (بونعمان) وفى محل فى (بعمرانة)

الثالث والعشرون عبد الرحمن الوناس

هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن مبارك ابن محمد بن عبد الله ابن محمد بن مبارك .

والوناس لقبه . أخذ عن الاستاذ سيدى محمد ابن العالم المتقدم الذكر . كان يشارط فى مدرسة (والكناس) ١٢٣٨ هـ = ١٢٤١ هـ يدرس هناك . ثم فى جامع (القصبة) فى (أقا) ١٢٤٤ هـ = ١٢٥٠ هـ ثم فى جامع (ارحالن) فكان فى الجميع يدرس . وقد كان عالما تقيا معنيا بالتقاييد . فقد ذكر لى أن له مقيدات موجودة عند ولده لم اتصل بها الى الآن . وكان يفتى ويقضى فى النوازل . ويجرى فى اصلاح ذات البين . وكان الشيخ يرسل اليه رسائل . لاتزال محفوظة عند أهله الى الآن . ووفاته فى صفر ١٢٧١هـ فى قرية (تيكسلت) بـ (طاطة) ورد اليها فى بعض اشغاله . فتوفى هناك . وولادته ١٢٠٣ هـ ومات فى ١٢٧٢ هـ

الرابع والعشرون محمد الهاشمي بن عبد الرحمن

ولد من قبله . ولد ١٢٤١ هـ أخذ عن الاستاذ أحمد بن عبد العزيز القرءان ثم المبادىء العربية . ثم لما توفى والده ارتحل الى (فاس) فلازمها الى ١٢٧٥ هـ فئاب من هناك مجازا من الفاسيين . ثم مات ١٣١٧ هـ

الخامس والعشرون محمد المكي بن احمد الهاشمي

ولد من قبله . له المام ببعض الفنون . وكان ذلك ضئيلا . الا أنه لخلو تلك الناحية وشغورها اليوم من كل من له بصيص من المعارف .

غير القاضي سيدى الهاشمي الفاسي . وبعض طلبة قصار أمكن لنويرة سيدى محمد المكي أن تظهر ظهور الفتيلة الذابلة من سراج أثناء الدجنة . وقد لاقيته يوم زرت تلك الناحية . فرأيت له حذقا وهمة وكرما وعقلا عقولا . فاستفدت منه كثيرا من أنباء ءاله هؤلاء . ثم كتب الىّ بعد ذلك الوقت بعض ما فاتني أن أكتبه عنه . وكان اذ ذاك يشارط في مسجد (تينتازارت) من (طاطة) ثم بلغتني وفاته بعد سنة ١٣٦٥ هـ

خاتمة

هذا ما تيسر لنا من أخبار هذه الاسرة الماجدة التى ابتدأت شهرتها بالعلم والصلاح . ثم غلب عليها الصلاح . ثم دهم عليها من الخلف ما بين رجالاتها ما أذهب عنها هيبة الزوايا وحرمتها . فلا تعرف عند الاجيال المتأخرة الا بالحروب فيما بين رجالاتهم . فقد تنازعوا أمرهم ففشلوا في الحياة . على أنه لاتزال فيهم اثارة من خير وصلاح بل وبصيص من علم قليل . وأسرتهم من الاسر السوسية الماجدة ولا ينقصها اليوم الا العلم .

وبكل أسف انقرض العلم اليوم في (آقا) بعد وفاة ءال بناني . فلم يبق الا بعض عدول قصار . ولا أقاوى اليوم يستحق أن يسمى عالما الا صاحبنا سيدى أحمد (لسان الحق) المدرس في معهد (الجديدة) الا أنه غادر بلده . فالتهمته المدن . وقد صاحبنا ما شاء الله . في (مراكش) ثم في (البيضاء) الى أن حصل . ثم نال الشهادة العالمية بتفوق . وفقه الله



السيد

عبد الله الوحماني السكتاني

١٢٦٤ هـ = ٩ ـ ٢ ـ ١٣٥١ هـ

نسبـــه :

عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله بن ابرهيم بن أحمد بن محمد ابن ابرهيم بن عبد الرحمان بن موسى بن عبد المومن بن مسعود بن محمد

هذه الاسرة من الاسر السكتانية التى عرفت بالعلم أولا وءاخرا . وقد عرفنا منهـا علماء سنذكرهم على حسب ما عند حفيدهم القاضى الاجل الاديب الكبير سيدى الحـاج اسمعيل الذى نحرر هذه التراجم فى داره بـ (تاكركوست) . فى (رحلتنا الثالثة)

الاول ابرهيم بن محمد

كان يكتب فى نسبه : ابرهيم بن محمد بن ابرهيم بن عبد الرحمان ابن موسى بن عبد المومن . فهو حينئذ أخـو أحمد بن محمـد بن ابرهيم الموجود فى سلسلة هذا النسب .

انقطع الى (تامكروت) حيث أخذ الفنون . وفى ءاخر كتب كثيرة من منسوخات يـده أنـه نسخها هناك . وبعضها مؤرخ بعام ١١٥٨ هـ . ثم التحق بـ (فاس) حيث استتم ما كان فى حاجة اليه . حتى حصل وتضلع بعد جهد جاهد . ثم ءاب الى بلده . فلم يصادف رواجا لمعلوماته . ولا لاقى من يتعاطى معه معارفه . فقال : يا سبحان الله كنـا امعنا فـى القراءة . وامضينا فى الغربة ما أمضينا . لننفع بنى بلدتنا . فاذا بنا قد ظهر لنا الآن اننا ما كنا مشتغلين الا بما لا جدوى فيه للناس . فاذهبنا العمر أمس واليوم سدى . ثم طلق بلده سائحا فى البلاد . مقبلا على عبادة ربه . حتى صادفه ركب من أقاربه السكتانيين فى نواحى (أقا) وقد تقلد مصحفا لا يفارقه . فراودوه على مراجعة البلد فواعدهم . الا أنه انخنس عنهم . فلم ير بعد ذلك الوقت . ولا علم أين أمضى باقى عمره .

الثاني عبد الرحمان بن ابرهيم القاضي

هو عبد الرحمن بن ابرهيم بن أحمد بن محمد . فكان أخا عبد الله ابن ابرهيم المذكور فى رجال النسب .

كان تولى نيابة قاضي الجماعة بـ (تارودانت) ولذلك يسمى بالقاضي. لانه قاضي قبيلة (سكتانة) ومخطوطاته فى أحكامه تؤرخ بعام ١٢١٥ هـ الى نحو عام ١٢٤٠ هـ . ولم يعرف عنه أكثر من هذا . فلا معرفة بأساتذته ولا بمختلف أحوال حياته .

الثالث عبد الله الواحماني

هو الذى نذكره الآن . والذى كان القاضى الكبير فى عصره . والشامة التى تزين طلعة هذه الجهة عقودا من السنين .

متعلمه

أخذ القرءان عن عمه سيدى عبد الله بن ابرهيم فى قرية ازاء (أرغن) وكان يسافر معه . وبه تخرج . وأتقن الحفظ والرسم . بعدما افتتح فى مسجد قرية (تاتلت) لقرب مسقط رأسه منها . وهي قرية (ايو ْليويل) ثم التحق بـ (أكادير الهناء) فى عهد سيدى محمد بن محمد فى نحو ١٢٨٠ هـ . وكان الذى يتولى التدريس فى المدرسة اذ ذاك ولد الاستاذ المذكور . سيدى أحمد العلامة الجهبذ القليل النظير (١) . فقد لازمه ملازمة الخادم المخدوم . وقد سلم له الارادة فعل التلميذ الصوفى مع شيخه . فلايفارقه حضرا ولا سفرا . ويعده سيدى أحمد من أهله . فلم يغادره قط. حتى انه زوجه من حيث زواجه هو . تزوجا معا من قرية (تبريت) وهو استاذه الذى يعول عليه . وان كان أخذ أيضا عن اخيه الاستاذ المدنى . وكان المترجم يثنى على هذين الاخوين معا . وهكذا استقى الاستاذ الوحمانى من بحر خضم . لان الاستاذ أحمد من كبار الاساتذة المحصلين النفاعين .

مشارطاته

تدرج بعد تخرجه فى المشارطات يعانى التدريس . ومزاولة الافتاء والقضاء . فمن المدارس التى مر بها مدرسة (تاتلت) العليا . ومدرسة قرية (ايمى نواداى) (فم أداى) ومدرسة (تيركت) المبنية على مشهد

١) ذكر هو وأسرته ءال حسين فى (الجزء السادس) مع التيمكيدشتيين

سيدى سعيد بن أحمد (١) . ومسجد (لولايجة) فهذه هى المدارس التى مر بها وعمرها بالتدريس سنين . ومن هناك أخذ عنه أناس ظهروا بعده فى ميادين المعارف .

قضاؤه

كان أولا يتولى النيابة عن قضاة (تارودانت) ما شاء الله . اذ كان نظرهم ينسحب على هذه النواحى . وقد وقفت على مرسومات فى نيابته عنهم . واليك نص ما وجدت :

المرسوم الاول

(أشهد الفقيه العلامة المضطر لرحمة مولاه . قاضى (رودانة) وايالتها (شكله معقودا فيه عبد الكريم(فيما قيل) أعزه الله وحرسها بأنه أذن للطالب السيد عبد الله بن عبد الرحمن الايوليويلى السكتانى أن ينصب نفسه فى بلدة (سكتانة) وأحوزها لخطة القضاء . يخاطب على الرسوم . ويفصل بين الخصوم بالمشهور والراجح من مذهب سيدنا مالك الامام . أو ما جرى به العمل من أقوال سادتنا الايمة الاعلام . على شرط أن يشافهه فى الامور المهمات . كأحكام الغياب وقسم التركات وشئون الايتام . وأن لا يخاطب على رسوم التجار أصحاب الاجناس (يعنى ممثلى الدول الاجنبية وخلطائهم) المترددين اليهم (٢) ولا لاهل الذمة الذين يخالطونهم (يعنى اليهود المغاربة الذين يتوسطون غالبا بين الناس والاجانب) بيعا وشراء . ويؤكد عليه فى التأنى فى الامور . وسؤال من هو أهل فى العلم . وعليه فى ذلك بتقوى الله العظيم فى سره ونجواه . شهد على اشهاده أرشده الله وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر . دامت كرامته . بتاريخ عاشر ذى القعدة عام ستة وثلاثمائة وألف) . شكل العدل معقودا فيه أحمد بن محمد .

اخر :

(أشهدنا الفقيه العلامة المضطر لرحمة مولاه الراجى عفوه ورضاه . قاضى الجماعة بمحروسة (رودانة) ونواحيها وخطيب جامعها البليغ

---

١) ذكر هذا بين رجالات ءال (يعزى ويهدى) فى (الجزء العاشر)

٢) كانت العادة اذذاك أن لايشترى الاجانب الا باذن خاص . ولذلك يمنع القضاة هكذا أن يخاطبوا على رسومهم . لاهم ولا من اليهم . خوف المشاكسات فى الدعاوى التى يتسبب عنها فى الحقل الدولى ما يتسبب .

(شكل القاضي معقودا فيه اسمه) أعزه اللـه تعالى وحرسها . بأنـه أذن للطالب السيد عبد الله بن عبد الرحمان الاوليويلي السكتاني أن ينصب نفسه في بلدة (سكتانة) واحوازها لخطة القضاء . يخاطب على الرسوم . ويفصل بين الخصوم . بالمشهور أو الراجح من مذهب سيدنا الامام مالك . أو ما جرى به العمل من أقوال سادتنا الايمة الاعلام . على شرط أن يشافهه في الامور المهمات . كأحكام الغياب . وقسم التركات . وشؤون الايتام . وان لا يخاطب على رسوم التجار أصحاب الاجناس المترددين هنـاك . ولا لأهل الذمة الذين يخالطونهم بيعا وشراء . ويؤكد عليه بالتأني في الامور. وسؤال من هو أهل في العلم . وعليه بتقوى الله العظيم في ذلك في سره ونجواه . شهد على اشهاده أرشده الله وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر دامت بالله كرامته وسعادته . واتصل عزه . بتاريخ ٢٨ من ربيـع النبوي عام تسعة وثلاثمائة وألف ١٣٠٩. هـ . ويؤكد عليك أن تامر عدولك أن لايكتبوا رسم الرهن لما علمت من ءأه حرام محض) أتمه على بشكله ودعائـه .

ءاخـر :

(الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وءاله . وبعـد فليعلم الواقف عليه من العامة والخاصة . أن حامله الطالب النائب السيد عبد الله ابن عبد الرحمن الاليويلي مندرج في زمرة النواب الذين لاكلفة عليهم في جميع الوظائف المخزنية . حسبما انصدر بذلك الامر الشريف من مولانا نصره الله . فيجب توقيره واحترامه من جميع التكاليف المخزنية . ما عدا ما فرض الله عليه من الاعشار . فليرفعه لمحله المنصوص شرعا . فمن سعى أو بدل فعقوبته بنفسه (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) قيـد باذن من له الاذن التام بـ (رودانة) الفقيه النبيه القاضي بها وبايالتها وهو (شكل القاضي معقودا فيه محمود بن محمد) أعزه الله وحرسهـا . وهـو بحيث يجب لـه ذلك من حيث ذكر ما دامت كرامته وسعادته ودام عزه ومجادته . شهد عليه به سدده الله وارشده بتاريخ ١٩ شعبان عـام الف وثلاثمائة وواحد عشر هـ) ثم شكل العدل معقودا فيه الحاج على .

ءاخـر :

(أشهدنا الفقيه العلامة الراجي ءعفو ربه وغفرانه قاضي الجماعـة بـ (رودانة) وايالتها وهو (شكل القاضي معقودا فيه موسى بـن العربي) أعزه الله وحرسها . انه أذن لماسكه الفقيه سيدى عبد الله بن عبد الرحمان الاوليويلي بنصب نفسه لخطة القضاء في بلدة أوليويل بسكتانة وأحوازها

يخاطب على الرسوم . ويفصل بين الخصوم . بالمشهور أو الراجح من مذهب امامنا مالك رضى الله عنه . عالم دار الهجرة . أو ما جرى به العمل من أقوال سادتنا الايمة . وان يشافهه في الأمور المهمة كاحكام الغياب وقسم التركات وشئون الايتام . وان لايخاطب على رسوم التجار أصحاب الاجناس المترددين اليهم . ولا لأهل الذمة بيعا وشراء . وان يتأنى ويتثبت في الامور . ويسأل من ظهرت له فيه أهلية السؤال . وعليه في ذلك بتقوى الله العظيم وطاعته . والتحرى جهد استطاعته . شهد على اشهاده أرشده الله وأعزه . وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر . ذامت كرامته . واتصلت بحول الله سعادته . في ٩ رجب الفرد عام ١٣١٨ هـ) ثم شكل العدل الكاتب معقودا فيه اسمه ودعاؤه .

(أقول) ان عبد الكريم توفى ١٢٩٥ هـ . وسيدى محمود هو الموجود سنة ١٣١٨ هـ . ولم يتولسيدى موسى الا سنة ١٣٢٥ هـ . فالذين حللوا (شكل ما تقدم هم الغالطون . لان الاشكال لاتقرأ بطبيعتها . فياتى تفسير جاهل التاريخ لها بما يظنه موافقا . ضغثا على ابالة . والغلط يكثر في ذلك)

ءاخـر :

(أشهدنا الفقيه العلامة قاضي محروسة (رودانة) وايالتها وخطيب جامعها البليغ (شكل القاضي معقودا فيه موسى بن العربى) أعزه الله تعلى وحرسها . بأنه أذن للفقيه العلامة النائب الارضى السيد عبد الله بن عبد الرحمان الاوليويلي أن ينصب نفسه لخطة القضاء نيابة عنه بـ (سكتانة) و (هوزالة) يخاطب على الرسوم ويفصل بين الخصوم . اما بالمشهور أو الراجح من مذهب امامنا مالك . أو ما جرى به العمل من أقوال سادتنا الايمة الاعلام . على شرط أن يشافهه في الامور المهمات . كاحكام الغياب . وقسم التركات . وشئون الايتام . وان لايخاطب على رسوم التجار أصحاب الاجناس المترددين اليهم (الضمير يعود على الاجناس والمراد بهم الاجانب) ولا لأهل الذمة الذين يخالطونهم بيعا وشراء . اذنا تاما . شهد على اشهاده به أرشده الله وسدده . وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر دامت كرامته . في ٢٣ صفر عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف هـ) ثم شكل العدل الذى كتب معقودا فيه فلان بن عبد الملك الروداني .

ءاخـر :

(أذن الفقيه الاجل العلامة الافضل المدرس النفاعة الامثل . قاضي الجماعة بـ (ردانة) ونواحيها وهو (شكل القاضي معقودا فيه موسى بن

العربى) أعزه الله تعلى وحرس ولايته للفقيه البركة . سيدى عبد الله بن عبد الرحمان السكتانى أصلا فى نيابة خطة القضاء بقبيلة (هوزالة) ومن فى حكمها ليخاطب على الرسوم . ويفصل بين الخصوم . بالمشهور أو الراجح أو ما جرى به العمل من مذهب الامام مالك فى المشارع والمسالك . بشرط أن يشافهه فى الامور المهمات . من أمر الغياب . وشئون الايتام . وقسم التركات . وان لايأذن فى بيع أصل للاجانب أو أصحابهم من تجار أهل الذمة أو الاسلام . وان صدر منه شيء مما نهى عنه فهو المؤذن بالعقوبة والملام . ولا ينفعه عذر ولا يقبل له حينئذ كلام . ويتخلق بأخلاق العلماء الايمة الاعلام . ويلزم عدوله أن لايشهدوا شهادة الا باذنه لئلا يتساهلوا فى الشهادات ولايكتبوا ما يتوقف على عدلين بعدل واحد . وليراقبوا الله فى مثل النكاح والطلاق وما أشبههما . ولا تتزوج يتيمة الا بعد اثبات السبب على شروطه المقررة المعلومة . مع أن العدالة مرتبة عالية لايستحقها الا من تجنب الكبائر والصغائر المحرمة أو المباحة التى تخل بالمروءة كالاكل فى السوق والمشى حافيا وترك العمامة . وعليه بتقوى الله فى سره ونجواه . وليعلم أن الله سائله عن دنياه فى أخراه . والسلام فى ربيع ٢٠ عام ١٣٣٢ هـ ويحسم مادة الربا كالرهان الفاسدة)

ذلك ما وقفنا عليه مما بين المترجم وبين من يستنيبونه . وعمدا أتيت بالجميع مع تكرار الغالب . لأعلن للقاريء استفادة عظمى . من منع الاجانب ومن اليهم شراء الاصول فى المغرب منعا باتا .

(هـذا) ثم انه بعدما احتلت تلك الناحية على يد باشا (مراكش) الحاج التهامي الاكلاوى أفرد هذا الاخير المترجم من بين معاصريه بالقضاء هناك . وهذا ما كتبه الى خليفته بـ (سكتانة) فى ذلك :

(الشريف الخليفة سيدى موح (١) سلام عليك ورحمة الله . عن خير مولانا نصره الله ، فقد كلفنا الفقيه سيدى عبد الله بن واحمان بفصل النوازل الشرعية التى تعرض فى جميع قبيلة (سكتانة) على أن يسير فيها بالسيرة المرضية . ويتخذ فيها الطريقة المرعية . مع ملازمة تقوى الله ومراقبته فى سره وعلانيته . وأعلمناك لتكون على بال من ذلك . وتشد عضده فيه . سددكم الله ووفقنا واياكم لما فيه رضاه . والسلام . فى ١٦ رجب الفرد عام ١٣٣٥ هـ . التهامى بن محمد المزوارى)

وهكذا بقى المترجم قاضيا طول حياته منذ شب الى أن دب . بل الى أن لحق بربه رحمه الله .

---

١) هذا هو أول خليفة للاكلاوى على (سكتانة) وما اليها .

نبذ اخرى من اخباره واحواله

كان رحمه الله نوازليا . بصيرا باعراف هذه الجهة . صحيح النقول . ولذلك برز بين حلبته يوم كان العامة يتسابقون الى تحكيم من يختارونه من الفقهاء . ثم لايختارون الا البارزين . وكان ظهوره في الميدان قبل عام (١٣٠٩ هـ) كما رأيت من سنة ١٣٠٦ هـ ومحرراته في الافتاء والقضاء تطفح بها هذه الجهات السكتانية .

كان على سمت أهل ذلك الجيل من انابة وحسن وقار ومراعاة أهل الوقت . فقد كان قبل سنة ١٣٣٥ هـ ينتصب في المدارس للتدريس مع مزاولته للحكام . وأخذ عنه كثيرون كالفقيه سيدى الحسن بن محمد اليعقوبى (١) . وسيدى عبد السلام الذى هو النائب الرسمى اليوم في (سكتانة) وناحيتها (٢) وكان يجول في فنون شتى حتى التى يقل رواجها بتلك الناحية كالبيان . ولكن فنه الذى اشتهر به هو الحساب والفرائض . كما أن له يدا طويلة في الفقهيات . وهو خاتمة الفرضيين هناك . ومن أحواله التودد لسعة الاخلاق . ولا يضيق ذرعا بكل ما يزعج الناس حوله وله حال بينه وبين ربه . وقد لازم الطريقة الاحمدية التى تلقنها من أستاذه الذى تهذب به . وهو سيدى أحمد ابن محمد من (ءال حسين) فقد صاحبه على الاخذ والتهذيب . كما أنه لاقى سيدى الحاج الحسين الافرانى . والشيخ محمد النظيفى . نزيل (مراكش) وسيدى الحاج أحمد بن موسى الطاطائى وقد اجازوه كلهم في هذه الطريقة باجازات مصونة عند ولده القاضى سيدى الحاج اسمعيل . ولم نتوصل بها . والا لأثبتناها . وكان مع ملازمته لهذه الطريقة يصاحب رؤساء غيرها من الطرق بالتعارف . وقد كانت له لقاءات شتى مصادفة مع الشيخ الالغى متى ورد الى (سكتانة) . وقد حكى لى بعض الفقراء أن الشيخ المذكور كان يستقصى في السؤال عنه من مريدين . ذمتا جاءوا من (سكتانة) على عادته في حب العلماء واخبارهم كان زار الحواضر حينا ودخل (فاسا) لزيارة مشهد أحمد التيجانى .

ذلك مجمل أخباره رحمه الله . وقد خلف ولدين ذكرين هما القاضى سيدى الحاج اسمعيل وأخوه سيدى عبد الوهاب .

الرابع القاضي سيدي الحاج اسماعيل

زهرة هذا البيت اليانعة . وقطب القضاء بـ (سكتانة) اليوم . وولادته في سادس شعبان عام ١٣٢٧ هـ . وأمه أخت الفقيه سيدى الحسن

١) ذكر مع أهله فى (الجزء السادس عشر)

٢) ثم صار عدلا ممتازا بين الاستقلال ومعتمد القضاة هناك .

ابن محمد اليعقوبى . وقد مر تحت والده زوجتان قبل هذه . ثم شقيتهما بعد وفاتهما .

أخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن عبد الله الماغارتى السكتانى فى مسجد (تاليوين) وبه تخرج فى حرف ورش . ثم حرف المكى . ثم افتتح المتون عند والده وهو لايزال يأخذ القرءان . فكانت مبادىء العربية من بواكر ما تلقاه اذذاك . وذلك نحو سنة ١٣٤٣ هـ . ثم انتقل الى المدرسة التى انشأها فى (دادس) خليفة الحاج التهامى الاكلاوى هناك وهو مولاى سعيد أخو الخليفة السابق الذكر مولاى موح . وكان استقدم اليها الاستاذ مولاى عمر السكتانى المسكن . الانوزالى الاصل . وله ولد لايزال حيا يسمى محمد بن عمر . وقد أخذ عن أبيه وعن الاستاذ داود الرسموكى نزيل (تازمورت) و (تيبيوت) وعن الاستاذ الحاج مسعود الوفقاوى نزيل مدرسة (ايغلالن) ويثنى عليه فى علمه وفى سمته . وهو الأن فى (الدار البيضاء) وقد اتصل بى لما كنت قاطنا بـ (البيضاء) ولازم دروسا كنت ألقيها هناك على الطلبة . وكان فاضلا خيرا متدينا كريما نشيطا يحترف التجارة ثم رجع الى (سكتانة) عام ١٣٧٤ هـ . فشارط فى مدرسة هناك . فاقبل على التدريس أعانه الله . ولا يزال الآن حيا عام ١٣٨٠ هـ . وأبوه ممن أخذ عن الحاج أحمد بن موسى الطاطاءى . وعن عبد الله الواحمانى . لازم الفقيه عمر التدريس فى تلك المدرسة (الدادسية) الى أن مات عام ١٣٤٨ هـ . فى شهر شعبان منها . وهناك أخذ عنه القاضى الحاج اسمعيل. فاتقن عنده المتون الابتدائية النحوية . ورسالة ابن ابى زيد . وشيئا من منظومة الرسموكى فى الفرائض . وقد فارقه عام ١٣٤٧ هـ . ثم انتقل الىمدرسة (تاليوين) عند الاستاذ سيدى محمد الروداني الشهير . وقد كان أخذ عنه قليلا قبل أن يذهب الى (دادس) أخذ عنه الالفية والمرشد . ولم يبطىء هناك . فانتقل الى مدرسة (تيبيوت) عند الاستاذ الكبير سيدى داود الرسموكى . وذلك فى أوائل عام ١٣٤٨ هـ . فأخذ عنه الالفية نحو مرتين. ومختصر خليل . وأوائل التسهيل بشرح ابن عقيل . وبعض الرسالة والبخارى . ولامية العرب للشنفرى ولامية العجم للطغرائى . والبردة والهمزية للبصرى . وبانت سعاد مرارا . والبيقونية فى المصطلح ومنظومة ابن كيران فى الاستعارات . وورقات امام الحرمين . والخزرجية ومقامات الحريرى والعاصمية . وكانوا يكبون على كتب ألادب فى أوقات الفراغ على الدروس على عادة الالغيين والافرانيين ومن اليهم وكان الاستاذ داود يأخذهم بقرض الشعر . لأنه أديب كبير . ممن تخرج بشيخنا سيدى

الطاهر بن محمد الافرانى التامانارتى ـ وعن قريب تقرأ ترجمة داود ـ وفى أواخر عام ١٣٥٠ هـ رجع الى داره . فصار يخدم والده لكبر سنه . وضعف منته . فأخذ عنه الزقاقية . لان والده رأى منه اكبابه على الادب . وكان يقول له اجتهد فى تحصيل علم البلد أولا ـ يعنى الفقه ـ ثم عليك بغيره ان وجدت الوقت . ولكن الاديب الذى خلق أديبا لايرى لحلاوة الادب مثيلا . وان أكثر الفقهاء فى تعنيته . ونعوذ بالله من قوم لايشعرون .

لا تعذل المشتاق فى أشواقــه   حتى يكون حشاك فى احشائه

فى القضاء رسميا

توفى والده وهو لايزال فى المدرسة . وقـد كان تصدر للتـدريس فيها . وكان البارز للقضاء الفقهية سيدى عبد السلام . لانه كـان رفيق القاضى الماضى . وبقى فى مركزه بعده . وكان مع المترجم فى بيت بمدرسة (تاليوين) وقد بقى سجف الحرمة الذى كان مبسوطا على الاسرة . وعلى كل قرية (وليويل) وقد كانوا قبل الاحتلال جلوا عن مساكنهم . وحين ثبتت قدم الحكومة ـ ابان الحماية ـ حرروا جميعا عن يد الفقيه سيدى عبد الله الواحمانى . لمكانته عند الباشا الاكلاوى . فبقى ولده محافظا عـلى ذلك الشعار. لايريد أن تتعدى سكناه مركز رئاسة القبيلة فى(تاليوين) فكان مع سيدى عبد السلام معيناً . وكانا معاً لايفارقان هناك الرؤساء لأنهما مـن الرؤساء . فجاء الحاج التهامى سنة ١٣٥٢ هـ فوجد المدرسة هناك خاوية . فباحث خليفته عن عمارتها . فانتدب اليها المترجم . فعمرت بالطلبـة . فكان ذلك شغله الكبير . فخرج تلاميذ قد رأيت بعضهم . فئانست منهـم النجابة . وخصوصا فى العربية . كالاديب محمد بن الحسن اليعقوبـى . وكالفقيه محمد بن أحمد الاساوى . فهناك تفتح ذهنه وأمثالهما (١) . وفى سنة ١٣٥٧ هـ . فى رجب منها تعين رسميا لقضاء كل ايالة (تاليوين) وقد اجتهد الحكام الفرنسيون فى تثبيت القانون العرفى البربرى الذى كانوا يبيتون به محاربة الشريعة الاسلامية . كما هو معلوم . فتعصب عقلاء الناس ضد ذلك . خصوصا الباشا الحاج التهامى الاكلاوى الذى ما جرى حكـم عرفى فى ايالته كلها (وقد كان كثيرا ما يعلن فى الناس ذلك اذا اجتمعوا كما يعلن أنه حرر من الكلف المخزنية جميع طلبة القرءان بايالته . وقد قال لى يوما : اننى حررت بذلك فى (تاليوين) وما اليها سبع عشر مائـة طالب) وهذه مناقبه التى يشكر عليها رحمه الله)

---

١) ذكر الاول بين أهله اليعقوبيين فى (الجزء السادس عشر) والثانى فى (الجزء العاشر)

ثم لما عزم الباشا على تنصيب القاضي الشرعي هناك . ووافقته الحكومة . استدعت المراقبة هناك ليوم معين جميع من ينتسبون الى العلم في (سكتانة) فكانوا نحو ثلاثين . ومن بينهم شيخ مسن له بصر بالمعارف. فقيل له قبل أن يحضر : ان الحكومة تفتش عن العرف . فقال : ومن ينكر العرف والله يقول : (وامر بالعرف) فعرف الحذاق من الطلبة ما سيصيبهم ان أجاب هذا الشيخ المسن بمثل هذا الجواب المتجانف . فسربوا اليه طالبا يحول بينه وبين الحضور في الوقت المطلوب . الا أن المفتشين الذين جاءوالم تدخل اليهم المراقبة الا اثنين القاضي هذا . والسيد عبد السلام . فسألوا عن الكتب التي تروج في البلد . وهل يعرفون (المختصر) فقال لهم القاضي مشيرا الى رفيقه : ان هذا حفظه كله والخزائن كثيرة في كل مكان . وتحت يد كل فقيه في كل قرية . فتعجبوا أو أظهروا التعجب على الاقل . فهذا هو السبب حتى تمكن القضاء الشرعي رسميا هناك . وقد رشح له المترجم وسيدى عبد السلام . ولكن الناس أختاروا المترجم لملاطفته . ولمكانة أبيه بينهم قبل . وكان الاختيار في محله .

حجته

وقد يسر الله له الحج عام ١٣٥٣ هـ فنفعه ذلك . حين رأى ما كان يسمع . وخالط وشاهد .

مركزه الادبي

لا أفضل على هذا القاضي اليوم أحدا من شبان أدباء سوس من جهة اطلاعه على أحوال الوقت . وعلى ادراكه مغامز السياسة . وعلى فكرته الوطنية . وان كان يعرف كيف يساير بها في المجتمعات التي يضطر أن يغشاها . وهو مولع بالكتب الحديثة . فتجد عنده الكتب المختلفة الانواع. فتكونت لديه مكتبة ضمت المطبوعات الجديدة الى كتب العهد الماضي التي منها ما لايزال مخطوطاً . وهي تناهز كما قال لى الف كتاب . وله مشاركة حسنة . ولكن تفوقه يظهر في محبة الادب الذى ارتمى عليه . حتى صارت له فيه مكانة مكينة . وكم أعجب ببعض الابيات التي يقولها بين قصائده . وله ذوق عال في الادب . ولا يخفى أن محور هذا الفن انما يدور على الذوق . بعد اتقان اللغة العربية . وهو فريد في كل هذه الجهات . ولا أعلم الآن من تلاميذ سيدى داود من هو له نظير في هذه الناحية . الا ما كان من الاستاذ الاديب الحسن البونعماني الذى يعد أيضا في تلاميذ سيدى داود فانه الفحل الذى لايقدع أنفه .

يجب علينا أن نختار مانسوقه من مجموعة كبيرة طالعتها عنده . وهي تضم ما كان يقوله في المدرسة . حين ابتداء قرض الشعر . وما كان يقوله بعد ذلك حين تمكن . وسيجد فيها القارئ ما يقر عينه . ويبهج صدره . ويعلم به صدق الشاعر البونعماني فيما كتب به اليه أثناء رسالة أجاب بها خطابا وجهه اليه : (. . . فيا لله من كتاب ذكرني بأسلوبه الحلو الرسائل الادبية في عهد ازدهار اللغة العربية . وتفنن كتابها العبقريين الى ما يلوح بين ثنايا ذلكم الاسلوب من التعبير الجديد العصرى اللطيف . فمرحى ثم مرحى يا اديب الاقطار السوسية . ويا عالمها . ويا كاتبها المقتدر المتضلع . فليشمخ أنف سوس الى السماء بوجود أمثالكم منأبنائها النبغاء . . .)

ووجه البونعماني اليه أيضا بعدما كتب اليه المترجم قصيدة :

بلغ فتى التجديد اسماعيلا — أشواق صب صبره قد عيلا
واشرح له اعجابنا بقصيدة — وافت لدينا تزدرى الاكليلا
ما أن أطالسكوتنا عن حسنها — زمنا سوى فقداننا التمثيلا
هيربة السحر الحلال أما ترى — بينى وبين جوابها قد حيلا ؟
لاغرو ان خضع اليراع لوصفها — فغدا يرتل عذره ترتيلا

والقصيدة التي يعنيها الاديب البونعماني بهذه القطعة نونية منها :

همت سحب الجفون بالارجوان — غداة جفت معناها الغواني
كواعب خرد عين شموس — زهور خمائل قضبان بان
فشم برق المباسم اذ تبدى — كأنه من زهور الاقحوان
أفي أجفانها للصب حين — بلى ؛ تردى الجفون من الحسان
تملكني الهوى من قبل علمي — باعقاب الهوى حتى براني
فيا لله أيام تقضت — بسلع عهد أيام التداني
ألا فاستجلها فيالكأس شمسا — مطالعها من أفواه الدنان
هي الصهباء دعني احتسيها — على النغمات من ضرب المثاني
من أهيف شادن حلو لماه — شنيب الثغر من ولد الجنان

الى ءاخرها .

ووفد المترجم مع الاستاذين سيدى مولاى سعيد وسيدى رشيد ابن المصلوت على الاستاذ داود فخاطبه المترجم بما نصه :

خطب الهوى بتواصل وتدان فبكت على ذنب النوى اجفاني

وجرى نسيم الانس فابتهجت به الا رواح جرى السكر فى النشوان
وجلت عن القلب العميد سحابة الا حـزان شمس مسرة وتهـان
هذى ثغور البرق فى بسماتها بعثت بقلبى مشاعر التحنان
وأتيت ربعـا طالمـا أشتاقـه فمحا التواصل سدفة الهجران(١)
هو مربع قد حله (داوود) مز دهرا بمزن علومـه الهتـان
وهو الاديب العبقرى المرتضى وهـو المعـين لـوارد ظمئان
حياك صفو الود من قلبى أيا (تِيوت) ربع سماحة الخـلان
ترعاك من رب السما ألطافه ووقاك ربى من صروف زمان
وعلى علا الاصحاب خير تحية ما غرد القمرى فى الاغصان

فأجابه الاستاذ بالقصيـدة التى تقدمت فى ترجمة سيدى رشيد . ومطلعها :

أبدور مجد أم بدور زمان زاروا عـلى شط المزار مكانى

وكتب الى أستاذه المذكور مع رسالة لم نقف عليها :

يمم ربوعـا حلها (داوود) العالم النحرير والصنديـد
يدعو الى المجد الاثيل فلذ به فهـو المنى للطالبين يفيـد
وسر الحثيث ورد مناهل عذبة من حيّ بالعلم الشريف سعيد
واصبر على شحط الديار فانما حلف الغريب الجد والتسهيد
وابذل جهودك مخلصا تحظى بما ترجوه فالتحصيل كان أكيد
واخفض جناح الذل وادخل صادقا روض العلوم يحقق المقصود
فهناك تكتسب السيادة والعلا وهناك سر الفتح والتأييد
وهناك سر للبيان يحوكه وهناك صرح العلم وهو مشيد
وهناك حسن السبك والابداع والتـ ـطريز والتوشيـح والتوليـد
أربى على سحبان فى شذراته در الكلام هناك وهو نضيد
هذا سميع يرتجى دعواتكم بالفضل منك بها علىّ تجود
وعلى علاك تعود خير تحية وتحيـة منى عليك تعـود

الجـــواب :

وافى الىّ من الحبيب قصيد أزرى بعقـد دره منضـود
ماذا يعدد من محاسن سبكه من ذى البلاغة مفحصا لغدود(٢)
ما البدر فى أفلاكه . ما الدر فى أسلاكـه . ما العقد وهو فريد

---

١) السدفة : الظلمة .

٢) اللغدود : الحلـق

ما الروض فى أزهاره . ما الدوح فى ... أثماره . ما الثغر وهو نضيد
ما الورد فى اياره . ما النور فى ... أقماره . ما الزهر وهو مجود
ما الخمر فى أكوابها . ما العين فى ... أثوابها . ما الظلم وهو برود
بألذ من ذاك القريض فانه ... تنسيك وشى الروض منه برود
لله درك يا سميع هكذا ... صوغ القريض كما تصاغ عقود(١)
أنست بلاغتك الفحول فما يفيـ ... ـد البحترى أو ما يفيد لبيد
لو قدر ءاك ابن الحسين لخال ما ... يهذى به الوسواس ليس يفيد
أو قدر ءاك حبيبهم لأختار أن ... يختار ما حبرت وهو عميد (٢)
هذا هو السحر الحلال وغيره التـ ... ـضييع للقرطاس والتسويد
هذا هو الادماج والاغراق والتـ ... ـدبيج والارداف والتجريد
هذا هو التوشيح والتسمط والتـ ... ـسهيم والترديد والتعديد (٣)
هذا هو العذب الفرات وهذه ... دوح العلوم أخضر منها العود
تالله يا رب البلاغة اننى ... لأسير ما أسداه منك الجود
أبشكر احسان بعثت أقوم أم ... نظم بديع سرنى فأميد
فخذ الفؤاد كما أردت فانه ... ملك ببرك ما تريد يريد
أعطى العهود على المودة لا يريـ ... ـم عن الوداد وان حوته لحود
دم للمكارم ترقها متسنما ... صهواتها وتكنفنك سعود
وانعم صباحا لا يروعك حادث ... والدهر يسعد والامان عبيد (٤)
وعلى مقامك دائما أزكى السلا ... م كما البشام يبثه (داود)
لا زلت محفوظ الجناب ومقصد الـ ... ـمنتاب ، نعم القصد والمقصود
لا زلت ياشمس الكمال مطرزا ... ثوب الندى والسر منك يزيد
بالمصطفى خير الامام صلاة مو ... لانا عليه مدى الزمان تعود
وعلى صحابته الكرام وءاله ... ما حن أن هب النسيم عميد

المحتل بنا احتلال الارواح بالاشباح . الممتزج بمزاجنا امتزاج القراح بالراح . ذو الخلق الكريم . والود الصميم . والسيادة العصامية . والشهامة الهاشمية . والنفس الزكية . والسماحة البرمكية . روض المعارف والاسرار.

---

١) سميع تصغير اسمعيل . ويكون التصغير للتحبيب . قال :
بذيالك الوادى ولم أقل ... بذيالك الوادى وذياك من زهد
ولكن اذا ما حب شيء تولعت ... به أحرف التصغير من شدة الوجد
٢) حبيبهم يعنى حبيب بن أوس أبا تمام .
٣) أنواع من أنواع البديع .
٤) الامان أصله الامانى . خففت الياء ثم حذفت ودلت عليها الكسرة .

وحديقة الابرار الاخيار . الاخ المجيد . السميدع الفريد . رافع راية المكارم. المدرار نائله كالمنهل من الغمام .

فتى أنفق الاموال فى متجر الندى وأنفق فى العليا نفيسا من العمر

وهــو القاضي الاعــدل . الامجد الامثــل . من تاهت بـه من الاحكام الكراسي . وخضعت لقدره المعتلي الجبال الرواسي . سيدى الحاج اسمعيل . ابن الفقيه النحرير . العلامة الشهير . البدر المنــير . سيدى عبد الله بن عبد الرحمن السكتاني . حفظ الله مقامكم السعيد من الاكدار والشوائب . وحمى حماكم من الاسواء والنوائب . وسلام تام شامل عطر الشميم . على جنابكم الفخيم . ورحمة الله وبركاته . هذا وان رسالتك العاطرة الانفاس . الباهرة الطاهرة من الادناس . وقصيدتك الطنانة . وبنت فكرك الرنانة . وصلتنا فأطلّتنا على الفؤاد . بما فيهما من الانسجام الصيب العهاد . وسحرتنا الالباب بارتشاف ما فيهما من عذوبة الرضاب .

سحر من اللفظ لو دارت سلافته على الزمان تمشى مشية الثمل

يود الصبح نور سناهما . ويعشق النسيم لطف مغناهما . وتتمنى الحبر اليمانية ذلك الوشي العبقرى . ويشتهى ذلك اللطف النسيم السحرى. لله درك من ملفق مفلق(١) ومن راتق . لكل فاتق . ومعهما هدية سنية. وافرة زكية . محمودة مشكورة . وفى ديــوان القبول مذكورة . سرت بــؤرودها الالباب . وعطرت بشميم مسراها هذا الجناب . فتلقيناها بيمين القبول . وبسطنا لها من الشكر سابغ الذيول . وحللنا لها الحبا . وكبرنا تعجبا (٢). وأطرقنا تأدباً . ورفعنا أيدينا . وبسطنا أكفنا . للدعاء مخلصين . وابتهلنا الى الله متضرعين . أن يكافئكم بأفضل ما يكافىء به أهل الخيرات عن خيراتهم. وأهــل النيات عن نياتهم . وأن يثيبكــم أحسن المثوبة . وأن ينيلكم كل مسؤول ومأمول . من عاجل الخير وءاجله . ويزيل عنكم كل مخوف ءاجله وعاجلـــه .

ءامين ءامين لا أرضى بواحدة حتى أضيف اليها ألف ءامينا

(ويرحم الله عبدا قال ءامينا) .

ثم انني أقول كما قال الاعرابى الذى ضلت ناقته فأعيا فى طلابها . فلما طلع القمر رءاها باركة حوله . فأنشد يخاطب القمر :

---

١) أفلق الشاعر : اذا أتى بالفلق بكسر فسكون أى العجب فى شعره . والراتق للخرق : الجامع له بالخياطة .

٢) تلميح لقول المتنبى :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس منها المشرق

ما ذا أقــول وقولى فيك ذو حصر ... وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لا زلت مرفوعا فأنت كذا ... أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

وأعيد السلام على جميع أهل الصدق والمودة كسيادة القائد . والسيد عبد السلام . وغيرهما . والحامل الشيخ محمد ابن الشيخ الحسن من (تحت الربوة) استوص به خيرا فى مسائله . فانه من أهل الخير . وقد استكتبنى فى ذلك . ودمتم فى حفظ الله ورعايته وتوفيقه وعنايته والسلام .

ومما أجاب به سيدى داود خطابا اخر للمترجم ـ وهو عنده تلميذ ـ :

أمن أبدت قريحته نظامـا ... وفاق سواه حزما واهتماما
لقد أبدعت فى نظم رقيق ... بديع راق حسنا وانسجاما
وجئت به كما يهوى نديم ... تحسى الوجد واغتبق المداما
فشمر للعلا واجعل سواها ... وراء الظهر لاتطلب حطاما
فلا يقربك عجز أو فتور ... فلا يغشى الفتور عدا الطغاما
فحلى العلم أفضل كل حلى ... تحل بحليه تحلُ الاناما

وخاطبه أيضا المترجم بقصيدة مطلعها :

وفت لكم الايام من بعد يأسه ... وبعد احتراق القلب من حر لوعة
بوصل خليل ليس شوقى لغيره ... هواه سبى عقلى وقلبى ومهجتى

يقول فيهـا :

أيا معشر العشاق قوموا جميعكم ... اليه لكى تحظوا بأوفر بغية

فاجابه سيدى داود بقوله :

توافت على لطف كأنفاس نسمة ... بنية فكر يـا لها من بنية
غذاها نمير العلم من فكر سيد ... حوى سؤددا محضا بشامخ نعمة
وابرز فى ميدان نظم لطائفا ... تفوق لطائف الرياض الاريضة
فما شئت من لفظ رقيق مهذب ... ومن رائق من المعانى الانيقة
فلله فكـر صاغهـا متأنقـا ... كما صيغ عقد من جواهر لبـة
أتتنى بأثواب البلاغة تزدهى ... وتبدى على لطف بدائع حكمة

وأجابه عن أخرى بما نصه :

عذوبة نظم الشعر أشهى لدى من ... عذوبة وصل الغانيات على وجد
ومعناه فى الالباب أوقع من عيو ... ن عين حسان أو من الصارم الهندى
عليك به واجلُ الهموم بنظمه ... فما للشجا سواه من صارم يردى
وابد نفائس المعانى كما بدت ... فابدت ضياء صفحة القمر السعدى
فان كمال المرء يبدو بنظمه ... كمثل كمال الدر يظهر بالعقد
ولا ترض من دون الفضائل خطة ... وزاحم على فضل ذوى الصدق والجد

ولداود أيضا يجيبه وهو عنده تلميذ . عن قصيدة :

أتت تزدهى من حسنها المتوافر ... عقيلة فكر ضمنها سحر ساحر
وفت فأثارت ما استكن من الهوى ... بارجاء محنى الحشا والضمائر
رضيعة اداب بديعة حكمة ... ربيبة تبيان بضاعة شاعر
مهاة قريض صاغها فكر ماجد ... أديب له بالارث شأو المفاخر
فريد له بالانفراد مكانة ... تفوت مطالع النجوم الزواهر
وما المجد الا ما حواه وسؤدد ... ولا الفضل الا ما اقتنى من مئاثر
هنيئا لقد حزت السيادة ناشئا ... وعنوان باطن الفتى فى الظواهر
وابشر فان روض شعرك يانع ... ونمٌ به نسيم فهم الخواطر
على مثل هذا الشعر يحلو تهتك ... ويحسن لا على ذوات المحاجر
ألا بلغوا فحول عبس بأنه ... بدا نجم أفق الشعر بين الاواخر
وكم من مبان فى ثياب بلاغة ... وكم من معان تحتها كالجواهر
وكم من بيان فى حلى فصاحة ... وكممن بديع واضح الحسن باهر
تمتع فهذه مراتع لا كما ... يهيم الغبى بالعذيب وحاجر
اتنكر بعد ما أحطت بهذه الـ ... ـخريدة أن الزهر فى كف شاعر
تأمل تجد فى صدرها متنقبا ... غزالا غريرا ذا عيون بواتر
ستلفى بها ان كنت ذائق سرها ... موارد لم يخطر سواها بخاطر
واما تنشقن مسك ختامها ... فبحر طويل دونه كل زاخر
فنادِ بأعلى الصوت يا أسرة القر ... يض هذى لعمر الله نفثة ساحر
تبارك من أولاك يا ناسج القر ... يض مقول صدق بين باد وحاضر
ولازلت تاج المكرمات موفر السـ ... ـيادة يا انسان عين المفاخر
بجاه رسول الله أفضل من وشت ... بأمداحه المداح وشى المحابر
عليه صلاة الله ما دبجت برو ... دَ روض أريض كفُ سحب عواطر

وله أيضا يجيبه اذ ذاك أيضا :

بالله يا نفس النسيم السارى ... وهنا فجدد بالبشرى تذكارى
هل صافحت يمناك منحول الحمى ... زهر الربا فتعطرت بعرار
أم جئت من وادى العقيق فكم به ... للمستهام الصب من أوطار
ما أن تألق بارق من نحوه ... الا وأوقد لوعتى كالنار
لولاكم يا ساكنى شعب الحمى ... ما هيجت شوقى رسوم الدار
كم فى الحشا لولا التعلل من جوى ... يضنى اذا ما مس بالاضرار
كم فى ملاعب حاجر من شادن ... يسبى الفؤاد بطرفه الفتار
يسبى بحسن دلاله صبا كما ... تسبيه قهرا نخبة الاشعار

من نسج فكرة سيد اكرم بها من فكرة أعيت مدى الافكار
شعر الاديب المرتضى من معشر غُـر كـرام سادة أخيـار
الحائزين من الكمال صميمه الطالعين عليه كالاقمار
ما منهم الا كريم فضله يغني عن التعريف بالاخبار
ورثوا المكارم سيدا عن سيد بالفرض والتعصيب والاقرار
أما السيادة فهي من أبوابهم تُوتَى قديما من مدى الاعصار
والفضل حط رحاله بفنائهم والسعد عمهم على المقدار
حتى تفرع منهم ندب حوى عفواً مئاثرهم على الآثار
متفضل أهدى لنا من شعره الـ ـغض الطرى حدائق الازهار
مهلا فقد أتعبت كل قريحة بخريدة أنست صبا الاسحار
مالـ(الفرزدق) و(الكُميت) سليقة تحكي اقتدارك والفتى (بشار)
الله خصك بالبلاغة والفصا حة فاشكرن له بذا المضمار
فالله يحفظ نور فكرك من كسو فِ ضيائه بنبينا المختار
صلى عليه الله والاصحاب والا تباع ما هب النسيم السارى

وله أيضا يجيبه :

اذا صدئت أفكارنا بصدا النوى فانشاء شعر مستطاب هو الدوا
أدرها كؤوس الشعر لاالخمر وانتخب معاني تشفي ان تحسيتها الجوى
رعى الله صبا كلما لاح بارق بارجاء نجد زار ساحته الهوى
فبات ولم يطرق منام جفونه وجفن السهى سهيا وءاونة خوى(١)
ويرقب وجه الفجر والفجر كاذب ألا فاعجبوا للفجر هل ضل أوغوى
واصبح ان غنت حمامة أيكة يطارحها شجوا تذوب له القُوى
أيا نسمة هبت بأرض هواؤها شميم فهل مررت وهناً بذي طوى(٢)
وهل صافحت يمناك منه عشية عَرارا رعاه الله من بعد ما ارتوى
والا فهل أتيت دارين أو نشر ت من عنبر الشحر المبارك ما انطوى(٣)
فيا عجبا حتى النسيم مدلسٌ وعهدى به يروى الصحيح اذا روى
فهلا تحريت الصواب وقلت ذى شمائل اسماعيل من بالحشا ثوى
ثوى في سواد القلب مني مخيما كمثل ثواء الروح فيه سَواسَوا
أديب اذا ما سل عضب يراعه وأورده للخط في مشرع الدوا
يدبج وجه الطرس بالنقس مثلما يدبج وجه الروض بالقطر ان هوى

---

١) خوى النجم على وزن سما : سقط
٢) الوهن كفلس : وقت نحو وسط الليل .
٣) الشحر بفتح فسكون : محل باليمن ينسب اليه العنبر .

جلا بحلال السحر والسحر بعضها — تضمنه ما كدرته يد النوى
جواد اذا ما جاد افنى نواله — فياويح فقر قد أتيح له التوى(١)
لعمرى لقد أسدى وألحم وانتحى — مكارم أخلاق على عرشها استوى
تبارك من حباه بالخلق الرضا — الى أن حوى من السيادة ما حوى
ولو أن واوا ساعدت فكر وامق — لأطنب لكن أين فكر وأين وا (٢)
وماذا عسى يثنى وان لج واصف — فليس يفى وان أطال بما نوى
وغاية ما أقول انك لم تدع — لغيرك من مجد ولو حبة النوى
ودمت بأفق المجد تطلع دائما — وضدك فى سفل الحضيض هوى عوى
ولازلت فى حفظ يمد رواقه — عليك من الاشبال طرا على السوا
عليكم سلام الله ما حن نازح — أضرت به فى كل أحواله النوى

ولـه أيضا يجيبه :

هذه قرقف (٣) اذا ما احتساها — فكر صب تلا (فهل من مزيد)
واذا قابلته فى وسط الكأ — س تحدر وجهه للسجود
كلما كررت أعادت سرورا — خلته باليا بزى الجديد
قسما بابتسام ثغر شنيب — وبورد زها بروض الخدود
وبردف كأنه دعص حقف — فغدا يشتكيه غصن الغدود
وبصبح يلوح فى وسط الليـ — ـل الطويل كطول يوم الصدود
ورضاب مستعذب وسهام — تحت قوسين من حواجب سود
اننى مذ وفت مرابع قلبى — هذه الخود فى شفوف البرود (٤)
لطروب متيم ذو غرام — مضرم فى الحشا وقلب عميد
غير أن زفافها يوم زفت — كان يهدى لغير كفء نديد
كان بينى وبين ما نسبته — لجنابى أى بون بعيد
ان هذا الضعيف أكثر خلق اللـ — ـه ذنبا يفوت حصر العديد
فجزاك الاله عن حسن ظن — كل ما ترتجى برغم الحسود
أنت والله شاعر فات حسنا — واقتدارا مدى الهمام لبيد
كل شعر لحر شعرك عبد — يتمناه كل ندب فريد
تمم الله نور فهمك يا من — قد غدا فى الكمال حلية جيد

---

١) التوى : الهلاك .
٢) أين واو . فيه الاكتفاء
٣) القرقف بفتحتين : من أسماء الخمر
٤) الخود بفتح فسكون : الشابة

وورد داود الاستاذ على المترجم بـ (سكتانة) فخاطبه بقوله :

هاج شوقي وفاض أنس جديد   وصفا الجو والسرور يزيد
أى خمر رشفت صرفا فاني   هز قلبى انشاؤها فأعيد
فأرى فى فضاء سكرى خيالا   جاء يفتر منه هذا الوجود
هى غيد تغازل الصب فاستهـ   ـوته شوقا باللحظ تلك الغيد
هى تلك الالحان تبعث روحا   تبهج القلب والشجون تبيد
أو رياض تغرد الورق فيها   فسما القلب ذاك التغريد
أو نسيم الصباح يسرى عليلا   أو تبدت على النحور العقود
أو سرى ذكر من أحب فأصبو   من جديد وفى التصابى جديد
أو أديب يرصع الانجم الزهـ   ـر فيزهو بالانجم الزهر جيد
عبقرى يسلسل الشعر فرد   يسحر اللب شعره المنضود
ذاك (داوود) زارنا بعد بعد   زورة تم لى بها ما اريد
لم يؤثر ولن يؤثر فى العهـ   ـد زمان البعاد وهو مديد
مر دور البعاد فى الحزن لكن   جاء دور الشهود وهو العيد
قد تمليت باجتماع زمانا   ليت ذاك الزمان بعد يعود
مقدم شرف الربوع وأحيا   ذابل الانس والوئـام يسود
مقدم قد أثار مشعر شعر   فغدا الفكر بالقريض يجود
هاكه غير مستطاب بديع   فاعذرونى فلست ممن يجيـد
وعليك السلام كالروض طيبا   زانه الانس زاهيا والورود
من مشوق يحاول الصبر لكن   كيف صبرالعشوق وهو عميد

ثم أرسل اليه الاستاذ الجواب بعد رجوعه . ونصه :

هذه غادة اذا ما تراءت   لخـلى سباه شوق شديد
أم رياض تبسم الزهر فيها   كلما عبس السحاب الحقود
أم عقود تنظمت من درار   ثم غارت من اللئالى العقود
أم تبدت بساحة الجام قِنْد   يدْ فخر النهى وهن سجود
أم ظباء تغازل الصب منهـ   ـنّ عيون مـدعجات رقود
أم عيون المها رمت بسهام   قلب صب فبات وهو عميد
أم تغنت حمامة البان حتى   أطرب الصب ذلك التغريد
أم بدا البرق من جوانب نجد   فشجتنى من ساكنيه عهود
بل قريض اجاده فكر ندب   يسحر اللب منه در نضيد
كلـم نظمت بسمط من القـو   ل فيزهو بها من الطرس جيد
ملئت بالبديـع من كل معنى   كاد يشربه السماع العتيد
لو أديرت عـلى الزمان كؤوس   من طـلاها لسار وهـو يميد

أو تراءت لعين (عبّود) نوما — لاستفاق من نوعه عبود (١)
أو رءاها عبيدهم أو لبيد — لازدرى نظمه البديع عبيد
حاك حلتها السميدع اسما — عيل بحر الندى الجواد المجيد
سيد قد أفاد شعرا ووفرا — حين عز الذَين شخص مفيد
فاسترق الفؤاد منى بجود — كم فؤاد قبلى تملك جود
وبشعر قد حاز معنى لطيفا — فانتشى من مدامه ذا الوجود
كيف لا والذى جلاها أديب — مفلق هلهل القريض فريد
فانظروا ياذوى القريض قصيدا — طاب منه على الدوام النشيد
صدره مطلع عجيب بديع — (هاج شوقى وفاض أنس جديد)
هل لها أو لما بها من معان — رائقات مستعذبات نديد
جعلة القول أنها روض شعر — وسواها ان تحلى فديد
بارك الله فيك يا دوحة المجـ — ـد ونلت من المنى ما تريد
هاكها سيدى مجاجة فكر — عاقه عن مدى علاك الجمود
وعلى قدرك الرفيع سلام — مثل مسك أنفاسه بل تزيد
من أخيك الاود (داود) من لم — يحكه فى الوداد خل ودود
داعيا لكم بنيل أمان — وأمان وساعدتكم سعود
فى ثياب من السلامة حتى — لا تروعكم نوائب سود
بالنبى صلاة ربى عليه — وعلى الآل والسلام المديد

وبعدها هذا النثر :

مالك أزمة البيان . السابق فى ذلك الميدان يوم الرهان . المؤيد من الفصاحة بأياد . فلم يعبأ بصاحبى طىء وأياد (٢) المكتسى نصاعة البلاغة . ولم يحفل بهمام ولا ابن المراغة (٣) الناظم الناثر . المحيى من الادب الرسم الداثر . أبو الفصاحة . وترب السماحة . خير الاخوان . وزبدة ما فى ذلك الخوان . المرتقى مراقى الكمال . فى النباهة والشهامة وجميل الخلال . القاضى الجليل الماضى النبيل . سيدى الحاج اسمعيل ابن سيدى عبد الله السكتانى . أتم السلام الشميم . الشامل العميم . على جنابه الفخيم . ورحمة الله وبركاته . (هذا) واعلم أن قصيدتك الغراء . الجالبة السراء . الآخذة بمجامع القلوب . الموفية بجميع المطلوب . الحسنة المهيع والاسلوب . الجالية لصدا الكروب . احتلت بنا احتلال الارواح بالاشباح . وامتزجت بمزاجنا امتزاج القراح بالراح . فوحق فصاحة ألفاظ أجدتها . حين أوردتها . وأسلتها حين أرسلتها . وبراعة معان سلكتها . حين ملكتها . وأرويتها .

---

١) عبود بتشديد الباء . رجل من العرب يضرب به المثل فى النوم .
٢) أبو تمام الطاى . وقس بن ساعدة الايادى .
٣) ابن المراغة جرير المشهور . وهمام هو الفرزدق .

حين رويتها . ونظام جعلته بجسد البيان قلبا . ولمعصمه قُلبا (١) وهصرت حدائقه غلبا . ومنثور صدرته قديما . وصيرته لمدير كأسه نديما . لقد فتنتني حين أتتني . وسبتني حين أصبتني . فذهبت خفتها بوقاري . ولم يرعها شيب عذاري . بل دعت للتصابي فقلت مرحبا . وحللت لفتنتها الحبا . فحيا الله الادب وبنيه . وأعاد علينا أيامه وسنيه . وليهنك أيها الاخ الذكي . البر الزكي . الحبيب الحفي . الصفي الوفي . أنك حامل رايته . وواصل غايته . لقد قرت عين أوداتك . وملئت غيظا صدور أعدائك. حفظ الله منصبك العالي . وزادك في اقتناء المعالي . امين .

ولو صورت نفسك لم تزدها ... على ما فيك من شرف الطباع

ورأى له أستاذه تخميسا لابيات في أوائل معاناته للقريض فكتب اليه :

بتخميس اسماعيل قد شغف الحجا ... واطرب بالالحان من سردها الحادي
فما في معانيها لمنتقد اذا ... تفحصها طعن ولو ابن عباد
فما هي في التحقيق الا قلادة ... تناط بأفكار الورى دون اجياد
عليك أيارب الفضائل دائما ... بجد فتغدو في سنا القمر البادي
ودع كسلا وكن ذليلا ولا تمل ... الى كسل ودع بطالة أو غاد

ومما خاطبه به أيضا جوابا عن قطعة اذذاك :

أبرزتها لله درك غادة ... حسناء ترفل في ثياب بلاغة
ماست فغارالغصن وابتسمت كما ... غب الحيا بسمات أزهر روضة
هذا هو السحر الحلال بعينه ... يسبي برونقه العجيب جشاشتي
أبدعت في انشائها متأنقا ... ولك الفخار بها وكل فضيلة

وقال المترجم في رثاء السلطان المولى عبد العزيز رحمه الله من قصيدة :

كل حرب وان تطل من سوى حر ... ب المنايا لبدئها الانتهاء
أكره الموت طالبا لحياة ... لكن الموت راحة وهناء
وأرى لذة الحياة خيالا ... فلماذا على الحياة البكاء
كلما رمت حل لغز حياة الـ ... ـمرء زاد الحمي وزاد الخفاء
ما الحياة سوى عذاب أليم ... كل وقت تنتابنا الارزاء
فاذا ما الصباح جاء ضحوكا ... جاءنا بالتجهمات المساء
يفرح المرء بالترفه فيها ... انها نعمة يليها الشقاء
انما الحظ بالرئاسة ضرب ... من محال يرومه الاغبياء
أي شيء من الزوال مصون ... فالى الله ترجع الاشياء
ما تراه عما قريب سيفني ... وسوى الله كل شيء هباء

١) القلب بضم فسكون . سوار المعصم الذي هو زند اليد .

ومن أقوال المستحسنة من قصيدة لامية مطلعها :

ما بال قلبك قد عراه ذهول ... ما أن يرى أحدا عليك يصول

قولــه :

ان قيل ما يخشاه اسماعيل قلـ ... ـت يخاف عار الجهل اسماعيل
وذوو الغباوة قد أقيم عليهم ... ـ لو يعلمون ـ مئاتم وعويل

وقال في موقف وداع بعض من رماه بسهام العيون النجل فاصماه .
وفى موقف التوديع يفتضح العشاق :

يودعنى والدمع هام على خدى ... وجمر الغضا فى القلب دائمة الوقد
فاتبعتــه بعـد التفرق نظرة ... كمحتضر يرنو الى الاهل والولد
فبالله يا ظبيا غزا سهم جفنه ... فؤاد المعنى المستهام على عمدِ
حنانا على قلبى الذى ذاب بالهوى ... حنانا على المفؤود من لوعة الوجد

وقال فى نسيب قصيدة :

صل معنى والها حلف غرام ... ذاب من نار اشتياق وهيام
بنت والوجد تلظّى فى الحشا ... والنوى أضنى وأدنى من حمام
كلمــا لاح بريــق بالنقــى ... أو شدت فى أيكها ورق الحمام
أو تــذكرت عريب المنحنى ... وربــا نجــد وسكــان الخيام
أو تــذكرت لييــلات مضت ... فى وصال واحتساء للمــدام
زاد وجدى وعيــونى اسبلت ... وفؤادى شفــه وقــد الضرام
فــاذا حاولت كتمــان الهوى ... بثــه منى انسجام واضطرام
فعذابى فيــك عــذب والجفــا ... منك حلو ؛ هكذا صدق الغرام
نــادب بعــدك ربعــا خاليــا ... من أنيس غير أثل وثمــام
ارحمونى بوصــال فــأنــا ... ذلك الصب الشجى المستهام

وكتب مرة الى بعض تلاميذه :

عليك بجــد واجتهــاد فانما ... يسود الفتى بالجد والهمــة العليا
ونافس سواك لا تمل لبطالة ... وشمر ففى التشمير عز به تحيا
اذا شب طفل دون احراز رتبة ... فلا تعددنه بعد شيئا ولا حيا
فعار على التلميذ يمكث أزمنا ... بمدرسة لايعرف الحى والليا

وله من قصيدة بيت رائع يستحسن . وهو :

أنى الحياة لعاشق أصماه من ... رشا غرير جفنه المتكسر

وقال المترجم يخاطب الاديب الشاعر الكبير محمدا المهدى الحجوى :

أصبح سل فى الليل الحساما ... فابدى جيش أنجمه انهزاما
أم النسمات فى الاسحار هبت ... تفتــح للرياحــين الكمامــا

أم ابتسمت ثغور الروض لما ثغور الروض ترتضع الغماما
أم الصهباء تشرق من دنان الى برج الكؤوس الى الندامى
أم الحور الكواعب باسمات تغازلن المعنى المستهاما
أم الاقلام من يد عبقرى تخط السحر ما أبهى القلاما
أم الشهم المفكر نال مرضا ة شعبه كثر الله الشهاما
أم البدر المنير يحل لغزا فيكشف عن معماه الظلاما
أم الآثار يبرزها همام فيبسم ثغر غامضها ابتساما
كما يبدى لنا الحجوى بحوثا ويحسر عن ملامحها لثاما
وها هو ذا مؤلفه شهيد يمثله لنا شهما هماما
أتانا من مباحثه براح فيسقينا وما أحلى المداما
أيا بطل اليراعة دم طليق الـ ـيراعة دم لأقلام اماما
رعى الرحمن عهدك فى سماء الـ ـمعالى طالعا بدرا تماما
عليكم ما تراسلكم صحاب وزاد الشرق فى القلب الهياما
سلام يزدرى نسمات صبح تصافح ورد روض والبشاما

الجـــواب :

كتابى بلغ الندب الهماما على البعد التحية والسلاما
الى المفضال اسماعيل بلغ عواطف من علي شوق أقاما
ولو وجد السبيل مشى حثيثا ليبلغ بالمشافهة المراما
ولكن الديار بنا تناءت ونأى الدار قد يذكى الهياما
أنبت أذن كتابى عن ركابى يقيم شعار ودى ما أقاما
وأرجو أن تيسر أن تسيروا فنغنم من تواصلنا اغتناما
أتانى منك شعر لا الثريا تحاكيه ولا الشعرى انتظاما
تكاد الاذن تشربه زلالا ويجرى بين أشطره مداما
ومن عجب تقول بفيك عى وتنفث هكذا منه نظاما
وتنسب للتعثر والتوانى يراعك ثم ترسله حساما
وتقضى بالمزاح الست تدرى بأن الحكم ينفذ ما استقاما
وأنت الحاكم القاضى بعدل فسر بالسيرة المثلى قواما
وسجل ان شعرك قد أقرت له بالفضل أندية الندامى
قوافيه الحسان له شهود أقام الحسن منها ما أقاما
ودعنى من دعاوى باطلات شهود الحال ترفعها لزاما
فقد شهدت لشعرك بينات من التبيان أوقفت الخصاما
فدم للشعر تنظمه عقودا وتنفث من محاسنه انسجاما

وتقفى ان قضيت بلا مزاح فلا عتب عليك ولا ملاما
ألا فاقبل سلام أخي وداد يهب به ضحى نشر الخزامى
يقيم على الوداد شهود طيب تعطر من رسالته الختاما

وقال الاستاذ سيدى عمر الساحلى مدير المعهد الردانى يخاطب المترجم :

أضنت دواعي الهوى الصب المشوق الى مغنى الاحبة مأوى العز والنخب
واستحكم الحب فى قلب يحن الى (سكتانة) منبع العرفان والادب
مأوى المكارم والعلم الغزير ومن أمَّهم يستفد علما بلا تعب
(سكتانة) فاقت الاقطار حين غدت محط رحل العلا والفخر والنشب
أربت مفاخرها على السها فغدت طلائع السعد تغشاها على الحقب
تجود بالدمع عينى حين أذكرها فحبها عن فؤادى الدهر لم يغب
مثوى الاديب الكبير من له ثبتت لب السيادة بين العجم والعرب
أنست بلاغته قس بن ساعدة وجود كفيه حاتما بلا كذب

الى اخرها

وقال فيه أيضا :

يا أيها الفرد الذى هو راضع ثدى الكرم
د م لاقتناء مفاخر وحسودكم يجنى الندم
الله خصكم امتنا نا بالثقافة والنعم
وحباكم العلم الشر يف مع الصيانة فى الشيم

وللمترجم قواف كثيرة فى العرش المغربى . فى الملك سيدى محمد ابن يوسف وفى ولى عهده اذ ذاك . فمن القصائد فى الملك ١١ من ربيع الثانى ١٣٦٤ هـ :

مشمولة عبقت بنفح كباء أم روضة بسمت عن الجوزاء

يقول فيها :

لله رحلة عاهل فى سوسه أذكت لسوس عواطفا لهناء
هنيت سوس برحلة ملكية سقيا لها من غرة الاناء
غمرته أمواج السرور كانما يحسو هنيئا خمرة السراء

ومختتمها ـ وهى طويلة حسنة ـ

واليكها عذراء من (سكتانة) خجلت فيرفعها شفيق حياء

وله أيضا قصيدة نليت أمام ولى العهد اذ ذاك ـ مولانا الحسن الثانى ملكنا الهمام اليوم ـ قيلت ١٨ شعبان ١٣٦٥ هـ مطلعها :

أنت بدر بأسعد الهـالات	أنت رمز الى خلود الحياة
قد ترعرعت والمنابر تدعو	ك فلبيت تلكم الدعـوات
فاذا ما خاطبت تنثر درا	فقرعت الصماخ بالايـات
دم لنا يا ولى عهد منيرا	بازغـا من مطالع النيرات

الى ءاخرها . وهى حسنة (١)

وللمترجم مع كثيرين مع معاصريه مجاذبات فى القوافى . وهو مـن المكثرين فى ذلك . فلنحبس العنان عن ءاثاره . فان فيما ذكرناه كفاية . ولعله يجمع ديوانه . فيصون ءاياته من صدمات الزمان .

بينه وبين مؤلف هذا الكتاب

خرجت بعد العصريوما منمسجد الكتبية بـ(الحمراء)وقد قرأنا درسالبخارى فى رمضان عام ١٣٥٤ هـ . فتبعنى شاب يجاذبنى التساؤل . فأزور عنـه على عادتى اذذاك فى الحواضر . لكثرة العيون المنبثين حولى ـ متطلبين كلمة أفوه بها لينقلوها الى المراقبة الفرنسية . فيدفنون الحسن . ويطيرون اليها بالقبيح . ليحظوا عندها . ولمعرفتهم بهواها اذ ذاك نحـوى ونحـو أمثـالى يولدون الكلام . ويبنون على كلمة ـ وربما لايقصد مدلولها ـ كلمات . ولذلك ابتعد الا عن دروسىوعن تلاميذى فحين تبعنى هذا الشاب لمأعره مايستحقه من الالتفات . لكنه هو لم ييأس منى . ولم يزل بى حتى وصلنا الزاوية فى (الرميلة) فتكشف لى عن علامة أديب طيب . يكاد يسيل أريحية ولطفـا . فلما ءانس منى الانبساط أفضى الىَّ بحسبه ونسبه . ثـم ناولنى قصيـدة اعجبت بها منه . مطلعها :

من لم يشاهـد حضرة المختار	اذ كان يقرى سنـة المختـار

وهى موجودة فى (الرحلة الثالثة) من (خلال جزولة) فأجبته بقولى :

أنسيم روض هب فى الاسحار	والروض مبتسم عن الازهار
أم نكهة من ثغر ألعس أشنب	يفتر مثـل مشعشعات عقار
أم عقد در فصلت جنباتـه	بالماس والمرجان بـين نضار
أم ذاك شعر سلسلته قريحة	سيالـة كالزاخر التيـار
فأتى قريضا يستطاب مروقا	أقرأت قبـل مروق الاشعـار ؟
ألقـاه اسماعيـل من ءاياتـه	شعرا يعود بنـا الى (مهيار)
قد جاءنى والفكر فى وسناته	فأثارنـى بخيالـه الطيـار
ءانست من افصاحه وبيانـه	عجبا اذا بى كنت جد مثار

١) لاريب أن كل ما يقال فى الجناب العالى سيجمع يوما وينشر . فنكفى نحن مئونة ذلك . والا فان ذلك أفضل ما تتحلى به الكتب .

فتناولت كفى اليراع واننى لأحس فى نفسى بشعر سار
فحسبت انى قائل ما يرتضى والمرء قــد يغتر بالآثــار
فاذا أنا فى فكرة ليست كما أحجوه من مستعذب الافكار
فاتت بشوك استحى أن يجتنى مـذ جـاء اسماعيل بالازهار
أنى يساوى بالزرابى غيرهـا كيف الكهـام يقـاس بالبتار
يا سيدى شكرا جزيلا للذى حبرتـه من رائـق الاشعـار
شكرا ومثلك من يقيس بنفسه ظن الورى طرا من الاطهار
لله علمك يا ابن أكبر عالم حاز الموارث عن علوم كبار
ستين عاما كان خير مدرس وكـذا تكون نفائس الاعمـار
يفتى ويكتب كى ينير دجنة أدجى حوالكها بنو الاغمـار
حتى اذا أفضى الى أعماله الـ ـجلى ومن يعمل يفز بيسار
هنيت اسماعيل قد جليت مـن بين العتاق الجرد فى المضمار
حتى غدوت فريد عمرك كاملا يهـواك حتى رائـق الاشعار
منى اليك تحية تشذى كما تشذى المكارم منك فى الاقطار

ثم لما مررت بـ (سكتانة) فى (الرحلة الثالثة) ودعته هو وأصحابه علماء (سكتانة) بقولى :

أأنتم أم الانس اللذيـذ أودع فقد كاد قلبى بعدكم يتصدع

وتمامها فى (الرحلة) .

فأجابنى بما يلى :

أباقة زهر أم قواف ترصع عقودا على نحو الكواعب تلمع
قواف رقاق بل شعور غلت به مراجل أفكار اذا الفكر ينبع
وما الشعر الا زفرة بعد زفرة تعدد أشطارا اذا هى تطلع
وماالشعرالا الروح تودعضمنه اذا كانتالارواح فىالشعرتوضع
شكت ساعة التوديع حينتمعرت وجوه ودمع العين يهمى ويهمع
وداع أذاع ما تكمن من جوى يذوب به الفؤاد حيث التودع
وقفت بجأش ثابت كل موقف ولكن هذا الدور قلبى مضيع
كذا الدهريقضى باجتماعوفرقة ولكنما الفراق أدهى وأفظع
وحق خلال راقنى منك لطفها لأنى لكم عبد تريد فيصنع
وحق روائع القصائد حكتها لأنت المجلى فى الرهان وابرع
سميِّعُ عذراً لايجيد فانه بمقترح عما يروق وينصع(١)
عليكـم سـلام الله مـا هبت الصبـا من (الـغ) فسوس من شذاها تضوع

---

١) سميِّعُ : تصغير اسمعيل .

وقد كنت أكاتبه من (إلغ) وقت النفى . فمما كتبته اليه قصيدة مطلعها :

ما كل مجـد مستراد نيـلا   ما المجد الا مجـد اسماعيـلا

وهى فى كتاب (الالغيات)

وكتبت اليـه أيضا صدر رسالة :

عليك سلام مثل ما تسحب الصبا   لدى سحر ذيلا على زهر الربا
سلام مشوق لم يزل بعد بعدكم   يحاول صبر القلب لكنـه أبى
(وبعد) فهل تلك الخلائق مثل ما   عهدت فتزرى بالازاهر والكبا
فما زال ذاك الطيب يشذى ـ وان أغب ـ
لـدى فاهوى لـو وجـدت تقربـا
فدامت لكم تلك الخلال ودمتم   رقاق الحواشى مثل ماتنفح الصبا

الجـــواب :

سلام غدا من نفحة الروض أطيبا   ومن حسو صرف الراح أحلى وأعذبا
سلام صديق حنّ شوقا الى اللقا   وبات على جمر النوى متقلبا
على سيدى المختار من حاز مفخرا   بأقلامه الفصاح شرقا ومغربا
تميط عن التاريخ فى (السوس) كلما   هزرت قلاما فى الصحائف غيهبا
وتحيى نفائس الدياميس بعد ما   رءاها السوى أمرا أشق وأصعبا

وكتبت اليه أيضا أواخر شوال ١٣٦٣ هـ جوابا عن رسالة :

ما رياض أغصانهـا ريانة   بعد سحب من الحيا هتانة
ونحور من خرد الحور كانت   بعقود مـن الحـلى مزدانـة
وخدود ترف بالخجل المحـ   ـمَرّ من تحت أعين فتانة
وقدود تميس بالسكر فى محفـ   ـل قصف أخواطها الفينانة
بالذى يستفز قلبى كمـا يفـ   ـعله الشعر من بنى سكتانة

القاضى الذى يجر الذيـول عـلى الاقران بما حازه من لب المكارم . والمجـد المؤثل . والعلم الصافى . والفكر الثـاقب . والبيـان الساحر . والنباهة التى ما مثلها نباهة . سيدى الحاج اسمعيل (ايه) تلقيت رسالتك الاولى بما فيها من كيت وكيت . ثم الثانية . فأصابنى منهما ما يصيب أحد العذريين من عينين نجلاوين . فلله در قلمك وما ينفث فى عقد العبارات . فقد جاءت قطعتك الشعرية (١) قطعة لطيفة عذبة . سائغة للأذواق. تغبطها الدرر المنسقة فى الاطواق . فكأنها تستمد من خلقك الدمث . ومجدك البحت وودك الصافى . وكرمك الضافى . (هذا) فالاحوال كلها بخير. وقد استفدت من صهرنا سيدى التهامى ما أقر العين . وقرط الآذان من أخبـار فيهـا سلامة القلوب . وريحانة الالباب . ونزهة ما مثلها نزهة . لمن يعرف كيف

١) هى العينية التى أجابنى بها عن قطعة الوداع . وقد تقدمت .

لذة علو شأن الاخوان . واستطالتهم على الذين يلمزون أو يغمزون . ثم ان أخاك الكاتب على جناح السفر ان شاء الله ارحلة سوسية رابعة . يضيف بها جزءا ءاخر رابعا . الى كتاب (خلال جزولة) ونية اتمام السفرة التى كنتم طرازها في السنة الماضية . فيصمد الى (رأس الوادى) كله . وان تيسر له أن يزور المعدن الذى في (واوزكيت) فسترون كلامه لتأخذوا بيده في تلك البلاد التى يجهلها . ويجهل أهلها . ليقف من ذلك المعدن في الموقف الذى وقف فيه يوسف بن عبد المومن بن على الموحدى . كما في (ابن خلدون) بعد أن يقف على (ايگلى) مسقط رأس المهدى بن تومرت . وفي يده الرسالة التى كتبها عبد المومن اثر زيارته لمسقط رأس المهدى . وهي منشورة بين رسائل موحدية طبعت في السنوات الاخيرة . وبيد الحامل (قصيدة) عصيدية معها شريح وجيز (١) مع فتوى (٢) لأخيكم مختصرة فى ثبوت الهلال بالهاتف ـ التليفون ـ وهي رسالة صغيرة . مع ان الموضوع يقتضى البسط . لان هناك أحاديث ومذاهب وءاراء تتعلق بالمسألة ولكن (يكفى من العقد ما أحاط بالعنق) . وأما مؤلف (ايليغ) فسيصلكم ان شاء الله بعد رجوعى من هذه السفرة . وبعد اتمام شيء ءاخر فيه . والقصيدة والرسالة المطلوبة أرجعهما بعد أن تطلعوا عليهما مع التنبيه على مايظهر لكم . جزيتم خيرا . وما نحن الا معدن الخطا حقيقة لا مجازا . والسلام التام العطر على زينة المجالس . العلامة سيدى عبد السلام . وعلى الاستاذ عبد الرحمن بن يحيا اليعقوبى ريحانية الجلاس أو ليس كذلك ؟ وكذلك على أولئك العلماء كلهم. خصوصا سيدى محمد بن الحسن . وسيدى محمد بن عبد الرحمن .

اذكرونا مثل ذكرانا لكم   رب ذكرى قربت من نزحا

والسلام . كتبه على عجل أخوكم وشاكركم على احسانكم . محمد المختار الذى يومىء الى أن محبته تامة في جانبكم بغير حشو . ولا يخفى عليكم المقصود (فكونوا كما شئتم انا ذلك الخل) .

هذا ما حضر عندى من المكاتبات معه . ولم نكن نحرص على محافظة ما يروج بيننا . فكم رسائل وقواف دارت بيننا . ولكنها ضاعت .

تقلبات في حياته

كان أكبر رجل في تلك الجهة . بما ناله بعلمه وباخلاقه وبكرمه وبحسن مسايرته لجميع الطبقات منذ تولى القضاء . ثم لما نبتت في سوس الوطنية صار محورها هناك . فيتساند هو ومجاوروه كسيدى عمر الساحلى. ومولاى سعيد . وسيدى رشيد . فهم صوى تلك الفكرة ومناراته بادىء بدء هناك . ثم منهم تفرع ما تفرع من الخلايا السرية للحزب . يمشون

١) توجد القصيدة فى خطبة هذا الكتاب . مع خلاصة ذلك الشريح .

٢) توجد (فى مجموعة انغ الفقهية) .

بتكتم وبتأن . الا ان الحوادث لا تغادر مكتوما . وحين اتضح أمره للمراقبة. وضعت حواليه عيونها المتتبعين لآثاره . والمستقصين لمخالطيه . فاذا به أمام الامر الواقع . وصاحب المبدأ الثابت لا يخفى فى النوائب . فحتى لواحظه وسحنة وجهه تعلن ما هو حريص على أن لا يعرف عنه . فأداه موقفه الى أن أمر الباشا الحاج التهامى الاكلاوى خليفته علي (تاليوين) ان يكفيه مئونة المترجم ـ حتى قيل أمره بزحزحته عن الطريق بالكلية ـ ولكن الخليفة رأى أن يقتصر على اعتقاله بعدما توصلت به المراقبة. فأرسلته مع أعوان يعتلونه الى الخليفة . وقد قامت هناك مظاهرة ضد التوقيعات التى كان يتقممها (جوان) من الشعب ضد العرش . فكان كل ما يقع يناط سببه للمترجم . ولذلك اعتقل فى محل وحده ظنا من المعتقلين أن أمره سهل لكن لم يكد يصل خبر اعتقاله وهو قاض شرعى رسمى مشهور الى مسامع العرش حتى جاءت الاوامر من الصدر (المقرى) الى الاكلاوى أن يسرح . ثم دهمت أمور فأمور . فنفى صاحب العرش . وجاء الكفاح المسلح . فقنع المحتلون من أمثال المترجم بأن لا ينخرط فى هذا الكفاح المسلح ظاهرا على الاقل ـ لان له يدا فى الباطن بادىء بدء ـ ولما له من المخالقة وحسن المسايرة أمكن له أن يبقى فى مركزه حتى جاء الاستقلال . فعين أول عامل فى (وارزازات) فوصاه بعض من يعرفون مكانة المترجم هناك أن يكون فى رأس القائمة من المعتبرين . فكان تقرير ذلك العامل الاول هو الذى بنى عليه بعده خلفه . فأسند اليه قيادة مركز (تاليوين) فمثل فى القيادة أيضا ما كان مثله فى القضاء . من المرونة وتفهم حل المشاكل . ثم لما بدا فى الجو ما بدا . لم نشعر يوما . أن أعفى من القيادة . وردته الداخلية الى العدلية . فطلبته العدلية مرارا أن يرجع الى منصبه . وقد وعدته بحفظ كل حقوقه الاولى . ولكن نفسه العزوف . لا ترضى أن يكون كرة ـ هكذا ـ بين العدلية والداخلية . من غير أن يوخذ رأيه . فأعرض عن كل المناصب . وطالما كاتبه بعض اخوانه فى ذلك . فيجيب بما يجيب به كل أنوف . وكيف لا وهو القائل :

انما الحظ بالرياسة ضرب   من محال يرومه الاغبياء

هكذا بقى المترجم المتمرن فى حل المشاكل . الفنى فى كل ما عسى أن يقع فى تلك الجهة من عويصات فى الادارة جالسا فارغا . فى الوقت الذى نأتى فيه بالفنيين المتمرنين من الاجانب . فكيف يصح هذا القانون يا للناس ؟

(وبعد) فان المترجم تكونت شهرته وشخصيته مما تحلى به من الفضائل والفواضل . من العلم والادب والكرم الثابتة معه دائما . لا من المناصب التى تأتى بجرة قلم . وتمضى بجرة قلم .

عثمان الانداوزالى

جمادى ٢ ـ ١٣٠٧ هـ = حي

نسبـــه :

عثمان بن الطاهر بن عبد الرحمن بن ابرهيم بن عبد الله بن عبـد الرحن .

وينتهي نسبهم الى أبي بكر الصديق فيما يقوله أجدادهم . وتعرف الاسرة بأهل الفقيه وبأيت الطالب . وتقطن الاسرة في محل يسمى (ايمي نوداى) من (تاغرغرت) من قبيلة (اندوزال) وهـي أسرة علميـة تسلسل فيها العلم من أجيال . فأول من عرف منهم :

الاول عبد الرحمن

وهو الموجود فيءاخر هذه السلسلة . ويوجد خطه فيسلات الرسوم ويوجد في أوائل القرن الثاني عشر . وأخباره مندثرة فلم يبق الا شهرته بالافتاء وفض النوازل .

الثاني عبد الله بن عبد الرحمن

ولد من قبله . كذلك اشتهر بما اشتهر به والده . كان يفتي ويقضي بين الناس في خصوماتهم . على عادة الفقهاء المحكمين . ولعله يحيا الى١١٦٠هـ

الثالث ابرهيم بن عبد الله

ولد من قبله . شهرته أكبر من شهرة أبيه وجده . وكـان يشارط في مدرسة (أرغن) يدرس فيها . ويفتي ويقضي في النوازل . وقد كان يحيا في أواخر القرن الثاني عشر الى أوائل الثالث عشر . الا أنه توفي قبل ١٢١٤ هـ . وتوجد بكثرة ءاثار أعماله في قسمة الاملاك والفتاوى . ولايدرى عمن أخذ . مع أنه من أقران الحضيكي . وطبقته .

الرابع عبد الرحمن المحدث الجليل

ابن من قبله وهو العلامة المحدث المؤلف المدرس الكبير الصدر واسمه

عبد الرحمن ويعرف أيضا بسيدى عبد الرحيم التاغرغتى . وقد مات عنه والده وهو صغير . فتربى تحت يد والدته . وقد كان أدرك مدرك الرجال سنة ١٢١٤ هـ . وقد أخذ عن الاستاذ سيدى أبى بكر التاكموتى . وقد لازمه كثيرا . ثم عن الاستاذ سيدى محمد من ءال حسين الطاطائيين . ثم عاشر الشيخ أبا العباس النيمكيدشتى الدى كان يجله ويقدمه دائما للامامة كلما حضر معه . كما كان يفعل معه سيدى محمد بن حسين الطاطاءى .

نشأسيدى عبد الرحيم نشأة طيبة لايرى الا المصلحة العامة . فنوى أن يقوم بالعمل الصالح إلامة . ولذلك نوى أن يفرغ جهده فى تعليم أولاد الناس الذين نشأوا اثر الوباء الجارف ١٢١٤ هـ . فاستأذن أحد الصالحين فأذن له . فأقبل على ذلك فى المدارس . فمما مر فيه . مدرسة (سيدى ابرهيم بن عمرو) من (أداوزادوت) ومدرسة (أيتكربان) عند مشهد سيدى محمد بن مسعود الكربانى . ومدرسة (أرغن) ثم لازم داره . فصار يعلم القرءان والعلوم . ويعتنى بغرس الاشجار بيده كاللوز واكنارى ـ التين الشوكى ـ ويعد له أزيد من ألف شجرة . أدركت كلها . وتوتى أكلها تحت بصره . وكان كلما حفظ تلاميذه . أو فرغ من دروسه يذهب بالطلبة الى معاناة الغرس . يريهم كيف يصنعون . ولا يزال كل ما غرسه موجودا الى الآن . ولم يكن الفأس والقفة يفارقانه ازاءه .

ومما يتعلق به أنه زوج أمه لسيدى ابرهيم الارغنى . لأنه رءاها لاتزال شابة . فرضيت عنه بذلك . كما أنه زوج بناته لفقهاء من أصحابه كسيدى محمد من (أقا ازنكاض) فانه صهره لاتلميذه كما يشاع . ثم انه طلقها فزوجها الفقيه سيدى اسمعيل الكنى وهو فقيه مشهور فأولدها محمد ابن اسمعيل وهو طالب حسن السمت وهو جد هذا الشاب النشيط المتخرج الآن من (القاهرة) الحسن بنأحمد بن محمد بن اسمعيل. وكسيدى أحمد بن الحاج الاوداشنى من الذين تخرجوا من (تيمكيدشت) وقد كان لايزال عند استاذه هناك . حين أرسل اليه أن يلحق زوجته التى زوجه بها فاسعفه أستاذه بذلك . فولد معها الفقيه محمد بن أحمد المتوفى نحو ١٣٢٠ هـ . أخذ عن والده أحمد فى مدرسة (تيريت) من قبيلة (أيت حميد) وكمحمد بن عثمان بزاوية (ايرس) من قبيلة (تانكارفا) من (انداوزال) . من أسرة تنسب أيضا الى البكريين . وليس بفقيه . وانما كانت له مكانة محترمة . وهذه الاسرة انتقلت من (أملن) ولعلها من أخوات الجيشتيميين والتاساكدالتيين . لان الكل بكريون . أما ما يتعلق بالفقيه سيدى اسمعيل المتقدم فانه من أهل عبد الدائم الكينيين المتفرقين الى ثلاثة فروع أهل

اسمعيل . وأهل المدنى . وأهل الهاشم . وقد تلاقيت مع الاستاذ الحسن ابن أحمد بن محمد بن اسمعيل المتخرج المتقدم فكتبت عنه ما يلي :

(الحسن بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن عبد الصمد . هذا هو الاستاذ الآن في (ابن يوسف) بـ (مراكش) وقد تخرج من مصر . وولادته ٥ المحرم ١٣٥١ هـ في (ايت كن) وقرأ القرءان عن ابن عمه الاستاذ أحمد بن محمد بن الهاشم بن عبد الصمد . في مسجد القرية ثم انتقل به والده الى (بني ملال) فختم أيضا ختمتين على الاستاذ المحجوب السباعي . ثم رجع الى بلده فبقي هناك قليلا . وفي ١٣٦٥ هـ التحق بـ (مراكش) بعد ما حفظ بعض المتون في بلده . وافتتح في (ابن يوسف) في السنة الابتدائية . ولكنه لم يستفد شيئا . فنوى أن يذهب الى مدارس أولاد (أبي السباع) فأبى عليه والده ذلك . ثم لازم الاستاذ الحسين الحاحي سنة في مسجد (درب الحمام) في (رياض العروس) فأخذ عنه الجرومية وابن عاشر والزواوى والجمل واللامية . وبعض الرسالة . فكان الاستاذ يختم معه المتون في مشهد الامام السهيلي . والناس اذ ذاك يقولون ان ملازمة زيارة مشهده تفتح للزائر باب النحو . وانخرط في الثانية في (ابن يوسف) فاستمر كذلك متتبعا للسنوات الى ١٣٧١ هـ . في مفتتح الازمة المغربية . فصار الطلبة يشاركون بالاضرابات . فيطاردون فخطر له ان يغادر (مراكش) في يوم ولج عونان على والدته للتفتيش عنه . فهكذا فر وقد أظهر أنه من العملة الى (تونس) فأعطى الجواز على صعوبة ذلك بسبب حيلة . وذلك أنه افتعل رسالة أرسلها الى (تونس) ليوجهها من هناك بعض أهل بلده . كأنه يطلبه للعمل هناك . ويوم مغادرته لـ(مراكش) هو اليوم الثالث عشر . من حجة ١٣٧١ هـ . فمر بـ (الرباط) فـ (فاس) فـ (تلمسان) الى (تونس) في القطار . فنزل هناك في زاوية (الترونجة) ثم قطع (ليبية) على رجليه . لان الجواز انقطع اعتماده في (تونس) ولايمشي الا ليلا . وقد تهيأ بلباس الليبيين وارتدى وتلثم . فاستضاف امام مسجد فئاواه الى داره البعيدة . ثم صرف له الفرنكات التى معه بالجنيهات الانكليزية . ثم ركب من هناك الى (طرابلس) ثم الى (ابن غازى) ثم لم يدخل الى مصر الا بعد صعوبات من التفتيش البوليسي الانكليزى . ولكن القنصلية المصرية رأفت به فأعطته الاذن . كما أن الوزارة الليبية كذلك أعطته الاذن بعد ما وقف معه هناك بعض الوطنين الليبيين الاحرار . ثم دخل (القاهرة) يوم الثلاثاء ١١ نونبر ١٩٥١ م . ثم لازم الدراسة من هذه السنة الى ١٩٥٧ م . فرجع بشهادة الكلية العربية العليا . ثم تعين أستاذا في (ابن يوسف) ما شاء الله . ثم انتقل الى الخارجية . حيث لايزال الآن . ووالده احمد اخذ من مدرسة (أغمات) عن الحاج الحسن . وحصل عليه من

الفنون وحفظ بعض المتون . وعادته أن يتجر الى الآن فى (مراكش) ولـد ١٣١٤ هـ وقد عرفته فرأيته مقداما . انتفع بالشيخ النظيفى رضى الله عنه كثيرا فى دينه .

وعمه محمد بن َمحمد بن اسمعيل أخذ قليلا من العلوم من مدرسة (ايمى نتاتلت) ومن مدرسة (أغمات) ثم كان قاضيا سنة فى (بنى مـلال) واماما فى المسجد الجامع هناك . الى أن توفى ١٣٦٤ هـ .

والجد َمحمد بن اسمعيل سبط التغارغتى . وامه صفية بنت عبـد الرحمن . وشارط حينا فى (تاغرغرت) وفى (دوساون) توفى ١٣٥٢ هـ

واسمعيل عالم جليل أخذ عن التغارغرتى . كان ذا شهرة كبيرة فى أواخر القرن الماضى . انتهى ما كتبته عن المذكور عن الاسرة الاسماعيلية)

(رجـــع)

وقد كان لسيدى عبد الرحيم سمعة متسعة فى عصره . ويـد طولى فى العلوم . وقد أشاد الدمناتى فى (فهرسه) به . وقال انه لم ير له نظيرا فى سوس . ولا ريب انه صادق . لانه مكب على العناية بالحديث . فاختصر كتبا كبرى كـ(القسطلانى) فى أربعة أجزاء . وشرح (الفيشى) على الاربعين النووية . وكتاب (البركة) للحبشى و (نسيم الرياض) على (الشفـاء) فى سفر . و(السراج المنير . على الجامع الصغير) للعزيزى فىسفر . و(النووى) على مسلم فى سفرين . وشرح جسوس على (الشمائل) . كما جمع كتابا حديثيا من البخارى ومسلم والجامع الصغير . وهذه المؤلفات توجد كلها الآن بخط يده فى خزانة حفيده سيدى عثمان . وقد رأينا ما يدل على أنه زاول مسند أحمد . وبقية الكتب الست . فهذا كله يعلم ان ما قاله فيه الدمناتى حق وصدق . فلسنا نعرف الآن فـى عصره . بسوس مـن يروج هـذا الرواج فى الحديث . فى مختلف كتبه بعد ءال (تاكَاركَوست) اليعقوبيين وهى همة عظيمة ان نظر الى ما يقوم به أيضا من التعليم كل نهار . والى اعماله الحيوية من معاناة أمور المعاش فرحم الله تلك الهمم (ثم وقفنا على ما لمحمد بن أحمد أجيمى نزيل مراكش . فعرفنا أنه يشاركه فى ذلك(١)

كان يزور (تامكَروت) فى ركاب شيخه سيدى محمـد بن أحمـد الطاطاءى . كما ذكر ذلك فى كتابه الذى لخص فيه (طبقات الشعرانى) . و(طبقات الحضيكى) ثم ذيل عليهما . بتراجم أشياخه وبعض معاصريهم . فأدى أيضا لناحية التاريخ نصيبها . وهكذا الرجال يؤدون لكل ذى حق حقه . توفى عن سن عالية تناهز التسعين . سنة ١٢٧٨ هـ . وقد رأيت بعض مخطوطات له يكتبها فى شيخوخته بيد ترتعش .

١) شرح البخارى فى أجزاء . وقفنا على الثالث منهما . ومسلم . وقفنا على الاول منهما .

رأيت فيما تقدم ما يدل على أنه أخذ عن أناس متعددين . فهاك من ترجم لهم في كتابه :

١ ـ الاستاذ عبد الله بن على الايرغى الجرفى

قال فيه :

(ومنهم شيخنا عبد الله بن على الهرغى الجرفى رضى الله عنه . هو الولى الكبير الصالح الشهير الناسك الزاهد الناصح فى التعليم والتدريس أخذ رضي الله عنه عن أبى العباس الاساوى (أساتاكموت) فلما مرض مرض موته . أوصى أن يغسله صاحب الترجمة . ويصلى عليه سيدى أبو بكر التاكموتى ففعلا وورثا سره وعلومه . فكان صاحب الترجمة يعلم كتاب الله تعلى للطلبة والمتعلمين طول عمره . بجد واجهاد ونصح . ولطف لايوجد فى غيره . لايقبل فى تربيته الا من دون البلوغ لقبول فطرتهم السياسة والتربية . ولا يقبل غيرهم . لسوء خلقهم ولما ينشأ من فساد المدرسة عنهم. وكان رضى الله عنه يعلم احتسابا لوجه الله تعلى . فاذا قرأ حزب الصبح . يشتغل الطلبة بحفظ الواحهم وكتابتها . ويعلمهم كيفية وضع حروف الكتابة حرفا حرفا . والتجويد كلمة كلمة . ثم ءاية ءاية . الى قرب الزوال. فيأمرهم بالاستراحة بالنوم . ثم يصلى بهم الظهر فى أول الوقت . يطول القراءة فى الركعتين الاوليين منها . ويشغلهم بحفظ ألواحهم . ثم يصلى بهم العصر . ولا يطول القراءة فيها فى أول وقتها . ويشغلهم بقراءة أحزاب ألواحهم وسورهم . الى قرب الاصفرار (١) . ثم يصلى بهم المغرب مع غروب الشمس فى أول وقتها . ولا يطول القراءة فيها . وبعد حزب العشاء . يشغلهم بقراءة سورهم . ويصلى وهو ومن معه من الفقراء بعد استغفارهم مائة مرة على النبى صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثمائة الى خمسمائة . أو أقل بحسب الازمنة . ثم يهلل معهم مائة . وكان يؤخر العشاء . فاذا صلى بهم العشاء بقراءة متوسطة وتعشوا . شغل الطلبة بحفظ ألواحهم بضوء نار حطب الغابة . الى قرب نصف الليل (٢) ثم يأمرهم بالنوم ليستريحوا . ويقدم لداره . ثم يقومون فى السحر . أو يقومهم ليقرأوا خمسة أحزاب . أو ثلاثة أو أقل . ثم يصلى بهم الصبح فى أول وقتها عند بيان خيط الفجر . بسورة (يسبح لله) الملك . وسورة (تبارك) وسورة (قل أوحى) وسورة

١) هكذا نظام تعليم القرءان العام فى مساجد القرى . وليس خاصا بالمترجم . (٢) وهذا أيضا عادة فى المساجد كلها . ويسمى (أغاد) .

(عم) أبدأ لابسور (سبح اسم ربك) . ولا يطول السجود ولا الركوع في صلاته . بل يتوسط في ذلك . هكذا دأبه . لا يتغير ولا يتبدل . ولا يشغله عنه شاغل فساد أهل الوقت ولا صلاحهم . بعزم وحزم . وهمة عالية . لا يغيب عن الطلبة . ولا يفارقهم . ولا يشتغل بالنظر في غيرهم عند قراءتهم . ولا يرى أحدهم تكلم مع أحدهم ولو بايماء في مجلس القراءة الا أدبه بالضرب الشديد عند الناظر اللين عند المضروب . فلا تسمع في مجلس قراءتهم الا اختلاف أصوات القارئين ودويهم لا ينقطع بشيء حتى يفرغوا . ويقول لهم فَسْ - أي سكوتا - (ومن كراماته) رضي الله عنه أنه ما قال لاحد من تلاميذه وأولاده أعرض عليَّ لوحتك ولا مغسولتك . ولا اقرأ عليَّ سورك . ولا استناب أحدا من الطلبة على ذلك . مع أن كل من يقرأ عليه يحفظ القرءان في مدة يسيرة بلا كلفة ولا مشقة (فضل الله يوتيه من يشاء) . وكان رضي الله عنه يتولى أمور معاشه بنفسه . ويستعين بالطلبة في أشغاله حرثا وحصدا وبنيانا . ويقول أدركنا شيوخنا على هذه الحالة . وهم أعلم منا (١) وكان رضي الله عنه كريما جوادا صبورا نصوحا معظما . مهابا في قلوب الخاصة والعامة . لا يحوم ظالم حول حماه . وكان رضي الله عنه يغلب عليه الخوف والشوق فيشهق . وله في صلاته شهقة تروع من لم يعرف حاله . لنشأتها من قلب منور بنور معرفة الله . ومحبة رسول الله عليه وسلم . وهذه الشهقة ورثها من شيخه الاساوى . عن أشياخه . الى أويس القرني رضي الله عنهم . (ومن كراماته) رضي الله عنه : أن قوما قال لهم لا تحاربوا بني فلان . وان كنتم أكثر . وهم أقل عددا منكم . والا فالذلة والهزيمة والقتل الكثير فيكم فخالفوه . فكان الامر كما قال . وكان رضي الله عنه يصلي مغرب ليلة الجمعة بـ (قل يا أيها الكافرون) و (الاخلاص) ويصلي عشاءها بـ (يسبح لله) الملك (واذا جاءك المنافقون) وصبحها بسورة السجدة ويسجد فيها . وبسورة (هل اتى) في الثانية . ولا يفوته مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحزب في ليلة الجمعة مع طلبته أبدا . ولا سبيل عنده لتركها بعد حزب صبح يوم الجمعة الى ما بعد طلوع الشمس (٢) . وكان رضي الله عنه لايقرأ بالوقف المثنى . ولا بالوقف الهبطي أصلا . اقتداء بأشياخه .

---

١) هذه عادة تلك البلاد يقوم الطلبة لاستاذهم بأشغاله. ثم لايتوصل هو منهم بأدنى شيء . ويرون بهذه الخدمة فتحا لهم في القراءة .

٢) هذه عادة أدركناها في غالب سوس . مساجد ومدارس . وذلك من الناصريين. وكل ماذكر في ملازمة سور خاصة في أوقات خاصة فمن السنة

(أقـول) هكـذا كان الشيخ أحمد الصوابى . ولا يزال محلـه فى (ماسة) على ذلك فيما أدركناه . ونحن صغار .

(فائدة مهمة) كان رضى الله عنه اذا طلعت الشمس فى يوم الخميس يقول المطلبة افرحـوا وانشطوا . رحم اللـه سيدنا عمر بن الخطاب . ولا يطالبهم للقراءة فى يوم الخميس . ولا فى يوم الجمعة كله . الى ما بعد قراءة حزب الصبح يوم السبت (١) . فيبدأ من القراءة فى الايام الباقية . ولياليها دائما . لكن يقرأون من سورهم بعد حـزب ليلـة السبت الى العشاء . ولا يعنف من لم يقرأ حينئذ . ويقول هذه سنة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فيها بركة عظيمة للعالم والمتعلم . ومن تهاون فيها يبتلى بالفقر . وسوء العاقبة فى أمر دينه ودنياه . لا ينفع نفسه ولا غيره . والافضل أن يؤخروا غسل ألواحهم وكتابتها الى صبح يوم السبت . كما حققه أصحاب السير والمؤرخون . وكان رضى الله عنه يسامح فى ملاعبة تلاميذه بالكرة فى موضع بعيد عن مخالطة العامة ومزاحهم . فى غير أوقات القراءة والنوم . ويقول امزحوا ولا تخرقوا ثيابكم . وان خرق بعضنا لبعض ثوبه فى المزاح يزجرنا زجرا هينا . ويخرج فى (قرابه) ابرة وخيوطا فيخيطه . ووجهه مسرور منور وهو يسأل عن كيفية مزحنا . قرأت عليه كتاب الله برواية ورش . وكان محققا . وحفظت عنده الخرازى والبردة . وقد أمرنى أن ألعق من أصابعه بسيسا فرقه المطلبة وهم صائم . فلعقته من أصابعـه . فأثر ذلك خيرا كثيرا فى قلبى وهمتى . ولما ختمت وصححت كتاب الله عنده . خرج من مدرسته راجلا . وشيعنى الى خارج البلد . ودعا لى بكـل خـير . وصافحنى فى كفه يمينى . شدها بيمينه شد الطيفا . كدت أن أصيح بها فوجدت بردها فى لحمى ومخ أعضاءى كلها برعدة لطيفة . ولم يزل برد تلك الشدة فى وسط ظهر كفى بين البنصر والوسطى للآن . وذلك كرامة ظاهرة رضى الله عنه . وقال لى لم أر لك عالما تقرأ عنده العلم . فى وقتنا

---

١) المعتاد فى كل سوس أن لايحمل التلاميذ ألواحهم من عصر الاربعاء بل يسرحون بعدما يعطى كل تلميذ ما تيسر للاستاذ . بيضة أو فلوسا أو تمرا . ويسمى ذلك الاربعاوية . وفى صبيحة الخميس سور قليلة. الى أن تطلع الشمس . الى عصر يوم الجمعة . فيمرون على الواحهم التى سيمحونها يوم السبت . ثم يقرأون سورهم بين العشائين ليلـة السبت . فالقراءة الدائمة من صبيحة السبت الى عصر الاربعاء . وما بين العشاءين من هذه الايام للسوز دائما . وما بعد العشاء لقراءة الالواح على ضوء الحطب .

أفضل من سيدى أبى بكر بـ (تاكموت) فوجهنى اليه . جزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا . توفى بالوباء (يعنى ١٢١٤ هـ)

(أقول) أما أبو العباس التاكموتى الذى ذكره . فهاك ما قاله فيه :

(ومنهم أحمد بن محمد من بلد (أسا) فى (تاكموت) رضى الله عنه . كان رضى الله عنه فقيها عالما صوفيا محققا . مدرسا ما هرا فى علوم شتى واعتنى بالحديث صحيح البخارى وغيره . عكف على التدريس على ساق الجد برباط (تاكموت) وزاوية (فم تاتلت) لايفتر . حتى انتفع به خلـق كثير لايحصون منهم العالم الصوفى سيدى أبو بكر بن احمـد التاكموتى . وسيدى محمد بن أحمد من (أقا ازنكاض) وغيرهم من أعلام نواحيه . أحيا الله تعلى به البلاد والعباد . بنشر السنن . واخماد البدع . كـان رضى الله عنه ترده الوفود . وأعيان القبائل يزورونه ويتبركون بـه . فـاذا خرج ليودعهم . ينصب لهم مجلسا يعظهم فيه . بما فى الجامع الصغير للسيوطى من الاحاديث . يقرأه قارئه . ويبين لهم معانى الحديث بلغتهم . ويبالغ فى نصحهم . وذم بدعهم . ويحرضهم على أداء الصلاة فى المساجـد . ويقول لهم لايغرنكم المرابطون الذين لايصلون فى المساجـد . فانهم من أعـوان ابليس . لعنه الله . على شعائر الاسلام . وان ظهرت منهم كرامـة فهى استدراج ومكر بهم . لقول النبى صلى الله عليه وسلم : من سمع النـداء فلم يجب . فلا صلاة له . وقوله : ملعون من سمع النداء فلم يجب . وقوله : الكفر والنفاق فيمن سمع منادى الله يدعو الى الفلاح فلم يجبه . ويحرضهم على تعليم أولادهم ونسائهم وبناتهم كتاب الله . وأحكام الحيض والنفاس . ولزوم ذكر الله . والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم على كل حال . فى الدور والشوارع والفدادين . الى غير ذلك . هكذا دأبه مع كل وارد وصادر ومجالس . أخذ رضى الله عنه عن الشيخ الجامع بين الشريعة والحقيقة . أبى عبد الله سيدى محمد بن أحمد الحضيكى نزيل (ايسى) واجازه . وأذن له فى تعليم العلوم الشرعية . غير ابن عاصم . وميراث الرسموكى . وما فى معنى ذلك مما يستعين به الطلبة على طلب الدنيا . وأقام على ذلك فى حياة شيخه مدة . وبعد وفاته . مع معرفة وعلم ويقين وزهد وورع وعبادة . حتى توفاه الله . وتفرقت طلبته بعد ما غسله سيدى عبد الله بن عـلى الهرغى وصلى عليه سيدنا أبو بكر بن أحمد التاكموتى بوظيفته فى ءاخر جمادى الاخيرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف . وقبره ببلده مشهور رحمه الله ورحمنا بـه) .

٢ ـ الاستاذ أبو بكر التاكموتى

قـــال فيـــه :

(ومنهم شيخنا أبو بكر بن أحمد التاكموتى رضى الله عنـه . هـو

الفقيه العالم العامل . المحدث الصوفي الكبير في الطريقة وفي الورع والزهد والذكر والتدريس دائما . وحكاية مغازى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وشجاعتهم . وحكاية كرامة التابعين وزهدهم . وصبرهم على المحن من جهة الملوك واتباعهم . وعلى الضرب بالسياط . والسجن بالقيود والاغلال . والموت بالذبح والسيف . وعلى عزلهم على التدريس . وزجر الناس عن الاخذ عنهم . والجلوس اليهم وربما بكى عند ذكر بعضهم وبكينا معه . شفقة ورحمة بهم . رضى الله عنهم . ولا يخلو مجلسه من ذكر ذلك . وذكر مولده صلى الله عليه وسلم وسيره مع أهل مكة والمدينة . وكفار قريش . ومغازيه معهم . والعفو عنهم . وسبب اسلام كل واحد من المهاجرين الاولين . الى غير ذلك من محاسن الصحابة واشعارهم عند الضرب في الحروب . وجودهم وكرمهم . رضى الله عنهم . كان رضى الله عنه في صغره مهملا . فلما شب هم بقراءة القرءان . فحفظه في أقل مدة فهم بقراءة العلم وكان يسمع الناس يقولون قراءة العلم بـ(فاس) فخرج هاربا راحلا الى طلب العلم بـ (فاس) في قشاب ورداء على عاتقيه بلا زاد . فلم يفق حتى أخذه رجل لم يعرفه في أعلى جبل (ويشدان) فقال له بلطف من أين جئت . وما مرادك . فقال له الشيخ جئت من (تاكموت) أريد قراءة العلم بـ(فاس) فقال له الرجل: ان معى خبزا اجلس نأكله. فجلسا يأكلان ويتذاكران قراءة العلم . وهمة طلابه . والعلماء المدرسين في المدن والقرى. حتى قال ذلك الرجل له : خذ نصيحتى . وارجع الى بلدك . فان فيها عالما لاتجد أفضل منه في (فاس) ولا في غيرها . وهو السيد أحمد بن محمد الاساوى . فالتفت . فاذا بالرجل غاب عنه . كأنه لم يكن معه . فعرف أنه من أولياء الله تعلى . فرجع الشيخ الى بلده . ولازم السيد أحمد الاساوى. حتى استفرغ ما عنده في أقرب مدة . ورحل باذنه الى الاخذ عن الشيخ أبى عبد الله الحضيكى نزيل(ايسى) فلبث عنده قليلا فاستخلفه على قبيلة(أداوكمود) بجبل درن ليخمد البدع في بلدهم . ويعلم لهم السنة . وكتاب الله لصبيانهم فحمدت سيرته فيهم . وأثرت موعظته في رجالهم ونسائهم في أقل مدة . وأتى شيخه الحضيكى بسبعة من صبيانهم حفظوا عليه القرءان . ليقرأوا العلم عنده . فقال الحضيكى لمن عنده : كل محروث على خطر الا محروث سيدى أبى بكر . فانه على يقين . ولما مرض شيخه الاساوى مرض موته . قال لتلاميذه استوصوا به خيرا . فانه خليفتى . فلما مات غسله وصلى عليه . ثم صار خليفته فأحسن . وأمر ونهى . واخمد البدع . وسن السنن . وأقام الدين في (تاكموت) ونواحيها . وطار صيته في البلاد . وعظم في القلوب .

ما ناظره فقيه الا غلبه وسلم له . وعلى كلامه هيبة ونور لايرده أحد .

(ومن كراماته) : ان قبيلة (أيت سمنات) ـ من تاكموت ـ قطعوا ماء ساقية قبيلة الشيخ (أيت نيصر) وبنوا عليها بروجا من حيث لاسبيل لقبيلة الشيخ الى الوصول الى الماء بساقيتهم على كل حال . فاستغاثوا بالشيخ بنسائهم وصبيانهم . واستغاث بأولياء الله تعلى . فاذا هم حاضرون فى ندر بفم داره سحرا . فصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة لايعرف كيفية النطق بها الا أهل الاغاثة منهم . فقالوا له ما المراد . فشكا مانزل بقومه من الضرر . فأمروا له بصرف ساقيتهم من موضعها الى مكان لا يضرهم فيها عدوهم أبدا. فقال ان الشغل والعمل فيه صعب يحتاج الىالطول فقالوا معونة الله المعين معكم ان شاء الله . فحفروا فى خمسة عشر يوما ما لم يحفر غيرهم في سنة ببركة أولياء الله تعلى ورماة عدوهم يضربونهم بالرصاص . وما بينهم الا قدر رمية بحجر . فلم يضرهم الرصاص . ولا يسمعون حسه حتى جرءوا ماء ساقيتهم الى فدادينهم . وكان صاحب الشيخ الفقير أحمد ابن موسى الاقاوى يقول : ولى من أولياء الله هو الذى يأخذ رصاصهم بكفه . ولذلك لم يضر أحدا فتعجب الناس والعدو من هذا .

(ومنها) أن رجلا من أعدائه أراد أن يضربه بالرصاص . فاذا مدفعه امتلأ بالماء . فتاب وصار منأصحابه . (ومنها) أنه رضى الله عنه دخل(تاكموت) وليس فيها طالب حفظ القرءان . وما مر عليها سبع سنين الا كثرت فيه حملة القرءان . وطلبة العلم . سبعة منهم فقهاء يقرأون االبخارى فى القبائل يتبركون بهم . (ومنها) أنه يتكلم معنا بالعبرانية والسريانية والكناوية فى مجلس تدريسه . اذا لم يكن فيه غير تلاميذه . (ومنها) أنه يخبرنا بالوباء الواقع سنة أربعة عشر ومائتين وألف قبل وقوعه بعام . ويصف لنا من صفته ويقول اذا وقع ونزل لم يترك من الناس الا نحو العشر . (ومنها) أنه اذا كان فى مجلس أقرانه يضع شاشيته . وربما مد رجليه . وسقط حائكه عن ظهره الى أن يختم المجلس . فاذا رأيناه يضع شاشيته على رأسه . وحائكه على ظهره وجلس متربعا . علمنا أن أحدا ممن ترجى بركته أو من ذوى المروءة من الفقهاء أو أكابر الصالحين يدخل علينا . فاذا هو داخل بلا تراخ . ومكاشفاته واخباره بالغيب لاتحصى . وكان رضى الله عنه يعبر المراءى . فقال له رجل انى رأيت فى منامى أنى أنظر النجوم نهارا مع الشمس . فأجابه بديهة بلا تأمل ان ذلك أعين انفلاس ـ أى رؤساء القبيلة ـ يستغرمون منك مغرما . فاذا ابنه جرح رجلا . فاستغرموه . وكان رضى الله عنه حريصا على كسب الحلال . يعمل فى أرضه بيده حرثا وغرسا وسقيا وحصدا . وقطع الثمر .

ويستعين بطلبته في جميع أشغاله . فالناصح منهم في أشغاله تظهر البركة في حفظه وفهمه وعمله . وغير الناصح وان كان حاذقا فطنا ينعكس أمـره . وكان يشدد النكير على من يتعاطى دخان (تاباغا) ومن يبيعها . وكان رضى الله عنه لايعبأ بمن كان قاضياً . وان كان عالما متفننا . ولا يأكل من طعامه ولا من طعام الشيوخ والنفاليس . ويحرض على ترك البدع . واتبـاع السنة فـى الافعال والاقوال . والحركات والسكنات . وان أقل فى شيء . ومن قوله فـى ذلك : يمنوا بمضغ اللقمة في أفواهكم فانه من السنة . (ومنها) أنه أراد أن يفتح البخارى فى نصف شعبان . وحضر الفقهاء والاعيان . وأعطى الكتـاب لابنه سيدى أحمد . وقال له اقرأ . فتعجب الفقهاء من ذلك . لعلمهم أنه لم يبلغ تلك المنزلة قطعا . فبدأ وقرأ فافصح وبين . فاتفقوا أن ذلك من مـدد الشيخ له . (ومن أكبر كراماته) رضى الله عنه أن الفقيه الصالح سيدى عبد الرحمن بن محمد من بنى سرحان الاساوى رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه . وساله عن أمور فأجابه فيها . وبشره بأمور يبلغها . ويبشر بها أهل زمانه . فقال له يارسول الله أخاف أن لايصدقونى . فقال له صلى الله عليه وسلم اقرأ السلام لسيدى أبى‌بكر وصاحبه الاقاوى. وقل له يبلغ ذلك عنى فبلغها الشيخ . وتلقاها الفقهاء الاعلام والناس كلهم بالقبول . وكان رضى الله عنه يغلب عليه الخوف والشوق فيشهق ولو فى أثناء الفريضة شهقة تروع من لم يعرف حالته . واما علمه رضى الله عنه وحكمه واستنباطه الاسرار القلبية من الكتاب والسنـة والحديث . والمخلوقات والشجر والنبات . فشيء غريب. لايصدر الا من مثله . قرأت عليه الاجرومية . وصغرى السنوسى . والخرازى. وابن برى والرسالة . وألفية ابن مالك . وربع المختصر . وسمعت منه بعض البخارى وبعض الجامع الصغير للسيوطى . ولكن فهمى يومئذ قصير . وهمتى لصغرى ضعيفة . الا أن قلبى فيه هيبة الشيخ . وتعظيمه عظمة لاتعادله بأحد من المشايخ والصالحين . فأورثنى الله بها وببركته همة أدركت بها ما لم يخطر ببال من هو أعلم منى . وألهمنى الله بها اختصارات من كتب الائمة المطولات لينتفع بها قصيروا الهمة (منهـا) مختصر مفيد من شرح (الفيشى) للأربعين حديثا النووية (ومنها) جزء صغير من كتاب (البركة) للامام الحبشى يغنى عن كتب العادات والعبادات (ومنها) مختصر من كتاب (القسطلانى) رحمه الله فى أربعة أجزاء تكفى المحدث عن شروح البخارى رواية وضبطا ومعنى و (منها) مختصر من شرح الامام الخفاجى عن (الشفاء) فى جزء يعنى فى مبهم ألفاظ الشفاء (ومنها) مختصر عن (السراج المنير) للامام العزيزى على (الجامع الصغير) للسيوطى رحمه الله فيه من الاحاديث والمواعظ ما يكفى الواعظ فى المجالس

(ومنها) مختصر من (طبقات) الامام الشعرانى ومن (مناقب) شيخ شيوخنا سيدى محمد بن أحمد الايسى . ذكرت فيه أعيان السلف الصالح . والتابعين والمؤلفين من علماء الايمة والصالحين المشهورين باغاثة الملهوفين بعد موتهم رضى الله عنهم (ومنها) قصيدة بالعجمية مختصرة من (الاحياء) للامـام الغزالى وكتب الامام زروق رضى الله عنهما. ذكرت وبينت فيها مكايد ابليس.وتلبيسه على العامة . وأهل الاوراد . والمجالس والمرابطين والعلماء . وما فيه نجاتهم. وفيها صفاء لمن علت همته (ومنها) قصيدة بالعجمية مختصرة من (قصيـدة) الامام سيدى خالد بن يحيا . وشراحها . فيها ما يزيد في الايمان وطاعة الله ورسوله . وثواب أجر العاملين فى أكثر أعمالهم فى العادات . وانما ذكرت تلك التاليف لانها من كرامات الشيخ وبركته . وكان رضى الله عنه يقـول لطلبته : ليس فيكم الا عبد الرحمن التاغارغارتى وعبد الملك من (فحص ايرس) وقد خرج من مدرسته . وشيعنى بنفسه راجلا حتى ودعنى . ودعا لى بقوله : أحسن الله عواقب أمورك . توفى بالوباء العام فى ذى قعدة سنة أربعة عشر ومائتين وألف رضى الله عنه . ورحمه ورحمنا به ءامين . وقبره يزار بمقبرة بلده (اغير) بـ (تاكموت) جزاه الله عن المسلمين خيرا .

٣ ـ العلامـة سيدى محمد بن أحمـد الطاطاءى

قـــال فيـــه :

(ومنهم شيخ الجامعة شيخنا أبو عبد الله محمد بن أحمد من بنى حسين الوُلْتِي رضى الله عنـه .

كان رضى الله عنه من أكابر أولياء الله الصالحين ومن أهل الفضل والدين خاتمة المتصوفين المحققين فى جزولة وءاخر من أحيا الله به مجالس الذكر فى البلاد السوسية ظاهر البركة مشهور الكرامات اتفق على ولايتـه الفقهاء والعلماء والجهال وكل ذى بصيرة . كان رضى الله عنه فى ابتـداء أمره يحب الخلوات والاعتكاف فى المساجد بقراءة القرءان والصلوات والتباعـد عـن الخلق . الا عن العلماء وأهل الله تعلى . يتعاهد ضيعتـه لكسب الحـلال . ولا يفوض أمرها للخماسين. لقلة ورعهم . محافظا على السنة غاية جهده فى أفعاله وأقواله . ومن دعائه (اللهم ارزقنا متابعة النبى صلى الله عليـه وسلم فـى أقواله وفى أفعاله) ومن المتخلقين بأخلاق السلف الصالح فى المحافظة عـلى أوقات يومه وليله . لا تمر عليه ساعة تجده مفرطا فى عبادة الله فيه . وأحب الاشياء عنده قيام ءاخر الليل . لايفوته ورده فيه . فـى الحضر والسفر من الصلاة وقراءة القرءان بخشوع وتدبر وتجوز . فان فاته استدركـه بأول النهار . ويقول ان شيخى سيدى يوسف بن محمد الناصرى خليفة الاشياخ

وسع علي وفرحني بذلك)

الى ءاخر الترجمة . وتوجد كلها بين تراجم أهله في مشيخة أبي العباس التيمكيدشتي في (القسم الثالث) في (الجزء السادس)

الخامس محمد بن عبد الرحيم

أحد أولاد ذلك العلامة الجليل. أمه من أهل (تين‌تزورين) من(تاغارغرت) هي الزوجة الاولى عند الاستاذ . فكان محمد أحد أولادها . وهو نجيب محصل تخرج بوالده . ولا تزال منسوخاته التي كتبها ابان الاخذ موجودة كنسخة من الدردير . ثم زوجه والده . فكان له أولاد . ثم توفي قبل أبيه . فنزلهم جدهم منزلة أبيهم ثم انقرض عقبه بعد . وشقيقه أحمد من حفظة القرءان فقط .

السادس محمد اخوه

ولد ءاخر فقيه . أمه حجو بنت محمد . شريفة من أيت الحاج أيوب من (تانكيلت) وقد طلقها الاستاذ بعدما ولدت له . وسيدي محمد فقيه حسن مشارط . يفتي ويقضي . فظهر وأبوه لايزال حيا . وقد لازم داره . ولايشارط في مدرسة . وقد يدرس في المدرسة التي أسسها والده ازاء داره . ومحلهم يسمى الزاوية . منذ قام فيها الاستاذ عبد الرحيم بما قام به . توفي سيدي محمد ١٢٩٦ هـ . وفي عهده كان هذا الظهير الحسني في احترام أسرتهم ونصه :

(يعلم من كتابنا هذا! أسماه الله وأعز أمره . وأطلع في فلك السعادة شمسه المنيرة وبدره . أننا بعون الله وافضاله . سدلنا على ما سكيه المتمسكين بالله تعلى ثم بـه . أولاد الفقيه البركة السيد عبد الرحمن بن ابرهيم التاغارغرتي أردية التوقير والاحترام . وحملناهم على كاهل المبرة والاكرام وحاشيناهم عما يكلف به العوام . من الوظائف المخزنية والتكاليف الامامية. فنأمر الواقف عليه من عمالنا . وولاة أمرنا . أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه الى ما سواه . صدر به أمرنا المعتز بالله تعلى في ٢٤ من ربيع النبوى الانور عام ١٢٩٣ هـ .

اجازتان له ولاهله

(أما بعد) فبعد الاستدعاء الذى هو ركن من أركان الاجازة أقول وان لم أكن أهلا ولكن كما قيل :

ولكـن البـلاد اذا اقشعرت وصوح نبتهـا رعـى الهشيـم

والتشبه بالكرام رباح . أجزت لأولاد شيخي سيدي عبد الرحمن بن ابرهيم الهوزالي . الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن . واخوانه اجازة عامة في جميع مروياتي ومسموعاتي . عن أشياخي عن أشياخهم واشياخ أشياخهم الى النبي صلى الله عليه وسلم . كما أجازوني في جميع ذلك . وأذنت لهم اذنا عاما في كل ما وافق السنة المحمدية . وأصيهم ونفسي بتقوى الله العظيم وأذنت الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن المذكور في مجلس التعليم للعلم في بلدهم . وان يتعاطاه هو واخواته في مدرستهم . أعانهم الله تعلى . واوصي اخواننا في الله وأحبتنا من المسلمين بتوقيرهم ومعاونتهم أياهم على دين الله تعلى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) خصوصا الجيران . فمن أعانهم على دين الله تعلى وطاعتهم من الجيران وغيرهم أعانـه الله ونصره . ومن رامهم بما يضرهم أوقصر فيحقهم قصمه الله ورد ضرره فينحره وان يقولوا لاندرى فيما لايدرون . وغيرهـا من شروط أهل هذا الفن . جعلهم الله مصابيح وهداة يقتدى بهم بجاه النبي صلى الله عليه وسلم . وبـه كتب من أحتاج لدعائهم في كل وقت ومجلس عبد ربه تعلى غريق وزره . محمد بن محمد مـن بني حسين الهنائـي لطف الله به ءامـين . فـي انسلاخ شـوال عام ١٢٧٨ هـ)

الثـــانيـــة :

(الحمد لله والصلاة والسلام عـلى رسول الله . وكمـا أجاز الفقيه أعلاه الفقهاء المذكورة أجزناهم وأذنا لهم في التعليم والارشاد . والدلالة على الخير وأوصايناهم بالاخلاص لله تعلى في علمهم وعملهم . حتى من شهود الاخلاص . وذلك باعتقاد أن كل ما منا من نعمة فمن الله تعلى . وفقهم الله وجعلنا واياهم من أهل السنة والجماعة . ومن المتحابين في الله . المتزاورين في الله . بجـاه النبي وءاله . وأوصي جارهم بالتعظيم والاحترام والاعانـة . وقبول النصـح والارشاد من هؤلاء السادات . فالله يوفق الجميع والسلام . في أواسط ربيع الثاني عام ١٢٧٩ هـ الحسن بن أحمد الميموني بـ (تيمكيدشت) لطف الله به ءامين) بطابعــــه .

وهناك من أولاد سيدي عبد الرحيم الطيب والطاهر الحافظان لكتاب الله فقط . وأمهما مَامَّاس بنت عمر الشريفة الاوداشتية . توفـى الطيب نحـو ١٢٩٥ هـ . والطاهر ١٣٤٥ هـ .

السابـع محمد بن عبد الرحمن

هو ابن رقية بنت ابرهيم . فالاستاذ خاله ـ وابن أخت القوم منهم ـ

وقد لازمه حتى تخرج به . فكاو عالما حسنا . يقسم الاملاك . ويفتى ويحكم فى النوازل . وقد كان يشارط فى مدرسة سيدى سعيد بن أحمد من (تيركت) الى أن توفى هناك نحو ١٣٠١ هـ .

الثامن عثمان بن الطاهر

هذا هو الموجود الآن فى الاسرة . وهو حفيد سيدى عبد الرحيم . فقد أخذ القرءان عن الاستاذ سيدى على الحانكيرى فى قرية (ايكلى) . وقد كان هذا ملازما المسجد هناك . مكبا على التعليم . الى أن توفى نحو ١٣٣٥ هـ ثم أخذ ما عنده من العلم عن الاستاذ سيدى عبد الله بن على الماغارتى السكتانى المتخرج عن الاستاذ سيدى أحمد بن محمد الاوداشتى . وعن الاستاذ سيدى محمد بن ابرهيم الماغارتى السكتانى . ثم كان فى (فاس) ما شاء الله ثم رجع فلازم التدريس فى المدارس التى مر بها . مدرسة (ايمى نتاتلت) ومدرسة (زاوية تاغارغرت) حيث يقطن سيدى عبد الرحيم . وفى (ايكلى) بالمسجد الجامع . وفى (سيدى سعيد بن أحمد) حيث بقى الى أن توفى عام ١٣٥٧ هـ ومن تلاميذه سيدى الحسن بن محمد اليعقوبى . وسيدى عبد الله بن محمد الاوداشتى . وسيدى ابرهيم بن هارون الذى كان يشارط فى (ايوزيون) الى أن توفى نحو ١٣٥٣ .

كما أخذ أيضا سيدى عثمان عن الاستاذ سيدى محمد بن ابرهيم استاذ شيخه عبد الله بن على . أخذ عنه فى مدرسة زاويتهم . فهناك كان سيدى عثمان يأخذ عمن أخذ منهم . وقد كان هناك محمد بن ابرهيم سنة ١٣٣٥ هـ . كما كان فيها عبد الله بن على سنة ١٣٢٨ هـ . وقد كان محمد ابن ابرهيم مدركا لعبد الرحيم . فأخذ عنه الشمائل والشفاء . وقد تخرج بالاستاذ أحمد بن الحاج الاوداشتى . وولده محمد بن أحمد . توفى محمد ابن ابرهيم نحو ١٣٣٧ هـ . وقد كان يشارط كثيرا فى مدرسة (تيريت) الى أن توفى فيها فدفن فى مقبرتها .

وأما الاوداشتيون الشرفاء الادريسيون . فأول علمائهم سيدى عبد الكريم العلامة المدرس الكبير . من أصحاب الشيخ أحمد بن ناصر . وقد قال فيه سيدى عبد الرحيم فى (كتابه) :

(ومنهم عبد الكريم بن عبد الله الشريف الاوداشتى رضى الله عنه . هو الولى الكبير . العالم الجليل . ذو الكرامات الظاهرة . المخصوص بالعناية . كان رضى الله عنه يدرس القرءان بالسبع . والامهات المتعلقات بالقراءات . الشاطبى وابن برى وغيرهما . والرسالة وخليل . وأمهات الدين . فانتفع به طلبة وقته . وقصدوه من كل بلد . وظهت بركته فى ولاة الامور . فهابوه

وقبلوا شفاعته عندهم . وكان ورعا زاهدا كريما . يحب الخلوة الا عن الطلبة . لاينشرح ولا ينبسط الا معهم ويصبر على جفائهم . وكان رضى الله عنه عطابا ما أساء أحد الخلق معه في مهم شرعى الا أصابته مصيبة بقدر جرمه . ولو كان من أصحابه وأهل بيته . ويتباعد أهل زمانه عن صحبته لذلك . وكان معظما في القلوب . لايراه أحد الا خضع لله تعلى . وتمنى أن يكون مثله . أخذ رضى الله عنه عن أكابر علماء (فاس) وأجازوه اجازة عامة فيالقراءات وتعليم الديانات . وقال فيه القطب سيدنا أحمد بن محمد بن ناصر . رضى الله عنه : نعم السيد سيدى عبد الكريم ثلاثا . ليس عند هوزالة الا بقرة واحدة وتركوها لـ (سكتانة) تحلبها . وكان صاحب الترجمة وقتئذ يدرس في زاوية سيدى محمد نساعدن بـ (سكتانة) ولقبره رضى الله عنه بركة ظاهرة لأهل الخير . وسطوة بينة لأهل الشر بالتجريب . توفى فجـأة في سجود وتره بعد العشاء سنة تسع ومائـة وألف . ودفن بمقبرة أسلافـه بتلهمت (هوزالة) رحمه الله ورحمنا به ءامين)

ب ـ ومن العلماء الاوداشتيين سيدى محمد بن عبد الرحمن . وقد كان في (أكشتم) من (أنداوزال) مشارطا مدرسا . وقبره في (أوداشت) من قبيلة (انداوزال) حيث أهله .

ج ـ ومنهم محمد بن عبد الكريم الشريف الاوداشتى .

قال فيه عبد الرحيم :

(ومنهم مولاى محمد بن عبد الكريم بن عبد الله الشريف الاوداشتى رضى الله عنه . كان رحمه الله مشهورا بالولاية العظمى . أصلح الله تعلى به البلاد والعباد . وكلامه مقبول عند الخاصة والعامة . عليه هيبة الولايـة . معارضه يهلك في الحين . تجرد عن الدنيـا . وأعرض عن أهلهـا في أول أمره . بزيارة أولياء الله تعلى في المشرق والمغرب . حتى ظهرت عليه أنوار الولاية . وأشارت اليه الاصابع . فصار يصلح بين الناس. أخذ عنه شيخنا أبو العباس التيمكيدشتى . وهو الذى أشار اليه ببدء المدرسة للطلبة بفناء داره . وتلك الاشارة كرامة ظاهرة له . ولم يزل رضى الله عنه يأمر وينهى ويصلح بين القبائل . حتى تزوج في (اييغد) من (هيلالة) ـ ايلالن ـ وتوفى فيه رضى الله عنه ورحمه ورحمنا به).

د ـ ومن الاوداشتيين الفقيه أحمد بن الحاج منالمتخرجين بأبيالعباس التيمكيدشتى . وهو الذى ذكرناه . أحد أزواج بنات سيدى عبد الرحيم وقد توفى قبل وفاة عبد الرحيم . وهو الذى صلى عليه . وشهد له أنـه سليم العرض من ملابسة دنايا الدنيا . كان يدرس في مدرسة (تيريت).

هـ ــ ومنهم الفقيه محمد بن أحمد ولد من قبله . وقد تخرج بأبيه وبعد الرحيم . ودق كان في مدرسة (تيريت) بعـد أبيه من (سكتانـة) . تأخرت وفاته الى نحو ١٣١٨ هـ .

و ــ ومنهم الفقيه أحمد بن عبد الرحمن الاوداشتي . أخذ القرءان عن والده . وما عنده من العلوم عن الاستاذ محمد بن ابرهيم المتقدم الذكر . وعن عبد الله بن على المغارتي المذكور أيضا . وكـان يشارط فـي المدارس والمساجد . كمدرسة (زاوية سيدى عبد الرحيم) وغيرها . وكاو يجد في تعليم كتاب الله . توفي ١٣٦٤ هـ .

ز ــ ومنهم عبد الله بن محمد الاوداشتي . أخذ أيضا عن ابن ابرهيم وابنعلى المتقدمين. وهو حسن . كان يشارط فيإندونظيف . توفي ١٣٦٠هـ

هؤلاء علماء الاوداشتيين . ذكرناهم استطرادا . فعرفنا أن محمد بن عبد الكريم المسمى مولاى الحاج . . هو من الاوداشتيين . وله ذكر أيضا بين مشيخة التيمكيدشتيين . وله أولاد فيهم بعض علم وصلاح ذكروا هناك .

بقيـة اخبار سيدي عثمان

كان كما تقدم فقيها حسنا . مر على جميع الفنون . نحوا وفقها . وله بصر لابأس به . وكان في مدرسة أهله يعلم فيها القرءان . لأن أهل تلك الناحية لايعتنون في عهده الا به . ثم كان عدلا على يد القاضي سيدى موسى الرداني من سنة ١٣٤٥ هـ . ثم على يد القاضي محمد بن على أوبو وقد كان مسكنه في (أرغن) خمسة عشر عاما . بعد ما كان الاحتلال . وقد اعتقلـه المراقب في مركز (ايغرم) ثمانيـة أشهر . بعـد ما سافر الى (الرباط) متطلبا وحده الحكمبالشريعة فيجهته. وحذف العرف الذى أحدثه الاستعمار فيها . وحين أطلق نفى الى (ارغن) وهناك تولى العدالة ولا يزال عـلى هـذه الخطـــة .

تبركه بالشيخ الالغي

قال كان الشيخ نازلا يوما في زاويته في (ايكلي) حيث لـه أصحاب كثيرون . وكنت اذ ذاك أقرأ القرءان هناك . فجلست اليه متطلبا منه الدعاء فجعل يده على رأسي بقوة . كأنه ضربة خفيفة . فلم انسه بهـا الى الآن . وهو اليوم شيخ مسن . تلوح عليه لوائح الخير . وقد تردد الىّ مرارا فضلا منه فأفادني عن أهله ما رأيت .



الحسن بن محمد الشرحبيلى

الازناكـي

نحو ١٢٨٠ = ١٣٤١ هـ

نسبـــه :

الحسن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله .

اليوم يوم أسرة علمية سوسية أخرى . ممن للاسلاف منها مجد علمى مزدهر . لم يزل يتسلسل حلقة حلقة . حتى وصل الى الاخلاف . وقد مضى لها طوال قرنين ونصف شرف عظيم . سامى المنصب . تتـذبـذب دونـه المقامات . مؤسس على العلم والدين وعلى حسن السمت . والبيت الشرحبيلى من البيوتات التى نشأت تحت ظل (تامكروت) التى لها فى الجنوب المغربى تأثير عظيم فى نشر العلم . ورفع راية الارشاد . وتأصيل بيـوتات علميـة شامخة الذرى. كالبيت الجيشتيمى. والبيت الحضيكى. والبيت التيمكيدشتى والبيت التاكوشتى وأمثالهما . ومن ذا الذى يجهل أن الطريقة الناصرية طريقة علمية سنية . ومدرسة ارشادية . لايزال المتخرجون منها يؤسسون المدارس فى (جزولة) وأمثال (جزولة) حتى ردوها كلها كبيوت الشطرنج مدارس ـ وما يوم حليمة بسر ـ والطريقة الناصرية من العلم والى العلم . تحيا بالعلم . وتموت متى مات العلم . وعلمها علم اسلامى محض .

وليس يصح فى الاذهان شيء   اذا احتاج النهار الى دليل

البيت الشرحبيلى يمتد جذره الاول من الشيخ سيدى حسين . أحد أفذاذ المتخرجين بالامام أحمد بن محمد بن ناصر رضى الله عنهم . ثم تحول سره الى أولاد بناته الذين منهم الحسن بن محمد المترجم . وينقسم هؤلاء الاسباط الآن الى أربعة أفخاذ :

١ ـ ءال أحمد بن علي
٢ ـ ءال سعيد
٣ ـ ءال محمد المكـــى
٤ ـ ءال أفيـلال

وما من واحدة من هذه الافخاذ الا انحدرت مـن احـدى بنات حسين الاربع . ولكن العلم انما هو من (فخذ ءال أحمد بن عـلى) وأمهم تسمى أم كلثوم بنت حسين . وفى أفواه المتحدثين من رجال الاسرة انها لما ولدت بشر أبوها بأنها ستكون منبع خير . فولدت أولادها الثلاثة : محمدا و محمدا وأحمد وهم أبناء عبد الله الذى ينتسب الى الشرف النبوى . ولم يصلنا على يد من يحكون لنا من أخلا فهم نسبهم المتصل. والناس مصدقون في انسابهم والعلم انما تسلسل فى أولاد أحمد بن عبد الله . من بين هؤلاء الاخوة . وقد جلس الىَّ عشية يوم الحاكون لى عن أجدادهم هؤلاء فأخذت عنهم كـل مـا ذكرته . واسماء الحاكين لى : أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله . ومحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله . وهذان من أبناء العمومة . (فهاك) أيها القارىء الكريم ما استفدته منهما . من النسب المتقدم فى الاجداد الى أحمد بن عبد الله . ومن أسماء علمائهم . وهذه قائمتهم اجمالا :

١ ـ حسين بن محمد الشرحبيلى
٢ ـ محمد بن عبد الله سبطه
٣ ـ محمد بن عبد الله سبطه الثانـى
٤ ـ أحمد بن عبد الله سبطه الثالث
٥ ـ على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله
٦ ـ أحمد بن على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله
٧ ـ على بن أحمد بن على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله
٨ ـ حامد بن أحمد بن على بن أحمد بن على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله
٩ ـ محمد بن أحمد بن على بن أحمد بن على بن عبد الله بن أحمـد ابن عبد الله
١٠ ـ محمد بن على بن أحمد بن على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله
١١ ـ على بن على بن عبد الله من أهل زاوية (تاوالت)
١٢ ـ الحسن بن محمد بن أحمد بن على بن عبد الله .

اولئك اثنا عشر كوكبا ازدانت بهم قرية (أمان ملولنين)ـالماءالابيض ـ من قبيلة (ايزناكن) مشلح (صنهاجة) وهى قبيلـة مشهورة ازاء قبيلـة (سكتانة) فلنتتبع هـؤلاء السادة :

الاول : حسين الشرحبيلي

هذا امام عظيم . كبير المقام فى العلم والارشاد . ولايزال ذكره يدوى

في نواحي سوس الى الآن . فهناك (سوق الخميس) من (أيت بوبكر) في (بعمرانة) و (ثلاثاء الاخصاص) وجمعة (تيمولاى) وخميس «تاغجيجت» وعيون ماء لاتزال تجرى قسمة مياهها كما قسمها لأهلها . تنسب اليه يوم جال هناك تلك الجولة الكبرى التى ختم بها عمره . وسنلم بها قريبا . وقد ترجمه الشيخ الحضيكى من أصحابه بما نصه :

(الحسين بن محمد الشرحبيلي البوسعيدى الدرعي . شيخ الطريقة الشاذلية . ووارث الطريقة الصديقية العظمى . وحائز أنوار الخصوصية . والعناية الربانية . وأسرار الطريقة الغازية . بفضل الله وكرمه . سبحانه من الاه يخص بفضله وعنايته من شاء . كان رضى الله عنه أخذ الطريقة عن شمس المعارف . وقطب الطوائف . فقال رضى الله عنه : أنا بحمد الله انتظمت في سلك أشياخنا . وعمتنا رعايتهم . وغمرتنا عنايتهم . عن شيخنا الامام أى امام أبى العباس . وقانا الله به مصارع الخزى والباس . سيدى أحمد بن محمد بن ناصر القطب الباهر . عن شيخه والده . (ثم ذكر السلسلة المشهورة) ثم قال الحضيكى :

وكان رضى الله عنه من العلماء العاملين . والائمة الزاهدين المتقين . وأولياء الله الصالحين المهتدين . كما أتقن علوم الظاهر وحققها . وتضلع بعلوم الحقيقة واحكمها . بنى مدارس وزوايا ورباطات (١) واطعم الطعام . واشتهر بعناية الله وفضله . فقصده الناس من كل وجه للتبرك . وأخذ العلم والزيارة . ولقيناه مرة تبركنا به . فرأينا بحمد الله لذلك بركة . وقد انتفع به الناس. وعمت بركته العباد والبلاد. وأحيا الله به سنن الدين وأمات به البدع المضلة وردع به الظلمة والجبابرة . وانصف به منهم . ويأثر عنه بعض خواص أصحابه الفضلاء العلماء الثقات كرامات. ومكاشفات باهرة . وأسرارا عظيمة عجيبة . تدل على العناية الالهية . والخصوصية الربانية الصديقية العظمى . كيف وقد ورث القطب الاكبر . وخيرة الاخيار وكان يخدمه فى الحضر والسفر بالنصح المحض . والعزم والحزم الصميم النية الكاملة . وابتذل نفسه . وبذل جهده فى ذلك مدة مديدة . وخدمة الاولياء والتواضع . والتأدب اهم مفتاح الخيرات كلها . وسبب للوصول والمراقى الزلفى . والولاية الكبرى :

واذا سخر الاله أناسا لسعيد فانهم سعداء

ومناقبه رضى الله عنه كثيرة . وأحواله الجميلة جمة عجيبة غريبة . نفعنا الله به . توفى رحمه الله فى جمادى الثانية سنة اثنين وأربعين ومائة

---

١) لم نعلم منها الآن الا بعضها كما سترى أمامك .

وألف . وكان مولده يوم الاثنين الحادى عشر من شعبان سنة تسع وسبعين وألف) .

وقال فيه صاحب كتاب (الدرر المرصعة) ما نصه :

(الحسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدى النجار . الدرعى الاصل والدار . ابن محمد . العالم العلامة الحبر الفهامة . ولد سنة تسع بتقديم التاء وسبعين وألف . واشتهرت نسبته الى جده الثالث . وهو شرحبيل . وكان متفننا في جملة من العلوم العقلية والنقلية . وصحب الشيخ الامام أبا العباس أحمد بن ناصر . واختص به . وكان المباشر له في غالب أحواله . وصاحبه في وجهتيه الحجازيتين . وشاركه فيمن لقي فيهما من المشايخ . وقد كان أولا قرأ على الامام العلامة الفهامة أبي العباس أحمد بن محمد الحوزاوى الشهير الهشتوكي ـ وهو أحوزى ـ وعليه استفاد واعتمد أى اعتماد . وأخذ عنه وعن الامام أبي العباس ابن ناصر المذكور . ومنه تلقى الذكر الشاذلي وألف تآليف برسمه واشارته . منها شرحاه على صغرى السنوسي . وقفت عليهما . وشرح (سيف النصر) لأبي عبد الله ابن ناصر . ثلاثة شروح . الكبير وهو في سفر مربع . وقفت عليه بخطه . شحنه بفوائد غريبة . ونكت عجيبة . والثاني وهو دون الكبير . والثالث وهو دونهما . وهما المشتهران الآن بين أيدى الناس . وشرع في شرح (غنيمة العبد المنيب) للشيخ المذكور . وفي جمع مناقب شيخه أبي العباس ابن ناصر . فاختلسته المنية قبل اتمامها . وتوفي بزاويته الموسومة بـ (أمان ملولنين) ومعناه (الماء الابيض) جوار السوس الاقصى . سنة اثنين وأربعين ومائة وألف . وبنيت عليه بها قبة بديعة رحمه الله)

هذا ما ذكره هذان المؤرخان . وأزيد أنا الآن أمورا أخرى . منها ما يتعلق بتنقلباته الثلاثة :

١ ـ انتقاله من زاوية (تامكروت) الى زاوية (أغلال) بـ «درعة»
٢ ـ انتقاله الى (فاس)
٣ ـ انتقاله الى زاويته الخاصة في (أمان ملولنين) بسوس .

اما انتقاله الى (اغلال) من الزاوية التامكروتية فقد تعرض لذلك صاحب (الدرر المرصعة) والاديب محمد بن ابرهيم بن محمد الظريفي التاكوشتي الصوابي . وهاك رسالة لهذا الصوابي تفهم منها سبب ذلك . كان كتبها الى ابيه ابرهيم بن محمد ونصها :

(من عبد ربه . اسير ذنبه . الراجي عفو ربه . محمد بن ابرهيم بن محمد التاكوشتي الهشتوكي . كان الله له . الى والديه واخوانه واخواته

وجميع ما احتوت عليه دارهم . السلام عليكم افضل السلام . وازكى التحية والاكرام . فاني احمد اليكم الله الذى لا الهالا هو . (امـا بعد) أبعد الله عنا وعنكم شر الدارين . ويجمعنا واياكم فيهما ءامين . فكيف انتم . وكيف أحوالكم كلها . فاللـه يدركم بلطفه الجميل . فان سألتم عنـا وعن جميع أحوالنا . فنحن على خير وصحة وعافية . لله الحمد وله المنة . ما بنا الا ما يعترينا من ألم فراقكم . وتشوق النفس لملاقاتكم . فنحن قـد انتقلنا الـى مكاننا لانتقال شيخنا سيدى الحسين . وهو فى (أغـلال) ونحن كذلك . ثم سبب خروج شيخنا المذكور . أنه لما قرأ البخارى فى داره . أرسل اليه مولانا « الشريف » (١) وأمره بقطعه لشكاية المرابطين (٢) اليه بذلك . وامتنع من قطعه . ونحن نلزم مجلسه . ثم أرسل اليه ثانيا . وحلف لـه ان لم تنته لاضربنك بالمنشار . أو خلـدتك فى السجن أعوامـا . وكذلك الغوغاء الذين يجلسون عندك . فاني قد عرفت كل واحد منهم باسمه . لا تلوموا الا أنفسكم . ولم يقطعه ولا التفت الى ذلك . بل تمادى على ما هو عليه . ونحن كذلك حتى ليلة العيد . فبعث اليه مولانا (الشريف) راكبين من أصحابه . وأمرهما بالاتيان به . وذهب هـو وأخـوه سيدى محمد . وسيدى سعيد اليوسى . وجميع أصحابهم مع صاحبى (الشريف) عند الظهر فى يوم شديد الحر . وبلغ بهم التعب والجهد . ثم بعث الشريف الى المرابطين وجمعهم مع سيدى الحسين والقاضى سيدى عبد الكبيـر . ثم قـال لسيدى حسين : هل عندك وصية ؟ فقال له نعم ، كانت . فقال له أخرجها واقرأها. فقال له ودرت (أى ضاعت) فقال له والله ما كانت . وعلى تقدير وجودها عرفنا أنك (زوار) ثم قال لابد أن تكتب لهم أنك برىء من الزاوية والورد. فمهما لقنته لاحد فدمـك مباح . وكتب لهم ذلـك . وكتب عليه القاضى . وأدخله مولانا (الشريف) فى جيبه . وبقى سيدى الحسين فى (أغلال) وبعث لاولاده وكتبه وجميع ما فى داره . فشاورنا على ما نفعل . فأمـرنا بالانتقال الى (أغلال) . ثم قال لسيدى سعيد هذه الساعة حرم المقام فى ذلك المكان . والحاصل قد شتت أمر هذه (٣) فالله يعفو علينا وعليها . ومن الذى وكدتكم عليه غاية التأكيد الدعاء لنا بتيسير الامور . ونيل المأمول والسماحة . وسلموا منا على جميع الجيران . وعلى من سأل عنا من الاحبة . والسلام يـوم الجمعة ثالث عشر من شهر شوال عام ١١٣٢ هـ . ولـدكم الشاكر احسانكم محمد)

---

١) هو خليفة مولاى اسمعيل على (درعة) اذ ذاك .

٢) يعنى ءال ابن ناصر .

٣) كذا . لعله يعنى الزاوية .

ثـم ذكر صاحب (الدرر المرصعة) فى ترجمة والده سيدى موسى ابن محمد بن محمد بن ناصر الذى تولى أمر الزاوية التامكروتية من بعد الشيخ أحمد بن ناصر . اثر ما ساق ، ما يدل على أن هذا الشيخ كان أشار اشارات الى أن الذى سيخلفه فى الزاوية هو سيدى موسى ما نصه :

(وأما ما يزعمه الجاحدون والحسدة من جهلة العامة والطلبة . والمتفقرة المردة . من أنه ليس بوصى الشيخ . ولا اذن له فى تلقين الاوراد . وانما وصيه وخليفته صاحب أبو على الحسين بن محمد بن شرحبيل البوسعيدى . وكان يخبر بذلك هو عن نفسه فى ءاخر حالـه . فمردود عليهم وعليه . بما سطره هو بخطه . وشهد به على نفسه . وعطف الاعلام على شهادته . وكان ذلك عقب موت الشيخ رحمه الله . ونص ما سطره ومن خطه نقلت :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه . (أما بعد) فانا ذات يوم جالسون مع سيدنا الامام سيدى أحمد بن محمد ابن ناصر . نفعنا الله به ءامين . مع ولدى أخيه سيدى موسى . وسيدى عبد الله . ووالد عمه سيدى الحسين بن أحمد . وكان يحدث ولدى أخيه . ثم أدناهما اليه . فقال مخاطباً لهما : شدا ارواحكما فى أنفسكما فى دينكمـا وفى اخوانكما . وفى أولاد أعمامكما . فانكما اليوم أكبر أولاد الشيخ . وقال مخاطبا سيدى عبد الله : فان لم يكن أخوك فأنت . وأوصاهما بسيدى الحسين بن أحمد خيرا . فقال : استوصينا به خيرا . وهذا ما وعيته وسمعته منه رضى الله عنه . وكتبته اذ سئل ذلك منى . لتاريخ تقدم بأزيد من سنة وتأخر الكتب لخمس بقين من ربيع الثانى سنة تسع وعشرين ومائة وألف. عبد الله تعلى الحسين بن على بن محمد بن شرحبيل البوسعيدى . وعبد ربه تعلى الحسين بن أحمد . وعبد الله بن محمد بن ناصر . لطف الله به) وعطف على شهادتهما وكان ذلك بمحضر القاضى الاعدل أبى محمـد سيدى عبـد الكبير بن أحمد الدرعى بما صورته :

(الحمد لله أدى الفقيه السيد حسين بن محمد البوسعيدى . والمرابط السيد حسين بن أحمد بمحضرى . فثبت وأعلم به عبد الكبيربن‌أحمد كان الله له) وعطف عليه غيره من قضاة العصر .

ثم قال بعد كلام فى نفس الترجمة :

(وقد انكر على أبى على المذكور جماعة من أعيان أصحاب الشيخ . ونبذوا مقالته . منهم الاستاذ المقرىء الولى الصالح أبـو العباس أحمـد الهوزالى نزيل (دمنات) وقد كان سأله حين مات الشيخ رحمه الله . وقال له هل عندك وصية الشيخ ؟ قال له لا . ثم لما سمع أنه أدعى وصية الشخ

أنكر عليه . وقال قد سألته عنها . فقال لا . والقطب لايكذب . وممن انكر مقالته العلامة الفهامة أبو عبد الله محمد بن موسى الاسحاقي وألف فيذلك رسالة بديعة المعاني . صحيحة المباني . وقد سميتها لما وقفت عليها : (زجر المدعى القاصر . عن معارضة الشيخ ابي عمران ابن ناصر) .

ثم ساق الرسالة الى أن قال فيها مؤلفها :

(ان سيدى موسى محمد بن محمد بن ناصر نازعه الفقيه سيدى حسين ابن شرحبيل . على الزاوية . كان يريد التصدر بها . والتقدم عليها . وهذا مما يبعد أن يسمع عن سيدى حسين ان بقى على الحالة التى عرف بها . ولئن صح ذلك عنه فمما تمجه الاسماع . ويبعد عن صاحبه الانتفاع . اذ سيدى حسين من خيار أصحاب الشيخ . ولا ينبغي أن نظن به الا خيرا . اذ لا أحد أحسن اليه سيدنا الشيخ فيما نعلم كاحسانه مع سيدى حسين فهو اذن أحق الناس بأداء الحقوق . والا فهو أميل الى العقوق (الى أن قال) وكيف يسمع منه الاعتراض . ويقبل منه بعد أن كتب بخط يده . وشهد بلسانه . وادى بذلك شهادته على أعيان علماء (درعة) وفقرائها . كالعلامة سيدى عبد الكريم التدغي . والعلامة سيدى محمد الصغير الوارزازى . وغيرهما من أعيان الطلبة والفقراء والعوام . واحد قضاة العدل بمغربنا العلامة سيدى عبد الكبير بن أحمد (الى أن قال) : وأى نزاع وانكار يبقى لسيدى حسين المذكور بعد اعترافه واقراره بلسانه . وخط يده . بما أشير اليه ءانفا . . . (اقر الخصم وارتفع النزاع) ولايدرى بأى حجة ينازع سيدى حسين . أبقرابة فهي معدومة . أم بوصية فلذلك . أما الوصية ان ادعاها فلا تقبل منه لانه شهد بها لغيره . ولسنا بنافين الولاية عن سيدى حسين ولا الخصوصية . ففضل الله يوتيه من يشاء . وانما انكرنا عليه اساءة الادب مع أولاد الشيخ . ان صح عنه ما سمع . وتعريضه نفسه للطعن لتكذيبه ما كتب بخط يده . . . مع أنه غير خال من العقل والعلم والدين . فيما نعلم . ولئن شرح الله صدره . وظهر له من أمره مايسره . واراد الظهور وانتفاع الناس به . فعليه بالاستقلال والانفراد عن ءال شيخه ويبني زاويته بأى بلد أراد . ثم يؤسسها على تقوى من الله ورضوان) الى ءاخر الرسالة . ثم ذكر فى تلك الترجمة بعد الرسالة ابياتا للاديب الحوات . ينكر بها على سيدى حسين ما أدعاه . مطلعها :

طلب الدنيا (١) بأتندين جهرا جاهدا فى المقام والجولان

---

١) كـذا .

في فـاس

كان سيدى حسين المترجم فى زاوية (اغلال) نحو عامين . ثم رأيناه سنة ١١٣٤ هـ . فى (فاس) كما ذكر أحمد بن محمد الاسغاركيسى فى (رحلته) ولا ندرى تفصيل السنوات التىبقى فيها هناك . ولاسبب انتقاله من هناك الى (فاس) .

في ســوس

نزل المترجم فى الزاوية التى أسسها فى المكان المسمى (الماء الابيض) ـ أمان ملولنين ـ فى قبيلة (أيت تاكن) ـ صنهاجة ـ فاستقر بـه هناك القرار . ولا ندرى بالضبط السنة التى نزل فيها هناك . وانما علمنا أنه كان هناك حوالى ١١٣٩هـ . فأقبل عليه السوسيون اقبالا عظيما حتىكانت يده لا يعلى عليها فى الطريقة . وسترى ان عميد الزاوية التامكروتية لمـا جاء الى (سوس) ليتفقد آملاكا لها هناك مر به أولا . وكذلك رأيت مما قاله تلميذه الحضيكى . حتى اذا رأى اشتياق الناس الى لقياه . أعمل رحلة فى جميع قبائل (سوس) فى طائفة من الطلبة مـن أصحابـه . يدرس فيهم ويرشد العامة . ويصالح بين المتحاربين . ويسعى فى المصالـح العامـة . فأقام أسواقا . وفصل قضايا كثرت الحروب حواليها . وقـد رأينا شرحا على (الشمائل) ألفه اذ ذاك بعض من معه . ذكر فيه أنه أخذ عنه هذا الكتاب وقد ذكر أنه قضى نحو سنة فى هذه الرحلة . وحين رجع لم يبق فى داره الا ثمانية أيام . فوافاه أجله . وهاك ما فى ذلك الشرح :

(يقول محمد بن العربى بن حمدان . هذا ما ألفيته من الحواشي المطرزة اللطيفة من تقاييد عمنا وشيخنا عبد الرحمن بن حمدان . على نسخته من (الشمائل) وقد تفضل الله علينا بشيخنا سيدى الحسين بن محمد بن على الشرحبيلى البوسعيدى سليلا . الدرعى قبيلا . حين وفادتنا عليه أواخر ١١٣٩ هـ . فى ذى القعدة الحرام . فلازمناه بـ (زاوية الرحمة والامان) ـ كأن هذا هو الاسم الذى أطلقه مؤسس الزاوية عليها ـ وقـد قصدنـا زيارة الاشياخ . وقصدنا القرءاة عليه . فمكثت عنده الى ١١٤١ هـ . وقد أجلنا . ورفع شأننا . الى أن عزم على زيارة سيدى أحمد بن موسى. فاتحفنى بمرافقته . لعلمه بأنى لا أقدر على مفارقته . فدخلنا ـ يعنى فى الرجوع ـ زاوية سيدى حسين فى الاربعاء الاولى من جمادى الاخيرة ١١٤٢ هـ . وأما خروجنا منها ففى ضحوة الخميس ١٨ رمضان ١١٤١ هـ . وبعـد رجوعـه لبث ثمانية أيام فتوفى . وقد أخذت عنه فى هذه السفرة (بهجة النفوس)

لابن أبى جمرة . ثم (الشفاء) ثم (الشمائل) فختمنا الكل . وقد أطلع على الذى أجمعه على (الشمائل) فأعجب به . وحثنى على اتمامه . وعلى التقاط الدرر له . واسم هذا الشرح (بغية السائل . بجمع ما طرر على الشمائل) . انتهى مختصرا .

هكذا ختمت حياة هذا الرجل العظيم فى بحبوحة متسعة من الشهرة الطنانة فى (سوس) فاننا الآن فى الربع الاخير من القرن الرابع عشر . لا نزال نسمع بذكر سيدى حسين الشرحيلى غضا طريا من أفواه العامة . رحمه الله ورضى عنه . فقد ترك ذكرا جميلا بين تلاميذه الذين خلدوه باقلامهم . كالحضيكى وأمثاله . ومنشأه ومولده فى (درعة) وقبره كما ترى فى (سوس) ثم اننى قرأت فى (الدرر المرصعة) فى ترجمة سيدى موسى بن محمد بن محمد بن ناصر ـ وهو الذى جاذبه الحبال ـ ما نصه :

ثم لما دخلت سنة اثنين واربعين سافر من حضرة الزاوية المحروسة قصد النظر . والوقوف على ما بها . بقطر (سوس) الاقصى من الاحباس . من زيت وزرع وحديد ونحاس . وغير ذلك . لعدم اتصال شىء منها الى الزاوية لاستيلاء بعض الكفرة الفجرة من المقدمين على ذلك . فسافر حتى بلغ زاوية أبى على ابن شرحبيل الموسومة بـ (أمان ملولنين) فلقيه بها . وتكلم معه فى ذلك. وكان المقدم المذكور من أصحابه واتباعه المنوهين باسمه الزاعمين أنه الوصى . ووعده أن يكتب له . ويأمره برد ما أخذه ومنعه . وحاصل الامر انه لم يكتب له كما وعده . بل رجع عن مقالته . وركن الى فعله الذميم . فخرج الوالد من عنده وبقلبه نار تسعر . واجتاز بـ (مراكش) ثم بـ (دمنات) وبها ابتدأه المرض الذى مات به)

انتهى المقصود الذى يفهم منه ان اشعاع سيدى حسين أكثر ضوءا . من اشعاع سيدى موسى . وقد أتى سيدى موسى الى (سوس) لعله ينقذ هناك ما يريد انقاذه . ولكن غمرته أمواج سيدى حسين . فرحم الله الجميع ورضى عن الجميع .

٢ ـ محمد بن عبد الله

٣ ـ محمد بن عبد الله

٤ ـ أحمد بن عبد الله

هؤلاء الثلاثة اسباط الشيخ سيدى حسين من احدى بناته . وهؤلاء علماء كبار مذكورون . جالوا للأخذ . وحج بعضهم فأخذ عن الشيخ مرتضى شارح (القاموس) ـ كما فى تاريخ مراكش لسيدى عباس ـ كما أخذوا كلهم أو بعضهم من (فاس) وهاك ما قاله فيهم أبو زيد الجشتيمى فى

(الحضيكيون) :

(ومنهم انفقيه أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الله . وهو ابن بنت القطب الكبير سيدى حسين الشرحبيلي . كان رحمه الله عالما صالحا دينا خيرا فاضلا . محسوبا من المتقين . لقيته ولم اخذ عنه رحمه الله).

(ومنهم الفقيه أخوه سيدى محمد وأخوه سيدى أحمد بلغنى أنهما من أهل الصلاح ومن رجال العلم لاسيما النحو والتصريف . وان أحدهما يقول : رزقت التبحر في التصريف .حمداً وشكراً . كانوا جميعا يدرسون ثلاثهم في زاوية جدهم للام في (الماء الابيض) ـ أمان ملولنين ـ من قبيلة صنهاجة ـ ايزناگن ـ حتى ماتوا رحمهم الله)

هذا كل ما قاله أبو زيد فيهم . فنعلم من ذلك أنهم عاشوا الى ما بعد نحو ١٢١٤ هـ حين كان أبو زيد لايزال يأخذ . لانه ـ على ما يظهر لقى أحدهم في الوقت الذى كان يمكن أن يأخذ عنه فيه . ويظهر أنهم لم يأخذوا عن جدهم المتوفى ١١٤٢ هـ لانهم عاشوا بعده كثيرا الى ما بعد صدر القرن الثالث عشر . وانما أخذوا عمن بعده كالحضيكى وطبقته فى (سوس) وهؤلاء الثلاثة انما هم ابناء احدى بنات الشيخ سيدى حسين . وهناك أولاد لثلاث أخريات . ولكنهم ليسوا من أهل العلم ولا الشرف . بخلاف هؤلاء . ولأحمد ابن عبد الله منهم فى عقبه علم تسلسل فيهم . منهم :

٥ ـ على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله

هذا حفيد أحمد بن عبد الله أحد الثلاثة المذكورين . اشتهر بالقضاء وبالافتاء . من اواسط القرن الماضى الثالث عشر . ولا ندرى عمن أخذ . ولا وقت وفاته . قد ذكر بالتدريس فى مدرستهم طوال عمره . وقبره يوجد ازاء قبر الشيخ سيدى حسين . فيما ذكره لى حفيده أحمد بن عبد الرحمن ومحمد بن محمد بن على. ومنهما استقيت ـكما تقدم ـ بعض أخبار الاسرة . وذكر لى بعدهما ابن عمهما سيدى محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله أن فى زاوية (تاوالت) فى (المنابهة) قبر على بن عبد الله . فهل هما اثنان أو أحد المخبرين غلط . الله أعلم . والغالب أنهما اثنان . لان دفين هذه الزاوية له فيها أولاد الى الآن . ويقولون انه هو الذى اشترى المحل وجعله زاوية . وله فيها ثلاثة أولاد : محمد . العربى . على ـ وعلىّ هذا ولد بعد أبيه . فسمى باسمه على العادة ـ وبهذا يصح ما هو الغالب على ظننا انهما اثنان .

٦ ـ أحمد بن على بن عبد الله

ولد المذكور قبله . اشتهر أيضا بما اشتهر به والده من العلم

والقضاء والافتاء والتدريس . ولم ندر كذلك من أحواله غير ذلك . وقد كان حيا الى ما يقرب من ١٣٠٠ هـ .

٧ ـ علي بن أحمد بن علي

أخذ عن عبد الرحمن الجيشتيمي . ثم درس وفض النوازل . ودفن في بويت ازاء مشهد جدهم . وقد حدثني عنه أحد الحاكيين أحمد بن عبد الرحمن . فوصفه بأنه ربعة لحيان . ويكون عنده من الطلبة زهاء ثلاثين . يمونهم من عنده . بلا معاون . وقد أسن حين مات . ويتوفى نحو ١٣٢٠ هـ وقد شارط أيضا في المدرسة العزيزية في (ايماديدن)

٨ ـ حامد بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الله بن أحمد ابن عبد الله

مات قبل على بكثير . ولم يدكه الحاكي أحمد بن عبد الرحمن . أخذ من (فاس) . وكان أيضا يدرس كأهله في زاويتهم . وشارط أيضا في (ايماديدن) في مدرسة سيدي عبد العزيز ما شاء الله . مات حوالى ١٣٠٠ هـ

٩ ـ محمد بن أحمد بن علي أخو من قبله . أخذ من (مراكش) مات قبل أن يشيب . قبل ١٣١٥ هـ وقد دفن الثلاثة في ذلك البويت مع أهلهم

١٠ ـ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الله . والد أحد الحاكيين لنا . أخذ عن سيدي محمد بن عبد الملك اليزيدي من (تامازت) وعن أحمد الجيشتيمي . وكان يتعهده بالزيارة الى أن مات . وكان يجيب من يسأله . ولكن المرتبة العلمية تركها لسيدي الحسن . توفي سنة ١٣٥٥ هـ . في ربيع الاول .

١١ ـ علي بن علي بن عبد الله . رأيت في ظهير حسني لتحرير الاسرة مؤرخ برمضان ١٣١١ هـ ذكر علي ومحمد الفقيهين . فسألت عنهما فقيل لي المقصود علي بن علي ـ هذا ـ ومحمد بن علي بن أحمد المذكور قبله

١٢ ـ الحسن بن محمد بن أحمد

الى هذا يساق الحديث . وهو اخر فقهاء هذه الاسرة المباركة المدرسين المفتيين . الرافعين لراية العلم .

مشيخته

أخذ أولا القرءان عن عمه علي بن أحمد في مدرستهم . ثم لازم في العلوم العلامة محمد بن عبد الملك اليزيدي في (تامازت) حتى استتم . ولم يذكر لنا أنه أخذ عن غيرهما .

قيامه في أهله بمنصبهم

رجع من عند الاستاذ اليزيدى . وقد تفتحت عينـاه . وتمكـن فـى ناصية معلوماته . وترقى الى المنصة التى كان أهله من العلماء يشغلونهـا من قديم . فى تلك القبيلة . فقام فى الارشاد والافتاء والقضاء والتعليم . وملاقاة ضيوف مشهد جدهم سيدى حسين . الذى كان مقصودا من نواح متعددة .

ملاقـاته للشيخ الالغي

ساح مرة الشيخ الى تلك الجهة . وقد كان من عادته أن يتحرى زيارة مشاهد الصالحين . فقصد مشهد (سيدى حسين) فى سنة فتلقاه المترجم . وتأدب معه . وحاول أن يقوم بضيافة طائفته الكثيرة الا أن الشيخ الذى معه هذا الجم الغفير تعفف عنه وعن سكان الزاوية الضعفاء . فقال لهم اننا فـى ضيافتكم ما دمنا فى قبيلتكم فلنذهب الى حيث نؤدى للعامة مهمتنا فـى الارشاد فقصد امغار "محمدا من قرية (اصديف) فهناك بات على الذكـر والمذاكرة فى التعليم على عادته . يعظ الرئيس ومن معه . وكان الفقيه فى صحبته . ثم ودع الفقيه سيدى الحسن خير وداع . ثم لم ينقطـع مـا بينهما من ذلك الوقت . فيسأل عنه الشيخ دائما أصحابه متى وردوا عليه من قبيلة (ايزناكن) الى (الغ) وربما راسله الفقيه عـلى أيديهم . فرحم الله الجميع . ومن عادة الشيخ تعظيم أهل العلم . خصوصـا المتصدرين منهـم للتعليم . ولم يكن ينسى منهم من له به أدنى معرفة . تحببا وتنشيطا لهم فيما هم فيه . ولم يكن يبالى على أية طريقة يذكرون .

الزوايا المضافة إلى سيدي حسين

رأيت فى كلام الحضيكى أن سيدى حسين أسس رباطات وزوايـا . فهاك أسماء ما يناسب اليه الآن .

١ ـ الزاوية الكبرى فى (أمان ملولنين)
٢ ـ أخرى فى (المنابهة)
٣ ـ أخرى فى (هوارة) يقطن فيها بعض أحفاد الشيخ
٤ ـ أخرى فى مدينة (تارودانت) ينزل فيها أهل الشيخ لليوم ان وردوا الى المدينة
٥ ـ أخرى فى (درعة) لا تزال تنسب له .

العلامة

سيدي احمد بن محمد الاكنيضيفي

ثم المزوضي

١٢٦٢ هـ = ١٣١٢ هـ

نسبه :

أحمد بن محمد بن محمد بن على بن محمد بن على بن داود بن محمد ابن يعزى بن محمد بن الحسن بن على بن زغاغ (الدانق) ـ لقب ـ ابن يحيا ابن مقنع بن محمد بن أبى بكر بن عطاء الله بن كنون بن سليمان بن يحيا ابن ناصر بن يوسف بن عبد الحميد بن الحسن البنانى ـ لقب ـ ابن على بن زروق بن عمران بن أبى بكر بن موسى بن عمران بن يحيا الهلالى بن محمد بن ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب .

هذا الاستاذ من أسرة مجيدة سوسية نبتت من قبيلة (أداكنيضيف) ثم ألقت عصاها فى (مزوضة) على نية نفع العباد . بالعلم والارشاد . فنفع الله بها نفعا عامة . ونشر بها من المدارس أزيد من أربعين فى (الحوز) وتعلم بوساطتها العلوم مئون فمئون . وهاك أفراد الاسرة بالاجمال أولا :

١ ـ الشيخ سيدى محمد
٢ ـ سيدى أحمد بن محمد . ولده الاول
٣ ـ سيدى الحنفى . ولده الثانى
٤ ـ سيدى أحمد بن الحنفى

ثم هاك ثانيا تفصيل أخبارهم على حسب ما عندنا مما استقيناه من الاسرة نفسها . ومن مؤلف نفيس ألفه أحد تلامذتهم النجباء :

الاول الشيخ سيدي محمد جد الاسرة

هاك كل ما يتعلق بنسبه منقولا من أصل محرر فيه شهادات عدلية . اعلم عليها قضاة ذلك العصر . وذلك فى حياة المترجم :

(الحمد لله الذى أمر بطاعة نبيه . واتباع نهجه وسنته . ونهانا عن عصيانه ومخالفته . ورغب فى محبته ومحبة ءاله وقرابته . ووعد من انقاد واتبع جزيل المثوبة وكثر الاجر . وحذر من بغضهم واذايتهم . وأوجب على ذلك عظيم الاثم وكبير الوزر . والصلاة والسلام على المنتخب من ولد عدنان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى لولاه لم تكن دنيا ولا زمان . القائل خلقت من نكاح ولم أخلق من سفاح . والامر بمعرفة الانساب فى الاسلام وسيلة ووصلة لصلة الارحام . لتتلد المودة . وتخلـد المحبـة . وتتعارف العشائر والاخوان . ويتواد القرباء والخلان . (وبعد) فمن أنفس الذخائر وأسنى المفاخر . وأسمى المراتب . وأعلى المناصب . معرفة الانسان نسبه وعلمه أصله . بقول الصادق المصدوق (الناس معادن) ولما كان عليه الصدر الاول من الاعتناء . فعلى العاقل أن يحفظ نسبه ائتماما بهم واقتفاء لاثرهم. لاسيما من كان له نسب من النخبة الطاهرة . والـذات البـاهرة . غرة التحجيل . وقمة المعالى والتبجيل النسمة الغراء . فاطمة الزهراء . ومما فشا وشاع فـى جميع الامصار . على توالى الازمان والاعصار . وعم الآفاق. وملأ الآذان والمسامع وتحدثت به سائر الرفاق . أن قبيلة (ايلالن) باقليم (سوس) الاقصى جيل من الناس . لهم سبب وأصل . ونسب متصل بقرة العين . وغرة الزين . عين الرحمة . عليه الصلاة والسلام . بل ثبت ثبوتا لانزاع فيه أنهم من النسب الشريف . والنسل الظريف . بتضافرالروايات وتواتر الاخبار . وتظاهر الظهائر والدرايات . حسبما هو مسطر فىسلسلة شيخنا ووسيلتنا الى ربنا . ءاية الزمان . وحجة العصر والاوان . الفقيـه الاجل . العالم الامثل . العامل بعلمه . المقتفى أثر جده . المهتدى بهديه . وهو سيدى محمد بن محمد الهلالى . الثابتة ثبوت الجبال الرواسي. شهادة عدول تاريخه . وتراكم علاماتهم . واحدا واحدا . ووفاقات العلماء بعضها ظهير لبعض . ترصيصا لتلك القواعد المؤسسة على البر والتقوى . وصونا لها من كل أوهام أو ضياع فممن زبر عليها البركة الرئيس الهمام. واسطة الانام . غرة العصر . وقرة الدهر . شيخ شيوخ الاسلام . سيدنا أحمـد ابن محمدالتيمكيدشتى . نثر عليها دررا . وسطر فوقها غررا . أفاض الله علينا من بركة الجميع . بجاه النبى الشفيع . (نصها) بعد الحمدلة والتصلية نسخة من رسم صحيح . ثابت لدى من يجب أعزه الله . ليعلم الواقف عليه أن انسابنا الممتدة الى سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهـه . أردنـا بيانها لمن أحتاج اليها . كحامله شيخنا المذكور أعلاه . اذ هو سيدنا ومولانا محمد بن محمد بن على بن محمد بن على بن داود بن محمد بن يعزى بـن

محمد بن الحسن بن علي بن زغاغ الدانق ـ لقب ـ بن يحيا بن مقنع بن محمد ابن أبي بكر بن عطاء الله بن جنون بن سليمان بن يحيا بن ناصر بن يوسف بن عبد الحميد بن الحسن البناني ـ لقب ـ بن علي بن زروق بن عمران بن أبي بكر بن موسى بن عمران بن يحيا الهلالي بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وقيده في تاريخ أوائل ربيع الثاني عام ١٠٢١ هـ (١) عبد ربه أحمد بن ابرهيم بن محمد الوليجي الازيعي . وعبد ربه محمد بن أحمد بن بلقاسم التاكموتي الاريغي . وعبد ربه محمد بن يحيا من فجة ترمتن . تغمده الله برحمته ءامين . الحمد لله . اعلم بثبوته عبد الرحمن بن الغازي التودمي . الحمد لله . أعلم بثبوت الاعلام أعلاه عبد ربه أحمد بن سعيد التيجي أملال الهلالي . الحمد لله . أعلم بثبوت الاعلامين فوقه عبيد ربه محمد بن عبد الله . أعلم باعمال الاعلام . وثبوت النسب ان شاء الله وارادته . واعلم به عبد ربه ابرهيم بن محمد التيزيرتي النظيفي . الحمد لله . أعلم بأعمال الاعلام فوقه . ابرهيم بن محمد الماسكيني (٢) الحمد لله . أعلم بصحة الاعلام . ثبوت النسب بأعلاه وثبوته . واعلم به عبيد ربه محمد ابن محمد بن عبد الرحمن التملي من (تحت الرمال) الحمد لله أعلم بأعمال الاعمال فوقه نائب قاضي (ردانة) عبد ربه محمد بن أحمد التيدسي . الحمد لله القريب في بعده . والبعيد في قربه . أعلم بأعمال الاعلامات من عل . قاله من تحقق الخط الفاني عبد ربه عبد الرحمن بن بلقاسم بن علي من (أكرسيف) الحمد لله أعلم بأعمال الاعلام فوقه وأعلى أعلاه عبد العزيز بن محمد الشريف من (تيتي) الحمد لله أعلم بأعمال الاعلام يمنته الشريف سيدي عبد العزيز بن محمد التيتي علمه معرفا به نائب قاضي (مراكش) في (وادي نفيس) عبد ربه أحمد بن بيهي . الحمد لله أعلم بأعمال الاعلام محمد بن المرابط . الحمد لله أعلم بالاعلام أعلاه . عبد ربه محمد بن محمد المزوري قابلها بأصلها مماثلة وشهد بصحة المقابلة والمماثلة من أشهده الفقيه الاجل الاكمل قاضي (مراكش) خطيبها البليغ . وهو محمد بن . . . أعزه الله . وحرسها بثبوت الاصل المنتسخ منه لديه . بحيث يجب له ذلك الثبوت التام بواجبه . شهد على اشهاده . رجيت سعادته . ودامت كرامته . بما فيه عنه . وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر . وفي ثالث شعبان عام ١٢٢٨ عبد ربه محمد بن ابرهيم . وعبد ربه محمد بن عبد الله الغرناطي . الحمد لله أديا فثبت وأعلم بثبوته عبد ربه محمد بن المرابط . عامته محمد بن أحمد المزوري . الحمد لله نفعنا الله ببركات الشرفاء ووفقنا

١) لعل الاعداد هكذا .

٢) جميع هؤلاء مجهولون عندنا . اما من بعدهم فقد عرفنا غالبهم .

على محبتهم . قاله محمد بن أحمد بن محمد الايديكلي . الحمد لله . أعلم بثبوته وصحته بلا ريب ياتيه . العبد الفاني مذنب الورى . فقير مولاه . عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد الله التاكموتي أحوزي هـ أصلح الله ذرية نبينا عليه الصلاة والسلام حيث كانوا . وجعلهم قرة العين للنبي عليه الصلاة والسلام . وأجاب دعاء من دعا لهم . وبه كتب ودعا أحمد بن محمد التيمكيدشتي . لست بقين من شوال عام ١٢٤٦ هـ وعبد ربه أحمد بن عبد العزيز الشريف . وفاقا لشيخه المذكور . وكتبها من أصلها شاهدا برؤية الاصل المنتسخ منه . مع معرفة خط قطب الزمان . شيخ الاسلام . سيدي أحمد التيمكيدشتي تاريخ منتصف ذي القعدة الحرام عام ١٢٦٧ هـ عبد ربه علي بن مبارك الدانسيري الله وليه ومولاه . وعبد ربه محمد بن المحجوب النفيفي . تولاه الله وكفاه . الحمد لله وحده شهد كاتباه بمعرفتهما الكاتبين هنا الرسم المنقول من أصله . وهما العدل الفقيه سيدي علي بن مبارك الدامسيري والعاطف عليه العدل الفقيه سيدي محمد بن المحجوب النفيفي. معرفة كافية . عينا واسما . وانهما من العدول الموسومين بالعدالة . وقبول الشهادة . وشهدا أن كل واحد منهما عدل رضا للآن . في علمهما قيدا به شهادتهما لسائلها في منتصف جمادى الاولى عام ثمانية وستين ومائتين وألف . عبيد ربه سعيد بن محمد المزوضي .

أدى كاتباه بتعريف الرسم أعلاه . والمعرفان بالتعريف والتزكية مشافهة . فثبت واعلم به نائب قاضي (مراكش) بـ (مزوضة) عبيد ربه أحمد بن محمد وفقه الله)

انتهت وثيقة النسب المنقولة من الاصل الموجود عند الاسرة في زاوية (مزوضة) على ما فيها من بعض ما يراه القارىء (ثم أقول) :

بعد صدر أوائل القرن الثالث ولد المترجم الشيخ سيدي محمد في سنة غير محدودة . في قرية (تاغزوت) في (ساقية ايرغ) من قبيلة (اداكنبضيف) وهناك قرأ القرءان . ثم اتصل بالشيخ سيدي أحمد بن محمد التيمكيدشتي . ثم لازمه الى أن أجازه في العلوم . وفي (دلائل الخيرات) وهذه الاجازة موجودة الا أننا لم نتصل بها . وكان يخدم الشيخ هناك دائماً فلما جاء رجال (مزوضة) الى الشيخ يتطلبون منه استاذا ينشر العلم والدين في بلادهم . - على عادة القبائل اذذاك مع العلماء الناصريين ومن يمشون في ركابهم . كمثال (تيمكيدشت) - أرسله معهم . وقد كان الطلبة لما سمعوا بأن هؤلاء جاءوا اليه . يتضاحكون . فيقولون يرسل معهم (فلانا) استهزاء به لأنه مستضعف بينهم . ولا يرونه بعين الاكبار والتجلة . ولا يعدونه من

الطلبة الذين يستحقون الميزة . ولكن الاقدار لا تستهزىء . فبعثه الشيخ سيدى أحمد معهم . فكان ما كان منه . وذلك قبل ١٢٤٢ هـ .

(أقـول) : أدركت شيخاً مسنا فى قرية (سراغوت) من (مزوضـه) سنة ١٣٣٧ هـ . عاش أكثر من مائة وعشر . حكى لى أنه وهو شاب ذهب مع هذا الوفد اذذاك . حكى لى من التفاصيل ما لا استحضره الآن . وقد طال العهد . ثم ان القبيلة أنزلته فى (العوينة) فالتزمت خدمـة مدرسته التى بنتها له ـ وقد انهدمت اليوم هذه المدرسة القديمة التى بنتها القبيلة فلم يبق منها الا المصلى وحده ـ وكان الذىالتزموه أن تحرث كل أزواج القبيلة وان يدفعوا له زبدة يوم عن كل دوار تمخض فى السنة . على العادة المعروفة فى قبائل (سوس) لمدارسهم ومساجدهم . فلازم تلك المدرسة حتى قـام رجل يسمى ابن الحـاج . فأراد أن يزوجه بنته . فلم يمـل اليهـا سيدى محمد . فخطب عند سيدى جعفر من أحفاد سيدى أحمد بن على ابى النحل وهو جعفر بن محمد بن عبلا بن أحمد بن على (ووفاة الشيخ أحمد بن على ١١٥٥ هـ . كما قيده به معاصره سيدى ناصر بن على من قرية (تيمزوغين) منذرية سيدىيوسف. وأحمد هذا ينتسب لمولاى عبد القادرالجيلانى ويقال ان سكناه هناك فى أوائل القرن العاشر فى عهد سيدى عبد الله الغزوانى . وكان أحمد بن على المذكورمن أصحاب الشيخ ابن ناصر الدرعى) اما الشيخ سيدى محمد بن ناصر نفسه وهو بعيد . واما ولده أحمد بن محمد بن ناصر وكان ورعا مشهورا بالصلاح وخطه يوجد وله ولد يسمى محمدا . هو والد الفقيه سيدى محمد وهو محمد بن محمد بن أحمد بن على . كـان سيدى الحنفى يحدث بأخباره . وقال انه كان نساخا أخذ مـن (السويرة) ومـن (دمنات) وله مؤلف فى جميع ما يتعلق بالطب من (القاموس) وكان أحمد ابن على معاصرا للفقيه ناصر . وابلعيد الماغوسى المتخرجين من (فاس) ويعيشان فى القضاء أوائل القرن الثالث عشر)

كانت تلك الخطبة ابنت جعفر هى السبب حتى تفاقم الامر بين ابن الحاج وبين الشيخ سيدى محمد المترجم . فقد قطع ابن الحاج المئونة عـن الطلبة . وهو غنى مسموع الكلمة . فانتقل سيدى محمـد لمـا تزوج بنت جعفر الى جوار أصهاره ءال سيدى أحمد بن على فى سفح الجبـل . وعقـد نكاحه مؤرخ بصفر ١٢٦٠ هـ . وقد أسس مدرسته بنفسه هنالك فـى أرضءال جعفر اصهاره . وهبوها له . ثم تيسرت له الامور . فزالت تلك الضبابة التى كانت تعلو عليه فى (العوينة) فرجع الاهتمام به من القبيلة كلها . حتى ابن الحاج جره سيل القبيلة . فكان أحدها . فلم يبق فى يده

ما عسى أن يضربه الطلبة . فقد قام الشيخ سيدى محمد بنفسه . فيزاول أموره بيده . وبايدى الطلبة الذين يخدمون أستاذهم . ويقومون بكل شئون محله . ولم يملك قط هو ولا أهله أرضا برسومها . ولم يقع ذلك الا فى عهد سيدى الحنفى . ثم كان من عادة سيدى محمد أن يزور شيخه سيدى أحمد بن محمد التيمكيدشتى على رأس كل سنة . فكان دائما يشترى بغلة فيذهب بها الى شيخه . فقامت المدرسة بالحرث وبما تعطيه القبائل على أنه شرط سنوى . وقد كانت القبيلة تحرث له بجميع أزواجها تجتمع لذلك . فيدر ذلك على المدرسة الخير الكثير . وكذلك يصلون الاستاذ بما يتيسر عند ادخال محصولاتهم . كاعانة للمدرسة وكانت المراسلات تترى بينه وبين شيخه التيمكيدشتى . فكان يستشيره . فى كل شاذة وفاذة . حتى ان أسماء أولاده يستشيره فيها دائما . فضلا عن غيرها . وهذه المراسلات التى أرسلها اليه الشيخ كلها محفوظة عند أهله الى الآن . واما رسائله هو الى الشيخ . فهناك واحدة فقط تتعلق بالفقيه فارس . وقد سافر الشيخ سيدى محمد فى حين الى السدة الملوكية . فتلاقى مع ولى العهد سيدى محمد بن عبد الرحمن . فمنحه ظهير التوقير . وهو مؤرخ بـ ١٢٧٥ هـ . وقد بعثه الى القائد أحمد المزوضى الشهير اذ ذاك .

وقد لاقى أخيرا المترجم العناء من أصهاره ءال جعفر . وهو محمد بن جعفر . يدعى عليه أنه تعدى عليهم . واوى بأملاكهم . ورفع عليه دعوى عند القاضى بـ (مراكش) فوكل الاستاذ تلميذه سيدى فارسا المطاعى . ثم استغفر المدعى فسحب الدعوى. ثم صار أفراد العائلة الجعفرية يشهدون بأن الاستاذ لايتعدى على أحد . منهم رقية بنت حمو زوجة جعفر . وأم زوجة الاستاذ . وهى الوصية على كل أولاد جعفر بعده . وكان لا يخرج من المدرسة ولا يغادرها وقد طلب المترجم بالقضاء فامتنع . واعتذر بالتعليم . ولذلك سافر فنزل بـ (مراكش) فى مشهد سيدى أبى العباس مع سبعين من الطلبة . فبعد شهرين سامحه ولى العهد . فبعث معه ذلك الظهير الى قائده . وكان يدرس اذ ذاك فى المشهد . ويذكر فيه مع تلاميذته الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وخصوصا يوم الجمعة . فكان القائد محمد المتوكى . والد القائد عبد الملك . يجدهم كذلك صبيحة كل يوم جمعة فتعدد ذلك . فسأل عنهم . فذكر له حالهم . ومن هو الاستاذ . فسأل أفى الطلبة متوكيون . فقيل له نعم . فاستدعوا اليه . فلما علم جلية الخبر . أمر بقالا أن يعطى لهم فى كل يوم ثلاثين خبزة . وثلاثين رطلا من تمر . فكان ذلك مئونتهم حتى سافروا من (مراكش)

ومما يتعلق به أنه قد يذهب أحيانا الى زاوية (استيف) في (وادى سكساوة) فوق مقام (اللاَّ عزيزة) وفيها شرفاء سباعيون يتتابهم في خميس دون خميس . يذهب اليهم راجلا . وقد أخذ عنه منهم أناس تخرجوا به . ولا يزالون الى الآن يحفظون القرءان . يسهل الله عليهم حفظه .

ومما يتعلق بمدرسة الشيخ سيدى محمد ان الذى وضع حجرها الاساسى بيده هو الشيخ سيدى الحسن ابن الشيخ سيدى أحمد بن محمد كان عند أحد الملوك في (مراكش) فمر بـ (مزوضة) فنزل في دار القائد أحمد المزوضي . فمشى مع القبيلة الى المدرسة . حيث وضع الحجر الاساسى بيده . وقد كان سيدى محمد تأخر عن البناء هناك أولا . فوجد سيدى الحسن الاساس محفورا . والاحجار مهيأة . فوضع اللبنة الاولى . وهو يقول باسم الله . فنحن نضع هذا الاساس باذن من رسول الله . وباذن من سيدى أحمد بن علي . فكان الجدار الذى يعلو في ذلك المحل محترما لايحب من تتابعوا في المدرسة أن يمس فيه حجر . حتى فتح نافذة جديدة . وكان سيدى الحنفي ينهى الطلبة عن ذلك دائما . محافظة على ذلك الاثر الجليل .

توفي سيدى محمد رضي الله عنه سنة ١٢٧٧ هـ . ولم تبن عليه قبة الا في ١٢٩٢ هـ ومحل قبره كان مجلس اقرائه وهو متسع . فجاءت القبة كذلك متسعة لما بنيت على مقدار المجلس .

وأولاده : أحمد . والحنفي . ومحمد . والهاشمي . والمكي . ولم تكن له بنت الا واحدة قدمها بين يديه . وقد ولد محمد ١٢٦٢ هـ . وأحمد ١٢٦٤ هـ . والهاشمي ١٢٦٦ هـ . والمكي ١٢٦٨ هـ . والحنفي ١٢٧٥ هـ . ويقال ان الشيخ سيدى محمد مات مسموما . ولكن ذلك ليس عليه اثارة من الصحة .

وأما تلاميذه فهاك أسماءهم وغالبهم مترجمون عند الهوارى الذى له مؤلف جليل في رجال هذا البيت الكريم :

١ ـ سيدى علي الاستيفي السباعي .
٢ ـ علي بن ابرهيم من (ءال حسين) المزوضي الذى تزوج الاستاذ سيدى أحمد بنته
٣ ـ محمد بن المنصور المزيفتي المزوضي
٤ ـ محمد بن المكي المزوضي الصنهاجي توفي نحو ١٣٣٥ هـ (١)
٥ ـ أحمد بن حسين السنكسي المزوضي . توفي نحو ١٣٣٠ هـ
٦ ـ محمد بن أبي يعقوب المزوضي . توفي نحو ١٣٤٨ هـ
٧ ـ محمد بن أحمد الاسكيسي السكسيوى باني المدرسة في بلده (أسيكيس) توفي نحو ١٣٣٧ هـ

---

١) كل الوفيات التى أجعلها أمام المذكورين . عهدتنا على من ذكروا لي ذلك

٨ ـ الفقيه بلعيد الثمدى من (تامدا ايزعمان) من هوارة . توفى نحو ١٣٢٦ هـ

٩ ـ محمد بن على الساعداتى السباعى بانى مدرسة (الساعدات)

١٠ ـ العربى الساعداتى السباعى أخى سيدى محمد المذكور قبله .

١١ ـ محمد الدليل البكارى السباعى بانى المدرسة فى بلده (أولاد بكار) مات قبل ١٣٣٤ هـ

١٢ ـ مبارك العيساوى السباعى . توفى قبل ١٣٣٠ هـ

١٣ ـ سيدى أحمد بن مبارك الرسموكى ثم السباعى بانى المدرسة فى (بوعانفير)

١٤ ـ الحسين الاوريكى بانى مدرسة (سيدى أبى عثمان)(١) توفى ١٣١٥ هـ . وهو والد العلامة محمد المتوفى ١٣٦٦ هـ وهذا تلميذ سيدى المختار المتخرج بسيدى الحسين . توفى المختار ١٣٤٨ هـ .

١٥ ـ حميدة المطاعى بانى المدرسة فى(أكدال) بلده توفى قبل١٣٣٤هـ

١٦ ـ فارس المطاعى بانى المدرسة فى (اولاد مطاع) فى(تاشبيبت) توفى ١٣١٨ هـ

١٧ ـ محمد السكتانى مدرس المدرسة فى مدشر مولاى ابرهيم من (كيك) توفى ١٣١٨ هـ

١٨ ـ سعيد العنترى بانىالمدرسة فى(أولاد دليم) توفىحوالى١٣٤٠هـ

١٩ ـ محمد المؤذن السوسى الايلالنى

٢٠ ـ أحمد ابن الفقيه التيكيدارى الكدميوى البانى المدرسة فى (ماخفامان)

٢١ ـ محمد بن مبارك المزوضى . الورداسى . فقيه جليل . شارط فى (دار أكيماخ) . توفى اثر وفاة شيخه سيدى محمد

٢٢ ـ الحسن الاكلويى .

٢٣ ـ الحاج محمد الهشتوكى نزيل(سيدى ابنسليمان) بـ(مراكش) هو المعروف المزور المعتقد . وأصله من البوشواريين (٢) وقد تأخرت وفاته الى سنة ١٣٤٤ هـ .

٢٤ ـ أحمد بن عبد الرحمن الركراكى السكتانى . من عقب أبى مهدى عيسى السكتانى القاضى المشهور . كان ناشئا فى قرية (تاكادير القاضى)

---

١) بوعثمان هذا شيخ قديم من أهل محمد بن تومارت . عاش الى أواسط القرن السادس . وأولاده فى (ارغن) بسوس . رأينا ظهائرهم .

٢) ذكر البوشواريون فى (الجزء السابع عشر)

في (وامناس) من (سكتانة) الحوز . تولى القضاء سنة ١٢٨٠ هـ وتوفي سنة ١٣١٦ هـ . وولده الفقيه محمد من الآخذين عن سيدى أحمد بن مَحمد ابن استاذ أبيه . كان ينوب عن والده في القضاء نحو ست سنين . ثم توفي ١٣١٧ هـ وقد أخذ أيضا عن أبيه . وقد غادره حملا . فسمى بعده محمدا . فقيه أيضا أخذ عن سيدى الحنفي واجازه باجازة رايناها . وقد أخذ أيضا عن علماء (مراكش) وهكذا نسبه : محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن القاضي ابن الحسن القاضي ابن عبد الوهاب القاضي ابن الطاهر القاضي ابن عبد الله القاضي ابن يحيا القاضي ابن عيسى بن عبد الرحمن قاضي الجماعة المشهور . وجميع ظهائر هؤلاء القضاة موجودة عند هذا الفقيه مَحمد بن محمد .

قولة الهوارى فيه

(أما والده الشيخ سيدى مَحمد فامره مشهور . وفضله مذكور . وطيب ثنائه منشور . عمت مناقبه الآفاق وتحدثت بفضائله ومحاسنه ومئاثره الرفاق . قطب فقيه شريف عالم عامل . لم يتوفه الله حتى أدرك وبلغ درجة الغوثية . فكان غوث أهل زمانه . كما هو شائع في الامصار . متواتر عن أهل البصائر في جميع الاعصار . وهو ولد قلب الغوث الكبير. والقطب الشهير . شيخ الطوائف التيمگيدشتية السنية . الشيخ سيدى أحمد بن محمد التيمگيدشتي . المتوفى ليلة السبت العاشر من رمضان سنة ١٢٧٤ هـ . وقال فيه بعض تلامذته :

خليفة شمس الغرب منحل رمسه خيار البقاع بين تسًا وفرقد (١)
تسربل بالعلمين علم حقيقة وعلم يصفي القلب مثل الزبرجد

ومناقبه رحمه الله كثيرة مدون بعضها . قال صاحب جمعها في حق الشيخ سيدى مَحمد صاحب الترجمة عند عد تلامذة الشيخ سيدى أحمد ابن محمد ما نصه :

(ومنهم الفقيه الولى الصالح البركة . العالم العلامة الرابع في تجارته الدينية سيدى مَحند (٢) بن محمد الارغى بـ (تاغزوت) كان رجلا صالحا فقيها عالما عاملا . مشاركا ذا دين متين . وله حالة مرضية مع الله ومع عباده . وله سمت وتؤدة . ولما تفقه أرسله شيخه سيدى أحمد بن محمد التيمگيدشتي الى (الحوز) فاستقر بـ (مزوضة) وبنى مدرسة هناك.

---

١) (تيسًا) بتشديد السين . جبل في (تيمگيدشت) وكذلك فرقد .
٢ مَحند ـ بالنون وفتح الميم ـ مما يصحفون اليه محمدا .

ثم لما تغيرت عليه الاحوال . وانعكست عليه أولئك الاصحاب . انتقل الى زاوية (أبي النحل) القطب سيدى أحمد أوعلي . بعد أن تزوج من صاحب الزاوية . وبنى مدرسة أخرى وعمرها بالتعليم والارشاد . وأحيا بتلك النواحي علوم الدين . وشيد معالم السنة . وهدم أركان البدعة والضلالة وجاهد في الله حق جهاده . وجد واجتهد . وظهرت عليه بركة شيخه . وانتفع به خلق كثير . وخرج عليه من العلماء جم غفير . وعدد كثير . ونجبت طلبته وفقهاؤه . وصاروا عيونا في البلاد . يقتدى بهم في الديانات واقمارا في الامجاد . وقاموا على ساق الجد . واتبعوا أثره . وكان معظما في القلوب . مهابا عند العامة والخاصة . مقصودا في الحوائج . وأوذى في الله بما لا طاقة لاحد . وبما لا يصبر عليه صم الجبال فصبر . وفرق الله من يؤذيه شذر مذر . وكان سديد الرأى . راجح العقل . تولى الله أمره وهون له العبادة في سائر الاحوال . ونهضت أموره وانتشر في جميع البلاد خيره. وطار في العباد صيته . ودريت نياته . وتفجرت عيونه . وظهرت أسراره . وعمت بركته . واتضح برهانه . وتمكن دينه . وأمن جانبه . وأشرقت بدوره . وتضوعت بالثناء الجميل أرجاؤه . فاغتاظ عدوه . وارتاح حبيبه . وأعجب الزراع نباته لما استوى على سوقه . ولو لم يكن للشيخ سيدى أحمد بن محمد التيمكيدشتي الا هذا التلميذ لكفى في فضله وقطبانيته . فكيف بتلاميذ شتى مثل هذا التلميذ في الفضل ودونه . وتوفي رحمه الله هناك في ١٢ من شعبان عند الظهر سنة ١٢٧٧ هـ . ودفن في مجلس درسه . وقبره عليه جلالة ومهابة . تقضى لديه الحوائج . وقد أكب الناس والزوار على قبره كحال حياته (قلت) (١) وعليه الآن قبة حافلة . عليها أنوار السعادة تلوح . ومنها أرواح الجمال والجلال تفوح . بناها عليه السلطان الجليل المولى الحسن . الذى نبه كل المحاسن من وسن . وقاد جميع المحامد برسن . المتوفى في أوائل ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ رحمه الله وتقبل منه أمره . ولصاحب الترجمة موسم شهير . يعمر كل سنة عند ختم صحيح البخارى . وبقيت بركته في أولاده وأولاد أولاده . فهم أبدا في أعين العناية والحماية من بركة والدهم . ترفع كلمتهم . وتخدم اشارتهم . وترجى بركتهم . بل كلهم صلحاء نصحاء علماء عاملون . ولكل واحد منهم درجات وبركات . وستكون لنا اليهم عودة قريبا ان شاء الله . ثم اعلم أنه لو لم يكن في فضائل الشيخ سيدى مْحنْد الا تلامذته وأتباعه

---

١) من مقول الهوارى الذى نقل هذا الكلام عن العربى المشرفى الذى ألف في مناقب ءال (تيمكيدشت)

الذين صاروا أقمارا ونجوما وشموسا فى البلاد . وهداة للعباد . اكفاه فضلا وشرفا . لان كل واحد منهم نال منه ما يكفيه من العلم والنور . والسر واليقين . والفتح المبين . وكل واحد له أتباع وتلاميـذ لا تحصى . ولا زال فضلهم بفضله فى زيادة . وفيهم يقول صلى اللـه عليه وسلم : لا تـزال طائفة من أمتى قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله . وهم ظاهرون . جعلنا اللـه من زمرتهم . وجمع بيننا وبينهم تحت لـواء المصطفى صلى الله عليه وسلم ءامين) انتهى كلام الهوارى من مؤلفه .

الثاني سيدي احمد ابن الشيخ المذكور

لما مرض سيدى مَحمد اجتمع عليه فى حضرته كبار أصحابه المدرسون فى مدارسهم التى أسسوها . وهم اذ ذاك اثنا عشر . فقال لهـم أنظروا كيف تقتسمون أعوام الدراسةفى المدرسة لئلا تشغر حتى يأتى رب المدرسة الجديد . فقال سيدى حميدة المحاضرين بعد وفاة الاستاذ . اننى أكفيكـم مئونة التدريس فىالمدرسة . فالتحقوا انتم بمدارسكم . وقد كانت له أيضا مدرسة فى (أكدال) فى (مزوضة) . فالحق من فيها بمدرسة شيخه هذه . فقام بها خير قيام فكان لايـذهب لداره الا من عشية الاربعـاء الى صبيحة السبت فيبكر . ولا يمكن أن يخرم هـذه العادة التى استمر عليهـا من ١٢٧٧ هـ . الى سنة ١٢٩٨ هـ وقد سافرت القبيلـة المزوضيـة والعلمـاء والطلبة من المدرسة الى (تيمكيدشت) حتى عزوا فى سيدى الحسن يوم مات فىهذه السنة . فرجعوا بسيدى أحمد بن محمد . فأخلى له سيدىحميدة المكان فرجع الى مدرسته فى (أكدال) . فخير الطلبة بين البقاء فى المدرسة . وبين الذهاب مع سيدى حميدة . فذهب معه الغالب . وقد كان سيدى أحمد يخدم سيدى الحسن التيمكيدشتى . حتى كان هو الذى غسله يوم توفى . وقد قال له قبل وفاته ان قدر الله وفاتى فأرجع الى مدرستكم . فانىأودعك الله وقد كان سيدى حميدة يسافر الى (تيمكيدشت) رأس كل سنة على العادة مع العلماء السباعيين وغيرهم . ثم لم تنقطع هـذه العادة من وفد الجميع الا بعد وفاة الشيخ سيدى الحسن .

ثم ان سيدى أحمد أقبل على التدريس والاكباب . وقد كثر عنـده الطلبة من كل قبائل (الحوز) ومن (سوس) ومنالجبال . وعنده من السباعيين فقط اثنا عشر . كلهم حصلوا بعد . وظهروا فنفعوا فى نشر العلم . وقـد تزوج بنت الفقيه سيدى على بن ابرهيم من (ءال حسين) المزوضى وقـد تقـدم .

أخذ سيد أحمد القرءان عن استاذ مزوضي من أيت عبئومن (تارغونت) . وعن مبارك اليوزياءى الحاحي .

توفى الشيخ سيدى "محمد . ولم يترك من أولاده مدركا الا محمدا . وقد ناهز الاحتلال . فحين ذهب الطلبة كلهم الذين هم فـي المدرسة وهـم زهاء سبعين من الفقهاء الذن تخرجوا من المدرسة مع كبار القبيلة المزوضية . الى الشيخ سيدى الحسن القائم في (تيمگيدشت) بعد أبيه . طلب سيـدى الحسن من سيدى محمد كبير أبناء سيدى "محمد أن ينقطع للقراءة هنـاك . ففال له الامر أمرك ياسيدى . ولكن انظر حتى أقول لك . ثم لك النظر ان أهلنا نساء . ليس هناك من يدخل عليهن ولا من يخرج . وهناك صبيان صغار لايهتم بتعليمهم أحد . فلئن انقطعت هناك فانني قد أصلـح . ولكـن الآخرين سيفسدون بلا ريب ولئن ذهبت فلابد أن أسعى فى صلاح الجميع . فهذا أخي أحمد أولى أن ينقطع اليك يا سيدى يوم يستتم القرءان . ولك النظر. فوافقه سيدى الحسن على ما قال . فذلك هو السبب حتى لازم سيدى أحمد بن محمد (تيمگيدشت) منذ أن جمع القرءان من ١٢٨٨ هـ الى ١٢٩٨ هـ نحو عشر سنين أمضاها كلها في خدمة الشيخ سيدى الحسن بنفسه . يمشي ازاءه والشيخ راكب ويكتب عنه الرسائل الى القبائل . ويخدمه بصدق نية واخلاص . وكان الذى يتولى الدراسة في المدرسة بعد الشيخ سيدى محمد هو سيدى حميدة المطاعي ـكما تقدم ـ فيعينه سيدى محمد المؤذن الايلالني السوسي . الى أن رجع رب المدرسة ١٢٩٨ هـ كما ذكرنا . وقد كان سيدى محمد كبير الاخوة يقرأ أيضا عند سيدى حميدة . فكان عالما وسطا وصوفيا كبيرا . توفى ١٣٣٤ هـ ولم يترك عقبا فورثه سيدى الحنفي والمكى أخواه .

ثم ان سيدى أحمد أقبل بعد على التدريس في همـة علية . واكباب واجتهاد . مع ملازمته للامانة ولارشاد الناس في القبائل . فيقف فى القرى الجبلية حتى تقوم بالمساجد . وكان يفرق الطلبة فى الرمضانات على القرى للارشاد . ولنشر الحديث النبوى واخلاق الاسلام على عادة أهل (تيمگيدشت) وقد كان بعد رجوعه تزوج ـ كما تقدم ـ بنت على بن ابرهيم من ءال بيهى المزوضي الحسيني . ثم لم يرزق معها أولادا . فقد مات كلالة . ولهذه الزوجة بنتان رباهما سيدى أحمد . ثم زوج احداهما لابن عمه ابن ابرهيم بن على الارغي . من الوافدين الى هؤلاء من أهلهم الايرغيين . والاخرى وهى احدى زوجات سيدى الحنفى الآتى قريبا .

كان سيدى أحمد مقبل على شأنه محترما مبجلا . تخدمه القبيلة . مقلا من الدنيا لانه لايهتم بها . وكان يخرج كثيرا لاصلاح ذات البين . وقلمـا

يسمع بمحاربة أو مشاورة الا بادر ليطفئها . وقد كانت معلوماته غير مستتمة فقد يبلغ بابا من الابواب فى المتون . فيقول للطلبة بعد أن يبين لهم . أن هذا الباب ما أخذته قط . اشتغالا بخدمة الشيخ ولكن الله فتح علينا بفهمه . وكان نساخا نسخ بيده كل كتب الدراسة . وقد كان عاصر سيدى حميدة. فكانت لهذا شهرة بالافتاء وبالتحكيم . فتزخر اليه السيول . ولكنه مع ذلك ما كان يغب زيارة زاوية أشياخه هؤلاء . فيأتى فى كل خميس لصلة الرحم مع سيدى أحمد. وهناك ظهير حسنى كان استصدره سيدى الحسن التيمكيدشتى لسيدى أحمد وهو صغير لايزال يقرأ عنده . لاحترام الزاوية والمدرسة مؤرخ ١٢٩٥ هـ وقد وقفت على طلب استصدار هذا الظهير بخط سيدى أحمد ابن محمد بنفسه . ولا ريب أن سيدى الحسن التيمكيدشتى هو الذى أمره بذلك . والمخاطب فى ذلك السيد على المسفيوى الشهير . ومن عادته أن يسيح كثيرا فى تلك الجبال من (سكساوة) و(كدميوة) مع الطلبة فيقرأون ويرشدون وقد تتبعوا طريقة أسلافهم الناصريين فى ذلك . فينفعون العامة بالارشاد العام والطلبة بتعليم العلوم العربية بفنونها كما هى .

ومما يتعلق بسيدى أحمد بن محمد ما وقع من حرب بين السباعيين وجيرانهم المتوكيين والمزوضيين . وقد كان العداوة عميقة بين الفريقين . فقد طلب الملك مولاى الحسن من قائد أبى السباع الحاج عبلا بن بلعيد . أن يسافر معه الى الشمال . فاعتذر له بما كان بينه وبين جيرانه هؤلاء فاستدعى الملك القائد عليا المزوضى فأوعز اليه أنه مواخذ بكل ما عسى أن يصيب دار القائد بن بلعيد . وهدىء على ذلك . ثم لم يكد القائد السباعى يغيب مع الملك . حتى هاجم المتوكيون والمزوضيون داره . فحاصروا أهله فيها . فدافع هؤلاء بكل ما أطاقوه . ثم ورد رسول من القائد على المزوضى على الاستاذ سيدى أحمد بن محمد . وهو فى مجلس الاقراء يستدعيه اليه والقائد على نازل فى محل مصاقب لدار (ءال بلعيد) قال الراوى للحكاية وهو الفقيه سيدى الامين السباعى . فذهبت معه أنا والفقيه سيدى عبد السلام الديلمى فلما قاربنا (الساعدات) حيث دار ءال بلعيد اذا بالقائد على تلقى الاستاذ . فصار يتشكى عليه بما فعله أخوه عمر والمزوضيون . ثم طلب منه أن يسعى فى اطفاء النائرة . والقائد على خائف من الملك على نفسه لانه هو المسئول رسميا . ولكن اخوته غلبوه على أمره . قال الراوى : ثم وجدنا المقدم الحسين المتوكى والمتوكيين فى نهار رمضان . وقد بسطوا الاوانى لشرب الاتاى . فصار الاستاذ يعنفهم على انتهاك حرمة رمضان . فقال له المقدم الحسين اننا مجاهدون . فقال له الاستاذ : كيف تكونون مجاهدين. وأنتم فى الفتنة المقول

فيها القاتل والمقتول فى النار . فصار يكرر عليهم هذا الحديث . ثم فاوضه الحسين ليفاوض (ءال بلعيد) فى المهادنة حتى يدفنوا الموتى من الفريقين . ثم طلب منهم الاستاذ أن ينكف المحاصرون للدار . فذهب هو والحاكى وسيدى عبد السلام الدليمى . حتى قاربوا الدار . فعرفهم من فى الدار . ففتحوا لهم الباب فتلاقوا مع الاستاذ بالبكاء . فذكروا له أن قتلاهم يغسلونهم ويصلون عليهم ويرمونهم فى مطمورة . ثم طلب منهم أن ينكفوا حتى يحمل المحاصرون لهم قتلاهم . فأرسل الاستاذ سيدى عبد السلام اليهم فحملوا موتاهم . ثم قال الذين فى الدار للاستاذ ان الرسالة وصلتنا ان الاغاثة ستصلنا يوم الخميس . فاصنع لنا هدنة الى ذلك النهار . فان لم تصلنا فائت الينا . لتخرجنا من الدار بالامان . قال الحاكى فخرجنا فصار سيدى عبد السلام يقول لى كيف يقول الاستاذ لهؤلاء . أيبلغهم هذا الكلام على وجهه قال فقلت له دع الاستاذ فانه يعرف مايسمع. فلما جاء الاستاذ الى المحاصرين للدار . قال له ان هؤلاء أعيوا كما أعييتم .وقد طلبوا هدنة ما بين اليوم وبين الخميس . وكان اليوم يوم أحد . قال الحاكى : فقال لى سيدى عبد السلام سرا : هكذا تكذبون أنتم أيها الفقهاء (كأنه لايعرف أن الكذب فى الاصلاح بين الناس جائز) قال : ثم ان الاستاذ جلس مع القائد على كثيرا . ثم رجعنا وفى يوم الخميس أرسل الاستاذ من يراقب الطريق . فاذا بغبار الاغاثة فى الافق. فانهزم المتوكيون والمزوضيون . فاندلق من فى دار ابن بلعيد من الحصار . ثم ان الشريف مولاى الامين خليفة الملك الذى مع الاغاثة . نزل على القائد فصار يضيف المحلة طوال شهرين من ماله الخاص مع ألف ريال لكل ليلة . وقد أوعز الى المزوضيين الا يعينه أحد .ثم كان ذلك ءاخر أهل القائد على اذذاك بقيادة . ثم لم ترجع اليهم الا بعد حين . وأحمد بن مبارك هو أول قائد من ءال العسرى . وقد توفى قبل ١٢٧٢ هـ . وقد اعتقل ولده القائد على سنة ١٣٠٣هـ فسجن فى (تطوان) الى أن كان العهد العزيزى. فعاد قائدا على نصف القبيلة والنصف الآخر للقائد محمد بن الحسن . من أهل (علا) وقد كان الحاج عمر ابن أخى القائد على صاحب المنابهى فى السجن فى أول العهد العزيزى . فكان ذلك هو السبب حتى تعين قائدا فى محل ذينك القائدين معا . ثم سجن هذان معا فى (فاس) فهناك مات القائد على سنة ١٣١٨ هـ ودفن فى (سيدى بوجيدة) وفى العهد الحفيظى تولى القائد عمر بن أحمد هذا مكانه . وهو أخو القائد على . وقد كان تزوج بنت سيدى الحنفى التيمكيدشتى . ثم بقى عمر قائدا الى أن مات ١٣٣٢ هـ فتبعه القائد محمد بن عمر الذى كان أولا خليفة لعبد الملك المتوكى .الى أن مات نحو ١٣٧١هـ

ثم القائد أحمد أخوه الذى تولى بظهيرابن‌عرفة . ثم مات في‌أول عهد الاستقلال ١٣٧٦ هـ فانقرضت قيادتهم .

كان هؤلاء القواد من العائلتين معا يحترمون الزاوية غاية الاحترام . وفيها نشأ القائد محمد والقائد أحمد فى صغرهما . حتى شبا معـاً . وقد كان أبوهما يقرأ هناك قبلهما .

قـولة الهوارى في سيدي احمد

(ثم ان الفقيه العالم العلامة . قطب زمانه . الولى الصالح البركـة . السعيد الرابح أبا العباس الشيخ سيدى أحمد كان رحمه الله عالما محققا . مشاركا متضلعا . خرج على يده جم غفير من العلماء العاملين . كـل واحـد منهم امام يقتدى به . وكان ورعا ناسكا . عابدا وليأ من أولياء الله. ذا كشف ربانى . وعلم لدنى . واسع الباع فى الفقه والنحو والصرف والبيان والمعانى والعروض والاصول والتنجيم والتعديل والتوقيت والاسماء والاوفاق وسر الحرف . أخذ الكل عن شيخه القطب سيدى الحسن بن أحمد التيمكيدشتى وكان ذا تأن في الامور وبصيرة . ورأى مصيب . له صفة ماجدها قط واصف وقد أظهر الله عليه بركة شيخه المذكور . وصاحب سره المشهور . فانتفع الناس به غاية الانتفاع . وكان مسكنا لكل فتنة ظهرت . ومطفئاً لكل نار اتقدت . فحيثما ظهرت فتنة بين الناس اجتهد فـى اطفـاء نارها بالنفس والمال والهمة . حتى تنطفىء ويصلح ذات بين أهلها . وكان ذا جد واجتهاد . وعزم وحزم . جمع الله له بين المشيختين العلمية والتربية . وكـان يربـى بالحال . كعادة الكمال . ويذهب في الظاهر والباطن بالهمة والنظرة . ولقد حكى لى بعض الطلبة عن نفسه أنه كان قبل أن يجتمع به يرتكب أمورا ضارة بالدين . فلما التقى معه . قال نظر الىَّ نظرة واحدة مزعجة . فعرضت علىَّ فى تلك الحالة جميع الامور التى كنت أفعل . فصرت كأنى أنظر اليها . وخطر ببالى حقائقها . فخجلت غاية الخجل . فلما غض الشيخ بصره قائلا : ما شاء الله . انمحى واضمحل جميع ذلك في قلبى . واندرست رسومه الى الآن . قلت فانظر يا أخي . هذه نظرة واحدة غسلت ما غسلت . وفعلت ما فعلت . فكيف بمن له الاخذ عنه والمصاحبة . اللهم طهر قلوبنا ببركة أشياخنا ولا تحرمنا . فأنت ثقتنـا ورجاؤنا يا ألله . وكانت لـه أسرار وبركـات . ومقالات عجيبة فى الفقه والحكمة . وعلـم الفلك . نظما ونثرا . ورسائـل وأجوبة . وقد وقفت له على ديوان من الشعر . لكن لو تتبعت ذلك لخرجت عن المقصود . ولو تصدى أحـد لجمع ذلك لكان كتابـا مستقلا حافلا . كان رحمه الله واسع العلم غاية الاتساع . وهو تلميذ الشيخ سيدى الحسن بن أحمد التيمكيدشتى المقول فيه :

أعالم سوس الاقصى زين بك الشعر   ومنى لـك السلام مـا نظم النثر
أنجـلا لأحمـد الميمونى أنـــه   على الارض لم يجد بمثلكما الدهر(١)

وقرأ عليه العلوم بأسرها . وعنه أخذ جميع أحواله . وكان الشيخ المذكور يستخلفه فى الصلاة فى بعض الاحيان . ولم يتفق ذلك لاحد غيره . وكان صاحب الترجمة عيبة سر شيخه المذكور . وهو الذى يكتب لـه ما شاء أن يكتب . ويجاوب القبائل . وسلاطين الوقت . ويكتب المواعظ لفقراء القبائل بخطه . ويطبع عليها بطابع الشيخ . وبالجملة فهو كذات الشيخ .

تـلاميـذه

١ ـ الحسن الماغوسى الكدميوى بانى مدرسة فى بلده (برج الرومى) توفى نحو ١٣٥٨ هـ (٢) . وقد أخذ أيضا عن سيدى الحنفى

٢ ـ محمد بن ابرهيم هبوش المزوضى توفى نحو ١٣٦٢ هـ . وقـد أخذ أيضا عن سيدى الحنفى .

٣ ـ محمد بن أحمد ابن الفقيه التيكيدارى الكدميوى من (وادى مال) لا يزال حيا الآن ١٣٨١ هـ ولد ١٢٩٦ هـ .

٤ ـ أحمد التيكدارى الكدميوى . والـد من قبله . أخـذ أيضا عن سيدى مَحمد .

٥ ـ سيدى ابرهيـم الايسيكيسى فـى (وادى سكساوة) تـوفى نحو ١٣٤٦ هـ .

٦ ـ بلاَّ الضارضورى التيدموتى السكسيوى . توفى ١٣٣٨ هـ

٧ ـ مبارك بن عدّى المزوضى الدرقـاوى . توفى ١٣٨٠ هـ نزل فى (متوگـــة) .

٨ ـ مبارك ابن الحاج المتوگى الرحالى .

٩ ـ الحاج أحمد الموالى المتوگى . توفى قبل ١٣٣٠ هـ

١٠ ـ زين الدين الموالى المتوگى أخوه توفى نحو ١٣٤٧ هـ

١١ ـ أحمد بن عبلاَّ المزوضى .

١٢ ـ الامين العيساوى السباعى بانى المدرسة فى (أولاد عيسى) توفى نحو ١٣٤٥ هـ وهو والد سيدى العربى القاضى الموجود الآن .

١٣ ـ محمد الفاضل البگـارى السباعى بانى المـدرسة فى (أولاد البگار) وهو من ءال الفقيه الدليل .

١٤ ـ محمد بن أحمد السكتانى .

١٥ ـ أخوه الحسن السكتانى ابن أحمد بن عبد الرحمن الركداكى

---

١) هكذا البيتان ينقلان . ولا يخفى ما فى الشطرين الاولين من البيتين
٢) نقلنا هذه الوفيات عمن يتحمل عهدتها من المطلعين .

المتقدم اهله بين الآخذين عن سيدى مَحمد . وهم أحفاد أبي مهدى .

١٦ ـ محمد بن فارس التاشبيبتى القاضي المطاعي ـ وقد تقدم والده فارس بين الآخذين عن سيدى محمد . توفى نحو ١٣٤٧ هـ

١٧ ـ محمد بن عبلا الزيكى الفقيه الدرقـاوى المترجم فـى (الجزء الخامس عشر)

١٨ ـ الحسن الزيكى من ءال بيهى ابن عم من قبله . ذكر أيضا هناك

١٩ ـ محمد بن الحسن الاكلويي الذى أخذ والده عن سيدى محمد

٢٠ ـ محمد الفروكى التاويلولتى الكاتب للرسالة الى المشيخ الالغى لما صلى بهم . بانى مدرسة (تاويلولت) المتوفى نحو ١٣٥٠ هـ

٢١ ـ عبد السلام الديلمى بانى المدرسة فى(أولاد دليم) توفى نحو ١٣٦٢ هـ . وهو والد صاحبنا الاستاذ ابرهيم المتخرج من (ابن يوسف)

٢٢ ـ عبد القادر الديلمى أخوه . توفى بعد أخيه بنحو سنة .

٢٣ ـ البشير السكسيوى البولعوانى . يكون مقدم الطلبة فىالمدرسة توفى نحو ١٣٥٥ هـ

٢٤ ـ عبد الله البرايبمى السوسى الذى يجالس الفقيه سيدى الحنفى وقد تزوج هناك . توفى بـ (مراكش) ١٣٥٨ هـ

٢٥ ـ أحمد الاسماترتى من (أسماترت) من جبل فوق (وادى مال) وهو أديب ويعرف سر الحرف . وكان كاتبا عند الوزير أحمد بن موسى . توفى نحو ١٣٢٦ هـ

٢٦ ـ الحاج محمد بن مبارك الغيغاءى المشهور بعلم الفلـك . نـال شهرة فى هذا العلم ويرتحل اليه . وكان محترما عند الملوك والوزراء . توفى قبل ١٣٣٠ .

٢٧ ـ عبد الله بن محمد الاوريكى من (أغبالو) توفى نحو ١٣٢٨ هـ

٢٨ ـ مبارك بن الهدار اليعقوبى توفى ١٣٣٦ هـ

٢٩ ـ على بن مبارك المتوكى . توفى نحو ١٣٧٩ هـ

٣٠ ـ سيدى أحمد كروان المتوكى . توفى بعد ١٣٦٠ هـ

توفى المترجم سيدى أحمد قبل أن يشيخ . ولابياض فىلحيته . ويقال انه مسموم . وذلك أنه كان فى موسم سيدى (أبى عثمان) عند سيدى الحسين الاوريكى . فتلقاه أهل ابن سعيد المزوضيون (أهلا عـلا) وهم كمـا عادوا قوادا . فكأنهم خافوا أن يميل عنهم . فتميل عنهم القبيلة فسموه . وهذا ما يقال . والله أعلم وانما المحقق أنه بعد أن فارقهم صار فى حالة خطرة . فلم ينشب أن مات .

ومما يتعلق بسيدى أحمد أن له اتصالا بالشيخ الالغى. حكى لى سيدى الحسين التامكونسى أنه كان فى سياحة مع الشيخ فنزلوا فى الزاوية فلاقاهم سيدى أحمد بكل أدب . وقدم الشيخ الى الصلاة . فلما خرج الشيخ وفارقه . قال لى ان هذا السيد مرءاته صافية . وقد وجدناه يليق للسر ويصونه فأخذه عنا وشمسه على المغيب . ثم وصله رسول برسالة كتبه طالب يلوم الشيخ على تقديمه أمام الاستاذ . فكتب عليه الشيخ (سلاما . سلاما . سلاما) فلما وصل ذلك الفقيه خاصم ذلك الكاتب مخاصمة عنيفة . ويسمى هذا الطالب الكاتب محمدا الفروكى التاويلولتى . وقد شاهد الناس منه ما ظهر به أثر سوء الادب الذى ارتكبه مع الشيخين . وقد توفى حوالى ١٣٥٠ هـ . ثم لم ينشب سيدى أحمد أن توفى وشيكا .

ومما يتعلق به أن رفيقه في (تيمكيدشت) هو الفقيه سيدى أحمد المسفيوى . أخذ عن سيدى الحسن بن أحمد . وقد كان فى مدرسة سيدى على من (ءال بيهى) فى قرية (أيت حسين) وكان يصف سيدى أحمد بن محمد بجبار التلائف . توفى نحو ١٣٢٤ هـ

ومما يتعلق به أيضا أنه لم يطلق أحدا من التلاميذ النجباء عنده . وانما ودعهم سيدى الحنفى بعده . وقد وقع أنه لما توفى حضر سيدى حميدة فاجتمع الفقهاء كلهم من الجيران . وفيهم سيدى العربى السباعى . فأمره أستاذه سيدى حميدة أن يدعو للناس . فاذا برجل من (مزوضة) يقول لسيدى حميدة : ان القبيلة تريد أن تكون أنت فى المدرسة . فقال له : أعوذ بالله . أعوذ بالله . ان استاذ المدرسة هو هذا . وأشار الى سيدى الحنفى . فسكت الناس وتم الامر على ذلك .

الثالث سيدي الحنفي بن محمد

ولد ١٢٧٥ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ الفقيه سيدى على بن ابرهيم من (أيت بيهى) من (أيت حسين) المزوضيين . وكان على يقوم بالعلم والقرءان معا . ثم افتتح عند أخيه الشيخ سيدى أحمد يوم تصدر بالمدرسة وهو أستاذه وحده . وقد لازمه وخدمه . وسلم له ثم لم يتزوج الا بعد وفاة أخيه . وبعد تصدره فى المدرسة . وبكره من الاولاد هو سيدى أحمد المولود ١٣١٤ هـ وأمه كلثوم بنت بيهى . من أهل القائد على المتقدم . وقد توفيت بعد تزوجها به وشيكا . حتى ان ولدها أحمد لم يعقلها . ولهذه الاسرة مصاهرة مع أولئك القواد من أهل العصر فالسيد الهاشمى ابن سيدى محمد . تزوج فاطمة بنت القائد على المتقدم وهو والد العربى بن الهاشمى الذى اشتهر حينا بكثرة الكسب من الغنم . حتى كانت عنده ءالاف منها . وقد توفى الهاشمى ١٣٢٠ هـ . وقد تزوج سيدى الحنفى زوجة أخيه أحمد

بعده . وهي رقوش بنت عدى توفيت نحو ١٣٢٠ هـ كما أنه أيضا تزوج فاطمة بنت القائد علي . بعد موت الهاشمي . وقد توفيت ١٣٤٦ هـ ثم ان سيدى الحنفى بعد ما تعين فى المدرسة أعمل رحلة الى (تيمكيدشت) فـي نحو سبعين بغلة . وقد مر بـ (الغ) وباتوا فى زاوية (الشيخ الالغى) ولا يزالون يلهجون بالاجلال الذى لاقوه منه . وقد أراح الاضياف . وكلف بكل بغلة فقيرين . ثم لم يروا بغالهم حتى ركبوا عليها في صبيحة الغد . ومعهم كبار العلماء .كسيدى أحمد المسفيوى وقد وجدوا فيالزاوية التيمكيدشتية السيدة خديجة بنت الشيخ سيدى أحمد بن محمد . ومعها حفيد الشيـخ سيدى أحمد بن محمد . وقد ذكر الفقيه سيدى أحمد ابنه أن والده سيدى الحنفي زار تلك الزاوية اثنى عشر مرة راجلا . في ريق شبابه . ثم كانت اخراهن هذه . وقد ربض فـي المدرسة ربوضـا . حتى ان (مراكش) لم يزرها الا مرتين . الاولى يوم توصل بالظهير عند توليه أمـر الزاويـة . والثانية يوم ذهاب الهيبة اليها . فقد لاقاه في قرية (الهلالات) مع سائر الفقهاء السباعيين . ثم واعدهم على أن يلحقوا بـه فـي (مراكش) فذهب المترجم . فنزل في حومة (سيدى محمد بن سليمان) عند بعض معاريفه . ومعه اثنى عشر من الطلبة . كما فعل أيضا الفقيه سيدى الحسن الرسموكى ثم بقى هناك أياما غير كثيرة ثم غادر (مراكش) ٢٢ رمضان . قبل وقـوع الواقعة بثلاثة أيام . وقد ركب هو والفقيه سيـدى الحسن عـلى بغالهما . فمرا بمجذوب في حومة (المواسين) فاذا به يقول يا أصحاب البغال أجمعوا متاعكم . فقال المترجم لصاحبه : أسمعت ما قيل . وقد كرر المجذوب قولته ثلاثا . ثم اتفق المترجم مع سيدى الحسن . فغادرا (مراكش) في الحـين . فلم يكادا يستقران في ديارهما . حتى وقعت الـواقعة في اليوم الخـامس والعشرين من الشهر فنجاهما الله مما وقع للفقهاء السباعيين الباقين فـي (مراكش) فانهم لم ينجوا الا في دار القائد عبد الملك . ثم اخرجهم بحيلة الى (فروكة) حيث أمنوا .

ومن أخبار المترجم أنه محظوظ عند الولاة . خصوصا القائـد عبـد الملك . فقد كان القائد لايمر الا أوصى أن يلاقيه الاستاذ في دار القائـد المزوضى . يأتى هو والطلبة كلهم . وكذلك ربما ورد عليه الى (بو وابوض) فيشفع عنده فتقبل شفاعته . وعلى يده سرح القائد محمد بـن مبـارك بن البشير السباعى . وقد كان مسجونا عند القائد اثنى عشر عاما . وكذلك وقف مع القائد يوم فر من معسكر الملك مولاى عبـد الحفيـظ . فحـاصره السباعيون في أرضهم . وأبو ان يفسحوا له ليمر الى (متوكـة) فاجتمـع

الفقهاء سيدى العربى الساعداتى . وسيدى عبد المعطى . وسيدى الحسن الرسموكى والمترجم فطلبوا من السباعيين أن يمر فى أرض (مزوضة) الى (اد ويزان) فساعفوهم على ذلك . فوصل داره بسلامة . وحين تولى القائد عبد الملك على (مزوضة) قال له : ان القبيلة كلها لك تقوم بما كان معتادا أن تقوم به للمدرسة على حين أنه ينفذ للفقهاء الاعشار والاعانات من نواح أخرى . وكذلك حاله مع ءال العسرى قواد (مزوضة) فانه محترم عندهم. كما انه يعينهم بجاهه . لانهم أصهاره . ولانهم يجلون المدرسة وما اليها . وله مثل ذلك من (أهل علا) أقتال (ءال العسرى)

ومن أحواله أنه يواصل الفقهاء السباعيين وأكثرهم من تلاميذ مدرسته فيكون فى (بوعنيفر) وفى (الساعدات) وفى (سيدى آبى عثمان) وكان يحترمهم ويقدمهم ويجلهم شأن المتواضعين . وهذه عادته مع كل من ينتسب الى الخير والصلاح . وهو وان كان ناصرى الطريقة . لاينفر من غيرهـا . وكان حسن الظن بالجميع .

ومن أحواله اليومية أنه يلازم الامامة بنفسه فى مدرسته . ما يخل بذلك . ولا يستنيب وان كانت الاوحال والامطـار . فيخرج مـن داره مع الفجر فيصلى بالناس فيقرأ معهم الحزب . ثم يذكر ورده فى المكان . ثم يخرج الى مجلس الاقراء . فيفتح بدرس خلاصة ابن مالك فى النحو . ثم درس المختصر فى العبادات . ثم ثان منه فى البيوع . ثم التحفة فالزقاقية . ثم بعد ذلك يقرأ ثلث (دلائل الخيرات) ثـم يتناول الحريرة . ثم خمسـة أحزاب من القرءان . ثم يصلى الضحى . فيخرج الى دار أخيه محمد . فهناك يكون الفطور العام مع الطارئين . ثم يدخـل لنومـة الهاجرة الى الظهر . فيصلى أيضا بالناس . ثم يلقى درسا فى الرسالة لابن أبى زيد . أو فـى المرشد بين الظهرين . ثم بعد العصر يجتمع أيضا مع أهله الكبار . كأخويه محمد والمكى . ومع الطارئين فيتغدون . ثم يشتغل بذكر ورده الى المغرب . فيصلى بالناس ويقرأ معهم الحزب . ثم يطالع للطلبة بعض الدروس . وبعد صلاة العشاء يدخل الى داره . هذا عمله اليومى الدائم المعروف به الى أن تـوفـى .

وأما أحواله فى الاسباب المعاشية . فانها موكولة لمن يعينهم لذلك من الطلبة والخدم . وبعض أهله . كابن أخيه العربى بن الهاشمى الغنى الذى يضرب بثورته المثل . فهو القيم على غنم المترجم الواصلة ثلاثة ءالاف ونصف فهو الذى يزاولها . ويبيع ويشترى . لانه محظوظ فى ذلك حتى عد غنمه الخاصة به بسبعة ءالاف رأس . فهؤلاء من يتولون شؤون الخارج فـلا يهتم

بالمال . ولا بحساب الدخل ولا الخرج . وأما أمر داخل الدار ففي يد فاطمة بنت علي القائد زوج أخيه الهاشمي . وهي أم العربي بنت الهاشمي المذكور

وقد عمر ٧٥ سنة موفر الصحة . لايشتكي مرضا معضلا . محفوظا في سمعه وفي بصره . وفي كل أعضائه الحاسة . وهو هين لين . لايخاصم ولا يكثر العتاب . وهو يحتمل كثيرا . على حال أهل الفضل أمثاله .

وأما أولاده فانه مقل فيهم كما قال الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخا   وأم الصقر مقلات نزور

فليس له من الذكور الا الفقيه سيدي أحمد خليفته من بعده . وبنتان خديجة تزوجها العربي بن الهاشمي المتقدم . وعائشة تزوجها الحسن بن المكي . ولا تزالان حيتين . الى الآن ١٣٧٨ هـ

الآخذون عنه

١ ـ محمد المسفيوي الموجود الآن في (دار آكيماخ)
٢ ـ محمد بن حمو المزوضي الوارداسي . المتوفى نحو ١٣٦٢ هـ
٣ ـ علي بن ابرهيم الذي يكون مقدما لطلبة المدرسة. توفي نحو ١٣٥١ هـ
٤ ـ الحسن الاسيكيسي السكسيوي . ولد محمد المتقدم الذكر .
٥ ـ أحمد أخوه . لايزال حيا
٦ ـ محمد بن عبد الله الاوريكي توفي بعد ١٣٦٠
٧ ـ محمد بن محمد بن أحمد الركراكي الذي تقدم أهله من ءال ابن مهدي . لايزال حيا الآن ١٣٨١ هـ
٨ ـ العربي بن الامين السباعي القاضي . لايزال حيا . وقد تقدم والده الامين .
٩ ـ الحسن بن محمد السكسيوي البواعواني . مات معتقلا بالوطنية نحو ١٣٧٠ هـ
١٠ ـ الحسن الايدويراني الملقب (مراوزا) كذلك اعتقل ومات بذلك اذذاك .
١١ ـ أحمد الحاحي النكنافي لايزال حيا في بلده .
١٢ ـ محمد بن أحمد المحمودي الادريسي . توفي في الحج ١٣٨٠ هـ ودفن في جدة .
١٣ ـ التهامي الناصري القاضي . لايزال حيا .
١٤ ـ البدوي التيمگيدشتي . لا يزال حيا .
١٥ ـ محمد بن الحاج المطاعي التاشبيبتي نزيل (أمزميز) لايزال حيا
١٦ ـ الهاشمي بن فارس . ولد فارس المتقدم . لايزال حيا .
١٧ ـ علال البويعقوبي نزيل (مراكش) لايزال حيا .

١٨ ـ محمد بن الحسين الاوريكى . ذكر والده الحسين فيما تقدم . لا يزال حيا .

١٩ ـ أحمد بن محمد ابن عمه . توفى نحو ١٣٦٢ هـ

٢٠ ـ مولود بن المكى من هؤلاء . لايزال حيا الآن . وهو الآن خليفة

٢١ ـ محمد الرحالى المتوكى نزيل (البيضاء) لايزال حيا .

٢٢ ـ الحاج على الرحالى المتوكى نزيل (مراكش) لايزال حيا .

٢٣ ـ عبد الله بن الفاضل السباعى لايزال حيا .

٢٤ ـ عبد القادر السباعى من أهله . توفى بعد ١٣٦٠ هـ

٢٥ ـ محمد بن الحسين الاوريكى المتقدم الذكر مـع أبيـه . توفى ١٣٦٦ هـ فى المحرم .

٢٦ ـ العربى الافيفى . توفى سنة ١٣٤٧ هـ

٢٧ ـ محمد البوزياوى الحاحى لايزال حيا الآن

٢٨ ـ محمد بن حمو المتوكى توفى نحو ١٣٧٠ هـ

٢٩ ـ محمد بن مبارك البويعقوبى الملقب (بونا) توفى نحو ١٣٥٥ هـ

٣٠ ـ محمد الهوارى المؤلف فى هؤلاء كتابه الشهير . وسنتكلم حوله قريـــا .

٣١ ـ عدى بن الخطيب المزوضى . توفى نحو ١٣٧٥ هـ

٣٢ ـ أحمد هبوش نزيل (الرباط) لايزال حيا .

٣٣ ـ أحمد الحاحى نزيلها ايضا لا يزال حيا .

٣٤ ـ الحاج محمد الايسافنى نزيل (سلا) لايزال حيا .

٣٥ ـ المعطى الشياظمى العدل الآن .

٣٦ ـ الركراكى الشياظمى نزيل (البيضاء) لايزال أيضا حيا

٣٧ ـ محمد الحاحى صهر أستاذه . لايزال حيا .

٣٨ ـ محمد الزيكى الذى كان يعاون فى دروس المدرسة .

٣٩ ـ أحمد البوزياوى الحاحى المتوفى ١٣٣٠ هـ

٤٠ ـ سيدى أحمد الخليفة بعد أبيه على المدرسة . اطال الله عمره .

٤١ ـ سعيد بن بلقاسم المزوضى التقى. توفى نحو ١٣٥٣هـ

٤٢ ـ أحمد الهشتوكى توفى نحو ١٣٥٦ هـ

٤٣ ـ بريك التيمزوغينى المزوضى العدل توفى نحو ١٣٦١ هـ

٤٤ ـ مولاى عمر المزوضى التيمزوغينى توفى بـ (مراكش) ١٣٦٨ هـ

٤٥ ـ محمد الكايسى لايزال حيا

٤٦ ـ عمر ابن الحاج العدل المـزوضى لايزال حيا

٤٧ ـ عبد الله الايدويرانى . لايزال حيا .
٤٨ ـ الحسين بكير المزوضى الزناكى لايزال حيا .
٤٩ ـ مبارك الايدميبى السكسيوى العابد لايزال حيا .
٥٠ ـ المختار بن الطاهر الركراكى من أعقاب أبى مهدى لايزال حيا
٥١ ـ الحسن بن الحسين الاوريكى توفى ١٣٤٨ هـ

هؤلاء من ذكرهم لى أحدهم فى ساعة . ولا يدعى احصاءهم . وانما ذكر من سنحوا له من نجبائهم . وهو الذى ذكر لى الوفيات فيجميع تلاميذ المزوضيين. وهو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن السكتانىالمتقدم

الرابع : سيدي احمد بن الحنفى

القائم بالمدرسة منذ توفى والده ١٣٤٩ هـ الى الآن ١٣٨١ هـ . ولد ١٣١٤ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ الحسن بن على الكدميوى من (أيتعلى) كان يعلم القرءان للولدان فى المدرسة بالمشارطة . توفى فى مشهد مولاى ابرهيم) حيث يشارط فى ءاخر عمره . وذلك بعد ١٣٣٠ هـ وعن الاستاذ المحجوب البويعقوبى المزوضى . شارطه أيضا سيدى الحنفى بعد المتقدم . توفى نحو ١٣٦٠ هـ . وعن الاستاذ العربى الجرارى شارطه هناك أيضا . وقد توفى نحو ١٣٣٧ هـ . قال سيدى أحمد : على هذا اتقنت حفظه جيدا . ثم لازم الاستاذ محمدا الزيكى فعليه افتتح المتون الصغرى . ثم أحمد الحاحى البوزياءى المتوفى عند أهله نحو ١٣٣٠، هـ . ولم يكن يشارط بعد . فانما ذهب الى أهله فاخترمته المنية . ثم عن الاستاذ محمد المسفيوى الذى لايزال حيا . وهو الآن أستاذ مسجد (أكيماخ) بـ (كدميوة) وعلى أيدى هؤلاء تدرج فى المتون . ثم لازم والده فى انحو والفقه والفرائض وما اليها .

ثم لما توفى والده قام بالمدرسة خير قيام . وقد توفر على عمارتها . وبذل غاية جهده لتبقى على المعهود منها . فسارت سيرتها الحسنة وهى العامرة الآنبين مدارس أخرى هناك كانت تطاولها . كمدرسة (الساعدات) ومدرسة (بوعنفير) وما ذلك الا من حسن الطالع للمترجم . وقد حامت حولها أشواك فى عهد الاستقلال ولا تزال . ولكن لاتزال مصونة زاخرة بالطلبة وقد تخرج على يد المترجم كثيرون ولايزال أكثرهم تحت يده . ولذلك لم نعن باحصائهم . وكادت تكون المدرسة الوحيدة فى مدارس(الحوز) بقيت على صبغتها المعهودة الى الآن ١٣٧٩ هـ . وقد أتيح لهذه المدرسة ولأساتذتها احد السوسيين النشيطين وهو على بن محمد الهوارى الذى ربض ما شاء الله فى هذه المدرسة فجمع كتابا حافلا فى أخبارهم وفىتراجم من تخرجوا من هناك . ولهذا نوجز كثيرا فى أخبار هؤلاء المتخرجين اكتفاء

بما هناك . وقد سمي الكتاب (النور الحنفي في مناقب الشيخ سيدى محمد الحنفي) وقد اتصلت أنا برجالات الاسرة . لعلي ءاتي بجديد خارج الكتاب مع اعترافي بأن الذي فاتني أكثر وأكثر . حتى ان المترجم ربما ذكر في الكتاب ما لم أذكره أنا .

وبهذه الفذلكة ينقضي ما تيسر سوقه الآن . وبالله وحده المستعان

علي بن محمد الهواري

هو الذي ذكرنا أنه ألف الكتاب المشهور في أهل الشيخ سيدى محمد المزوضي هؤلاء . وقد ذكر فيه أنه من (الشبانات) من قبيلة (هوارة) وكان أبوه محمد من أصحاب الشيخ سيدى أبي بكر الناصري . ينزل عنده في داره الذي يخليها له من عياله متى ورد . وقد شاهدت الاسرة بركة الشيخ . ثم صاحب أباعلي التيمكيدشتي . واعتقده . توفي محمد هذا ١٣١٥ هـ . فهكذا ولد سيدى علي ١٢٩٨ هـ في أسرة مجبولة على حب الناصريين الابرار . ثم قرأ القرءان عند الفقيه سيدى ابرهيم بن علي الكسيمي القاطن في (الكفيفات) في (هوارة) وهو من الآخذين عن ابي علي المذكور توفي ١٣٤٠ هـ . ثم افتتح عنده المبادىء . ثم انتقل الى مدرسة (ايكونكا) عند العلامة سيدى الحاج عابد . فلازمه قليلا . ثم من هناك الى (مزوضة) عند سيدى الحنفي . فلازمه نحو عشر سنين ففارقه في حدود ١٣٣٠ هـ فكان باذنه في مدرسة (دار أكيماخ) بقية عمره . الى أن توفي قبل ١٣٧٠ هـ . وكان يجري في ميدان الادب . ويحفظ كثيرا من الادبيات . ويساجل أمثال سيدى المختار البوعانيري . وسيدى الضوء القاضي الساعداتي بالقوافي . وقد لبس يوما جبة مخططة الى موسم الزاوية . فعيب عليه لبس مثلها . فألف رسالة سماها (الجنة المطَّطة . في الجبة المخططة) وكان يتعالى بعلمه . وقد أسدى بكتابه الى التاريخ يدا لا تنسى . رحمه الله .



العلامة

سيدي الحسن الرسموكى

البوعانفيرى

نحو ١٢٨٨ هـ = نحو ١٣٦٣ هـ

نسبه :

الحسن بن أحمد بن مبارك .

كانت أسرته تسكن (تارغنت) من (مزوضة) بعد ما جاء أحدهم من (رسموكة) فسبق الى الشيخ سيدى محمد المزوضى فى طبقة اقرانه : سيدى محمد بن على السباعى الساعداتى وسيدى الحسين الاوريكى . وسيدى حميدة المطاعى . وسيدى أحمد التيكيدارى . وسيدى أحمد بن عبد الرحمن الركراكى التاكاديرتى . وسيدى محمد بن أحمد من (فم ايغيسى) وعبد الله الاوريكى . وسيدى سعيد العنترى . وسيدى فارس المطاعى . كانوا انساقوا الى الشيخ سيدى محمد بهمة علية . فلازموه كلهم . حتى تخرجوا اجمعون . فنفع الله بهم ؛ وقد كان سيدى أحمد الرسموكى أعلاهم شأنا . وأرفعهم راية . وقد حدثنى سيدى الحسن أن جدى العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى . مر به فى (بوعانفير) فى احدى زياراته لـ (مراكش) الاخيرة . فأخبره أنه يعرف أسرتهم فى قبيلة (رسموكة) وانها شريفة النسب . ووعده أن يرسل اليه مشجر نسبها . ولكنه لم يتيسر ذلك حتى توفى الجد ١٣٢٣ هـ كما حكى لى أيضا أن والده شارط أولا فى مدرسة (أسرّاتو) قبل (بوعانفير) .

قال الهوارى فى ترجمة سيدى أحمد الرسموكى فى (كتابه) .

(ومنهم الفقيه العالم العامل العلامة . ولى الله . الرجل الصالح . سيدى أحمد بن مبارك الرسموكى أصلا . المزوضى بـ (تارغنت) منشا وداراً . قرأ على شيخه القطب سيدى محمد من أول الامر . الى ءاخره ليس له شيخ سواه . حتى تفقه وادرك درجة المشيخة . فارسله الى (العنافرة) وبنى هناك مدرسة كبيرة . وزاوية شهيرة . واقبل عليه الناس من كل ناحية . طلبا للعلم الشريف . ورغبة فى نيل الخير على يده . وصار سراجا فى تلك النواحى . وشيخا وقدوة لأهل ذلك القطر . وحببه الله الى الخلق

كافة . حتى ضربوا به المثل فى العلم والصلاح . وبالجملة فهو ممن نـال الخير والعلم والولاية من هذا الشيخ الجليل . وله فيه عقيدة صالحة . ومن عجيب أمره أنه كان ياتى لحمل القفة على رأسه حين كان الشيخ يبنى داره بزاويته هناك . بزاوية (أبى النحل) يترك طلبتـه (بالعنافرة) ويطلـع لزاوية الشيخ . حتى يستوفى نوبته . وهذا خلق قل من يتصف به الا أهل الخير والولاية . وعلى كل حال فهو من بركة الشيخ . ومن أولاد قلبـه . وحسنة من حسناته ؛ فقد ظهر أمره هناك . وصار مأوى الغرباء والطلبة والفقراء مقصودا لكل صادر ووارد . والناس يثنون عليه بكل جميل . ويعظمونه غاية التعظيم . ويحترمونه كل الاحترام . ووجدوا لذلك بركات ورأوا له كرامات . وفتح الله عليه هناك ببركة شيخه ورضاه . ولا يزال مقيما وقائما بزاويته ومدرسته . جاهدا ومجاهدا مجدا . حتى توفـاه الله سنة ١٣١٢ هـ رحمه الله . وترك أولادا كلهم صلحاء علماء)

(أقـــول) :

يظهر مما تقدم أن المدرسة (البوعانفيرية) بنيت قبل وفاة الشيـخ سيدى محمد ١٢٧٧ هـ بكثير وقد ذاع أن سيدى أحمد كان مقلا. وان التوسع الذى يعرفه الناس أخيرا هناك . انما طرأ على يد ولده سيدى الحسن منذ تولى . فهو الذى أثل ونوسع فى الاملاك والثروة . وقد كان القائد عبـد الملك المتوكى يعين المدارس فى زمنه . وقد سمعت من كثيرين أدركوا سيدى أحمد يصفونه بالتقشف والاقلال . وقد دفن فى مجلس دراسته . ويقام هناك موسم سنوى تجارى كان أصله اختتام البخارى على العادة . ثم توسع الناس فيه حتى صار تجارياً ثم عاد تجاريا محضا . وانما يختم فيه البخارى ختماً رسمياً لا غـير . كمـا وقـع لغـيره. وقد أخذ عنه كثيرون يكثرون فى (الشياظمة) و (حاحة) وما اليهما . وتاريخ موته ٥ ـ ٧ ـ ١٣١٢ هـ

الثاني : سيدي الحسن بن احمد

هو العلامة الجليل ذو الشهرة الطنانة . ويولد نحو ١٢٨٨ هـ . ولم يتجاوز فى الاخذ والده وأكابر أصحاب والده . قال فيه الهوارى فى كتابه بعد أن ذكر والـــده :

(... وترك أولادا كلهم صلحاء علماء ، أكبرهم العالم العلامة الشيخ سيدى الحسن بن أحمد . كان فقيها جليلا . له مشاركة فى جميع الفنون . مدرسا لجميع العلوم . وهو وارث سر والده . وخليفته على الزاوية والطلبة. فلا زال قائما بتلك الامور والوظائف . خرج على يده عدد كثير من العلماء . ولا زال بخير ظاهرة عليه بركة والده)

(أقول) انني أعرف هذا الشيخ الجليل . وزرته في محله مرة . وزارني في محلي بـ (مراكش) مرات . ولم أر الى الآن عالما يحافظ على أبهة العلم بالوقار . وحسن السمت . ولطف الشارة . مع التواضع والخشوع والانطلاق من أنشوطة التزمت مثله . فقد رأيته ممازحا . فكان طيب المزاح . لطيف النكتة . معسول العبارة . ورأيته في مجلس الوعظ ؛ ودموعه تنهمر على خديه . وهو مطرق . ورأيته وهو في عنفوان أمره . تطأطئ الرؤوس أمامه هيبة . فلم يزهه ذلك . ورأيته وقد دبت حواليه اهانات لم يألفها . فلم يبال بها . كأنه جبل تصرصر الاعاصير حواليه وهو راسخ . وقد كان الشيخ الالغي يتصل به متى مر بطائفته الى (مراكش) فيتلقاه بكل طلبة المدرسة من بعيد . بكل أدب . ثم لا يزال يطرق أمامه أدبا وتعرضا لنفحات أهل الله . حتى يفارقه . ثم صار الفقراء بعد الشيخ يلمون به باستدعائه . فيتأثر بمواعظهم وبسماعهم . ويستطيب أن يكون بينهم جالسا تحت تأثير كلام المسمعين . وهكذا الرجل رضي الله عنه . وكله خير . وكل أخلاقه تنادي بأنه فريد عصره . وقد اعترته أمراض أخيرا . فيتجلد الى أن انقضى أجله نحو ١٣٦٣ هـ .

الثالث : سيدي محمد بن الحسن

هو الذي ورث والده في المعارف . تخرج بأبيه . ثم اجتهد بعده ليقوم مقامه . وقد كان يدرس في أخريات أيام والده فسار على ذلك بعده ما شاء الله . الا أنه لم يبطئ بعده فتوفي رحمه الله .

الرابع : سيدي محمد المختار

هو أخو سيدي الحسن . وهو علامة نجيب . كان تلو أخيه سيدي الحسن في أيامه . ويدرس معه في المدرسة . الى أن اخترمته المنية شابا . (قال فيه الهواري) بعد ذكر أخيه سيدي الحسن : (ويليه في السن والسر أخوه الفقيه العلامة سيدي محمد المختار . كان من الظرفاء الكرام . والعلماء الاعلام . وله زيادة محبة وود واخاء . وارتباط كلي بشيخنا – يعني سيدي الحنفي – ثم ذكر مساجلة بينهما) ثم قال توفي يوم الجمعة ١٩ من ربيع الثاني ١٣٣٦ هـ ثم ذكر قافية رثاه بها (ثم قال) والحاصل أن أولاد الشيخ سيدي أحمد الرسموكي كلهم بخير ولا زالت بركة والدهم من بركة شيخه عليهم ظاهرة ظهورا تاما . أحسن الله بهم القيام . وأدام فيهم الخلافة لاسلافهم .

الخامس : سيدي محمد بن محمد المختار

ولد من قبله . تخرج بعمه سيدى الحسن . وهو الذى رباه وكلفه وعلمه . ولد ١٣٢٦ هـ . برز فى المدرسة لما شغرت من سيدى الحسن ومن ولده سيدى محمد . فلم يزل على ذلك والطلبة ينقصون الى أن فتك به فى السادس والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٦ هـ . مع القائد عمر بن العربى المتوكى وخليفته والسائق بهم فى حوادث ما بعد اعلان الاستقلال .

بهذا انقطع التدريس فى المدرسة (البوعانفيرية) ويتلقى الآن بعض أولاد هذا الاخير فى الكلية اليوسفية . وفقه الله ليستتم لئلا تنقطع السلسلة العلمية الرسموكية الماجدة .

(وبعد) فاننى أعتذر فى التقصير فى ءاثار هذا البيت الجليل . فلم أتوسع فى أخبار علمائه ولا فى الآخذين عنهم كما ينبغى وكما هى عادتى فى أمثالهم . مع انهم سبل جرار . لاننى لا أجد الآن حولى مستمدا . وطالما حاولت ووصيت وحرصت ويأبى الله الا ما أراد .



الاديب

داود التاغاتيني الرسموكي

ثم التازموورتي

نحو ١٣١٠ هـ = حي

نسبه :

داود بن عبد المنعم بن محمد بن محمد بن عبد المنعم - هذا كل ما يعرفه المترجم من ءابائه -

نحن اليوم أمام أسرة علمية شامخة الذرى . لها أعلام مرفرفة من العلم والادب والصلاح . ربما كانت هي الاسرة الثانية ان عددنا الاسرة الكرسيفية الاولى . وهي الاسرة القديمة علما ومجدا ونباهة . وقد كانت قريتها (تاغاتين) تسمى رباط الصالحين من قبل القرن التاسع . وقد ذكر أن الشيخ سيدى أحمد بن موسى يزور رجالاتها . ويقف على مشاهدهم موقف الاعتبار . ويحث على ملازمة زيارتهما . وهذا مما يدل على أن المجد في الاسرة أقدم من القرن التاسع . وقد كنت وقفت على نسب الاسرة ولعله ضاع بين أضابير مقيداتي في الاوراق المكدسة. الا أنني الآن لا أجده بين يدى . ولا استحضر الى أى جهة تنتسب . الا أن في ذاكرتي من بقايا ما كنت قرأت في ذلك ما يدل على أنها اسرة لها أصل أصيل . ولا ريب أن الثمرة تدل على الشجرة . وان طيب الفروع تدل على طيب الاصول . وقد كان يجب أن نتأخر عن التصدى لهذه الاسرة حتى نستوفي كل ما أمكن حواليها . ولكن الزمان علمنا المبادرة والقناعة بما تيسر . على انني اتصلت بالعالمين الموجودين الآن في الاسرة . وهما العلامة الاديب داود . والقاضي الاجل الحسن بن أحمد . فلم أجد من عندهما ما يثلج الصدر . بل تعجبا حين وجدا عندى . وأنا أجنبي عن الاسرة . ما لايعرفانه وهما ما هما في الاسرة . وما ذلك الا لانهما لايعتنيان بالتاريخ . ولو اتصل باجدادهما . (وللناس فيما يعشقون مذاهب)

ثم لاينتظرن القارىء مني أن أوالى له من رجال الاسرة سلاسل متصلة . كما يألفه من يراعي حين أذكر أمثال الكرسيفيين والايديكليين والبوشواريين واليعقوبيين التاتلتيين وأمثالهم . فاننا وجدنا لاولئك ما

يمتد به الكلام . وتتصل به حلقات السلسلة. من أول من نذكرهم الى ءاخرهم اليوم . وأما التاغاتينيون . فلم نجد الا ما التقطناه هنا وهناك فقد تتصل بعض الحلقات . ولكن بعضها ينقطع ما بينها والغالب أن علماء سقطوا منها . واليك من تيسرت لنا معرفتهم . ومن الله نستمد المعونة .

الاول : حسين بن داود بن بلقاسم بن الحاج محمد بن يحيا

قال فيه (صاحب الوفيات) :

(الفقيه العالم المتفنن سيدى حسين بن داود بن بلقاسم بن الحاج محمد بن يحيا الرسموكى التاغاتيني . شارح الرسالة . ومختصر ابن الحاجب الفرعى . وغير ذلك . تلميذ سيدى داود التونلى . توفى بداره بـ (تاغاتين) يوم الجمعة . أو ليلة الرابع عشر من المحرم عام ١٤. هـ . كذا رىء بخط تلميذه سيدى ابرهيم الجريفى السملالى)

وقال فيه الخضيكى :

(حسين بن داود بن بلقاسم بن الحاج محمد بن يحيا الرسموكى التاغاتيني . كان رضى الله عنه عالماً متفننا فى العلوم . متوسعا . له باع فى الفقه والتفسير وغيرهما . وكان رضى الله عنه ورعا زاهدا ناسكا . وليا صالحاً . له تئاليف. منها شرح الرسالة . وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي وشرح نظم بيوع ابن أبى جماعة لأبى زيد السنوسى . وشرح القصيدة التوحيدية . وأوصاف الجنة وحورها لسيدى خالد بن يحيا . وغير ذلك . ومن شيوخه رضى الله عنه سيدى داود التونلى التيملى . توفى بداره بـ (تاغاتين) رحمه الله يوم الجمعة . أو ليلة الرابع عشر من المحرم سنة ٩١٤ هـ . هكذا وجد بخط تلميذه الفقيه سيدى ابرهيم الجريف السملالى يوم الجمعة الثامن عشر من المحرم سنة ١٤ من المائة العاشرة . وتوفى وتوفى شيخه الامام محمد بن يوسف السنوسى سنة ٨٩٥ هـ) (١)

(أقول) ان حسين بن داود قرين ابن عمه عبد السميع الآتى . وسترى فى ترجمة عبد السميع أنه أخذ من (فاس) عن ابن غازى والونشريسى وطبقتهما . فيمكن أن يأخذ أيضا عنهم . وان لم نقف على ذكر لذلك .وقد رأيت كيف أخذ عن السنوسى الذى يكبرهما بقليل . وذلك دليل على أنه خرج من (سوس) واعمل الرحلة . واما داود التونلى استاذه السوسى فهاك ما قاله فيه مؤرخونا السوسيون :

قال فيه صاحب (الوفيات):

(الفقيه العالم المتفنن سيدى داود بن محمد بن على التيملى التونلى .

---

١) فى النسخة المطبوعة من الخضيكى ٩٩٠ هـ وهو غلط . وما أكثر الاغلاط فى المطبوع .

فقيه عصره . تفقه بالفقيه سيدى حسين الشوشاوى . وهو مصنف (أمهات الوثائق) المتداول بين أرباب النوازل . وله تئاليف غيرها . ونوازل أجاب عنها لتلميذه الفقيه سيدى حسين بن داد الرسموكى . توفى أواخر المائة التاسعة تقريبا . لان شيخه الشوشاوى توفى فى هذا العصر (١) فلينظر تحقيقه . زرت قبره غير مرة)

وزاد الحضيكى بعدما ساق ما تقدم بعينه (كان فقيها عالما عاملا ورعا صالحا . تخرج به جماعة . . . وانتفع به أهل زمانه) ثم قال في وفاته : (وجزم بعض فقال توفي في ثامن المحرم ٨٩٩ هـ) و (تونل) مكان لانزال قرية معروفة . فيها بئر تضاف بالبركة الى سيدى داود هذا . وكانت أم العلامة سيدى عبد الله بن محمد الجيشتيمي جد الاسرة تسقى من مائها ولدها عبد الله وهو صغير . ترجو بذلك أن يكون عالما . فأتم الله فيه رجاءها وذكره أيضا في (بشارة الزائرين) فوصف بالشيخ الصالح القاضي . وان له شرحين على قصيدة سيدى خالد . كبير وصغير . وانه توفى بداره في (تاغاتين) فزيد في أوصافه القاضي كما رأيت .

الثاني : عبد السميح بن محمد بن بلقاسم بن الحاج محمد بن يحيا

قال فيه صاحب (الوفيـــات) :

(الفقيه القارىء سيدى عبد السميح بن محمد بن بلقاسم الرسموكى التاغاتينى جد أبناء عبد السميح الاعلى توفى رحمه الله بـ (تاغاتين) قتيلا ظلما . حسدا على ما أوتى من فضل الله سنة خمس عشرة وتسعمائة . كذا رىء بخط تلميذه سيدى ابرهيم الجريف السملالى التيخفيستى)

وزاد على ذلك الحضيكى : (كان فقيها قارئا ناسكـا عابـدا مدرسا صالحا ناصحا) . (أقول) وجدت أن عبد السميح هذا وطائفة سوسيين سموا هناك أخذوا كلهم عن ابن غازى والونشريسى وقد رأيت أنه وابن عمه حسين ابن داود يدرسان في وقت واحد . فكان ممن أخذوا عنهما معا التيخفيستى فابرهيم هذا أحد علماء (تيخفيست) من شرفاء (سملالة) وقد ذكرت طائفة منهم في (الجزء الخامس) بين تلامذة سيدى عبد الله بن يعقوب (ولم يزد صاحب (بشارة الزائرين) شيئا على ذلك .

ثم ان أغلاطا مطبعية وقعت فيما نقلناه عن (طبقات الحضيكى) فليعول على ما هنا القارىء .

الثالث : محمد بن عبد السميح بن محمد بن بلقاسم

قال فيه صاحب (الوفيـــات) :

١) يعنى أواخر القرن التاسع . وقد ترجم حسين فى غير هذا المكان .

(الفقيه سيدى محمد بن عبد الواسع بن محمد بنبلقاسم الرسموكى التاغاتينى . تفقه باليستبنى من (فاس) وله باع مديد فى المنطق . توفى بـ (تارودانت) عام ٩٦٥ هـ بذى الحجة منه)

ولم يزد فى (بشارة الزائرين) شيئا على ذلك بـل نقص البعض . وكذلك الحضيكى لم يزد شيئا .

ـ الرابع : عبد السميح ـ الثانى ـ بن عبد الواسع بن عبد السميح ـ الاول ـ بن محمد بن بلقاسم بن الحاج محمد بن يحيا .

قال فيه صاحب (الوفيـات) :

(الفقيه سيدى عبد السميح بن عبد الواسع . توفى رحمه الله وغفر له بـ (مراكش) فى صفر عام سبعة وثمانين وتسعمائة) ولـم يزد فـى (بشارة الزائرين) على ذلك شيئا .

ـ الخامس : يعزى بن عبد السميح ـ الثانى ـ بن عبد الواسع بن عبد السميح ـ الاول ـ بن محمد بن بلقاسم .

له ذكر فى فتوى . ولكن الذين تتبعوا أهليه الاولين لـم يذكروه . وربما كان السبب أنه فى المعارف دون أهله .

السادس : محمد بن يعزي بن عبد السميح ـ الثاني ـ

قال فيه صاحب (الوفيـات) :

(العابد الناسك سيدى محمد بن يعزى بن عبد السميح الرسموكى التاغاتينى . توفى رحمه الله بداره بـ (تاغاتين) . عن الاجتهاد فى العبادة وحالة حسنة ليلة الخميس منتصف ربيع النبوى سنة ثمان وعشرين وألف وصلى عليه شيخنا وشيخه سيدى عبد الله بن يعقوب . رحمـه الله ءامـين) ولم يزد صاحب (بشارة الزائرين) على ذلك .

السابع : عبد الله بن محمد بن يعزي بن عبد السميح ـ الاول ـ

جرى ذكره فى (الوفيات) بأنه توفى اثر ١٠٨٠ هـ ولم ندر مـن أحواله شيئا . ولولا أنه ذو بال بالعلم لما اعتنى به صاحب (الوفيات) كما ذكر هنا أيضاً عمه ابرهيم .

الثامن : احمد بن محمد بن يعزى بن عبد السميح ـ الاول ـ

العلامة الجليل الطائر الصيت الى الآن بئاثاره التى خلدها الابـد .

قال فيه صاحب (الوفيات)

(الفقيه الاجل الكاتب العالم العلامة الدراكة النحوى اللغوى الفيلسوف صاحبنا ومحبنا سيدى أحمد بن محمد بن يعزى بن عبد السميح الرسموكى التاغاتينى . توفى يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الاخيرة عام ثمانين وألف . ودفن ظهر غده . ببلدته (تاغاتين) عاصرته وجالسته . وحضرت جنازته . رحمه الله) ولم يزد فى (بشارة الزائرين) شيئا على ذلك . وكذلك الحضيكى . بل نقص من هذه الاوصاف الضخمة .

(أقول) ان هذا الاديب الكبير له ءاثار تدل على انه عظيم النفس . نبيه فى زمنه . عزوف عن المهانات . وقفنا له على قواف تدل على كل هذا . وسيرى القارىء ما عندنا فى ذلك . فيشاركنا فى كل ما قلناه زيادة على فتاوى كثيرة . توجد فى (مجموعة عبد السميح الامزالى) وفى (المجموعة البرجية) وقد رأيت أثناء رسالة لأحمد بن سليمان الرسموكى يطلب من بعضهم أن ينقل له ترجمة ابرهيم السملالى الجسوبى من تاريخ لأحمد هذا ولم نسمع نحن قط بهذا التاريخ الى الآن . وقد رزق ولدا مثله أو أعلى منه وهو محمد الآتى . بسببه خلد ذكره فى الاجيال التى بعده . فاما مانسبه له ولده . فستراه فى (نفحات الشباب) الآتية . وأما ما عندنا من غير ذلك فهاكه :

هناك قصيدة امتزجت فيها العربية بالشلحة طويلة . تدل على نفس عال وعلى تمكن فى اجالة أزمة الكلام كيف يريد المتكلم . وهى مشهورة عند الناس . يقولون قصيدة ابن عبد السميح ومطلعها :

بسم الاله فى الكلام ازْوَرِ (١)

وفى القصيدة نسخ متعددة . فى غالبها تصحيف . وقد سقطت الى نسخة بخط شيخنا سيدى محمد بن الطاهر . ربما كانت أخفها تحريفا . وما أولى القصيدة بالنشر . وتفسير كلماتها الشلحية بالعربية . ويتداول عند الجاهلين أن القصيدة لسيدى سعيد الكرامى . وانه قالها فى مدرسة بـ (فاس) كان يسكنها . فتحاور السوسيون والفاسيون فى ميدان الادب فاتفقوا أن يقول كل فريق قصيدة يعجز بها الفريق الآخر . فقال سيدى سعيد هذه . فعجز الفاسيون عن تفهمها . وهذه خرافة يتداولها بلداء جهال . والا فمن أتاك بلغة لاتفهمها . كيف يعجزك ؟ وأيضا ان عصر سيدى سعيد تقدم فى القرن التاسع . وزمن القصيدة فى القرن الحادى عشر . (نعم نستفيد من هذه الخرافة أن فى رؤوس السوسيين عنجهية يأبون بها أن ينقادوا أو يتفوق عليهم غيرهم . ولذلك أدلة وسترى احداها فى قصة

١) أزور بكسر فسكون ففتح : معناه بالعربية سابق .

وهذه القصيدة الشلحية العربية لايمكن سوقها فى هذا الكتاب العربى المبين . ولعلنا نوفق لطبعها على حدة ان شاء الله .

وهناك أيضا قصيدة رائية هجا بها المترجم معاصره القاضى أحمد أمزوغار الوجانى . وفيها أيضا نسخ تطفح تصحيفاً وتحريفا . فهاك ما اخترناه من نسخها المختلفة :

أمد الهى فى المعالى مذاهبا ... وضعضع فى قرب قواعد آمزغر (١)
فلولا محمد ويوسف جاهدا ... لعمت بلاد سوس فتنة أمزغر (٢)
على كل قاض من (جزول) تحيتى ... سلام رضا وسنة دون أمزغر
أفضل أصحاب النباهة والنهى ... ويؤثر أصحاب الجهالة أمزغر
فجهل بلا علم وجود بلا عطا ... وحكم بلا فقه فذا حال أمزغر
فلوخرج الدجال يومك منزغر (٣) ... لقام بدعواه الخبيثة أمزغر
بلينا وبلوانا تصدر أمزغر ... علينا وما أدراك ما النذل أمزغر
ففى الحج والغزاة أجر ومثله ... يعدُّ لمن يسعى على عزل أمزغر
وللناس فى كسب الذنوب تفاوت ... وأعظمهم ذنبا مقلد أمزغر
تمذهب أتباع الضلالة والتوى (٤) ... بمذهب من يبغى الرياسة أمزغر
أتيت بأبيات (٥) تليد تواطأت ... جميع قوافيها على لفظ أمزغر
لكون جميع المفسدات تواطأت ... أزمتها جمعاء فى جهل أمزغر
أرامل فحصنا وايتامه بكت ... و(ابناء ابرهيم) منجور أمزغر (٦)
ومقصدنا المحمود فيه اهتضامه ... وتنبيه غيرنا على قدر أمزغر

١) هذا القاضى من أماثل ذلك العصر الذى هو عصر العلم الذهبى لسوس ولا يضيره هجوه (وما زالت الاشراف تهجى وتمدح) وأمزغار بفتح الهمزة وسكون الميم وضم الزاى وفتح الغين .

٢) أبيات تدل على سنن (ان الكرام قليل) ومحمد هو القاضى العباسى. ويوسف القاضى المرسموكى . وهما حيان اذ ذاك قاضيان كبيران .

٣) زغر : المقصود به (أزاغار) وهو بسيط ما هو حوالى (تيزنيت) وهو محل قضاء المهجو على قبيلة (أيت برابيم)

٤) التوى : الهلاك .

٥) هذا البيت هنا غير راسخ . كأنه زحلق من مكانه . وللقصيدة نسخ مختلفة تقديما وتأخيرا وزيادة ونقصان وتبدل كلمات . أخترنا امثلها .

٦) و (ابناء ابرهيم) من قبائل أزاغار . والمقصود (أيت برابيم) قبيلة (بونعمان) حيث المهجو قاض .

يدنس أرساما بـ (أعلم) خاطبا ولم يدر ما مدلول (أعلم) أمزغر
قد اخترت انى فى العراء مضيع لأرفع نفسي عن مجالس امزغر
ولا ذنب يخشى فيإجتناب مجاهر ولو كان فيه لم يكن هجو أمزغر
وعهدى بخطة القضاء نزيهة فصار حريمها مباحا لا مزغر
فيا ويلها مخطوبة كان كفئها ونحى عليها الستر أمثال أمزغر
ساند بها ما عشت ندبة عالم بفلة أهل العلم اذ ساد أمزغر

هذا هجاء ابن عبد السميح لصاحبه . وقد وقفنا فى خزانة الامزوغاريين على اسم مؤلفين فى الهجو مع بعض أبيات الهجو . ولم يذكر القائل ولا المقول فيه ونحسب ـ والله أعلم ـ ان ذلك من القاضي المهجو . كجواب عن هذا الهجاء اللاذع . وقد ذكرنا ذلك فى (الرحلة الثانية) من (خلال جزولة)

وللمترجم فى جناب أميره على بودميعة . يشتكى من بعضهم اليه :

ما ذا يريد الثعلب المستضعف من قسو رمنه العدا تتقصف ؟
ماذا يريد الوغد من شمس العلا كل المعالى فى علاه ترفرف ؟
أم كنت فى احلاق كل محنق زمر المروءة غصة تستنزف (١)
نظروا الى علمى وما أجنيه من ثمر اذا ما البحث منه أقطف
والى معارفى التى أدلت الـ ـسيّ بشهرة ميادة لا تعجف (٢)
وهم وراءى ظالعون (٣) وكلهم فى نكرة عمياء لا تتعرف
احسبتموا أنى شرفت بئامر نـاه لأيـديـه عـلى تصرف
كـلا فانى سيد من همـة عليا ترىلجد الزحام فتصدف(٤)
حتى مجدت فكنت أفضل ماجد دونى عيون الماجدين تكفكف
فسرى حديثى للامير . ومن غدا مثلى بمعرفتى ودينى يعرف
فأتى بعلمى كى يزين حفله ببحور أبحاثى التى لا تنزف
حقا له فضلا علىّ وانـه فوقى أمام مستطيل يشرف
دارى وهذا القصر عندى واحد وكلاهما لغزالتى لا يكسف (٥)
ماذا يكون اذا رجعت لدارتى الا ابتعادى عن فتى لا ينصف
أنى على الاوفاز(٦) ان سمح الاما م بمرجعى فلتسمعوا ولتعرفوا

---

١) المحنق : الذى بلغ به الحنق والضغن مبلغا عظيما . وزمر المروءة بفتح فكسر : فاسدها . واستنزف الجرح الدم : اذا أخرجه كله .
٢) عجفت الهيبة هزلت . وذلك هنا مجاز .
٣) الظالع : الاعرج . ومنه (الظالع لايدرك شأو الضليع) أى القوى
٤) صدف عن الشيء · مال عنه .
٥) الغزالة هنا : الشمس .
٦) فلان على أفواز اذا كان متهيئا على وشك السفر أو مثله .

انى عرفت بأن بزل قناعسى (١) ... لم يقلها الا الهزيل الاعجف
عدوا عن الغمزات عند امامنا ... ولتثبتوا لمباحثى ان تنصفوا
فهناك يظهر من يجلى فى المدى ... ممن تدب به ظوالع تقطف (٢)
أو ماتنونى فى القريض لتصطفى ... من خل شعركم المسف القرقف(٣)
أنا أحمد المعروف فلتقفوا معى ... نخض العلوم بدر سنا لتشرفوا(٤)
فالجالسون نظيركم من غير در ... س ان يروا ذا درسه يستنكفوا
من ذاك لا غير ابتليتم والبطا ... لة دائما داءٌ عضال يحتف (٥)
أو كلما دأب المجد فنال من ... تدءابه مجـدا يطول ويشرف
قـام الكسالى ينحتون مقامه ... لو كان بينهم امـام يسعف (٦)
انـى وأنتم كفتـان فكفتـى ... ملأى وكفتكم تطيش ترفرف
فكذاك كان لكم عناءٌ كله ... شين قبيح فى الورى لا يوصف
ما ذاك منى مفخر حاشاى أن ... أغشى الذى بمروءتى قد يجحف
لكن ظلمت فقمت أذكر بينكم ... نعما أفاض سيولها من يتحف
فالله أشكر حيث من بما أرى ... وترونه ويرى الامام الاعرف
هذا الامام امامنا وهو المحكـ ... ـم بيننا وبحكمه فلتكتفـوا
سأكون منه ضاحكا مستبشرا ... وعيونكم للحنظلات تنقف (٧)

---

١) البازل : القوى من الابل . والقنعوس مثله . قال :

وابن اللبون اذا ما لزفى قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

٢) الظوالع : العرج . جمع ظالع .

٣) القرقف بفتحتين : الخمر . والمماتنة فى الشعر : مجاذبته بالبديهة بأن يقول هذا ويجيبه صاحبه بيتا لبيت أو شطرا لشطر .

٤) هكذا البيت أو ما يشبهه .

٥) احتفه : أهلكه من الحتف الهلاك .

٦) نحت اثلته أى شجرته : اذا كان يقع فيه غيبة وغمزا .

٧) نقف الحنظل ثقبه وفاعل ذلك تجرى عيونه دموعا . فيكنون بذلك عن بكائه قال :

كأنى غدا ة البين يوم تحملوا ... لدى سمرات الحى ناقف حنظل

ثم ان القصيدة لها بعض شهرة . فقد كان سيدى محمد بن على شارح (المنهج) ينشد هذا البيت كثيرا المطلبة . ولكنه ينسبه لأحمد بن سليمان الرسموكى الفرضى . ويهم فى ذلك وقد بين الاديب أبو زيد الجيشتيمى أن البيت من قصيدة لأحمد بن محمد من ءال عبد السميح . وذكـرها . ومما نقل من خطه نقلناه .

التاسع : عبد الله بن احمد بن محمد بن يعزي بن عبد السميح ـ الثاني ـ

جرى ذكره في الوفيات بأنه توفي مريضا في (ايليغ) ليلة الاثنين من رجب ١٠٨٣ هـ ودفن في الزاوية يوم الاثنين . ولم يصفه بأي وصف . الا أنه لما اعتني به في محل لايعتني فيه الا بأهل العلم وهو من بيت علم حسبناه منهم .

العاشر : محمد بن احمد بن محمد بن يعزي بن عبد السميح ـ الثاني ـ

أديب كبير متضلع بالادب العالي . تخرج بأبيه . لاحظه السعد . فخلده المرداني في كتابه (نفحات الشباب) ولا نعلم عنه الا ما في هذا الكتاب الذي أفادنا عنه وعن كثيرين من معاصريه . كما أفادنا كثيرا عن الحركة الادبية في (ايليغ) وفي (تارودانت) في عهد محمد العالم خليفة الملك مولاي اسمعيل على سوس . وحين كان هذا الكتاب بهذه المثابة . وهو صغير مبتور في ءاخره . اخترنا أن نسطره هنا كما هو . ليكون وثيقة تاريخية تحتوي على ما لم نجده في غيرها . ولم ندر الى الآن اسم المرداني الذي نسب اليه الكتاب . واليك الكتاب كما هو :

(الحمد لله الذي جعل الانسان لبه . وجعل في جبلته أن يكون منه لمن يختاره من أصحابه محبة . والصلاة والسلام على سيد المرسلين . وعلى ءاله وأصحابه المهتدين .

أما بعد : فيقول العبد الفقير محب الادباء . ومجل البلغاء . انني كنت سافرت فيهذه السنة الماضية(١) سنة ١١٣٨هـ الى (فاس) المحروسة قصد أن أزور من سيدنا ومولانا ادريس . الدر النفيس . وأن أشرف على أعمال ولدي. وقرة عيني . محمد ـ أصلحه الله ـ الذي كان فيمدرسة (الشراطين) يقرأ . فجلست هناك اياما . خالطت فيها أقواما . منهم العلامة الاديب . سيدي أحمد بن محمد . وسيدي ادريس بنيس . وسيدي عبد الرحمن (٢) وأصحابهم من نجباء الفاسيين . وطائفة أخرى أمثالهم . تجمعنا بهم محافل بوساطة ابني واترابه . وسيدي محمد الكنسوسي الذي يقرأ أيضا هناك . وهو اليوم في نجابة تامة . وفي مخالطة الفاسيين . فكنت أراه يحاور الفاسيين كثيرا . ويرد عليهم في انكارهم وجود الادب بـ (سوس) . يقولون له : اما الفقه والنحو فعندكم . واما غيرهما كالادب فبلادكم صفر منه . فكان ذلك هو أكبر الاسباب حتى حضرت نزهاتهم أياما في بساتين . واسمارا كثيرة في ليال . وقد كنت من أيام الشباب مولعا بالادب .

---

١) فالكتاب حينئذ ألف سنة ١١٣٩ هـ

٢) من هؤلاء ؟ فهل نجد الجواب من معارف مؤرخ فاس : العابد الفاسي؟

أحفظ قصائد اختارها وقطعا استجيدها . خصوصاً من أقوال بعض ادباء شعراء أدركتهم في بلادنا . وقد اجتمع كثيرون منهم بـ (تارودانت) في عهد الخليفة سيدى محمد بن اسمعيل رحمه الله .!! وكان لهذا الخليفة للادب وأهله لهج غريب وولوع عجيب !! فوجدتني اذذاك فارغ البال . ولم يكن لى عيال . وبيدى مال وفير . وعندى دخل كثير . و (تارودانت) اذ ذاك لم تزل فى حفظ السعد . لم يرمقها الدهر بنحسه بعد . فكان جل الادباء الغرباء ممن لى بهم اتصال . فأقوم بمئونة بعضهم عندى . فكانوا كلما فارقوا الخليفة جلسوا في بيتي . فيحكون لى ما كانوا فيه من مساجلات ومحاورات . فكنت أقيد بعض ما يذكرون فأحفظه . وكان من بين من يلزم بيتي الاديب الفقيه سيدى محمد بن عبد الله الزدوتي . والاديب الفقيه سيدى ابرهيم بن محمد السكتاني . والفقيه الاديب سيدى محمد بن الحسن الهلالى ـ الايلالني ـ . والاديب الفقيه سيدى محمد بن أحمد الرسموكي الذى كان والده أيضا سيدى أحمد بن محمد أديبا كبيرا فى عصره . له في السلطان سيدى علي بن محمد . من أولاد القطب (سيدى أحمد بن موسى) قصائد . فهؤلاء الادباء الاربعة من كنت معهم ممتزجا امتزاج الماء بالراح . ومتشاركين فى ذوقنا فى الادب اشتراك الاصابع فى الراح . وربما كان غيرهم ولكن هؤلاء صفوة تلك الحلبة في (سوس) وغيرهم انما يأتي من شعره بقول غير مانوس . فنفعني الله بهم . وارتضعت من مجالسهم . وحفظت من أقوالهم . فلذلك عرف سيدى محمد الكنسوسي بي أهل (فاس) فأنشدهم ما يحضرني من أقوال هؤلاء . وما أحفظه فى الحقيقة قليل . في جنب ما كانوا يقولونه . فكان الفاسيون يتعجبون من أهل كلام الشلحة . يترقى أحدهم في الفصاحة العربية ذلك الترقي . ويمكن له من رطانته ولهجته التي تربى بها التوقي . فأكدوا على أن أجمع لهم ما لدى من أقول هؤلاء الادباء الذين عرفتهم . فقلت لهم : اما ما أحفظه فأني كفيل بجمعه املاء لكم . وأما ما سواه مما قيدته ولم أحفظه . فقد ذهب بين كتبي حين نهبت مدينتنا في تلك النهابر (١) ولأجل أن لا أخلف وعدى ابتدأت هذه الرسالة وسميتها (نزهة الالباب . في ذكريات الاحباب) وقد اقترح بعضهم أن تسمي (نفحات الشباب) ولك أن تختار ما تشاء من الاسمين . وبالله بالتوفيق .

أول ما نبدأ به أن نذكر سبب معرفتي بهذه الطائفة . وذلك أنني دخلت المسجد الكبير في مدينتنا (تارودانت) في يوم من أوائل رمضان

---

١) النهابر : المهالك . ومن الماثور (كل مال جمع من مهاوش فالى نهابر يصير) والمهاوش بفتح الميم : ما غصب وسرق .

في سنة ١١١٢ هـ كما أظن . فوجدت مؤذن المسجد يتكلم مع طالب . فقلت له : من هذا الطالب ؟ فقال : انه من الجبل يسئل عن دار للكراء لينزل فيها فقهاء جاءوا الى الخليفة . ليسلموا عليه . وليحضروا معه (سرد البخارى) فقلت للطالب : من هؤلاء ؟ فذكر لى سيدى محمد الزدوتى . وسيدى ابرهيم السكتانى . وسيدى محمدا الهلالى - الايلالنى - قال : تواعدوا هنا اليوم . فوصلوا . ولم يعرفوا أحدا ينزلون عنده . فيفتشون عن دار صائنة حسنة . وكنت أسمع قبل اليوم بأن السكتانى أديب . وكذلك الزدوتى . وأما الاخر فلم أسمع به قط . فحملتنى محبة الادب وأهله على أن قلت للطالب : اذهب معى اليهم . فان الدار موجودة . فوجدتهم ثلاثتهم . وعليهم ثياب(١) بيضاء أنيقة . كأنهم ليسوا من البادية . فسلمت عليهم . فسألونى فقلت : ان عندى الدار التى تفتشون عنها . فقوموا اليها . وهى رخيصة الى الغاية . وأنا أنوى أن أنزلهم عندى مجانا . لاننى مفرد مع الخادم فى الدار . وقد مات أبى منذ شهور . فقال سيدى ابرهيم السكتانى كيف هذه الدار فقلت له : - ومقصودى أن يعلم اننى ملم بالادب -

اذا كنت فى حاجة مرسلا فارسل حكيما ولا توصه (٢)

فتهللت وجوههم . فقال الزدوتى : ألم تعلم ما قال الشاعر

يلوموننى ان بعت بالرخص منزلى وما علموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملامة منكم بجيرانها تغلو الديار وترخص

ولذلك لا ترخص دارك ولا تغلو الا بجيرانها . فقلت له : انها فى جوار (أبى دلف) وقد أشرت الى القصة المشهورة . من أن جارا لابى دلف بلغ به الفقر . الى أن عرض داره فى الدلالة . فبلغ ثمنها ألفا . فقال : هذا ثمن الدار . وأين ثمن جوار (أبى دلف) ؟ فبلغ ذلك (أبا دلف) فابقى الدار لجاره . وملاها له خيرا . وقد ندم على الغفلة عنه . هذا ما قصدته بقولى . فقال الهلالى ان الرجل أريحى أديب . وقد سيق اليكم . ونلتم به جليسا أديبا حضريا . ثم أنشد :

ويأتيك بالاخبار ثم لم تزود

ثم بلغنا الدار . فأدخلت البغال الثلاث . فقلت لخدام الفقهاء . تعالوا فأريتهم مكان التبن والبير فقلت لهم : لا تنادونى الا وقت العلف (٣) . ولا

---

١) لايزال الطلبة السوسيون يحافظون على اللباس الابيض .

٢) هكذا مع أنهما شطران من بيتين . والبيتان هكذا :

اذا كنت فى حاجة مرسلا وأنت بها لهج مغرم
فارسل حكيما ولا توصيه وذاك الحكيم هو الدرهم

٣) يعنون بالعلف الشعير فقط الذى تعطى مرة واحدة للبهائم فى اليوم.

تطلبوا من الفقهاء شيئا . فكل ما تريدونــه عندى . ثــم اعتنيت بالفراش الوثير . ومددت طنافس وملاحف ومضارب . فلما جلسوا قلت لهم :

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا   نحن الضيوف وأنت رب المنزل

فغلب الضحك على السكتاني . وقال : هل أنت أبو زيد السروجي ؟ أم أنت الحارث بن‌همام ؟ فقلت بل‌أنا الحارث الذى يستفيد من شيخه أبى‌زيد لكنني لاأسيء الادب معه بقولى :

الى كم يا أبــا زيـــد   أفانينــك فــى كيـــد

بل أنا من يسلم تسليم الاعمى . ولا أقول : لمه . فقال : أهكذا تكون دار الكراء تبن وماء وفراش . فقلت له : ان كل مكان بحسبه . فكراء هذه الدار بهذه الكيفية مقدر بما تحتوى عليه . ألم تعلم أن فنادق النصارى في بلادهم لابد من فراش بيوتها ؟ فهبني قلدتهم . أفيحل أن لا اخــذ كــراء أشياءى ؟ وان بقصيدة مليحة . فقال الهلالى - الايلالني - أو بعصيدة مملحة. فقلت (كيلهما وتمرا) فهكذا تضاحكنا مليا .ثم رحبت بهــم . وأعلمتهــم بأنهم أضيافي الى أن ينقضي رمضان (١)وأنه لاكلفة علىَّ في ذلك . واعلمتهم بيساري . وانني وحيد في الدار . مع خادم عجوز . هذا هو السبب حتى ترافقت مع الثلاثة . ثم بعد أيام جاء سيدى محمد الهلالى - الايلالني - يوما متأخرا عن صاحبيه فقال :ان أديبا جديدا نزل بالمدينة . فما رأيكــم فــى ضمه لنا . فقال له الزدوتى ويحك ضيف ويقترح ؟ فهل نحن فى ديارنا حتى نضيف . أو نقود اليها ضيافن . فيصدق علينا قول الشاعر :

اذا جاء ضيف جاء للضيف‌ضيفن   فياكل مانقرى الضيوف الضيافن)

فقال الهلالى - الايلالني - :

ان رب الدار كان يقول من أول يوم : ان الدار دارنا . فبذلك الشرط نزلنا عنده مجانا . وهل يسهل أن يجد مثلنا مجانا ؟ وقد اشترط على نفسه (والشرط أملك) فقلت لهما . ان كانت محاجاتكما ترويحا للنفوس فلا بأس. والا فمن رماني بأنني أشنا أديبا . خصوصا ان كان أريحيا مثلكم فقد بهتني ورماني‌بعظيمة . ثم قلت للهلالى - الايلالني - أين الرجل : فقال تركته عند فلان فى‌السوق . فبادرت بنفسي فوجدت طلعة بهية . ولبسة سنية . وشيبة

---

١) سمعت اليوم أن بعض المعلمين في‌المدارس المحدثة فى القرى السوسية ينزل أحدهم طوال السنة على بعض الموسرين . ثم لايرضى أن يأخذ منه شيئا وما أشبه الليلة بالبارحة .

منورة . فسلمت عليه فقلت له : أجب صاحبك الفقيه سيدى محمدا الهلالى - الايلالنى - فقال : على السمع والطاعة . فوقف فسار يسأل عن أتمام ما يعلق امام الدكاكين . كأنه ما شاهد قط مدينة . فقلت له : سوف ترى ذلك حتى تمل منه . فقال : ان وجود الاشياء أمام أعينكم يا أبناء المدن هو الذى أزال بهجتها من عيونكم . وأما نحن فان ذلك يزداد عندنا حسنا على حسن كلما نظرنا اليه . فلا يحصل له منا ملل . ثم أنشد :

يـزيـدك وجهـه حسنا اذا مـا زدتـه نظـرا

ولم أكن سمعت بالبيت قبل الساعة . فاستعدته منه فحفظته . فسألته عن قائله . فقال : الحسن بن هانئى أبو نواس . صاحب الكأس والطاس . بهذه العبارة . ثم تفجر يحكى لى عن غرائب أبـى نواس . وقـد رأى منى حسن الاستماع . وادرك أننى محب للادب . فما وصلنا الدار حتى سمعت مقطعات . وكان ذا ذاكرة وحافظة . فدخلنا فارتج المجلس بوروده . فقابله الهلالى بقوله :

من أيت أقبلت يا من لا شبيه له ومن هو الشمس والدنيا له فلك ؟

فأجابه منشدا :

من منزل يعجب النساك خلوتـه وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

ثم قال لهم ان هذا الرسول قد استنزفنى فى الطريق . فلم يزل بى انشادا حتى قطع أبهرى (١) فقال له الهلالى : ان هذاالسيد لقبناه بالحارث ابن همام . وكان ينقصنا أبو زيد . وحين جئت فـأنت أبو زيد . فقـال : اننى قايل . وستتمشى عليكـم حيلى وحيله فارتقبونا . وبعـد مباسطة علم الضيف الجديد أننى رب الدار . واننى أنزلت القوم من غير سابق معرفة واننى محب للادب . أخبروه بذلك فى غيبتى . فملك ذلك عليه مشاعره . فقال قد حسبنا الاريحية قد وأدها هنا هذا الدهر الجهول . وان الكرم صار رابع (المستحيلات) فجاء هذا المدنى بهما معا فى قرن . هذا ما زعم . والله يتقبل العمل . ويجعله لوجهه . هذا السبب لمعرفتى بالرابع (سيدى محمد ابن أحمد بن محمد الرسموكى)

(فلنرجع العنان) الى ذكر ما يدور بيننا الى أن فرقتنـا حـوادث الايام . غدا الثلاثة الاولون فى اليوم الثانى الى باب الخليفة . وهم لايقصدون الا أن يحضروا فى ضمن العلماء الذين قدموا فى كل جهة . باستقدام الخليفة

١) الابهر بفتح الهاء : عرق فى الظهر .

وبغيره . لان مجلسه يدعى اليه الجفلى (١) وما منعنى أن أنتظم فى أهله الا كراهة التقيد بأوامر من فوقي ونواهيه . وقف الثلاثة عند الحاجب . فأخبر بهم الخليفة . فمثلوا بين يديه . وسلموا عليه . وسألهم عمن قرأوا . فوجدهم قد قرأوا كلهم في أواخر قراءتهم بـ (فاس) وقد ألقى عليهم مسألة لغوية في التصريف . وهي وزن (مرايا) وأصل الكلمة . فمرقوا في ذلك بسرعة . ثم سألهم عن الادب . ولم يكد يعهد من كثيرين من فقهاء (سوس) أدبا عاليا فبغته من هؤلاء الثلاثة ما عجب منه . فقد وجدهم حفظوا كلهم المقامات . وحفظوا قصائد للمتنبى والبحترى وأبى تمام وجرير والفرزدق والاخطل وأبى فراس وبشار ومسلم بن الوليد فضلا عن المعلقات . وقد استحضروا كثيرا من حماسة أبى تمام . ومن الحماسة المغربية (٢) مع معرفتهم للتاريخ. وكان أول ماسألهم عنه ـ كما أخبرونى ـ أن قال لهم : من قائل هذا البيت ؟

ان الاسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لاالسلب

فقالوا متبادرين متبسمين من سؤاله عن ضرورى : ان قائله أبو تمام (حبيب بن أوس) الطائى . ومطلع القصيدة :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

وقال له الهلالى ـ الايلالنى ـ : ان شاء مولانا سردتها عليه كلها . مع ذكر حكايتها . وتاريخ المعتصم الذى قيلت له . ثم أضرب عن ذلك . وقال من الذى يقول ؟ :

واصرع أمَّي الوحش قفيته بـه وانزل عنه مثله حين أركـب

فقال له السكتانى : انه لأحمد بن الحسين (المتنبى) من قصيدة يقولها فى كافور . أولها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب واعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وان شاء سيدنا أمليتها عليه كلها . وأمليت على مسامعه الشريفة تاريخ (كافور) و (المتنبى) وكل القصائد التى قالها فيـه . وهى معدودة حتى هجوبته التى ـ شبهها ـ (بالكركدن) قالوا لى لقد رأينا الخليفة اهتز اهتزازا القصبة فى يوم مريح . لما سلسل عليه السكتانى ذلك كله بعبارة عربية فصيحة . ثم قال : من القائل ؟ :

---

١) الجفلى بمحركات . وهى الدعوة العامة . واللفظة تقال بالجيم والحاء .

٢) هذا من أغرب ما يسمع . لأننا لم نر قط رواجا للكتـاب من عهـد مؤلفه . ولابن خلدون الصغير حوله مقال . وتوجد اليوم منه نسخة مصورة عند الاخ العلامة عبد الله كنون . وقد وقفنا على كتب أدبية كنفح الطيب فى خزائن السوسيين من أهل ذلك القرن .

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأى النــاس تصفوا مشاربه

قال الزدوتى مبادرا قبل صاحبيه لتعرف أيضا مكانتــه : ان البيت (لبشار بن برد) الاعمى . واحفظ مع البيت قطعة كبيرة . فان شاء مولانا تلوتها عليه . مع قطع وقصائد لبشار خصوصا فى عشقياته . وهو الذى يعشق باذنه قبل عينيه . فقال الخليفة : لله درك فاننى كنت أحسب أنك تقول اننى حفظت القصيدة كلها . مع أننى ما رأيتها كلها فــى كتب الادب التى طالعتها (١) وحيث قلت ما قلت فان ذلك يدل على صدقك . ثم قال : مــن الذى يقول ؟ :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويق حتى ما لايــدر لها ثعــل

قالوا : فسكتنا لأننا لم نسمع بالبيت قبل ذلك الوقت . ينظر بعضنا الى بعض . ثم قال السكتانى . يا مولانا لنا الفضل فى أن يكون هذا أول ما نستفيده من حضرتك العلامة . فاننا لسنا بمكاثرين ولابمفاخرين . فما علماه فبفضل سيدنا السابق الينا قبل المثول بين يديه . وما جهلناه وهو كثر من قل . فلنا الفخر العظيم فى أن نكون فيه تلاميذ لسيدنا . فقال : لله دركم . فاننى عمدت الى ما ليس للشعراء المشاهير . لأنظر هل تقولون لاندرى فيما لاتدرون . أم تهرفون بما لاتعرفون . ومن دلالة تمام عقل الرجل فى علمه انه لايتبجح بما لايعلمه. وأن لايستنكف عنقوله لاأدرىفيما لايدرى.ثمقال:

ان البيت لابن سلول . وهو شاعر مقل فى التابعين . وقبل البيت :

اذا انتصبوا للقول قالوا فاحسنوا ولكن حسن القول خالفه الفعــل
وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

ثم قال : اننى بكم مبتهج كثيرا . فقد ساءنى من كثير من علماء هذه البلاد أنهم لا يستحضرون التاريخ والادب كما هو مع أن لهم يدا طولى فى اللغة . وما الادب الا ابــن اللغةان صادفت فطنة سليمة . وقريحة سيالة . ثم قال لهم : كيف نسجكم فى الشعر ؟ فقال السكتانى : اننا يا سيدى فى ذلك كما قال بعض من قبلنا : ما يعجبنا منه لا يأتينا . وما يأتينا لايعجبنا وما واحد منا الا كان له ذلك بعض الشىء . ثم أطرق الخليفة لحظة . ثم رفع رأسه وقال : أجيزوا هنا البيت متتابعين . يبنى كل واحد على ما قبله .

خليانى سبــق السيف العذل حشو أذنى صمم عمن عذل

---

١) هذا صحيح انها لم توجد كلها . اننى الآن بهذا النفى فى عزلة عن الكتب وعن العالم (ثم قرأتها كلها فى نصف ديوان بشار المطبوع على يد شيخنا سيدى الطاهر بن عاشور التونسى .

ففكروا كلهم فاذا بالسكتانى ـ وكان أبده الجماعة ـ قال :

قضى الامر فاصبحت لقى بلحاظ لا ببيض واسل

فكاد الخليفة يهتك وقاره استحسانا للبيت . وبعد لحظة قال الزدوتى:

من يكن يشكو جراحات الظبا فأنا أشكو جراحات المقل

فانتفض الخليفة فلم يملك أن يمد اليه يده بالمصافحة . فأهوى اليها الزدوتى مقبلا . فقال له : ما أعجب من تكنهم جبال (سوس) من بلغاء عظام . ثم انتظر ما يقوله الآخر . فبعد لحظة قال الهلالى :

فليزرنى ليرى كيف الهوى من يرى أن الهوى أمر جلل

فقال الخليفة : لافض فوك أيها الآخر . فقد كنت أحسبك تتأخر عن حلبتك . فاذا بك بينها بلا تقدم ولا تأخر . ثم قال لهم : ها أنتم جئتم الىّ ولابد لكل قادم من تحفة . وتحفة الاديب قصيدة يقدمها امامه فهل صنعتم شيئاً ؟ فقالوا . لم نصنع شيئا . لأننا ما كنا نحسبك ـ يا مولانا ـ فى مثل هذا المقام العالى فى الادب . وقد كنا نعهد الى (سوس) من لايرفعون للادب رأسا . أو يسوون فيه بين الشعرور والشاعر . ولذلك طلقنا الادب فى مجامع الفقهاء . وانخرطنا فى المفتين والعدول . ولم نقدم على حضرة سيدنا الا بصفة فقهاء . ولكن حين بدا لنا ما بدا . فليبلعنا سيدنا الريق ثم نقدم ما تيسر غدا أو بعد غد . وكان الذى يتولى الكلام هو السكتانى . لأنه أسن القوم . وأجرأهم وأشجعهم . وأكثرهم مخالطة للعمال . ثم قال لهم : اننا سنوصى على منزل يفرغ لكم تنزلون فيه ومؤونتكم تاتيكم فى كل وقت . مع لزومكم للباب . ولمجالس البخارى دائما .

ثم أفرغ على كل واحد كسوة تامة . أمرهم أن يلبسوها ثم يرجعون اليه . قال السكتانى فخامرنى حياء عظيم من هذا الاعتناء . فقلت فى نفسى لابد من بيتين فذين الآن أرتجلهما ـ وأنا ألبس الكسوة ـ أقدمهما له فكان هذا ما سنح :

ما الموج فى أزبادها. ما السحب فى أمطارها . ما الريح فى أعصارها
أندى ولا أسخى بما ضمته من راحات مولانا لدى ايثارها

فانشدتهما له . فقال : هل هذا ابن ساعته ؟ فقلت نعم يا مولانا نفحة من نفحات الحلة العطرة . فتناول كناشه فكتبهما بيده . ثم أومأ الينا الحاجب الواقف مع العبيد . فخرجنا . ثم تبعنا عبد . فقال : ان الخليفة أمرنى بتهيئة دار لكم . فقلنا له اننا نزلنا عند انسان لانبغى به بديلا . فان احتجنا الى دار بعد أعلمنا مولانا بذلك .

هذا ما حكوه لي حين رجعوا يختالون في حللهم . وقد شاع بسرعة أن الخليفة اعتنى بهم ما لم يعتن بغيرهم . فهاداهم الناس بطرف . وأنزلوهم مقاما عليا . ثم صارت المؤونة الطعامية ترد في كل وقت فلم يحتج بعد الى الطبخ . فضاحكني الهلالي . فقال : لقد أصبحت في الحقيقة ضيفنا . بعد ما كنت ضيفا مجازا فيما زعمته أول وهلة . فقلت له : (نية المرء أبلغ من عمله) ثم انفرد كل واحد منهم بعد صلاة التراويح تلك الليلة . لنسج قصيدة وقد تواصوا على الاجادة . وعدم مجاوزة القصيدة خمسة وعشرين بيتا . لآن الاكثار قلما تجيء معه الاجادة . كما تواصوا أيضا أن لايجعلوا في القصائد نسيبا . وأن تكون كلها مديحا . فقمت أنا الى مضجعي . وعند السحور صار كل واحد يلقي علينا ما صنع . وبعضهم ينتقد بعضا . فيتجادلون الى أن يتفقوا على مايتركون عليه المنتقد أخيرا . لانهم يعرفون أن الخليفة ناقد بصير فكان ما قاله السكتاني ما نصه :

(ردانة) في بشر وحق لها البشر ... ففي الافق من عليائها أشرق البدر
يهنيء بعض الناس بعضهم به .. ... وترقص بالافراح في خدرها البكر
فحتى الجمادات انتشت بوروده ... كأن قد غدا من بين أشخاصها فكر
فهذي الرياض المونقات تمايلت ... بمقدم مولانا خمائلها الخضر
وتلك الجبال الشامخات وهذه ال ... بسائط قد هنا مساهلها الوعر
قد ارتج سوس كله يوم أقبلت ... كتائبه يقتادها العز والنصر
فمن تلقه يبدهك يقطر وجهه ... سرورا يقول اليوم حق لنا الفخر
حظينا بخير الناس علما وحكمة ... ورأيا سديدا حين يشتبه الامر
وأفضل أولاد الامام ومن غدا ... يتيمتهم في عقدهم وهم الدر
وأفضل خريت العلوم وكل ما ... يسوده في ظهر مهرقه الحبر
وأفضل سواس درى كيف يلتقي ... غزال مع الضرغام لم يعره ذعر
وأفضل من غطى الذنوب بحلمه ... كأن لم يكن ذنب كأن لم يكن ستر
وأفضل مقدام اذا اشتجر القنا ... وماج بحر الحرب جحفله المجر
به يتقي في معمعان الوطيس ان ... تمعرت الشجعان وانقصف الصبر
وقد قامت الهيجاء حق قيامها ... ودارت رحاها والتظى وسطها الجمر
وقد صابر الشجعان حتى لوى بهم ... الى العجز رغما مطعن الاسل المر
وقد فلت الاسياف واندقت القنا ... وكدست الموتى وضاق بها البر
وجف من أوساط الحلوق لعابها ... وقد ضاقت الاضلاع وانتفخ السحر
وقد قام ميزان الهزيمة فانثنى ... عن الوالد الحاني ابنه المستحي البر
هنالك مولانا يضيء جبينه ... حبورا كأن طافت براحته الخمر

يقاوم فردا ثابت الجأش مقدما كما خر نحو السفح من قنة صخر
يشايعه العزم الوطيد وقائم من المشرفيات البواتر والمهر
الى أن يرد الجيش أدبارهم وقد تقسمهم حد المهند والاسر (١)
بأى لسان أو بأية لهجة يقام بها حمد الخليفة والشكر
فانعم مولانا على (سوس) كلها بطلعته لألا يحيط بها الحصر

وقال الزدوتى :

ثناؤك فى الافواه أحلى من الشهد وخلقك للجلاس أذكى من الورد
يزين فلق الشعر ذكرك مثل ما تزين مسك الصدغ سالفة الخد(٢)
بهرت كمالا وانفردت محاسنا فكنت فريد القدر فى كامل المجد
فما أنت الا ءاية فى مزاياك ان تجل فى الوغى أو فى المعارف أو تسدى(٣)
تحدثت الركبان عنك بما رأوا وما لم يروها منك أعظمها عندى
رأوك كحد الهند وانى فى المضا اذا جال رأى أو تسل من الغمد
كما أبصروا عند العفاة تهللا بجودك يهمى مثل منهمر الجود(٤)
فشادوا بما شادوا به فى حديثهم لعمرو اذا لاقوه فى الطرق أو زيد
فكيف بهم لو أبصروا منه ما الذى رأينا وقد حلت بنا أينق السعد
معارف تطمو من لسان كأنه لسان أخى ذبيان أو لهجة الجعدى(٥)
يحاورنا حتى طغى البحر فوقنا فاغرقنا حتى الغدائر بالمد
مثلنا لديه خاشعين لهيبة تذوب بها حتى الضوارى من الاسد
فقابلنا منه بشوش ملاطف يناول بالكفين زبدا على شهد
فجاذبنا الآداب يسبر غورنا وأين من السادات معرفة العبد ؟
يوالى علينا أسئلات كثيرة الى أن عجزنا فى الاخير عن الرد
شدهنا به حتى وجمنا ازاءه حيارى وقوفا لانعيد ولا نبدى
كأن جميع الشعر تحت عيونه فيترك عن قصد . وينشد عن قصد

* * *

١) تقدم فى الجزء الاول فى ترجمة أبى الحسن الالغى موازنة بين هذا الوصف فى مثل هذا الموقف وبين وصف مثله فى مرثية سيدى الطاهر المذكور .

٢) فلق بكسر فسكون : العجيب . ومنه أفلق الشاعر : اذا أتى بالفلق

٣) فى مزاياك . كذا . وهو لاشك تصحيف كلمة لم نهتد الى الكلمة الصحيحة فى مكانها .

٤) الجود بالفتح : المطر .

٥) أخو ذبيان النابغة الذبيانى . والجعدى النابغة الجعدى .

ألا أيها العلامة الفهم الذى ... بجوف فراه كل ماشئت من صيد
نمد لك الايدى لتعذر معشرا ... يكعون عن جرى السراحبة الجرد (١)
فما هم سوى أبناء بادية وما ... لهم كتب شتى توفى بما القصد
نعيذك يامولاى أن تحسب اللَّفا ... عظيما وذر النمل فى الوهد كالطود (٢)
سوى اننا كنا وردنا نقيطة ... مكدرة لاتكتفى المرء فى الورد (٣)
فان كان تقصير فهذا أساسه ... (٤)
فكل أمانينا رضاك فأهله ... يحلون فى الفردوس أو جنة الخلد

وقال الهلالى ـ الايلالنى ـ :

سعد الزمان وطابت الايام ... لما بدت من جيشك الاعلام
فالدهر عيد كله ومسرة ... وتعانق وتحية وسلام
فكان رغد العيش حين حللت يا ... خير الخلائف . عندنا أحلام
همعت علينا الغاديات بغيثها ... لما انجلت عن كفك الاكمام (٥)
من صافحته يمين مولانا فقد ... أعطته أوثق عهدها الايام
يحيا حياة المطمئن لكنز من ... اكرامه للمعتفى الاكرام
كنا نرى أنا مناسم والسوى ... هام الرؤوس ونيقها وسنام (٦)
حتى تبدى اليوم انا وحدنا ... نيق العلا بل رأسه والهام
فزنا ورب البيت لما جئتنا ... يا أيها العلامة الضرغام
هذى علومك للرواة وهذه ... بيض الذكور لمن هم ظلام
أين الرواة فذا مرامهم . بل أيـ ... ـن الظالمون فذلك الصمصام (٧)
هل جئت مولانا لجيشك قائدا ... فى جانبيك حمائل وحسام
أم جئتنا للدرس والتعليم فى ... أيمانك الصفحات والاقلام
أم أنت نعمة ربنا المهداة فيـ ... ـها كل ما يحتفه الانعام
فلتزهون (ردانة) الغراء اذ ... أضحى لها بمقامك الاعظام
ولتغبطنها (فاس) و (الخضراء) و ... الاقطار حتى (مصر) ها و (الشام)
فلقد أقمت السوق حافلة بها ... تنتاب حضرة علمك الاعلام

---

١) كع عن المعمعة : اذا تأخر عنها . والسراحبة : الخيل الطويلة .
٢) اللفا بالفتح : الشىء القليل .
٣) لاتكتفى . كذا فى الاصل .
٤) بياض فى الاصل .
٥) همع السحاب : أمطر .
٦) منسم رجل البعير بفتح فكسر بينهما سكون : خفه . ونيق الجبل بالكسر : أعلاه .
٧) الصمصام : السيف القاطع .

فيرى جميعهم علومهم على للنحويين خليلهم للفقهيين
أنواعها (يطمو بها) علام (١)
ـن خليلهم . لذوى الحجا النظّام
ما منهم فى فنه الا تر
قت من مباحث درسه الافهام
ويزيدهم فهم الجيوب ومن يفد
فهم الجيوب فانه الفهّام (٢)
قد عبدت طرق البلاد لبابه
اخفاف من يردون والاقدام
فالليل فيها كالنهار لمن سرى
ما فى المحجّ لمن يسير سلام (٣)
فترى القوافل ذاهبات ءايبا
ت والجميع لفضله مستام
والكل يشكر كيسه وضميره
شكرا تباكم دونه الافمام (٤)

هذه القصائد الثلاث التى أنشأوها . فغدوا بها الى الخليفة . فأبطأوا عنده كثيرا . ولم يخرجوا من عنده الا بعد صلاة العصر . فذكروا أنهم دخلوا عليه وهو مشتغل بالاحكام بين الناس . فأسرّ الى حاجبه شيئا . قالوا : فقادنا الحاجب الى دويرة حسنة . نعتوها لى . وكنت أعرفها . وهى من بقايا ما بناه مولانا أحمد بن محرز رحمه الله . وقد تهدم غالبها يوم استبيحت المدينة فى ذلك اليوم المنحوس . وقد حفظنا الله . فكنا عند أخوالى فى (تيبيوت) قبل الحصار فبذلك نجا والدى رحمه الله . وسلم متاعه من النهب . (رجع) قال السادات : ثم جلسنا وحدنا . وقد سألنا عن الفقهاء أين هم ؟ فقال الحاجب : انهم مجتمعون فى المجلس ينتظرون الخليفة . ثم بعد ساعة جاءنا عبد . فدخلنا فجلس العلماء . وهم نحو ثلاثين . وما منهم اذ ذاك الا عالم كبير . كسيدى مَحمد السملالى حفيد (٥) الشيخ سيدى عبد الله بن يعقوب . وسيدى محمد بن محمد العباسى (٦) . وكان الذى يتولى الدرس بين يدى الخليفة أحد العلماء الذين جاءوا معه من (مكناس) وانما يسرد الآخرون مناوبة أحيانا . وأحيانا يسرد سيدى محمد الفاسى الذى هو السارد دائما لمولانا مَحمد رحم الله الجميع . فقد عرفنا الجميع . ثم صار الجميع الى رحمة الله . ألحقنا الله بهم مسلمين . وكان الخليفة هو الذى يثير البحوث . ويجيب كل من يجاذبه فيه . ولكن لهيبته قلما يقدم على

---

١) ما بين القوسين بياض فى الاصل . يبدو لنا أنه هكذا
٢) كان طلبتنا فى باب دكالة يعجبهم هذا البيت .
٣) السلام بالكسر : الاحجار
٤) الافمام جمع فم .
٥) مَحمد بن مَحمد بن عبد الله بن يعقوب . ذكر بين الادوزيين فى (الجزء الخامس) .
٦) سيذكر بين العباسيين قريبا ان شاء الله .

ذلك :لا علماء (مكناس) والا سيدى محمد المسناوى حين جاء اليه (رجع) الى ما قاله السادات . قالـوا : وجـدناهم فى البخارى فى (كتاب الصوم) فأعطونا نسخة نسخة . فلم يشاركوا فى إلبحث ذلك النهار . حتى عاتبهم الخليفة . فكان سيدى ابرهيم السكتانى بعد ذلـك لا يترك شيئا . فكـان ذلك سبب ارتفاعه فى عين الخليفة . حتى كان ما سيأتى ذكره ان شاء الله.
قالوا : وعند الزوال اختتم المجلس . فأشار الينا الخليفة : هل قلتم شيئا من الشعر ؟ فقلنا نعم . فناولناه الكواغد التى كتبناها . فحين تأمل خطها قليلا . ردها . وقال : ليسرد كل واحد قصيدته قائمـا . قـال السكتانى : فسبقت أـنا . فحين وصلت هذا البيت :

حظينا بخير الناس علما وحكمة   ورياً سديدا حين يشتبه الامر

تهلل وجهـه . فالتفت الى من فى يمينه من علمـاء (مكناسـة) مبتسما . وحين وصلت الابيات التى فيها وصف ثباته فى الحرب . رأيته تحرك فوق سريره . وتحمل كثيرا حتى لايخرج عن وقاره بين العلماء المسنين الذين فى المجلس من السوسيين . كسيدى محمد السملالى . هذا ما ظهر . والا فربما يفعل ما فعله أمس (١) . وحين ختمتها قال : لله درك من عربى مبين . وان كان من الشلحيين البرابرة . ثم قام الزدوتى فأبدأ وأعاد بحلقـه الرقيق . فلما وصل قوله :

فجاذبنا الآداب يسبر غورنا   وأين من السادات معرفة العبد ؟

رأيناه مطرقا . كأنه تواضع لله . لما جعل سيدا . وغيره عبدا . ولما وصل قوله :

كأن جميع الشعر تحت عيونه   فيترك عن قصد . وينشد عن قصد

التفت الخليفة الى المكناسيين مبتسما . ولما وصل الى قوله :

فكـل أمانينا رضاك فأهلـه   يحلون فى الفردوس أوجنة الخلد

قال: نطلب جميعا رضى الله الاكبر. ثم قال للزدوتى: أبيتم أيها السوسيون الكرام الا التواضع . وذلك من مكارم الاخلاق . ثم قال الهـلالى : فبمجرد الافتتاح . تبسم الخليفة فصار يكرر الانظار الى المكناسيين مرارا . الى أن تمت القصيدة . فقال جزيتم خيرا . وما أنا الا واحد من العلماء . وأرجو الله أن أحشر بينهم . ثم أعلنا الدعاء . فخرجنا . فلحق بنا الحاجب . فمال بنا نحن الثلاثة الى (الدويرة) فقال : توضأوا وصلوا . فبعد حين جاءنا الخليفة مـع بعض المكناسيين. فسمعناه يقول لـه عند الدخول : اننى ما فرحت

---

١) يعنى من مديده للمصافحة . كما مرَّ قريبا .

بالقيادة على (سوس) كما فرحت بوجود الادب والشعراء في (سوس) ثم لما استوى المجلس. قال الخليفة : اننا الآن نسرد(١) تلك القصائد بامعان. ثم قال : ان دأبي دائما أن أنتقد من استجيد أقوالهم . وهذا فلان . يشير الى بعض المكناسيين يشهد بذلك . ثم قال: أسرد قصيدتك . قال السكتاني: فأشار الي . فتبعته . فلما وصلت البيت الثاني :

يهنيء بعض النـاس بعضهم بـه   وترقص بالافراح في المخدع البكر

وكان البيت هكذا اصالة . فقال الخليفة ان المخدع هنا ينبغي أن يبدل . ثم قال : أما يصلح هكذا ؟ :

وترقص بالافراح في خدرها البكر

فقلنا له : ان البيت الآن قد استتم ما ينقصه . ثم انتقد في البيت الثالث لفظة (أشخاصها) وقال : انها نابية . ولكن لم يوجد ما تبدل به . فبقيت . ثم زدنا قدما الى أن وصلنا هذا البيت :

وقـد قام ميزان الهزيمـة فانثني   عن الوالد الحاني ابنه المستحي البر

فقال : ان هذا الابن هنا ينقصه ان يوصف بالشجاعة . والا فالحياء والبر وحدهما لايمنعان الجبان من الهروب . ولكن أبقي البيت على ذلك . ولم يهتد الجالسون لاصلاحه . وبعد ما انتهت القصيدة . قـال الخليفـة : أحاجيكم ما هو الاصل في هذا المعنى الذي في ءاخر هذه القصيدة ؟ وقد وصفه وصفا دقيقا . فبادر الزدوتي . فقال : انه للمتنبي في ميميته المعلومة التي يقول فيها لسيف الدولة :

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة   ووجهك وضـاح وثغرك باسم

الى ءاخر المقصود من تلك القصيدة . فقال الخليفة : لله درك . فهـذا ما أريد . ولكن أبشر أديبنا السكتاني أنه أخذه أخذا حسنا . وذلك الوصف مما جعل للقصيدة قيمة عظيمة في نظري . ثم أنشد الزدوتي قصيدته الى البيت الثاني . فانتقد لفظة (الخال) فقال : ان الاولى أن تكـون الصدغ . لان أصل البيت هكذا :

يزين فلق الشعر ذكرك مثل ما   يزين مسك الخـال سالفة الخـد

فقال : لو ذكرت صفحة الخد لكان الخال موافقا . ولكن حين ذكرت السالفة وهي موضع الصدغ . كان الصدغ أولى . ولما وصل قوله :

معـارف تطمو من لسان كأنه   لسان أخي ذبيان أو لهجة الجعدي

قال الخليفة : ما يظهر لكم في مقابلة النابغتين الذبياني . والجعدي

---

١) المعهود من الحضريين نتلو . ومن السوسيين نسرد . ولعله تعبير المؤلف .

في الفصاحة اللسانية ؟ وهي المقصود بقول الشاعر ؟ فسكتنا . قال : ان في قلبي من ذلك شيئا . تأملوا في ذلك بعد الآن . ثم مد في القصيدة ذكر الاسئلة . الا أننا توقفنا عن الجواب أخيرا . فألتفت الخليفة الى المكناسيين فقال : لايمكن أن يقر أحد من أهل الحضر بعجزه كما أقر هؤلاء . وهم يرون اقرارهم شرفا . وأهل الحضر يرونه عارا وشتان ما بين أخلاق الناس ولما وصل قوله :

نعيذك يا مولاى أن تحسب اللـَّفا عظيما وذر النمل في الوهد كالطود

قال له الخليفة : الم تكن تحفظ قصيدة المتنبي التي أولها ؟ :

وأحر قلباه ممن قلبه شبم الخ

قال نعم (١) قال اذن نظرت في بيتك هذا الى قوله :

أعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فكأن الزدوتي استحيى . فقال له الخليفة لابأس . فقد تركت المتنبي وورمه . وملت الى عظمة اللـَّفا . وعظمة الطود . فأما أنا فلا اسمي مثل هذا سرقة . وان كان هذا - وأشار الى مكناسي - يسمى كل شيء مثل هذا سرقة . وذلك عندي غلط . والبيت حسن ملائم للقصيدة - كما ان بيت المتنبي ملائم لقصيدته . ثم قال الخليفة ان الكتب التي يتشكى من قلتها أهل البادية . قد جهل قيمتها أهل المدن الموجودة عندهم . فعندنا في (مكناس) خزانة عظيمة لا أرى من يطالع فيها الا قليلين . ثم ختم الزدوتي قصيدته فجازاه الخليفة خيرا . ثم تقدم الهلالي . فما افتتح حتى قال له الخليفة : ان هذا وشي حضري لا بدوي . كأنك سرقت هذا من (فاس) وقد أعجب بهذين البيتين :

والدهر عيد كله ومسرة وتعانق وتحية وسلام
فكأن رغد العيش حين حللت. يا خير الخلائف عندنا أحلام

ثم قال ان البيتين جيدان محكمان . وان كان معناهما غير مبتكر فان الثاني ينظر الى قول الشاعر :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

ولكن ذلك معنى . وهذا معنى ءاخر في محله . كما أنه يوجد معناه في خطبة (القلائد) للاندلسي . حين قال - والدنيا تحية وسلام - لكن البيت مع ذلك محكم حسن . وقد زاده انسجامه لطافة ثم استحسن أيضا هذا البيت :

من صافحته يمين مولانا فقد أعطته أوثق عهدها الايام

---

١) كذا . والمحل محل بلى لا محل نعم . ولعله تصحيف .

قال : بمثل هذا البيت يتقدم الشعراء المتقدمون عند خلفاء بني العباس . ثم استوقفته أيضا هذه الابيات :

هل جئت مولانا لجيشك قائدا	في جنابك حمائل وحسام ؟
أم جئتنا للدرس والتعليم في	أيمانك الصفحات والاقلام ؟
أم أنت نعمة ربنا المهداة فيـ	ـها كل ما يحتفه الانعام ؟

فقال : ان مجموع الابيات فى غاية الحسن والجودة ـ وان كان الاولى أن تكون كلمة أخرى فى مكان (الصفحات) ان تيسرت . والا فهذه أيضا لابأس بها . ثم انتقد المكناسي لفظة (يحتفه) فقال له الخليفة : انما فيها الحذف والايصال . ومثل ذلك مقبول . خصوصا فى معنى مطرد فى أبيات كما هنا . فان الكلمة مغمورة لاتستحق الانتقاد . ثم قال له : قد يسلم لك السوسيون ذوقا . وأما العربية والنحو فهما فى بلادهم أحسن اليوم من غيرهما (١) كما رأيته الا ما كان من الحواضر . فانها مقدمة على غيرها . ولما وصل قوله :

للنحويين خليلهم المفقهيـ	ـن خليلهم لذوى الحجا النظام

قال : ان البيت ـ وان كان فيه الجناس بالخليلين ـ ليظهر لى فيه انتقاد وجيه فى عدم الوصل فى جملة (للفقهيين خليلهم) والمقام مقام الوصل لا الفصل . وكذلك (لذوى الحجا النظام) وفى هذه الجملة الاخيرة انتقاد ثان فان المقصود ان يقول الشاعر : انه مثل النظام النظار لاصحاب المناظرة . ولكنه تنكب ذلك الى قوله لاهل الحجا . وهل يسلم النحويون والفقهاء أنهم بغير حجا تام ؟ ثم قال لنا ماذا يظهر لكم ؟ فوافقناه على ذلك . ثم أعجبه قوله :

ويزيدهم فهم الجيوب ومن يفد	فهم الجيوب فانهم الفهام

فقال : انه معنى حسن مبنى على المشاكلة . بعدما ذكر فهم العلوم . غير انني أحب أن يعرف فهام بالالف والام ليفيد الحصر المدعى . وقد كان الشاعر قال : فانه (فهام) ثم سألنا عن ذلك . فوافقناه . ثم أتم الهلالى القصيدة . ثم قال الخليفة للمكناسي : ما ظهر لك من أدباء (تارودانت) ؟ فقال له انك فى اليوم مدحت بشعر حسن . وأما ما يجيئك به الفقهاء . فانني استحيى اهم حيث (٢) لايستحيون لأنفسهم . فقال الخليفة : ان الادب لاينال ذوقه الا بفطرة سليمة . لا بكثرة العلوم . ثم حكى حكاية مضحكة عن بعض فقهاء (فاس) مدحه بقصيدة غير موزونة . ثم قال له ان

---

١) أثنى اليوسى أيضا على السوسيين فى التصريف كما فى فهرسه .

٢) المقام مقام حين لا حبث . لأن حيث لاتجىء للزمان الا قليلا .

نقصها يا سيدنا شيء فزده لها . فقال : فأغضيت . قال السكتاني : ثم أذن العصر فذهب هو الى مسجده وفي الحين جاءنا حاجبه فقال : يقـول لكـم الخليفة : ليكتب كل واحد منكم حاجته . فطلبنا منه أولا التحرير لقرانا . كل واحد لقريته . ثم نفذ لهم حبوبا ودراهم وظهائر التحرير . كل ذلك قبل أن يخرجوا من عنده . ولم يجيئوا الا بعد العصر بكثير . هذا ما وقع لهم مع الخليفة أولا . ثم صاروا يحضرون كل نهار . الى أن وصلت أيام العيد فطلب منه بعض الفقهاء أن يعيدوا في بلادهم . فلم يسرح أحدا حتى مضى العيد . فأخرج لهم جميعا الكسوة والصلة . وودعهم ومن بينهم أصحابنا هؤلاء . وقد أنسيت أن أذكر ماوقع لسيدى محمد (١) بنأحمد الرسموكي مع الخليفة حين جاء . فان السكتاني ذكره له . وقال له : ان هنـا أديبـا كبيرا . وأبوه أيضا أديب كبير . فوصله به بعد استراحته . فامتحنه أيضا فوجده فائقا على القدر . حافظا لأشعار العرب . ويظهر لى أنه أحفظ مـن الآخرين . لان والده الاديب اعتنى بـه كثيرا . ولا استحضر الآن لطـول العهد كيف امتحنه الخليفة . الا أنني أستحضر هذه المساجلة بينهما . وهي في منزل للخليفة يجلس فيه . ويشرف على بستان . فيه أشجار حولها كوم رمل . قال له أجز :

اختيال الغصون في الاحقاف

فقـــال : كاختيال القدود في الارداف

فأعجب به الخليفة لانه أجاب بديهة . من غير تأمل . ثم أشار الخليفة إلى اغصان وقد مالت نحو أزهار . فقال : بانيا على ما تقدم .

مائلات الى الزهور كماما

فسكت الخليفة في نصف الكلمة . فقال الرسموكي :

لت قدود الحسان عند اقتطاف

فلم يملك الخليفة أن قال لمكناسي من أهله : هكذا تكون القرائـح . والافكار المتقدة . ثم أراد أن يستزيد في سرعة فكرته وضوحا . فقال لـه أجز : وهو يشير الى حصاد بمنجل في السنبل يضربه فيبدده عمدا ليلتقطه كبش معه :

فكـأن منجلـه اذا ما بدا

قـال الرسموكي بديهة : سيف الخليفة حين يفتك بالعدا

ثـم قـال الخليفـــة :

وكأن ذاك الكبش يتبع ظلـه

فقـــال الرسموكـي : عافي الخليفة ان يمد له اليدا

---

١) هو الذى نحو في ترجمته .

ثم قال الخليفة وقد اشار الى صقر انقض على حمامة فى البستان .

فكـــأن ذاك الصقـــر اذ ينقض مـــا فـــوق الحمامـــة

فقال الرسموكى :

طرف الخليفة حين يهـــ ــوى للعدوء يقد هامه

فازداد عجب الخليفة . وقال له : لقد أعدت عصر (ابن عطية) فقال له الرسموكى : كما أعاد سيدنا عصر (عبد المومن بن على) فكـان امتحانا اخر عرف به الخليفة أنه عارف لقضيتهما المشهورة (١) وكان الخليفة مولعا بهذه المساجلات . قيل لنا : ان عنده من يهيئها أشطـارا أوليـة . وأبياتا افتتاحية . يمتحن بها الادباء ـ ولكن الحق ان الرجل لايحتاج لمن يعينه . وان لم نعرف له قصيدة ولا قطعة تامة . (٢)

هذا ما جرى أولا بين الرسموكى وبين الخليفة . ولم يقل فيه اذذاك قصيدة وسترى أمامنا بعض ما قاله فيه . وقد أجازه الخليفة بظهير احترام قريته . وبكسوة وحبوب ودراهم . حين رجع لبلده . تم هذا الفصل والحمد لله رب العالمين .

الفصـــل الثـــانى

فيمـا استحضره حين زاروه المرة الثانية . مضت شهور نحو ثلاثة . فجاءنى يوما عون عند الخليفة . يسأل عن الفقهاء أصحابـى . وهـل رأيت أحدهم منذ رمضان ؟ فقلت له : لا . الا أن أخبارهم ورسائلهم ترد عـلى . هذا ما كان . فرجعت . وبعد أيام تواردوا الى (تارودانت) وقـد أرسـل اليهم الخليفة أعوانه . فنزلوا عليه . ولم يرد السابقـون أن يسلموا عـلى الخليفة . حتى يجتمعوا أربعتهم فاتفقوا أن أشتغل الخليفة عنهم أياما . بقضاء أغراض مهمة للسلطان . فحين جاءوا قلت لهم أين تحف الادباء ؟ فقـالوا أو قال أحدهم : أتحسبنا بلداء . نهيىء القصائد من ديارنا . كأنك لاتعرف

---

١) مشى عبد المومن مع وزيره ابن عطية فى بعض أزقة (مراكش) فاذا بحسناء أطلت من شباك . فقال عبد المومن :

قدت فؤادى من الشباك اذ نظرت .

فقال ابن عطيـــة : حوراء ترنوا الى العشاق بالمقل .

فقال عبد المومن :

كـأن ألحاظها فى قلب عاشقها .

فقال ابن عطية : سيف المؤيد عبد المومن بن عـلى .

٢) لمحمد العالم بعض قواف ذكرت له فى التاريخ . فهو يصوغ لامحالة .

أن الادب والشعر عندنا كالعلم عند الشافعي . وأنت حضرى أديب . ممن يغدو ويمسى الى الحمامات . ويخرج مصقول العراقيب . فان رأيتم أحدنا نحن البادين في بداوته وتقشفها . تضحكون عليه ورحم الله من قال في نصرتنـا :

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا خرجن من الحمام مائلـة ... أوراكهن صقيـلات العراقيب

فقلت له : ان الصدق أفضل ما يعتام . انني لا أعرف معنى العلـم عنـد الشافعي . فقال : قل : (باع) أفدك ذلك فقلت له : (باع باع باع)ثلاثا(١) أفدني فأنشد :

علمي معي حيثما يممت يتبعني ... صدرى وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

فقلت له : ان الفوائد الغالية عندكم أيها الباديون الذين لايقـدرون قدر الرخيصة . بالبعبعة . وها أنت وترتني . فسئاخذ منك الثار . فقال الرسموكي : ويح من كان غريم أهل الحضر . فانه لايعرف من أين ياتونه فتضاحكنا ساعة . فقلت له اذن لم يقل واحد منكم قصيدة . ثمقلت لهم ان في ذلك من الاحجاف بالخليفة الذى أهتبل بكم ما لاينبغي . فقولوا قبل أن يطلب منكم . ثم تقولون ثم لاتشكرون . فقال الرسموكي : أما أنا فقد هيأت حولية زهيرية (٢) ولكن لاترونها حتى يستعد كل واحد منكم . ثم قال للهلالي : فلماذا أنت لا تقول وأنت أديب ؟ فقلت انني أولا لست هناك عند نفسي . ولم أجهل قدرى . فرحم الله من قال :

ومـن جهلت نفسه قـدره ... رأى غـيره منه مـا لا يرى)

وثانيا : انني لا أتطلب مرضاة أحد . السلطان فمن دونه . وانني قانع بلقط لفاظة فوائدكم الادبية . ولى في ذلك شرف أثيل . فقال الهلالي : لالا

---

١) بتشديد العين. كما هو صوت الكبش كلمة شلحية يقولها العاجز ليسلم لصاحبه ويظهر عجزه . ولا يزال ذلك الى الآن وبعبع له سلم له .

٢) كان زهير ابن أبى سلمى الشاعر الجاهلي من (مزينة) مادح هرم . اذا قال قصيدة لايخرجها الا بعد تنقيحها في حـول . فقال البهاء زهـير الشاعر المشهور في القرون الوسطى :

هذا زهيرك لا زهير مزينة ... وافاك لا هرماً ما على علاته
دعه وحـولياته ثم استمـع ... لزهير وقتك حسن ليلياتـه

بل حيث جعلت نفسك الحارث بن همام تريد أن تكون من (نظارة الحرب. لا من أرباب الطعن والضرب) (١) فقلت له : أولستم شعراء ولكم الغاوون؟ فأنا من الغاوين . فيا لذكريات تلك المجالس كلها التى تمر هكذا محاورات لطيفة . تتخللها فوائد . ثم انني في عشية النهار قلت للهلالى انني اقترح عليك أن تكتب أنت بين أصحابك(مقامة) تضمنها ماكنت تضمنه قصيدتك. فان ضممت اليها القصيدة فيا حبذا . فقال : انني أخاف أن لاتحفظ (المقامة) وقد رأيتك انما تعتني بالشعر لا بالنثر . فقلت له ان الرسموكي كفيل بي أن أحفظ كل ما قلته . حتى يكون كالماء . قال الرسموكي انني به كفيل على شرط أن لاتطول . والا فأخاف أن لا يفي مكفولى فأحتاج أنا الى الاداء . وأنا اليوم شيخ أشيب (٢) يصعب عليّ الحفظ . بعد ما كان والدى رحمه الله جشمنى من ذلك في الصغر . ما عفته به في الكبر . الا ما جاء عفوا . فقال الهلالى انني اذن فاعل . فقلت له : قم الآن . فقال : انك لجوج . فقلت انني غريمك وأنت مديني وغني (ومطل الغني ظلم) فقال له الرسموكي : أنت الذى تحرشت به كثيرا والآن لابد أن تقوم وتترك هذه القهوة . وكانت بينهم قهوة (٣) مطبوخة . فلم يسعه الا أن يقوم . فبقينا أربعتنا . فقال الزدوتي للسكتاني : أجز :

وحمرة من قهوة

فقال الآخر : كخجل من وجنة

وقال الرسموكي وهو يرشف منها :

أرشف منها جرعة

فقال السكتاني : كمصة من شفة

فقال لي الرسموكي : وبأى عذر لاتنخرط في الزمرة . فقلت له :

---

١) جملة من المقامات الحريرية .

٢) يظهر من كون المترجم أدركه الشيب ١١١٢ هـ أنه يولد قبل ١٠٦٠ ويؤيد ذلك أنه لازم والده كثيرا حتى مهر في الادب . وأبوه توفى ١٠٨٠ هـ

٣) من أمثال هذه الكلمات التى تأتى عفوا تعرف الاجتماعيات . وقد كانت القهوة انتشرت في العالم بسبب سفراء الترك . فها أنتذا رأيت أنها وصلت المغرب . واتخذ الاجتماع حول شربها عادة سنة ١١١٢ هـ . وأما الاجتماع على الاتاى فلم يكن في المغرب الا بعد أوائل القرن الثالث عشر . وان كان بعضهم ينسب ابتداء شرب الاتاى الى زمن مولاى اسمعيل . وهو هذا الوقت . ولكن ذلك على تقدير ثبوته ليس شائعا عند العموم . وقد مر في رحلة ابن العربى الادوزى في (الجزء الخامس) كلام حول الاتاى .

انني اقع دون المقصود . فقال : لابد أن أجربك . وأجعل ذلك فى مقابلة كفالتى اياك للهلالى . فبادر السكتاني وقال : ان هذا حرام . فان الضمان لاينتفع معه الضامن من المضمون بشيء . وقال الرسموكى : وأى منفعة لى فى اشطاره ؟ فهل أطحنها برحى ؟ أو أقضى بها لأولادى ؟ فتضاحكوا مليا ثم رجع الىَّ فقال كن أديبا . ولا تكن فقيها . فلابد أن أوقعك كما أوقعتنى. فقلت على الله توكلت. ونعم الوكيل والمعين. ثم قلت يا(سيدى أوسيدى)(١) نظرتك . فضحكوا كلهم مما قلت . فقال الرسموكى (سيدى أوسيدى) ليس بشاعر . فان كان ولابد فاستغث بوليكم سيدى يحيا بن عبد المنعم. فانه شاعر . فقلت يا سيدى يحيا لاتفضحنى بين هؤلاء الناس . فأنا من (تارودانت) مدينتك . وهذا ابن شاعر سيدى على بودميعة . فقال الرسموكى : لقد أوجدت لنا موضوعا نتساجل فيه . ولكنك اذا عجزت فلابد من نزهة فى البستان . فقلت لقد قبلت . لأننى أعلم أننى أعجز لامحالة . فقال الرسموكى : على ويحيا فى الوغى قد تصاولا

فاطرقت أتأمل ما شاء الله . حتى تهيأ لى هذا الشطر المضحك :

فقلت : كلاهما يبغى أن يطول على الملا

فتساقطوا ضحكا . فقال لهم الرسموكى : لأن يكون حرف زائد (٢) فى العروض أولى من نقصه . فقلت له وهل زاد فى الشعر حرف ؟ فقال : لا أقول لك حتى نأتى على المراد . ثم قال :

يجيش علىٌّ فى الجبال كأنه

فاطرقت أيضا متأملا حتى سنح لى أن أقول :

يحاول أن يأتى بيحيا مغللا

فقال الرسموكى : ويحك وماذا ينوى الا ذلك ؟ فقد أتيت على التشبيه وعطلته . وصار شطرك كأنه قول من قال :

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

ولكنك على كل حال وقفت مقاوما مدافعا عن صاحبك . أو هو الذى يدافع عنك ؟ وان كان شعره حيا هو الشعر . لا هذا . فقلت له : عدّ عن ذلك . واتركه الى الآخر . من غير أن تنقطع . فقال السكتانى : انه صادق . فربما احتفل فكره فترده بمثل هذه الاحاديث حتى تبرد قدره الفائرة . ثم قال الرسموكى بانيا على شطرى :

---

١) المقصود صالح بن واندلوس المدفون فى (ردانة) وبه يستغيثون .
٢) يعنى الالف الثانية من (كلاهما) .

ولكن يحيا جد فى الامر جـده

فقلت بعـد حـين : فكعءُ هزيما من يجيش بـلا ولا

فتمايلوا ضحكا . فقال السكتانى : لقد ـ والله ـ غلبـك الردانـى . فانصف الرجل . فقلت له اذن أنا أقف عند هذا الحكم . واختم المساجلة . وعلى الرسموكى النزهة . فدارت الملاجة . والسكتانى والزدوتى معى عـلى الرسموكى . الى أن أطاع لنا بالنزهة من كيسه يوم الخميس الآتـى . ثـم رجعنا الكلام حول يحيا وعلى . فقال الرسموكى : حدثنى والدى عن سيدى محمد بن الحسن بن القاسم اللكوسى وكان شيخ أبى فـى الادب (١) . ان سيدى يحيا كان يكثر كثيرا فى القصائد الوعظية أحيانا . أو الحماسية أحيانا الى سيدى على . ويقول ذلك فى كل وقت جرت فيه المكاتبة بينهما . وفى اخر أيام سيدى يحيا كتب أيضا قصيدة عالية كان أبى يحفظها. ولم استحضر منها الآن الا هذا البيت وهو المطلع :

اذا شئتم أن ترتقوا للغوارب فميلوا الى سمر القنا والقواضب

وكان دائما يعير سيدى على بأنه انما يريد الملك بطريقة جـده (٢) . فكان ذلك يغضب كثيرا سيدى عليا لأنه يرميه من ذلك بجبن عظيم . وحين أرسل اليه هذه القصيدة . وافق ذلك قوة سيدى على من استجماع القبائل عليه . وتمكنه منها . فأراد أن يحارب سيدى يحيا . فاما أن يغلبه واما أن يكف عنه تعريضه بجبنه . فأراد قبل ذلك أن يجيب قصيدته بما يوافـق مقصوده . فأمر كاتبه محمد بن أحمد بن محمد الايسى ليجيبه . وكان هو وأبوه شاعرين . وأبوه يقال له (أمحاولو) وخلف الولد أباه فى كتابة سيدى على . فقال سيدى أحمد بن محمد . وكان بديهى القول . يذكر عنـه أبـى عجبا فى ذلك .

تشب تنانير الوغى بالمكاتب وتهرب عن ايقادها بالكتائب
ففى كل يوم منك شعر كأنما على الشعر تأسيس الامور المصاعب
فلم نر الا أن نجيبك بالوغى وبالجند جند الله أعظم غالب
فبارزهم ان كنت شهما كما نرى كثيرا اذا راسلتنا بالمكـاتب
(محا السيف أسطار البلاغـة وانتحى
اليك ليـوث الغـاب من كـل جانب)

---

١) هذه فائدة نضيفها الى ترجمة أحمد بن محمد بن يعزى . فقد عرفنا الآن من أين تهذب وتشذب . فان الذين ترجموه لم يتعرضوا لمشيخته . واللكوسى هـذا مذكور فى (الجزء السابع) مع التامانارتيين لأنه ابن عمهم .

٢) يعنى الشيخ سيدى أحمد بن موسى .

فكان والدى وطبقته معجبين بجوابه . خصوصا حين اتفق له فى القافية نفسها تضمين البيت الذى أجاب به بعض العباسيين عبد الحميد المشهور . والقضية معروفة . ثم قلت لسيدى محمد الرسموكى : هل تحفظ شيئا اخر من كلام هذا الكاتب ؟ فتأمل مليا . فقال : ان الحافظة منخرمة . غير اننى استحضر قوله من قصيدة يهنىء بها سيدى عليا حين ملك (تارودانت) بعد موت سيدى يحيا . قال ذلك أول ما ورد البشير بقرب تمام الفتح . ونص ذلك الذى استحضره :

الا ابشروا فالفتح دقت بشائره	ودبت الى فجر النجاح تباشره
(ردانة) دانت فليطيلن شكره	أمام البرايا المجتبى وعشائره
تزف الى كفء وتعرفه وطا	لما خطبت نحو الهجين تناكره
اذا ما عروس زفها الدف والغنا	فذا عرس فيه تزف بواتره

الى أن قال فيها وهى قصيدة كبيرة لعلها تفوق خمسين بيتا :

اذا دار دور الفتح حول (ردانة) فزد قدما للحوز يتبع دائره

ثم قال الرسموكى : كان أبى لا يعجبه شعر هذا الكاتب كثيرا . ويقول انه يتكل على بديهته . ولا ينقح . فيأتى بقصيدة طويلة فى ساعة قليلة . ولو كان يتثبت وينقح . ويعرض ما يصنعه على الادباء قبل ابدائه . ليستمع لانتقادهم . لجاد شعره . ولكنه مستبد برأيه . على عكس سيدى محمد بن الحسن بلديه . فانه متواضع صالح . فعاد ذلك على شعره . ومما أحفظه أيضا لهذا الكاتب . ما حدثنى به والدى رحمه الله . قال : كان القائد محمد المسفوفى يغير كثير على أعمال سيدى على . باذن أميره بـ (مراكش) وهو الذى كان يثخن كثيرا فى جيوش سيدى على بالغدر وبالحرب . فجاءت يوما رسالة الى سيدى على . من هذا القائد . يندد عليه . فلم يرد أن يجيبه بالمراسلة . لانه يراه دونه . فقال كاتبه هذه الابيات . فكانت هى الجواب ونصها :

مهلا فلا تستجلن حتوفا	فغدا ترون أسنة وسيوفا
فالجند جند الله حقا لا يرى	الا الثبات ولا يخاف مخوفا
فى كل يوم تستثيرون الليو	ث بعيثكم أهل الردى (مسوفا)
لكنكم لابد أن تلقوا غدا	جندا أمامكم يصف صفوفا
فهناك يلقى من يعيث جزاءه	ان كان ما حول الترائب سيفا

ثم قلت للرسموكى : هذه أبيات حسنة . فقال : ان الرجل سيال القريحة . الا أنه قد يعثر . ولا يدرى أنه عثر . وقد كان ابوه قبله كبير المقام فى الادب لكن غلبت عليه العلوم . وعندنا فى دارنا فى أوراق شعر

ونثر . دار بينه وبين سيدى يحيا حوار ظهرت فيه مقدرته . وأنه كفء سيدى يحيا . فقلت له هل تحفظ من ذلك شيئا ؟ فقال : لا . الا أنني استحضرشيئا مما قال في سيدى على بودميعة . حين بايعه الناس . وكان والدى يروى ذلك عن سيدى محمد بن الحسن . لان والدى لم يدركه . وقد مات وأبى صغير . قال من قصيدة مطلعها :

النصر طوع يديك والتمكين	فانهض فانك طالع ميمون
فالسعد يخدم والجحافل والقنا	والسابغات وصارم مسنون
أظللت من أفق الامارة بعد ما	ساءت من أبناء الملوك ظنون
شغلوا بلهوهم المديد فضيعوا	ما انه عهد الجدود مصون
وتلاعبوا ما بينهم حتى تهـ	ـدمت الحدائق كلها وحصون

الى أن قال في ءاخر القصيدة :

انهض بهمتك التى يدرى لها	ذاك المقام الفارع المحصون

هكذا البيت على ما أظن .

فالناس كلهم وراءك ينهضو	ن ليجدع المستأسد المأفون
فلعل زيدان المهزم تنقضى	(١)
فعلى الظبى يقضى الغرير وكل من	هو بالجبايا واللهى مفتون

الى أن قال :

فالمغرب الاقصى جميعا ناظر	يوما تجول عليه منك يمين
فيرى العدالة كيف كانت والهدى	والعز بالاسلام كيف يكون
والعلم كيف يكون نشر ضيائه	فى الناس حتى يعلم المسكين
فاذن يكون المغرب الاقصى على	ما الهند تغبطه به والصين (٢)

قال : وقد بقيت ءاخر القصيدة أبيات أخرى أنسيتها . والقصيدة تنيف على ثمانين بيتا . وقد ذكر والدى رحمه الله أنه سمع ممن حضروا انشادها ممن أدركهم من العلماء . أن ذلك كان عند قبر سيدى أحمد بن موسى رضى الله عنه . وقد حضر كل العلماء الكبار . والصالحين والاشياخ . ونفاليس القبائل . وكان والدى يضحك ويقول أخبرني بعض من حضر أن بعض النظامين من أهل اللعب في الاعراس . قام أيضا يغني بمدح سيدى على . فأراد بعض العلماء أن يسكته . فقال له سيدى على : دعه . فبقى حتى

---

١) بياض في الاصل .

٢) علق على هذه الابيات فى كتاب (ايليغ قديما وحديثا) بأنها تشبه احدى الخطب التى يلقيها الرؤساء يوم يتولون الرياسة . ولا يعلم الا الله كم ضاع من الادب بضياع أمثال هذه . ويكاد هذا الشعر يكون عصريا .

أتم ما قال . فيقول والدى اثر ذلك : لا أدرى ما الفرق بين الرجلين . الا اذا عظمنا العربية فقط . ثم قال الرسموكى: ومن أقوال سيدى محمد (أمحاولو) هذه القطعة يصف أزهار الربيع باقتراح شيخه فى الادب سعيد (١) الحامدى . وهو اذذاك صغير :

أنظر الى الازهار فى ألوانها	والى لصاعتها لدى ميلانها
ما بين أصفر فاقع ومزعفر	مثل الدما انتشرت لدى فيضانها
ومكلل حبا رقيقا فوقه	كالدر قد صيغت على تيجانها
ومرقق عند الرؤوس كأنها	عسالة الارماح تحت سنانها
هذا يغض عيونه فكأنه	أحد الجنود أتت على سلطانها
وازاءه ذو مبسم متلالىء	كتلألؤ الصهباء وسط دنانها
فى هذه الازهار ان أمعنت بيـ	ـن ثغورها وخدودها بجنانها
وقدودها ورؤوسها وصغيرها	وكبيرها وذيولها وزمانها
عبر لمن يبغى اتعاظ فؤاده	بحياتها ومماتها فى ءانها
ومنازه النفس الطروب لمن ير	ود تمتعا من بين ما بستانها

قال الرسموكى : كان والدى يقول : لو لم يشتغل سيدى محمد (أمحاولو) بالفقه كثيرا . حتى بردت فكرته . لفاق شيخه الحامدى. ولكنه رجع ـ ككثير من أهل بلادنا ـ الى الفقه الذى لايعرف الناس علما سواه . ثم قلت له : أيمكنك أن تعيرنى ما عندك من أشعار هذا السيد ووالده ووالدك وكل ما عندكم من ذلك ؟ فقال : فى نيتى أن آتى اليك بذلك فى هذه المرة . لولا أن مفتاح بيت فيه هذه الاوراق تلف . واعجلنى السفر برسول الخليفة . عن معالجة فتحه . ولعل ذلك يجد عندك ما لايجده عند غيرك . لان بلادنا فى تلك الجهة اليوم قد طوى فيها هذا الفن بعد خراب (ايليغ)(٢) وموت من كانوا فيه . ولا حول ولا قوة الا بالله .

هذا ما وعدنى به . ثم لم يلبث بعد رجوعه أن سقط مريضا . ثم وصلنا خبر موته انا لله وانا اليه راجعون (٣) وسنذكر ذلك بعد الآن . ولو كان ما وعدنى به موجودا عندى لربما حفظت منه ما أمكن . فنجده اليوم . وما قاله رحمه الله عن بلاده هو ما وقع بعد ذلك فى هذه الجهة أيضا

---

١) توفى نحو ٩٧٣ هـ . وتوجد ترجمته بين أهله فى (المرحلة الثانية من (خلال جزولة) .

٢) خرب مولاى رشيد (ايليغ) ١٠٨١ هـ .

٣) حينئذ توفى محمد بن أحمد الذى نحن فى ترجمته نحو أواخر ١١١٢ هـ أو أوائل ١١١٣ هـ .

بعدما وقع لسيدى (محمد العالم) ومن كانوا يترددون اليه ما وقع . كما سنذكره بعد الآن . والله مطلع ولا اله الا الله . فلا أزال الى الآن أذكر هذه الساعة التى كتبت فيها هذه الابيات . والمقطعات المتقدمة . وقد مر على ذلك نحو ثلاثين سنة . ذهبت فيها . أمور وجاءت أمور . ولكن تلك الفكرة لاتزال بين عينى . فقد ذهب الادباء والله فى سوس اليوم . الا بقايا ضئيلة . أو من لانعرفهم . وانما نريد أن يعرف أبناء (فاس) أن الادب كان أيضا فى بلادنا هذه كثيرا . كالعلوم الاخرى (١) وقد نسيت أن أذكر أننى سألت سيدى محمدا الرسموكى عن أقوال أبيه . فانه قال انها مشتتة فى أيدى الناس . وغالبها نهب فى (ايليغ) عند بعض أولاده اخوة الحاكى الرسموكى ولكن لاتزال تحت يده بقية وعدنى أيضا أن يعيرنى اياها . ولكن ذهب الوعد بذهب الوعد (٢) . وقد أنشد لى من أقوال أبيه فى تلك العشية قوله فى سيدى على بودميعة فى قصيدة مطلعها :

الحب دين العاشق المعمود   وقياده نجل الحسان الخود

يقول فى مديحها :

ملك اذا اصطاد الملوك يعافرا   يصطاد أبطال الملوك الصيد
تتقصف الاعداء قبل لقائه   فرقا وان هو لم يفه بوعيد

ويقول أيضا بعد أبيات والضمير للاعادى :

أموالهم لجنوده . ورقابهم   لسيوفه . وجيافهم للبيد
حتى اذا ملك البلاد جميعها   كفل البنين بعطفه والجود
ذو مرة فى حربه وقساوة   قسامة للصخر والجلماد
لكنه فى السلم لين كيفما   لا ينته كالخيزر الاملود (٣)

هذا ما كتبته عنه من هذه القصيدة الفذة . وذلك ما يحفظه منها . وانشدنى من أخرى فى الموضوع نفسه . مطلعها :

---

١) هنيئا لفاس تجبى اليها ثمرات كل شىء . حتى ثمرات الادب . وما ذلك الا لكونهم يقدرون الاشياء قدرها . وما هذا اليوم الذى نقوم فيه بما تقوم به الا أخو ذلك اليوم . وان كان بينهما قرنان ونصف أو أكثر .

٢) الغريب ان جميع أخبار هذا البيت الاديب ذهبت أدراج الرياح . فلا أثر ولا بقايا . حتى عند الباقين من علماء الاسرة .

٣) المعلوم الخيزور . وقد غرنى ما هنا حتى نبهنى أستاذى مولاى عبد الرحمن . فالخطأ حينئذ فى قوله هكذا : الخيزر . كجعفر . مع أن الوارد الخيزور والخيزران لشجر هندى لين . قال :

أنا كالخيزور صعب كسره   وهو لين كيفما شئت انفتل

عليك سلام أيها البطـل الشهم ... ومن عزمه فى النائبات هو العزم

يقول فيها يهنيه بنجاته ممن يريد غيلته :

فكم رامت الاعداء قتلك غيلة ... ويأبى الرقيب العدل والحرس الشم

اذا ملك الجبن العدو يظن أن ... سيقضى مناه الختل فى السر والسم

فهلا أتوا والعين تنظر أختها ... وقد جالت الاسياف والتحم القوم

والا فما هـذا بفتك مشرف ... يحاز به فى حوزة الشرف الغنم

اذا كان حفظ الله للمرء حارسا ... فهيهات أن يغتاله كل من هموا

فدم يا امـام المسلمين لأمـة ... بقاؤك فيها العقل والروح والجسم

فنحن فداء ان تحم من ملمة ... وابناؤنـا الابرار والاب والام

وأنشد أيضا من قصيدة يرثى بها سيدى عليا . ويهنى ولده سيدى محمدا بالبيعة بعـده :

حقا تضعضع ركننا المسموك ... وانهد حصن بلادنـا المنهوك

مات الامام فمات من ساس الورى ... مالم يسس شرواه قبل مليك (١)

هكذا أحسب البيتين أملاهما علىّ . ولعلنى بدلت فيهما بعض كلمات فذهب حسنهما . كما يظهر لى الآن . والله أعلم . قـال فيهـا يهنى ولـده بالبيعة ويعزيه :

فتعز من بعد الامام فكلنا ... بمصابـه مستشرف منهوك

ما كان هذا تاركا من قوة ... فينا (٢)

لو لم تقم خير القيامة بعـده ... وبدا لنا قصد الهدى وسلوك

فالحمد لله الذى حفظ الورى ... حتى يلم سفينها المفكوك

هذا السرور يعود أيضا ثانيا ... فاستبشر القمقام والصلعوك (٣)

فى أبيات أخرى أملاها على فى القصيدة . ولكـن خانتنى حـافظة عقلى . فنسيت واما ما انتسخت فيه فقد ذهب مع كل المتاع فى قضيـة (سيدى محمد العالم) رحمه الله لا رد الله مثلهـا لـ (تارودانت) بفضلـه وكرمه . هذا ما استحضره الآن مما حفظته من الذى كتبته عن سيدى محمد الرسموكى رحمه الله فى تلك الساعة (رجـع) الى سيدى محمـد الهـلالى رحمه الله أيضا . فانه قتل فى تلك القضيـة المشئومـة المنحوسة . كمـا سنذكره بعد بحول الله وقوته . فلا أزال أتعجب من تلك الفئة التى بها انست أياما . وعرفت الادب كيف هو حقيقة . ثم لم يطل الحال فتتابعـوا

---

١) شروى كذا : مثله .

٢) بياض فى الاصل .

٣) القمقام : السيد .

موتا كما شاء الله . فأولهم الرسموكى فى بلاده مريضا . ثم الهلالى مقتولا فى الحصار الطويل . ثم السكتانى رحمه الله أسر مع الخليفة . وسجن فى (مكناس) حتى قتله السلطان فى أصحاب الخليفة . ثم محمد الزدوتى الذى هرب خائفا بعد ما وقع للسكتانى ما وقع . فاخبرنا حاج أنه لقيه فى المشرق . ثم انقطع خبره . وسترى ذلك كله ان شاء الله فيارب أرحمهم جميعا ءامين . فقد كانوا كلهم من أهل الدين . ومن أهل الطريقة الناصرية وبعضهم تلاقى مع سيدى محمد (١) بن ناصر شيخ الشيوخ . وبعضهم بالخليفة سيدى أحمد رضى الله عنه ورحمه . وانما نبهنا على مكانتهم فى الدين لئلا يسبق الى ذهن بعض أهل المدن ممن يقرأ أولا هذا الذى وصلنا من هذا التقييد فيرى الفكاهة ووصف النساء . أو وصف الخمر . فيظن أن أدباء البادية كمن نخبر بهم من أدباء الحواضر . فالامر ليس كذلك . ولذلك يجب التنبيه هنا أولا . والا فنفصل ما عرفناه عنهم فيما ياتى (رجع) الى سيدى محمد الهلالى الذى ذهب ليضع (مقامة) فتركنا . وقد أخذت فى تقييد ما ذكر . فانه رجع الينا بعد حين فقال : انه كتب غالب (المقامة) وقد أعيا فسيتمها فى الغد . ثم لما تفرغ الخليفة من أشغاله السلطانية التى لايعقل معها نفسه فضلا عن غيره . ذهب اليه الجماعة باذن الحاجب . لان خبرهم كان عند الحاجب بمجرد ما جاءوا وهو الذى أمرهم بالانتظار حتى يجتمعوا . وحتى يتفرغ لهم الخليفة . قالوا لى بعد الرجوع : اننا جزنا الصراط حقا ولكن نحمد الله حين رضى علينا الخليفة . وذلك أننا دخلنا . عليه فوجدناه فى المنزه الجديد الذى بناه فى هذه الايام الاخيرة . وقد أشرف على الميدان . وخيول الحلبة الكثيرة للعبيد تتسابق فيه أفواجا أفواجاً . وبعد ما سألنا عن أهالينا . وعاتبنا قليلا عن ابطائنا عنه حتى يحتاج الى الارسال برسول الينا . وبعد عذرنا له بأشغالنا فى ديارنا . وبطلب المسامحة منه على كل حال . بعد ذلك كله التفت الى الخدم فقدموا القهوة فى أوان حسنة الى الغاية . ثم أمر كل العبيد أن يقفوا خارج المنزه بعيدين عنا . ولم يبق معنا الا الحاجب والمكناسيون . والعبد الذى يقف على رأيه بسلاحه . وهو الذى لا يفارقه فى كل وقت (٢) . ثم قال لنا انى أعييت كثيرا فى هذه الايام . ولا يزيل الاعياء الا المساجلة فى وصف.

---

١) توفى ١٠٨٥ هـ ولم يدخل قط سوسا . ولكن كان السوسيون يردون عليه . وأما أحمد ولده . فقد زار سوسا وأخذ عنه فيه الجميع أكثرمن والده. وقد كان يبورك التازموتى المتوفى ١٠٥٨هـ شرح قصيدة ابن ناصر

٢) فهل هذه عادة اسماعلية أخذها عنه ولده ؟

فهل تساجلون باختياركم فى القافية . وفيما تختارون من وصف ما تريدون؟ أو أنا أختار لكم ؟ وأبدأ لكم المساجلة فى وصف ما أريد على القافية التى أريد . فقال له السكتانى : ان اختيارات الملــوك ملوك الاختيارات . فــلا نعدون ما تريد . وحاشانا من ذلــك . فقــال : اذن . نصف هذه الاوانى القهوية على أنها أوانى الخمر فى روض أريض . ويديرها جميل . على عادة الشعراء المتقدمين . وان لم نقتد بهم والحمد لله . فى فساد المروءة والتهتك. وأنا وأنتم لا نعرف ذلك بحمد الله . ولكننا نعرف ذلك فى كتب الادب . وأطرق هنيهة وقال :

هذى الكؤوس مشعشعات الرّاح　　فانهض نلب نــداءهــا يــا صاح

ثم قال السكتانى بعده وهو الذى يليه . ورتبهم على ما ياتى .

ما عــذر من ترك العقار بروضة　　زهــراء بــين منادٍ مــات صباح

فقال الهلالى :

فالوقت طاب وبلبل الاغصان قد　　مــلأ الرياض بصوتــه الصداح

وقال الرسموكى :

والروض أزهـــر ورده بخدوده　　والياسمين بلونـــه الوضاح

وقال الزدوتى :

فكــأن مبيض الزهـــور منضرا　　حبب الرحيق أعــالى الاقـــداح

وقال السكتانى :

وكأن محمر الشقائــق وجنـــة　　دعكت براحـــة ماجــن مــزاح

وقال الهلالى :

وكأن ذاك الــورد فى أشواكــه　　شاك تبدى فى اتم سلاح

وقال الرسموكى :

وكأن هاتيك الغصــون وميسها　　بالرفق ميس من قــدود مــلاح

وقال الزدوتى :

قم واسقنيها مثل عين الديك تحـ　　ـفز للمكارم أنفس الشحاح

وقــال السكتانى :

من كف أغيــد ردفــه مترجرج　　كالدعص بــين تقلبــات ريـــاح

وقال الهلالى :

ان مــد يشفــع ما يمد بأعــين　　نجل مراض فى الجفــون صحاح

وقال الرسموكى :

ما الــراح الا ما يديــر مهفهف　　غنـــج والا فهى دون قـــراح

وقال الزدوتى :

كل الملذات العذاب توفرت فانهض ولب الانس عند الراح

ثم أشار الخليفة أن كفى . ثم قال للمكناسيين : (أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون"؟ هكذا هكذا والا فلالا) قال : فقد والله نالنا جهد . وليس ذلك من الخليفة لانه وان كان نقادة . لكنه يلاطف بنقده . وكثيرا ما يستر عورة . وانما الذى لا نرضى أن ينتقدنا هم المكناسيون . فالموت الاحمر أحلى عندنا من ذلك . ولولا خوف اساءة الادب مع الخليفة لطلبت منه أن يدخلوا معنا فى الحلبة لنماتنهم . وعلى ان عرض علينا الخليفة مثل ذلك فى محضرهم أن أتجرأ فى ذلك . قالوا ثم دارت علينا القهوة . والخيل تحت أنظارنا من الشراجم (١) تلعب فى الميدان . ومدافعها البارودية عند كل اختتام دفعة تصدع رؤوسنا . فبعد حين وردت مذاكرة لغوية لم نشارك فيها الا بعد سؤال الخليفة ايانا . مدارها على جمع التكسير من فعلة كظبية . ومن فعلى كحجلى مثل ذلك . وذلك معلوم عندنا فى (سوس) ضرورى نعد المذاكرة فيه فى مجالس الانس كمثل المذاكرة فى الفاعل والمفعول والمضاف والمضاف اليه . وذلك كله ثقيل . لانه معروف ضرورى شبعنا منه فى (الموضح) وشروح (الالفية) كالشاطبى والمرادى . وأمثالهما . وبعد تلك المذاكرة التفت الينا الخليفة . فقال : هل لكم فى مساجلة أخرى فى خيل الحلبة هذه بألوان خيلها وسواد ركابها . وأصوات مدافعها ؟ فقلنا على السمع والطاعة فاطرق الخليفة . كأنه ينسج مطلع المساجلة . فتأتى لى هذا المطلع . فقلت له قد حضر مطلع يا سيدنا فقال : قل . فقلت :

سوابق مولانا بروق لوامع ذاواهب فى دجن السحاب رواجع

وقال الهلالى :

صفوفا صفوفا كالعقود تناسقت على صفحات النحر والنحر ناصع

وقال الرسموكى :

اذا أبرقت من جريها المومض الخطو ف ترعد ما بين البروق المدافع

وقال الزدوتى :

فلا تستطيع العين تثبت عدها اذا استرسلت فى جريها تتدافع

وقال السكتانى :

كأن الرياح الهوج صفن قوائما لهن فكيف العاصفات الزوابع

---

١) النوافذ . جمع شرجم كجعفر . وقد خرجها بعضهم عربية بأن أصلها شراجب . أى الطويلات .

وقال الهـــلالـــى :

خيول لها الالوان شتى كأنما تلوّن وشيٌ من قطائف لامعُ

وقـــال الرسموكى :

ولكنما الفرسان ما منهم سوى ابىالمسك عاليهم منألباس ساطع

وقـــال الزدوتى :

اناسى عيون العصر منبأسهم اذا يعز أمـام الزاحفين المـدافع

وقـــال السكتانى :

قـــد أبيضت الاخـــلاق منهم وكـم ترى
مـــن أبيض تعلـوه الخـلال السوافـع (١)

وقال الهـــلالـــى :

اذا لم يك الانسان أبيض شيمة أترقبه بيض الموشيات النواصع

وقـــال الرسموكى :

بلى ان تكن بيض الخلال فانه وان كان مسودا لامجـد فارع

وقـــال الزدوتى :

كأمثال أبطال البهاليل هؤلا ء من هم شموس فىالسباق لوامع

وقـــال السكتانى :

على حِدَ اقبْل ضوامر. والصفا اذا وطئت فى جانبيها يرامع (٢)

وقال الهـــلالـــى :

فلولا مران الراكبيها ومرة باعضادهم والمحكمـات القوامع

وقـــال الرسموكى :

لما انقدن هذا الانقياد كما نرى فتسلس فى أيديهم وتتابـع

وقـــال الزدوتى :

فمن شمته منهم وان كان قارحا مسنا يرى فى الطفر أنه يافع ؟

وقـال السكتانى :

اذا أظهروا فىالحلبة اليوم ماترى فكيف تراهم اذ تدور المعامع

---

١) السُفعة بالضم . سواد اشرب حمرة .

٢) الحدأ بكسر ففتح جمع ِحدَأة : الطائر المعلوم . تشبه به الخيـل . والقُبل جمع قبلاء : التى تنظر بطرف العين الى الانف . وتوصف بـذلك الخيل أيضا . قال الشاعر :

وتبلى الالى يستلئمون على الالى تراهن يوم الروع كالحدا القُبْل

واليرمع كجعفر : الحجر الابيض الذى يتفتت بأدنى شىء .

وقال الهـــلالـــي :

فهل كان هذا اللهو الا عناونا لما هو يوم الجد فى الحرب واقع ؟

وقـــال الرسموكي :

فكـل مصون بالجنـود كهذه حصين الى الاباد . ما هو ضائع

قالوا : وهنا أشار الينا الخليفة كفى كفى . فقد بالغتم . وفقتم فوق ما يراد منكم . فلله در مجالس تعلتموا منها . وأمهات أرضعتكم بلبانها . (فعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان) ثم التفت الى المكناسيين . فقال لهم بالله عليكم : أترونمثل هذه السرعة فى مثل هذا الوصف القليل ؟ وقد فرعوا فيه ما شاءت لهم قرائحهم . حتى خفت عليهم انشقاق المرائر من كثرة التفكير . وهل هناك فى المغرب اليوم مثل هذه السرعة في المساجلة ؟ فقال له أحد المكناسيين ان هذا حقا لنادر . وما رأينا قط فـي مثل هـذه السرعة الا فلانا (وسموا رجلا لم نعرفه) ولكن رأينا منه ذلك في القصائد لا في المساجلة والمماتنة . ولايشك انسان ان السرعة في قصيـدة الانسان وهو يتبع معناه وحده كما يتيسر له . غير عجيبة . كما هو العجب منالسرعة في المساجلة . والانسان مرتبط في بيته بالبيت قبله . ثم ليس في سعة من الوقت ينتقى فيه . وهذا على كل حال نعمة من نعم الله وفضله (وذلك فضل الله يوتيه من يشاء) ثم قال الخليفة : ان هذا اليوم قد أعطيناه حقه . ثم قام وقمنا بقيامه فاستوقفنا عبد في باب المنزه ثم خرج الحاجب ومال بنا الى مكان استخرج منه هذه الحلل . فمكن لكل واحد واحدة . وصرة من الدراهم . ثم قال الحاجب انكم أضياف الخليفة . وحيث اخترتم صاحبكم في النزول . فتصلكم المئونة . ثم عليكم أن تتأهبوا للاقاة الخليفة كل وقت ليلا أو نهارا في دار صاحبكم . وهو اليوم مشغول كثيرا . ولذلك لايمكن له التفرغ الا قليلا .

هذا ما حكوه لى . وقد ظهر بعد ذلك ما كان الخليفة مشغولا به . فانه وان كان يعتذر بأمور السلطان . فانما هو مشغول بتهنئة الامر لنصره . وقد كان يفاوض رؤساء (سوس) ويستألف كل أحد . حتى كان عند الناس كالملك المقرب بحبهم اياه . فما يخيب أحدا . حتى العجوز . واما الرؤساء والفقهاء وكل ذى شأن . فانه مشغول بارضائهم . ووعدهم بكل شيء . حتى تهيأ له ما أراد . كما نفصله ان شاء الله فى فصل على حدة . لتعلقه بأخبار أدبائنا رحمهم الله .

وليعلم الناظر اننا ما اعتنينا بهذا الخليفة كثيرا حتى صرنا نذكر كـل شاذة وفاذة فى تشييده بأدباء (سوس) ومدحه لهم . الا أن تلـك شهـادة

يقبلها الفاسيون وغيرهم . لان شأن هذا الخليفة في الادب والعلم . قد أجمع الناس عليه طرا . وقد كان مذكورا بذلك في كل مجمع . حتى صار مثلا سائرا فيمعرفة الشعر وانتقاده . ولم يكسف ذلك الا ما انتشب فيه حتى قتل . فخاف الناس . فصار الحديث عنه بتورية . ما شاء الله . ثم صار ذلك ينسى شيئا فشيئا . والرجل بين اخوته غريب في الدين والعلم والادب والكرم . ومخالقة الناس . وكان أهلا للامارة . غير أنه أسرع اليها قبل ابانها . (ومن استعجل شيئا قبل أوانه . حرمه في ابانه) (وكان أمر الله قدرا مقدورا) وقد ورد علينا كثيرون من اخوته . وغالبهم ذو علم . ولكن اين الثرى من الثريا ؟ وهذا خليفتنا الاخير سيدى عبد الملك مع حزمه وعلمه وأدبه . دون ذلك العلامة المحبوب بكثير . والله مقسم الحظوظ . ثم في يوم الخميس المقبل أقام لنا الرسموكي النزهة . ولولا المبالغة في المباسطة لما لاق بأدب الضيافة ذلك . ولكن كيس الادباء واحد كما يقولون. ثم كانت هناك مساجلة لابد من ذكرها . وقد ضلت عني منها أبيات . ولكن أذكر ما استحضرته . وذلك اننا بعد ما أكلنا ما وجد . دارت كؤوس القهوة . فقال الرسموكي . وكان خفيف الروح الى الغاية . كثير الدعابة . ولولا خلقه الصحيح . ومحافظته على صلاته . وتباعده عن المخازي(١)لقلت انه (أبو نواس) فانه كله لطف على لطف . قال لأصحابه : انني منذ وصفت أولئك الحراطين السود المناحيس المناكيد بذلك البيت الذى اقتضته الضرورة في تلك المساجلة . وهو :

ولكنما الفرسان ما فيهم سوى ... أبى المسك عاليه من الباس ساطع

لم تزل حزازة في نفسي كمثل الحزازة التي لابد أن تكون في نفس المتنبّي حين يقول :

واخلاق كافور اذا شئت مدحه ... وان لم أشأ تملى عليَّ فأكتب

ويقول :

أتتنا به انسان عين زمانه ... وخلت بياضا بعده وأماقيا)

فقد كفر هو بمثل قوله :

من علم العبد ياللناس مكرمة ... اباؤه السود أم اخلاقه السود

لاتشتر العبد الا والعصا معه ... ان العبيد لارجاس مناكيد

أو كما قال الرسموكي في بيت المتنبي . وقد حصل لى شك في البيتين. ولم يكن عندى ديوانه . وقد نهبت بين كتبي فيالقضية المشئومة (٢)

---

١)هذه هي أوصاف أديبنا داود من أهله . حفظه خلق صحيح . ومحافظة على الصلاة وتباعد عن المخازى . وسترى ذلك قريبا في ترجمته .

٢) فليصححهما في ديوانه من شاء .

قال الرسموكي : والآن دخلت عليكم بـ (سيدى أبى العباس) وسيدى احمد بن موسى) الا ما أعنتمونى . ولكم حقكم من الاجر . فتضاحكوا . وقالوا : على الرأس والعين . فقال الزدوتى : كان ينبغى لك أن تخفر ذمتك . لانك أنت الذى سقتنا بافتتاحك الى مدحك أولئك المناكيد . بعد ما كنا فى وصف الخيل . ولاريب أنه ما حملك على ذلك الا الحصر والعى فى الزيادة فى وصف الخيل . فقال له الرسموكى : انى أقر بذلك . وياطالما ألجأت الضرورة الى ما لا يحبه الانسان ولا يقصده . فهذا الصاحب بن عباد كتب الى قاضى مدينة (قـم) قولـه :

أيهـا القاضى بـ (قـم)   قـد عزلنـاك فقـم

فابتدر القاضى مدهوشا من عزله بلا جريمة . فقال الصاحب ما أنا عزلتك . وانما عزلتك القافية والجناس . وهذا مـا جرى لبعض المـولعين بالجناس من الفاسيين . فقد حدثنا من كان يعرفـه . وهـو يهـوى بعض السلويين . حتى ادعى أن له هياما به . فأراد أن يكتب اليه رسالة بأبيات . فسبق اليه أن قال :

يا حبيبى بسـلا .

فلم يتأت له الا أن قال :   ان قلبى قد سلا .

فكان ذلك هو السبب . حتى أتم الرسالة بالمقاطعة . حبا للجناس لا غير . ثم أقلع عن حبه . فقيل له : ما لنا نرى سلوك عن محبوبك . بعد الهيام به . فقال : ان الجناس هو الذى حال بينى وبينه . فكان بين أصحابه مثلا سائرا . وكذلك أنـا اليوم . ولا عيب أن يقر الانسان بذنبه . وقـد اعترفت أن ذلك سيئة . وأردت اليوم أن أعمل حسنة (ان الحسنات يذهبن السيئات) والمرجو منكم أن تعاونوا أخاكم فى البر مثل هذا (وتعاونوا على البر والتقوى) ثم أطرق قليلا فقال :

مدح العبيد المنتنين جريمة   ويد الذى قد شاد منه أثيمة

قـال السكتانـى :

ماذا يقول المادحون بزبلة   قد دودت فى بولة ملمومة

وقـال الهـلالى :

أو وطبة قد أنتنت فى ءاسن   مستنقع فى مربط ابهيمه

وقـال الزدوتى :

نتن المراحض فى الشتاء ولا صنا   ن العبد صيفا اذ تكون كليمه(١)

١) صنان كغراب : رائحة الابط .

وقـــال الرسموكي :

ان الملائك قد تسد انوفها ... من نتن مضغته التي بمشيمه (١)

وقـال السكتانـي :

أني عباد الله يمكن أن يرى ... ذو همة أحد العبيد نديمه

وقـال الهـلالي :

أو أن يكون له وزيرا والعبيـ ... ـد صلاحهم في ذلة وهضيمة

وقـال الزدوتي :

اني لأعجب من أمير المومنيـ ... ـين غداة يجعل للمناحس قيمة

وقـال الرسموكي :

فيظل يجمع منهم بين القبـا ... ئل زمرة بين الانام زنيمة (٢)

وقـال السكتـاني :

فيقيم منهم جنده ويريد أن ... تبقى به هذى البـلاد قويمـة

وقـال الهـلالي :

انا ولسنا منكريـن لرايـه ... كـلا ولسنا فاهمـين فهومـه

وقـال الزدوتي :

لنرى ولا عيب علينا ان رأينا ... في الحراطن عكس رأى حذيمة(٣)

وقـال الرسموكي :

أن العبيـد جماعـة منحوسة ... كان الفساد لهم جميعا شيمة

وقـال السكتانـي :

فالعبد ربتما تصالح ان رأى ... بطشا عليـه ديمة مركومـة

وقـال الهـلالي :

لكنه ان زال عنه البطش را ... جع حالة تعتاد منه قديمة

وقـال الزدوتي :

ياليت شعرى هل بنو الاحرار أحـ ... ـلاس الوغى والمكرمات عديمة ؟

---

١) المشيمة : الجلدة التي يكون فيها الولد في البطن . كأنه ينظر الى قـول المتنبى :

ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم ... الا وفى يده من نتنها عود

٢) الزنيم في القوم : الملصق فيهم .

٣) فى حاشية أصل المنسوخ منه . الاولى أن يقال :

لنرى ولا عيب اذا ما كـان رأ ... ى قصيرنا فى ضد رأى جذيمة

وقصير اسم أحد أصحاب جذيمة . مشهور بالرأى المصيب .

وقـــال الرسموكي :

حتى يُوَسَّد أمر هذا الجند الا ... رجاس أهل العادة المعلومـة

وقــال السكتانــي :

فهم اذا شبعوا زناة أو هم ... جاعوا فسلاّلٌ ولو للثومة (١)

وقـــال الهـــلالى :

أيريدهم للمجد سيدنا وهم ... مثل الخوابى للخنا مختومة ؟

وقـــال الزدوتي :

أم للدفاع وللحروب مثلهـم ... من يوقعون عن الجيوش هزيمة

وقـــال الرسموكي :

أم لاغتنام للاعادى والعبيـــ ... ـد نفوسهم عند العدو غنيمة ؟

وقـــال السكتـــانى :

أعلى سفالته يدافع أم على ... نفس بجانب سوأتيه لئيمة ؟

وقـــال الهـــلالى :

أم عن مخاز أورثتها أعبـــد ... رئموا المذلة كـل عصر ديمة ؟

وقـــال الزدوتى :

ماذا يرجى منأخي السفساف ان ... أضحى لسرح فيالبلاد مسيمة ؟

وقـــال الرسموكى :

أيسيمه فى غير ما قد كان يعـ ... ـرفه الذى قد كان صنوبهيمة ؟

وقـــال السكتـــانى :

فى مأكل أو مشرب أو منكح ... لاغير . فهى له المنى المعلومة

وقـــال الهـــلالى :

امـا السمـو بهمـة فعالـة ... كيما يمجد فعلـــه اقليمـــه

وقـــال الزدوتى :

فبنوا السواد بقضهم وقضيضهم ... منه براء (٢)

وقـــال الرسموكـــى :

أنى لأبصر واحدا منهم يمـ ... ـرُّ فاغتدى بمطاعن مسمومة

وقـــال السكتـــانى :

واحس من عينى قذى متراكما ... حتى يكون بوسطها كالكومة

وقـــال الهـــلالى :

وتثوب أنفاسى علىَّ كـأنمـا ... حولى جياف الحُمر ذات زهومة

---

١) السلة بالفتح : السرقة . والسلال جمع سال : السراق. ومن الامثال: النحلة تدعو الى السلة أى الفقر يدعو الى السرقة . ٢) بياض فى الاصل.

وقـــال الزدوتى :

انى أطيق جلوسهم من غير ان ... انقـدُ من أنفاسى المكظومـة

وقـــال الرسموكـــى :

انى لأعجب من مقرٍّ بهم الـــى ... أن تغتدى سكهاتهم مشمومة

وقـــال السكتـــانى :

ويظل فى انتانهم ويبيت مغـ ... ـتبطا بأى معيشة موهومـة

وقـــال الهـــلالى :

سبحان منجعل الطباع منالورى ... فيما يزاول عندهم مقسومة

وقـــال الزدوتى :

هذا كمثل النحللاترعىسوى الا ... زهار وهو بعطرها مفغومة (١)

وقـــال الرسموكـــى :

والبعض كالجعل الذى لايستطيـ ... ـب سوى مزابل عنده ملزومة

وقـــال السكتـــانى :

حتى نراه يستطيب فراش احـ ... ـدى السود طول حياته المذمومة

وقـــال الهـــلالى :

أتراه يعشق مشفريها أم مفلـ ... ـطح مرسنيها أم جبينالبومة(٢)

وقـــال الزدوتى :

أم ءاجنا نتنا بشدقيها وأحـ ... ـلى منه ما تلقاه فى الزقومة (٣)

وقـــال الرسموكـــى :

أم جلدها الخشن المشقق كالاكا ... ف اذا ظواهره غدت مفدومة (٤)

وقـــال السكتانى :

أو من يكون ذكورهم واناثهم ... مستجمعين معا لكل ذميمـة

وقـــال الهلالـــى :

يجـدى تكلف مدحة فى بعضهم ... كانت من المداح شر جريمة

وقـــال الزدوتى :

فيم التكلف يا أناس لـمـافك ... زور عظيم - لايكفر - فيمه

وقـــال الرسموكـــى :

قذيت عيـونكم بأزبال عـلى ... تلك الخيول بحلبة منظومـة

١) فغمه العطر : ملأ خياشيمه .

٢) مشفر البعير : شفتــه . ومرسنه أنفه الذى يكون فيه الرسن اى الزمام . وكبر أنف الاسود جعله مرسنين اثنين .

٣) الزقوم كالقرون فى الجبال يكون منه ما يشبه اللبن .

٤) عليها الفدام .

وقـــال السكتانى :

فزعمتم والزعـم ياثـم ربـه   لاسيما ان يكتتم معلـــومـة

وقـــال الهلالـى :

أن العبيد محصنون فـلا تضيـ   ـع بهم حصون دائما معصومة

وقـــال الزدوتى :

هذا لعمر الله أعظم فرية   كانت على جبهاتكم مرقومـة

وقـــال الرسموكـى :

لو كان فيالعبد الخسيس صيانة   حقا لصان رقابه المزمومة (١)

وقـــال السكتانى :

هيهات أين صيانة ممن رأى   ذل النخاسة فهى منه عديمة ؟

وقـــال الهلالـى :

لاصون لا أخلاق فى أهل السوا   د فكيف منهم باسلٌ بعزيمة

وقـــال الزدوتى :

فالقوم للحرف السواقط منيريـ   ـد العبد فليجعل هناك خديمه

وقـــال الرسموكـى :

أما الصدارة والحماسة والامـا   نة فالجماعة عندهـا مظلومـة

وقـــال السكتانى :

لكنهم عنـد الاكافـة والزبا   لة منهم فيها المرونة شيمة

وقـــال الهلالـى :

هذى شريعة طبعهم نقضى بها   بنزاهة مـن حكمنا معلومـة

وقـــال الزدوتى :

والله يعلـم أننـا لا نعتـدى   حتى على فئة الخنا المهضومة

وقـــال الرسموكـى :

الحق يا للناس حق فاعلموا   أن العبيد صلاحهم بهضيمـة

وقـــال السكتانى :

هذا القضاء الفصل فىالارجاس نع   ـلنه بئاخر جملة مختومـة

انتهت المساجلة الغريبة وما كادت . وقد شفى الرسموكى غرضه فى العبيد . ويا ليته عاش حتى الآن لينظر كم وصلوا عند السلطان . فقد ملأوا كل ناحية . ونالوا من الغنى والحرمة والجاه ما لم يكن لهم فى ذلك الزمان . وأمرهم فى الدولة لايزال فى اقبال الى اليوم (ثم أقــول) : ان

١) التى فيها الزمام .

هذه القصيدة لايجوز لمن تقع في يده أن يظهرها في هذا العصر الذى يسود فيه هؤلاء . فان التقية واجبة . فكما أن المجالس بالامانات . فكذلك ما في الكتب . خصوصا الادب . والادباء تملكهم أريحية . فيقولون ما يعن لهم . من غير أن يقصدوا لاحد . أو غمز القناة .

ثم طرقنا في البيت بعد ذلك أحد المكناسيين من بطانة الخليفة . فداخلهم بالحديث كثيرا . ثم أجرى معهم ذكر القصائد المتقدمة . فقال لهم ينقصها شيء واحد . يحبه الخليفة وهو اليوم كما تعلمون أفضل اخوته . وهو أولى بهذا الامر بعد السلطان . بل هناك من الوزراء من يفضله على أبيه . ولا بأس ان قلتم قصيدة أن تشيروا الى هذا الجهة اشارة ليست بصريحة في كلام مثل ذلك . ولما خرج قلت لهم: انني أشير عليكم أن لاتورطوا أنفسكم . وامشوا بمقدار . فأما الرسموكي فقال : انني قد ذقت ما بين الملوك في أيام سيدى على وولده سيدى محمد وأعدائهما . وقد كدت أهلك يوم خراب(ايليغ) فالله يحفظني من أن أتداخل في مثل ذلك . وانما أجعل نفسي كالطير يلتقط ما سنح من الحب ثم يطير . وقد صدق في ذلك . ولم يتورط في قصيدته الآتية . بخلاف أصحابه . ثم بعد أيام استدعوا الى الخليفة . وقدموا ما صنعوا . فهذا ما صنعه الرسموكي . أذكر ما حفظته . لأن أواخرها نسيته .

أفي كل وقت التقي واللواحيا ... فيا ويلتنا ما للواحي وما ليا ؟
كفاني الذى بي من غرام مقلقل ... ولوعة قلب كان بالوجد لاظيا
فهل في فضل بعد ذلك للذى ... يقرع مني شاخت الجسم ضاويا؟(١)
فما ديدني الا التململ والبكا ... متى ابصرت عيناى برقا يمانيا ؟
أظل نهارا في اختلاء وفكرة ... وأسهر طول الليل المنجم رانيا
سهاد ووجد وانتحاب ويا لها ... نواغل حين الطبيب النطاسيا (٢)
فلولا أمانيُّ التواصل لم أبل ... متى ماقضى دهرى الذى كان قاضيا
أأحباب قلبي والذين بعشقهم ... أرى مثلا بين الاحاديث ساريا
ومن بهم روحي تعاودني متى ... أشم ببرق وصل منهم كان كافيا
انا لكم كونوا كما شئتم فلا ... أميل وان يرم الهوى بي مراميا
فياطالما عنفت فيكم فلم أعر ... صماخا لما كان المعنف واعيا
بل ازداد بالتعنيف وجدا ولوعة ... فكيف اللظى بالعاصفات هوافيا(٣)

١) شخت ككرم فهو شخت وشخيت : ضامر الجسم . ولم أر في القاموس الوصف بالشاخت . والضاوى : الهزيل .
٢) نغل الجرح كفرح : المفاسد .
٣) هفت به الريح : حركته .

الا ليت شعرى هل أعيش لحقبة ... ارى الوصل أيضا مثل ماكان ضافيا
فاسترجع اللذات خضرا نواضرا ... أرى لى فيها يانع العيش دانيا
فيرجع لى عهد سعيد كأننى ... أراجع جلاس الخليفة ثانيا
اولئك قوم لاحظتهم سعادة ... فلاحظهم من كان شهما منافيا
وأى اعتلاء فوق من كان خير من ... تناسله خير الورى عنه راضيا
فيا فرحى يا قوم اذ كنت بينكم ... جليسا برضوان الخليفة حاليا
فكم مرتج هذا المقام وغابط ... لمن كان فيه طالع النجم ساميا
نصاقب مولانا الخليفة سامعا ... مجيبا . فشكر الله أبيض صافيا
فحزنا به والفخر حظ وكما ينل ... كنوزا عظاما يغتدى متساميا
جلسنا الى العبسى لكنه اذا ... تدفق درسا يستحيل البخاريا(١)
كأن أحاديث البخارى جميعها ... وأبحاثها والمشكلات العواصيا
تسطر فى عرض الجدار أمامه ... متى مايردها يرسل الطرف رانيا

ومنهـــا :

اليك قصيدا مستجادا منقحا ... يُروق ترويـق الخبير لياليـا
نعم انه قد قاله العبد لحظـة ... ولكن رأى نقدا مدى الحول فاليا(٢)
الى أن أتى فلقا عجيبا مخير الـ ... ـزهيرين ذاك الجاهلى والبهائيا(٣)

وأما ما قاله الهلالى فهو هذا :

(حكى راشد بن فلاح . قال : كنت مذ درجت من حجر أمى . وعرفت طوقى من كمى . مولعا بتتبع الفوائد . وناصبا لها ولأهلها المصائد . فما أشيم من جهة برق أدب الا طرت اليها . ولا توسمت من طلعة بهية حكمة الا ربطت لديها . فكنت أجوب البلاد شرقها وغربها لذلك . فأظل وأبيت مصعدا منحدرا فى كل المسالك .

فطورا الى مصر وشام وتفليس ... وطورا الى فاس فناحيتى سوس
فلم يبق من قطر يفيد ارتياده ... سوابق خيلى والرواسم من عيسى
سوى ان بدت فيه طلائع رفقتى ... فأجمع ما فيه من العلم فى كيسى

واننى مع ارتيادى لمدن الاسلام . ومثافنتى لكل الاعلام . لا أزداد الا النهم . وارتقب أن اسمع من جديد بعلم . وقديما قــال ابن عبــاس : (منهومان لا يشبعان : طالب دنيا وطالب علم) . فلم أزل على ذلك حتى

---

١) العبسى : يعنى عنترة .

٢) فَلَى الشىء يفليه : اذا فتش فيه متتبعا .

٣) الفلق بكسر فسكون : العجيب . وزهير بن أبى سلمى : الشاعر الجاهلى . والبهاء زهير من شعراء نحو القرن السابع . رقيق الشعر سلسه

انضيت قوة الشبيبة . ودب الىً طور الكهولة دبيبه . والشعرات القليلة من الشيب تتراءى من شعرى . وتباشير الفجر المنير تطل الى سحرى . وذلك طور تفتر فيه همم الناس. ويطوف التبلد فيه على الاكياس . فيميلون الى خلع البيد والظلماء واليلب. والقاء العصا واراحة العيس والقتب(١) لكنني أنا أتعجب حين وجدتني كهلا هوانا يافعا . وهمتي همتي تدفقا وتدافعا . لا أزال أتطاول الى هامة الثريا . ولا أكاد أجد كلما وردت منهلا ريا . حتى عرفت في الافاق . بعلم هذه الهمة الخفاق وحتى صرت مثلا في الحرص على الاستفادة مضروبا . أخرق اليها تنائف ودروبا (٢) . فبينما أنا يوما أنزل بفندق رحيب في ربيع خصيب . في (مكناسة الزيتون) ذات السيف المسنون والعيش الرغد المضمون . من مجاورة الملك المصون . خرجت أجول في أزقتها . وجيوش السلطان تموج فيها تحت أسنتها . وهي مكتظة بخيوله المطهمة التي تترنح في أعنتها . فدفعت الى جماعة أنيقة فوق شرف. وعلى حميا كل واحد منهم سيمى الشرف . فتوسمت أنهم أدباء . مما لمحته منهم من الاريحية المزوجة بالاباء . فحملتني رغبة مثافنتهم النافعة كما أحسب . ان أعرج عليهم بالتسليم لعلني بسبب حبلها أحتطب . فاذا الحِسبان . جاء بما فوق الحُسبان (٣) فسرعان ما ارتفع التكليف بيننا كما هي العادة التي كانت بين الادباء دائما ديدنا . فانتسبوا وانتسبت . فخلبوني بلطفهم كما انني أيضا خلبت . فقال أحدهم : لاشك أن طالع هذا الوقت سعيد . اذ جمع بين القريب والبعيد . اجتماعا لذيذا كأنه صباح العيد . فقلت : كيف الادب في هذه المدينة اليوم ؟ وكيف منزلة الاديب بين القوم ؟ فقال : ان الادب اليوم قد ذوى قضيبه . وصوح خصيبه. بعدما كان في سعد السعود . ذا ترق وصعود . فسألته عن السبب . مع أن ذلك من العجب. لأن الدواعي توفرت كلها . وغيوث البواعث الثً وبلها(٤) وهذه المدينة اليوم قطب المغرب واليها كل ما لـه ينسرب . والادب من مكملات الترف . ومدعمات مراتب الشرف . فقالوا : ان كل ما قلت صدقت فيه . مما يجول حول الملك وذويه . ولكن الثروة وحدها غير كافية . ان لم تكن معها أريحية طافية . وقد كان لملكنا السعيد ولد هو وحده الاريحى

---

١) اليلب محركا : الدرع . قال بديع الزمان :

ءاليت أن لا أريح العيسَ والقَتبا وألبس البيد والظلماء واليلبا

٢) التنوفة : الصحراء .

٣) الحسبان بالكسر : الظن . وبالضم : من الحساب .

٤) ألثً المطر الثاثا : انهمر بكثرة .

الاديب الطامح . القادر قدر بنات القرائح . فكانت هذه المدينة به (بغداد) الثانية . أو كمدن الاندلس القائمة بالاداب العالية . فكنا نجول به بين (الكرخ والرصافة).وحول نهر (اشبيلية) متتابعين ضفافه . حتى غيض الدهر من تصافينا . فعرضنا تلك المواصلات بيننا بتجافينا (١) . فأصبح ابن السلطان عنا راحلا . الى مكان يكون فيه في أردية أريحيته رافلا . فاكتست (مكناسة) بعده ثياب الحداد . حتى صارت بعده صالدة الزناد (٢) . فنحن هؤلاء الادباء وأمثالنا أثر رحيله أضيع من يتيم في سماط . وأفرغ من حجام ساباط . تتناكرنا المحافل . ولا يتأتى لنا من هو بعد ذلك الراحل بنا حافل . . فلا تسأل عن جدب الجيوب . وتوالى الكروب . فلولا بقايا من كرم ذلك العصر الماضي . لاتت على أعناقنا المواضي. فقلت له : ويحك . أيّ أبنـاء السلطان تعنى ؟ فانهم فى أرجاء المغرب كثيرون . فانهم في (وجدة) و (مراكش) و (سجلماسة) و « تارودانت » متفرقون . فقال : ان من ختمت به هو يتيمتهم الوسطى . وشرفه على شرفهم كلهم قد غطى . فلو كان فاقهم بخصلة واحدة لربما يقال : انهم لمجده مقاربون . وانهم ان جد جدهم ربما يرون يوما وهم فى مطلعه طالعون . ولكنه بحر علما على اختلاف فنونه . ودهر صئولا بحد مسنونه . وغيث كرما اذا أتى عفو جوده . وسيل طافح ايثارا ان قصد ان يفرغ الى انسان كل موجوده . فقلت له وأنا لا يهمنى الا العلم والادب . لا الصولة ولا الجود بالنشب . بين لى رحمه الله ما هى منزلة الرجل فى علومه الجمة . وأجمل ذلك مع تبيين فى ضمن جملة . فقال : ان النحو واللغة وفنون العربية على أنواعها . والفقه والتفسير والحديث على اختلاف فنونها مع التئامها تحت ذلك واجتماعها . والادب والاطلاع والتاريخ وجودة النظر وحسن الاختبار. وأريحية تلك الفنون واستحضارها على أتم ما كان لذلك من كثير الاعصار . كل ذلك فى قبضة ذلك العلامة البارع . الذى ما مثله من تجول أخبار براعته في المجامع . فقلت له : ماذا يسمى ؟ قال : يسمى محمدا العالم . لانه يحمد كثيرا بكل لسان على ما أوتيه علما .

---

١)من قول ابن زيدون فى نونيته :

غيض العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغص فقال الدهر امينا

وأولها :

أضحى التناءى بديلا من تدانينا — وناب عن طيب لقيانا تجافينا

٢) صلد الزند : اذا لم يور بعد قدحه .

وقلما ابصرت عينــاك من رجل الا ومعناه ان فتشت في لقبه

فقلت له : عليَّ ان أقتحم المثبية حتى ارتوى من علمه الفياض . واستظــل بذيل ظله الوريف الفضفاض .

وقالوا جميعــا ان مصر بعيدة وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر

فقمت في الحين الى مطيتى . مستجمعا همتى لطيتى . وأنا أنشد لها . وهي تطوى سبلهــا :

واذ المطى بنا بلغن (محمدا) فظهورهن عــلى الرجـــال حــرام

ثم لما حللت في حضرته . وغمرت من علمه بلجته . ذكرت قول (محمد بن هانى) وأنا أرتع عنده فى كل الامانى :

كانت مساءلة الركبان تخبرنــا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا بحمد الله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري(١)

ثم مثلت بين يديه . رافعا عقيرتي أنشد . وأنا قد احتبلني عن أهلي مدده :

اليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمى فى الظلام وصارمي ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر
فبشرت ءامالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

فنسيت نفسي والاولاد . وقلت هنا المقام الى يوم التناد .

(فان لم يكن الا أبو المسك أوهم فانك أعلى فى الفؤاد وأعذب)

* * *

هذا ما وجد من (نفحات الشباب) ويدرك القارىء أنــه مبتور . ولا يدرى هل هو مبتور من أصله . لم يتمه جامعه . أو هذه النسخة الاصلية هي المبتورة . وايا كان فان فيه ما لم نجده في غيره من أخبار أدباء لم نسمع بهم قبل . كالسكتاني وأصحابه . فاننا ما وقفنا لهم على أثر أدبى الا هنا. ولم يتيسر لنا أن نزور قبائلهم . لعلنا نقف هناك على اثارة من أخبارهم . أو نجد ممن يمت الى أسرهم من أخبارهم ولــو بصيصا . (نعم) سألنــا في سكتانة عن الاديب ابرهيم فلم نجد هناك له خبرا . ومن هناك نعرف مقدار هـــذا الكتاب .

الحادي عشر : مبارك بن مسعود التاغتيني

رأينا ذكره في (وفيات) الرسموكي . قال فيه :

(مبارك بن مسعود بن على الرسموكى التاغاتينى . صاحب المداعبات

---

١) المحفوظ فى هــذا الشطر :

ثم التقينا فلا والله ما سمعت

الشهيرة . والمفاكهات الحسان . صاحب ولى الله . سيدى أحمد بن موسى . وسيدى يحيا بن عبد الله التيملى . توفى قبيل وفاة السلطان المنصور ـ يعنى أحمد الذهبى السعدى ـ رحمهما الله ببلدته)

فمن هنا علمنا أنه من أكابر الصوفية . لانه صاحب هاذين الشيخين ولم يصلنى عن مداعباته ولا عن مفاكهاته شىء . بل لم نعرفه الا من هنا . والغالب أنه من هذه الاسرة التى نحن فيها . لانه منسوب لقريتهم . وان كان قد يساكن قوما من ليس منهم . والله أعلم .

الثاني عشر : عبد المنعم بن عبد الواسع التاغاتيني

قال فيه الكرامى فى (بشارة الزائرين) :

(ومنهم الشيخ الصالح العابد سيدى عبد المنعم بن عبد الواسع الرسموكى التاغاتينى . أخبر بوفاته الفقيه الصالح سيدى عبد الله بن يعقوب السملالى . عن سيدى عبد الرحمن الكرامى . عن سيدى عبد المنعم كان ذا خشوع وورع ودين متين . وتقصير فى الوقت . على كثرة ذات اليد. كثير التهجد . وتوفى بـ (حجر مغاغة) عام سبعة وأربعين وتسعمائة . ودفن بجامعها رحمه الله) (أقول) ان عبد الله بن يعقوب لم يدرك عصره .

وبمثل ذلك ذكره صاحب (الوفيات) حرفا بحرف . ولعله أخو عبد السميع الثانى بن عبد الواسع بن عبد السميع الاول . بن محمد بن بلقاسم

الثالث عشر : احمد بن عبد الواسع الكاتب البليغ

رأيناه يكتب عن الامير على بودميعة . وانما يختلف اسمه . فحينا نجد اسمه أحمد . وحينا محمدا . ولا ندرى أهما اثنان اخوان . أم أحد الاسمين يصحف الى الآخر . وهو الغالب . وفى كتاب (ايليغ قديما وحديثا) بعض رسائل من بودميعة الى معاصريه . نص فى ءاخرها على أن كاتبها أحمد بن عبد الواسع التاغاتينى . وايا كان فانه يعيش من أواسط القرن الحادى عشر الى ما قبل تمام القرن . ولعله لايزال يعيش نحو سنة ١٠٩٣ هـ يوم يقف تقييد الوفيات من قلم صاحب كتاب (الوفيات) والا لقيد وفاته كما قيد وفاة من يعيشون اذذاك فى (ايليغ) وما حواليه . ثم انه ليس بأخى عبد المنعم المذكور قبله . لان ذلك أقدم من هذا بكثير .

الرابع عشر : سليمان بن يعزي بن ابرهيم التاغاتينى الرسموكي

قال فيه صاحب (الوفيات) :

(الفقيه الموثق العدل بلدينا سيدى سليمان بن يعزى بن ابرهيم من

(تاغاتين) توفى رحمه الله وغفر له . ورزقنا الصبر عليه . مقتـولا ظلمـا بـ (مسجد المولود) يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان عام ١٠٧٢ هـ وقتل معه ولده الطالب محمد ذلك اليوم في داره بـ (تاغـاتـين) ونهبت داره وهدمت . فالله يعجل ثارهما . ويهلك الظالمين . هذا ظلم كبير . وأمر لاصبر عليه لمن كان فيه أدنى حبة من الايمان . ما وقع في بلدتنا مثـل قضيتـه الشنيعة . انا لله وانا اليه راجعون . فسد الزمان . وكثر العدوان . وعدم المعوان » . ووصفه في (بشارة الزائرين) بالشيخ . مما يدل على علو مكانته (أقول) : رأيت بين فتاوى متعددة توقيعه . مما يدل على أنه مفت كبير بين كبار المفتين في عصره . مما يضمه المجموعان (الاجوبة البرجية) و (الاجوبة السميحية) وكل واحد منهما مجلد ضخم معروف . ثم ان المحل الذى قتل فيه هو مدرسة (المولود) كان مشارطا فيها . ولا يزال في المصلى محل جمد فيه دمه . والفاتكون به وبأهله أناس بينهم وبين التاغـاتينيين عـداوة . فتعددت الفتكات بين الفريقين . ولا يزال بعض التفاصيل عما جرى بينهما يتداول . وقد سمعت الاستاذ ابرهيم التازيلالتى يذكر ذلك . ولم أقيده عنه . ثم ان سليمان معدود بين تلاميذ العلامة عبد الله بن يعقوب . وهـم مذكورون في (الجزء الخامس) .

الخامس عشر : محمد بن سليمان بن يعزي

هو المقتول مع أبيه . وقد ذكر لى بعضهم أنه شاب محصل يوم قتل مع أبيه . أخذ عن والده وربما عن غيره مشاركة مع أخيه أحمد الآتى . والطالب اذ ذاك يطلق على الفقيه كما هو منصوص عليه .

السادس عشر : احمد بن سليمان بن يعزي

هذا هو الامام الكبير المحظوظ في علمه وفي دينه وفي ورعه وفي شهرته الواسعة . وترجمته الواسعة التى تقتضيها كثرة ءاثاره المختلفة في شتى العلوم التى شارك فيها . تجب أن تتسع الى منتهى الطاقة . الا أنهـا لا تتعدى ـ وان حاولنا ما حاولنا ـ أن نكرر ما قيل فيه من قبلنا . ثم ناتى له بئاثار تمت الى الادب . لنستتم بها ما أمكن لنا من بعض نواحى حياته .

قال فيه الكرامى في (بشارة الزائرين) :

(ومنهم الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بـن سليمان بـن يعزى التاغاتينى الرسموكى . كان رحمه الله عالما عاملا ورعا زاهدا . انتقل من بلده (تاغاتين) بعد وقعة موت والده ظلما . وأخذ بيته بمدرسة (المواسين) وألف واجتهد ؛ وافتى في مسائل الدين . وبقى عزبا الى وفاته رحمه الله . وكان يقول : اخترت السلامة لنفسى في العزلة والعزبة . مات في مدينـة

(مراكش) قبل وفاة مولاى اسمعيل بن على . ودفن فى (باب أغمات) فى مدينة (مراكش) .

وقال فيه الحضيكى :

(أحمد بن سليمان الرسموكى التاغاتينى . العالم العلامة . الفقيه المحدث . النحوى اللغوى . الفرد الحيسوبى العروضى . شيخ الاسلام ؛ وعلم الاعلام ؛ الولى الصالح الناصح ؛ العامل العارف المنقطع لله . الناصر لدين الله. فريد عصره . ووحيد دهره . كان رضىالله عنه مقيما بـ(مراكش) هاجرا اليه ؛ لما قتل أبوه وأخوه ظلما . فأقامه الله فيه . نصرا لدينه . وارشادا لعباده ؛ ونفعا لخلقه . فى أرفع مقام . مقام التجريد والتفريد . حتى قبضه الله اليه فيه ؛ فانصلح به خلق كثير . وتخرج به جميع طلبة وقته وبلده . ونشر علمه وسره . حتى ظهر ذلك الصلاح فى ولاة الامور . وأمراء الاجناد. فصاروا يتبركون به . ويمتثلون أمره فىمصالح المسلمين من بناء المدارس والمساجد . واستنباط المياه . وغير ذلك من المصالح العامة والخاصة . وكان أبوه سيدى سليمان فقيها فاضلا . وكذا اخوته واجداده . كلهم فقهاء فضلاء ؛ وكانوا بيت علم وخيرودين . أخذ رضى الله عن أصحاب الامام سيدى عبد الله بن يعقوب السملالى . كسيدى محمد بن يوسف التيملى . وسيدى الحسن بن على بن داود السملالى . من (مشمس) وادى (سملالة) وأبى على اليوسى . وغيرهم . وأخذ عنه شيخنا أبو العباس العباسى وغيرهم من أشياخنا من أهل (مراكش) وغيرهم . وقد أدركنا زمنه ولم نلقه من الصبا . وشهرته رضى الله عنه تغنى عن التعريف به . وله تآليف مفيدة عزيزة . انتفع بها الطلبة . منها منظومة فى الفرائض وعملها وشرحها الكبير والصغير . وسلك فى الكبير طريق المغاربة . ومزج فى الصغير وسبك على طريقة المشارقة . وله منظومة فى العروض وشرحها . وله تأليف فى مسألة (أولاد الاعيان) وذيل منظومة الشيخ ابرهيمالسملالى فىعلم الحساب وشرحها شرحين. وله غير ذلك فىالدرر المنثورة . والمنظومة فانتفع الناس بكلامه وكتبه . وتلقوها بقبول . تقبل الله منه وجزاه عن الاسلام خيرا . وفضائله كثيرة . يقصر الكلام دونها . توفى رحمه الله يوم الاثنين الاول من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف)

ووصفه مؤرخ (مراكش) شيخنا سيدى عباس بأنه أحد أعلام (مراكش) ومشاهيرها . الشيخ الناظم الناثر الفهامة البحاث النقاد الواعية الى أن قال بعد أن ذكر طائفة من مؤلفاته . دفن بجانب سيدى أبى ابرهيم السفاج خارج باب الدباغ. ثم ذكر أن تلميذه محمد بن عبد الله الاريزى

نقل عنه أنه ينبغى للمسمع أن يغاير تكبيره لجلوس التشهيدين مخالفا لصوت التكبيرات الاخرى .

(أقول) : اننى وقفت للمترجم على كثير من الآثار الفقهية خصوصا الاجوبة عن الاسئلة التى ترد عليه من (سوس) فقد صار قطب الافتاء فى الجنوب عقودا من السنين . وفى كتابنا (مجموعة الغ الفقهية) ما تيسر من ذلك . وان كان ما مر أمامى لو جمع لكان وحده مجلدا أو أكثر . وقد صاحب الشيخ أحمد بن ناصر . وسافر أبيه وتلمذ له . ومشى على خطوات الناصريين فى نشر العلم والتصوف الخالص . وقد كان منذ فارق بلده اثر الفتك بوالده التحق بـ (تاوردانت) فبقى هناك ما شاء الله . ثم كان فى (مراكش) وقد خرج منها يوم سار مولاى اسمعيل يأخذ العلماء بموافقته امتلاك السود . وتجنيدهم . فانقطع فى بعض أماكن البادية حتى مر ذلك . وقد خوطب أن يذهب الى مدينة (تاغازا) ليدرس العلم هناك بأجرة مغرية فزهد فيها . فذهب مكانه العلامة أحمد أحوزى الهشتوكى الشهير . وهناك جمع فهرسته المشهورة . كما كان أيضا فى (فاس) قبل أن يستقر فى (مراكش) حيث انقطع فى بيت علوى فى سطح مدرسة (المواسين) وحده . ففيه أمضى باقى حياته . وفيه ألف كل مؤلفاته الكثيرة . وفيه يقصده الناس المستفتون والدراسون والمسترقون والمتطببون . وقد أدركنا هذا البيت وتبركنا به . ولم يهدم الا أخيرا . يوم قام الاصلاح فى المدرسة . وما أكثر أمثال المترجم من السوسيين العلماء المنقطعين هكذا فى المدارس الحضرية . كأحمد البوسعيدى وكمحمد بن عبد الملك الرسموكى وكثيرين نجدهم فى التاريخ . وفى (سلوة الانفاس) منهم أناس ماتوا كذلك

أما أشياخه الذين أخذ عنهم من تلاميذ سيدى عبد الله بن يعقوب فاثنان : الحسن ابن على بن داود الانامرى السملالى . ومحمد بن يوسف التيملى . فقد كتبنا عنهما ما عندنا أثناء تلاميذ سيدى عبد الله بن يعقوب فى (الجزء الخامس) وايا كان فانهما يدرسان باءية ان أخذ عنهما المترجم .

وأما بعض ءاثار للمترجم التى تفهم منها نفسيته . فقد تقدم بعضها فى ترجمة سيدى ءمحمد بن ءمحمد بن عبد الله بن يعقوب . وهاك الباقى :

من رسالة مؤرخة بسنة ١١٠٤ هـ . تقدمت كلها فى ترجمة سيدى ءمحمد بن ءمحمد بن عبد الله بن يعقوب . والغرض منها :

(واعلم سيدى أنه قد بقى لى نحو الربع فى سلكة القرءان . وان صاحب (ردانة) قد بعث الى مريدا تعمير مدينته . فاعتذرت له بأنى لست من أهل ذلك الشأن . بعد أن بعث الى قائد (تامانارت) بعض الاصحاب لنذهب لـ (تاغازة) بمائة مثقال من الذهب . وأمة عبد وكسوة رفيعة فى

كل عام . فاعتذرت له بأنى لا أقدر على الاغتراب. فالله يفتح لى بمكان يليق بأمره لأقيم فيه بقية عمرى .)

رسالة أخرى الى سيدى محمد بن محمد المذكور الذى دعاه شيخه :

(من عبيد الله أحمد بن سليمان سلمه الله من أهوال الزمان . وأماته على الايمان . الى شيخه العلامة الدراك الفهامة اللوذعى الاريب اللغوى الاديب سيد محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب . بلغ الله له فى الدارين كل مرغوب . سلام تتوالى نسماته . ورحمة الله وبركاته . (وبعد) فاعلم سيدى أنى لم اقطع عنكم الاعلام بما كان عندنا فى ماضى الايام . لاندراس المحبة الصافية . التى تقادم عهدها بين الاسلاف الماضية . ولكن أقول كما قيل :

لم أوخر عمن أحب كتابى   لقلى فيه أو لترك هواه
غير أنى اذا كتبت كتابا   غلب الدمع مقلتى فمحاه

وكما قيل أيضا :

اذا صحت المودة واستقامت   فلا تجزع وان بعد اللقاء
وان يكن الزمان أغاب وجهى   فلم تغب المودة والصفاء
ولم يزل الثناء عليك منى   مع الساعين يتبعه الدعاء

مع ان استيفاء الاخبار من ثقات الناس . أولى فى هذا الزمان الفاسد من تسويد القرطاس . (وأما ما قيدت من التقييدات . فانما لم أعلمك بها لظهور قصر الهمم فى هذه الجهات . فظننت أن الامر أشد فى تلك البلاد . التى قل فيها من يطلب العلم من العباد . وحيث ظهر منكم البحث عنها . نعلمكم بها . لتعلمونا بما تعلق به الغرض منها . وقد شرحت الارجوزة الداسية على التوقيت شرحين . أصغرهما بالسبك . فى الكبير عشر كراسات وفى الصغير خمس كراسات . وذيلت الارجوزة السملالية على الحساب بما يكمل مائة وعشرين بيتا . وشرحت الجميع ثلاثة شروح (١) . وسطها بالسبك . وفى الكبير اثنتا عشر كراسة . وفى الوسط ست كراسات . وفى الصغير أربع كراسات . ونظمت أرجوزة سهلة عجيبة فى علم المواريث فيها أربعمائة واثنان وثلاثون بيتا . وشرحتها شرحين أصغرهما بالسبك فى الكبير احدى وعشرين كراسة . وفى الصغير ثلاث عشرة كراسة . ونظمت قصيدة ٦٧ لامية فى بحر الطويل على علم العروض . وشرحتها(٢) شرحا فيه خمس كراسات . وبينت فيه جميع ما يحتاج اليه فى ذلك الفن

---

١) هذا هو الواقع لا شرحان فقط . كما تقدم .

٢) وشرحها أيضا سيدى التهامى الاوبيرى .

مع تقطيع جميع شواهد العلل والزحافات بيانا شافيا . لايحتاج من كان معه الى مايقرأ عنده ذلك الفن . وقيدت على مسألة (أولاد الاعيان) تقييدا فيه كراسة . بينت فيها أحكاما غريبة وتفاصيل عجيبة . قد نسقها هنا سيدى أحمد حفيد سيدى عبد الرحمن الوجانى . أيام قدم لهذه المدينة . مع جواب مسألة الوصية التى سألتنى عنها . على أن يوصل ذلك اليكم لتنسخوه . وسلم سيدى على جميع الاحباب . أقاربك والسائلين عنا . وأما القدوم الى تلك البلاد فقد شاورت عليه شيخنا ابن ناصر فى هذه الايام التى زرت فيها من عنده . مع ذكر أحوال تلك الجهات له . وان أخى (١) هداه الله ووفقه لما فيه رضاه كان عمارة فى البلدة وقائما بأمور الوالدة . فلم يوافقنى على ذلك . وأردت منك سيدى أن تبعث للوالدة مع من يعظها ويؤكدها على الصبر والسماحة التامة . ويقول لها ان الاعمار قد قربت . والآخرة التى هى المقصودة قد أقبلت . ولا عبرة بالملاقاة الدنيوية التى تنقطع بالموت . وامنحوا له رضاكم . لتحصل لكم ان شاء الله ملاقاة دائمة فى دار النعيم . ولم يمنعنى من زيارتهم الا خوف قبضهم لنا من الرجوع الى موضع يليق بى . لان تلك البلاد لايقدر على أمورها وتعبها وفتنها من هو ضعيف مثلى . فان وافقتهم على الاقامة فيها فتنونا بما لاقدرة لى على مقاساته . مع استقامة الدين . وان رجعت عنهم بغير رضاهم حصل الغضب التام الذى لا جبر له . وانا قد وصلنى عنها أنها قالت ان جاءنى لنراه قبل الممات فذلك هو مرغوبى . وان لم يجيء فقد أعطيت له رضاى . لان هذه البلاد لا تليق بضعيف مثله . وأسأل الله تعلى أن يوفقنى واياكم على الصواب فى جميع الاحوال . وكتبه فى ءاخر جمادى الاولى من عام ١١١٩هـ عبيد ربه أحمد لطف الله به . والكتب المبعوثة لنا قد وصلتنا سالمة . والحمد لله على ذلك . واعلم سيدى أنى قد أخترت العزلة والعزبة فى هذا الزمان. الذى لايسلم من تزوج فيه من المحن العظيمة والعصيان . نسأل الله العفو والعافية والمعافاة لنا ولكم والختم بالسعادة لنا ولكم واعلمنى سيدى بما ظهر لك من حالها . لابما يخبرك به الاخ مما يتقوله من عنده . وأدعوا لنا سيدى بصالح دعائكم ونحن كذلك .

أخرى منه اليه :

(من عبيد الله سبحانه الراجى غفرانه . أحمد بن سليمان . صانه الله من شرور هذا الزمان . ووفقه على ما تقر به العينان . الى أحب الاخلاء واصدق الاصدقاء . الاخ الحبيب الذى لاننساه فى الحضور والمغيب .

---

١) لم نعرف أخاه هذا .

الفقيه الاجل . اللوذعي الانبل . سيدى محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب واخوته الافاضل الاحبة سيدى عبد الله وسيدى ابرهيم . وباقى الاخوة والاعمام والاولاد . وسائر الاحباب . السلام التام والرحمة والبركة ماتعاقب السكون والحركة . عن صحة وعافية . ونعم متوالية (وبعد) فاعلم يا أخي أنى شرحت الارجوزة الدادسية في علم التوقيت شرحا ءاخر صغيرا بالسبك . وذهبت أيضا الى الشيخ حيث زرناه بـ (درعة) ففرح به غاية . وفيه نحو خمسة كراريس صغيرة . وسألنى عنك . فقال كيف صاحبك حفيد سيدى عبد الله بن يعقوب . فقلت له : هو على خير والحمد لله فقال لى : اين شرح جده على العقيدة السنوسية الذى أكد لك عليه . فقلت له : اذا وصلت لـ (مراكش) نبعث اليه ان شاء الله . فلما رجعت من عنده ساق الله الى يدى كتابا فيه شرح جدك وشرح سيدى عيسى السكتاني عليها فاستنسختهما معا . فبعثتهما اليه . فان ظهر لك أن تذهب به اليه . اذا كتبته فذلك أولى . لان شرح الجامع الذى بعثناه اليه قد صادف ءاخر أيضا في يده . وخذ سيدى من عند سيدى على القصير من قبيلتك ما أكدتنى عليه . قد اشتريته لك باحدى عشرة موزونة على وجه التبرع والصلة . اعجنه بعسل منزوع الرغوة وكل منه عند ارادة النوم قدر الحبة المتوسطة من النبق . وما أشرت اليه سيدى من زيارة الاصول والاحباب قد كان في عقلنا كل عام . فلم يكن التيسير من الله على ذلك . فادع لنا بالتوفيق على الصواب) .

أخرى منه الى شيخه الحسن بن مسعود الهشتوكي وفيها فراره لئلا يفتى في الحراطين :

(من عبيد الله الراجي رحماه . أحمد بن سليمان الرسموكي . كان الله له الى شيخه الامام . العلامة الهمام . الاريب الجليل . سيدى الحسن ابن مسعود الهشتوكي القبيل . ومن بـه واليه . سلام تتوالى نفحاته . ورحمة الله وبركاته . ما دل على الاعراب سكونه وحركاته . عن ود لايفى الظاهر منه بالمضمر . وشوق للاقاتكم لايفى المكتوم منه بالمظهر . (وبعد) فالمراد ايصال السلام اليكم . أداء لبعض مايجب علينا من حقكم. واستجلابا لسماحة ما علينا لكم . وان تشد روحك سيدى فى حامل هذه البراءة حتى يصلا الى موضع معروف بالامان. فالله يكافئك عنا وعنهم بأحسن الجزاء ويصلح لك جميع الحالات . ويفيض عليك فى الدارين النعم المتواليات . فان سالت سيدى عنى فقد رجعت الى (مراكش) الآن . بعد اقامتى فى احوازه ستة أشهر بلا نقصان . فرارا من الافتاء برقية الحراطين الذين

اشتهرت حريتهم عند الكبار والصغار . فادع الله سيدى أن يحفظنا من أحوال هذا الزمان . وان يبلغنا معا المقاصد فيالاحوال . بجاه النبيالمختار)

(أقول) : ان المترجم أختار الفرار على مثل الوقوف الذى وقفه العلامة عبد السلام . الذى عذب حتى قتل فى قضية هؤلاء الحراطين . وتحت يد القاضي سيدى الصديق الفاسي كتاب ألف فى قضية هؤلاء . رأيته ولم أطالعه . ولا أعرف لهذه النسخة ثانية . واما الاستاذ الحسن ابن مسعود الهشتوكي فلم أقف له على ترجمة . وانما وقفت على الحسن ابن على الهشتوكي القاضي . وليس به . وهو كما ترى ممنيعيش منأواخر القرن الحادى عشر . وربما تخطى الى القرن بعده .

أخرى منه الى عبد الله بن على من (تافراوت المولود) :

(وعلى سلالة الاخيار . المتخلق بأخلاق الابرار . الصاحب الحبيب . التقى النجيب . العدل الحسيب . ذى المجد الاثيل . والسؤدد الاصيل . الجامع مع العقائد الايمانية . والاسرار الاصطفائية . فريد دهره . ووحيد عصره . الورع الفقيه . الناصح النبيه . عمدتنا ووسيلتنا . ومعدن أسرارنا ومحل ودنا . ومقام تعظيمنا . سيدى عبد الله بن على الرسموكي من (ظل شعبة المولود) وعلى أخيه الفاضل . المحب الكامل . الطالب أحمد . وكافة من تعلق بهما من الاهل والاولاد . والاخوان والاحبة السلام التام والرحمة والبركة على الدوام (أما بعد) : فموجبها لسيادتكم العظمى . وولايتكم الضخمى (١) التى عمر سرورنا بها ما بين الارض والسماء . ايصال السلام اليكم . والسؤال عن كنه أحوالكم . مع نكبات الدهر وبوائقه . وترادف أهواله وشدائده . أجراها الله على وقف المراد . ويصرف عنا وعنكم أهل العناد والفساد . فان سألتم عنا فلا بأس عندنا فى الوقت . سوى ما نالنا من ألم فراقكم . وعدم النظر فى وجوهكم . وطول الاغتراب عنكم. أماطه الله عن الجميع فى أقرب زمان بحسن مقام . واردفه بسرور وانعام . وقد قدمت من (فاس) حين انبئت بوفاة بعض الاخوة بـ (مراكش) وأكدناكم ياأحبتنا الذين بمنزلة ءابائنا ان تشدوا أرواحكم فيأخينا الطالب ابرهيم(٢) بكل ما قدرتم عليه وتحرضوه أن يشد روحه فى جميع أحواله . وان تقول يا سيدى عبد الله لاخينا صاحبكم محمد بن عبد الله بن يعزى بن أبى بكر. ان كانت عنده وكالة أولاد الطالب على بن أحمد من (أغرابو) من تيزكين فيما ورثوه فى عمتهم . زوجة ابن عمنا سيدى محمد بن عبد الله أن يعمل

---

١) والمعروف الضخمة .

٢) ربما كان هو أخاه الذى يقوم له بالدار .

التاويل الحسن مع أخينا في غلل ذلك فقط . ولا تتركه سيدى ان ياتى بسيدى علي ولا بغيره ليقتسموا الرقاب بل انهره عن ذلك . حتى ناتيكم قرب الحصاد الآتى . فنقسم أنا وأنت جميع ذلك للورثة ان شاء الله . ونعلمك أنى لم يقبضنى عنكم الا أنى ابتدأت الكبرى . وتلخيص المفتاح. عند شيخي في مراكش فمتى أخرجتهما ناتكم بلا توان . ان شاء الله فنسأل منكم أن تدعوا لنا في أوان الاجابة . وعند كل من تظن به الاجابة . ان يبلغ لنا المامول على وفق الطاعة . كما أني أدعو لكم بذلك عند الاولياء المعتبرين هنا . والسلام عائدا اليكم في أواسط ذى قعدة ١٠٩٥ احمد بن سليمان بن يعزى الرسموكي لطف الله به)

وهذه الرسالة كتبها وهو لا يزال يعزم أن يرجع لبلده . وقد رايت له في اخرى أنه أرسل الى بعض متاعه كالهيضورة (١) وهو اذذاك لايزال في (تارودانت) . ثم اننا نكتفى بهذه الرسائل التى فهمنا منها تقلباته من (تارودانت) الى (فاس) الى (مراكش) حيث استقر أخيرا الى أن توفى رحمه الله) .

(تنبيه) هناك أحمد بن سليمان الرسموكي المزوارى ناسخ المدخل في شهر. بلديه وأقدم منه . ولا يعرف بالتأليف . وكل المؤلفات انما هي لمترجمنا هذا . حتى شرح الزيرجة السبتية . والمقيدات في مسائل من النحو . فهو هو احمد بن سليمان بن يعزى . نبهنا على هذا لاننا رأينا شيخنا توقف في بعضه في كتابه (الاعلام) .

السابع عشر : عبد الله بن احمد التازيماتي التاغاتيني الاصل

وهو عبد الله بن أحمد ابن الطالب سعيد بن ابرهيم بن محمد بن الحسن بن ابرهيم بن محمد بن داود بن ابرهيم بن سليمان بن يعزى ابن ابرهيم بن يوسف . وهو من عقب ابرهيم بن سليمان أخى العلامة أحمد بن سليمان المتقدم. انتقل أجداده (من تافراوت المولود) الى (تازيمامت) بسملالة . فهناك ولد عبد الله . وكان فقيها مذكورا معلما لكتاب الله مدرسا لما معه من المعارف . وكان يشارط في مدرسة (المخصب) في (اتكيضا) زهاء اثنين وعشرين عاما . وممن أخذ عنه ابنه الآتى . ولا ندرى متى توفي قبل أن ينصرم القرن الماضي .

١) جلد الكبش يدبغ بصوفه ويجلس عليه . وهو في البوادى كاللبدة في الحواضر .

الثامن عشر : ابرهيم بن عبد الله المشهور بلقب (اوعامى) السملالى

وهو ابن المذكور قبله . أخذ القرءان عن والده . والمبادىء العلمية فـى (المخصب) ثم استتم عند العلامة الحاج محمد بن محمـد بـن محمـد التازولتى فى المدرسة (الوفقاوية) وقـد توفى هـذا الاستاذ ١٢٥٩ هـ . فنعلم بذلك أن ولادة المترجم . قد تكون فى نحو ١٢٣٨ هـ على المعتاد فى أخذ أمثاله اذذاك . ولعله أخذ أيضا عن العلامة أبى حامد الادوزى . وقـد رأيناه يسأله عن شىء . ويخاطبه بالشيخوخة . ولو أمكـن لنـا أن نجزم بممكن تجزمنا بأنه أخذ عنه . لانه عاصره فى ريق شبابـه . ولـم يتوف العربى الا فى حدود ١٢٨٦ هـ . وأحوال المترجم مستفيضة بالخير والعبادة والمناس فيه اعتقاد واسع . وينسبون له كرامات وكشوفات وتسيل اليه الطرقات بالزائرين والمستفتين وقـد يقسم الاملاك . وقـد يفتى . الا أنه لايخوض فى ذلك مع الخائضين . وله صحبة مع العلماء الالغيين . وان كان لايختلف اليهم كثيرا . وهو مسكين متواضع . لا يرى لنفسه مزية . توفى ٣٠ ـ ٩ ـ١٣٢٥ هـ . ومنشأه وحياتـه كلها فى (تازيمامت) رحمه الله .

التاسع عشر : احمـد السملالى

علامة جليل . مدرس فى مدارس شتى . تخرج من مدرسة (تيمگيدشت) بأبى على ومن كانوا يدرسون فيها معه وبعده . ثم تصدر فنفع الله به البلاد والعباد . فمن المدارس التى مر بها ودرس مدرسة (أفيـلال) من (ايسى) ومدرسة (بـومروان) بـ (سملالـة) ومدرسة (أكرض) فـى «تامانارت» ومدرسة «المولود» ومدرسة فى (أيت عبلا) . ولم يزل مدرسا قاضيا فـى النوازل . مفتيا مذكورا بين علماء وقته الى أن توفى ١٣٤٨ هـ وولادته نحو ١٢٧٠هـ (وهو كما ترى رسموكى الا أنه عرف فى(تيمگيدشت) بالسملالى وعرف عند ءاخرين بـالتيمگيدشتى).

العشرون : الحسن بن احمد القاضي ـ ابن المتقدم قبله ـ

فقيه مشارك مقدام . من أهل عصرنا هذا . أخذ عن أبيه وعن ابن عمه الاستاذ داود . وعن غيرهما . وقد عرفناه وخالطناه وقد كنت أؤصيته ان يكتب لى ترجمته وترجمة والده . ولكن لم أر له جوابا . جال فى مدارس شتى كوالده . فكان فى (أكرض) وفى (تافراوت) مـن (أملـن) . وعاشر معاصريه . وجاذبهم البحوث فى المشاكل . وقد اعتنق الوطنية . فقام ببثها أينما حل ـ سرا ـ وهو الذى بذر بذورها فى (تامانارت) وعلى يده عرفها

القائد محمد التامانارتي الذى انتحر بسببها ـ كما بينا ذلك في (الجزء العشرين) ولذلك صار يطارد من المراقبين الذين يشدون الخناق على كل من توجسوا منه وطنية اذذاك . فطلق (سوس) فنزل (مراكش) ثم كان في محل من قبيلة (وريكة) الى أن جاء الاستقلال . وتعين قضاة جدد . فكان أحد المتولين في (سوس) على (هشتوكة) حيث أمضى سنوات . ثم نقل هذا العام الى (أكلميم) . وقد جالسته مرارا . فأعجبتني مجالسته واستحضاره وله صحبة مع علامة (الغ) شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ـ حفظه الله ـ وقد حج أخيرا . وحرر رحلة بقلمه . رأيتها فى يده فى مجلد . وطالما فاوضته أخبار أسرته . فلا أجد عنده شيئا . حتى سلسلة نسبه الى العلماء الاولين لم أجدها عنده . فأصير أنا أخبره عنهم . فكأننا نمثل معا ماقاله الشاعر:

يبكى عليه غريب ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور

وقد صليت وراءه فى ليلة من رمضان فى مسكنى صلاة سكينة ووقار وخشوع لم أنسها الى الآن . حفظه الله . ويميل الى الادب الا أننا لم نتصل منه بشيء من بنات فكره . ولعله يدون ذلك بقلمه .

الحادي والعشرون : سيدي داود

نحن الآن بين يدى علامة جليل . وأديب كبير . وشاعر مصقع . كان يقول بين طلبته القوافي منذ أن انفتق بها لسانه . فهو من أقران الطبقة الكبيرة من أدبائنا : مولانا عبد الرحمن البوزاكارني . وأحمد اليزيدى . ومحمد بن الطاهر ؛ ومحمد الحامدى . ومحمد بن علي . والمدنى بن علي. فما منهم الا بلبل صداح على أغصان الشعر . منذ تراضعوا أخلاف الادب . من بين أيدى الادباء سيدى الطاهر بن محمد الافراني . وأبى الحسن الالغي.

الاستاذ داود من علماء جزولة المشاركين الكبار . الذين لهم فى كل العلوم الذين أخذوها ـ لغة وفقها وتفسيرا وتاريخا وحسابا وأصولا وبيانا ـ يد طولى . فقد كان له القدح المعلى فيها كلها . ولذلك تصدر فى عمره المديد للتدريس فى مدرسة (تيبيوت) حيث كان يدرس العلامة الحسن بن عثمان التملي . والعلامة أحمد الهوزيوى . والعلامة أحمد أمزاركو السندالي . ومحمد بن أحمد أجيمي . فكان أحد الاساطين العظام الذين تشرفت بهم مدرسة (تيبيوت) المجدودة . التى يجتبى لها فينة بعد فينة العظام من الاساتذة .

مولده

قال : كان والدى يضبط بالتاريخ جميع مواليد اخوانى . ولكنى لم أحظ منه بذلك . ولا أدرى ما هو السبب . الا أننى احزر أن ولادتى كانت نحو ١٣١٠ هـ .

منشأه ومتعلمه للقرءان

لازم مسقط رأسه رباط (تاغاتين) الى أن ذهب به والده الى مشارطه فتعلم من عنده حروف التهجى . وبعض الاحزاب . الى أن وصل حزب (فمن اظلم) فى مسجد قرية (تيدلى ايمزلين) بـ « سملالة » ثم ألحقه والده بالفقيه سيدى أحمد بن محمد عمه - وهو المتقدم قريبا - وكان اذ ذاك فى مدرسة بـ (أيت عبلا) من (ايلالن) وهو صغير . فبقى هناك حتى ختم ختمتين . ثم رجع الى مسجد (تاغاتين) وفيه الاستاذ ابرهيم بن محمد الزعنونى الذى له قبصة من العلوم أخذها عن علماء أهله ءال (تيزى نتل) وقد مرت هناك أسرة علمية ليس عندنا أخبارها .* ومنها كان العلامة الحيسوبى ابرهيم صاحب نظم السملالية فى الحساب . وهو من أهل القرن العاشر . وأما الاستاذ ابرهيم هذا فرجل صالح معلم لكتاب الله . توفى نحو ١٣٦٠ هـ . وعليه حصل المترجم القرءان بحرف ورش . وبحرف قالون والمكى بختمتين فى كل واحد من هذين الحرفين .

فى ميدان المعارف

كان عمه أحمد بن محمد المذكور شارط فى مدرسة (المولود) فعنده افتتح المبادىء فى سنة ١٣٢٢هـ. فلازمه سنة. ثم انتقل الى (المعدر) سنة ١٣٢٣هـ عند العلامة الشيخ سيدى أحمد بن مسعود . قال دفعنا الى هذا الانتقال اجداب الناس فى الجبل . ويوجد فى (المعدر) ما يأكله الطلبة . لازمه سنة. ثم الى مدرسة (فوكرض) عند سيدى الحاج أحمد الصوابى سنة ١٣٢٤ هـ فلازمه الى ١٣٢٧ هـ . ثم الى مدرسة (أوخريب) عند العلامة سيدى مبارك البعقيلى . فلازمه نحو عام . وفى سنة ١٣٢٨ هـ وهى السنة المجدبة الشديدة الوطأة على السوسيين بدا له أن يطرق بابا ءاخرا .

فى اولى مشارطاته

شارط فى قرية (أيت بو عمرو) من قبيلة (بو اللفاع) بـ «هشتوكة» ليتوصل بما يرتاش به . ليستتم أشباع نهمته فى المعارف . ولذلك ما كاد

يقضي هناك سنة حتى ذهب لطيته في اتمام دراسته .

يراجع الاخذ

في سنة ١٣٢٩ هـ . التحق بمدرسة (بومروان) عند الاديب الكبير سيدي الطاهر بن محمد الافراني . حيث الآداب تتدفق . وغدران القوافي تترقرق . ونجوم المشاركة في جميع العلوم تتألق . فعاشر هناك طبقة البوزاكراني. وأحمد اليزيدي. ومحمد بن الطاهر . ومحمد بن علي الالغي. فيخوضون ما يخوضون من بحوث في شتى العلوم . الى أن كان ما كان .

في رفقة الهيبة إلى (مراكش)

كان العلامة سيدي الطاهر أحد العمد في حركة الهيبة . فصاحبه معه الى (الحوز) فكان ممن سيق الى مصاحبتهم المترجم . فقد ذهب الى (تيزنيت) كما ذهب كل الناس . وكأن حاضرة (تيزنيت) محشرا سالت اليه الاباطح والجبال . قال المترجم : كان أستاذنا تركنا . فبقينا بلا قراءة فحين لاقيته هناك أخذ بيدي الى الهيبة . فحضرته لما أنشد القصيدة القافية التي أولها :

بنود بربح النصر والعز تخفق والسن بيض الهند بالفتح تنطق

وهي مذكورة في (الجزء الرابع) ثم جرى السيل . فصاحبتهم الى (مراكش) أنا والاديب محمد التيملي الماسناتي . وشيخنا مع سيدي البشير الناصري ومع الفقيه سيدي الحسن ابن الحاج . أخي الاديب سيدي محمد بن الحاج الافراني . هكذا رأى المترجم خارج سوس أول مرة . قال : وفي صبيحة الهزيمة من (مراكش) خرجت وحدي . فوليت وجهي شطر (سيدي زوين) مع الحاحيين الهاربين . فملت الى هذه الزاوية . حيث بقيت ثلاثة أيام . الى أن عيد الناس عيد الفطر. ثم توجهت الى (سوس) خارقا (وادي نفيس) فنزلت على مشهد (سيدي عمر بن هرون) وفيه الاستاذ سيدي أحمد الزدوتي المشهور بتالمصحفت . ممن تخرجوا بالعلامة سيدي عبد الله بن ابرهيم اليوفتاركاوي . قال المترجم : فمكثت عنده نحو أربعة أشهر . أحضر دروسه مع تلاميذ نحو عشرة . وكان محققا حافظا للمتون كالمختصر وجمع الجوامع . والتلخيص فضلا عن غيرهما . وأعده لذلك من أشياخي . قال : ثم مررت بـ (تارودانت) و (تيبيوت) و (هشتوكة) .

في المشارطة ايضا

ثم لازمت مسجد «قصبة تالاغت» من قبيلة (أيت ايلوكان) حيث بقيت أيضا سنة . حتى جمعت ما أعتمد عليه لتتميم مرامي من العلوم .

مراجعة الاخذ

ثم ألقيت عصاى فى حضرة سيدى الحاج أحمد الصوابى . وهو اذذاك فى مدرسة (تاكوشت) وذلك سنة ١٣٣٢ هـ . ولما انتقل أستاذنا الى مدرسة (تاهالا) ذهبت معه . الى أواسط سنة ١٣٣٥ .

فى كليـة ابن يوسف

قال : غادرت الاستاذ الصوابى حرصا على أخذ فنون أخرى عن غيره . فمررت بـ (الاخصاص) فأخذت عن الاستاذ سيدى عبد الله بـن محمـد الالغى فى مدرسة (سيدى على بن سعيد) نحو أربعين يوما . ثـم غادرتـه فمررت بمدارس (حاحة) و (متوگة) و (أولاد أبى السباع) و «مزوضـة» استقريها كلها . فلم أجد ما يشفى غلتى منها فى العلوم التى أفتش عنها فدخلت (مراكش) فنزلت فى مدرسة (المواسين) فافتتحت عند مولاى أحمد العلمى الفاسى . فى جمع الجوامع والسلم . وعند سيدى محمـد بن عمر السرغينى فى دروس الفقه . وعند مولاى أحمد البوسعيدى السوسى فـى الالفية . وكان اذ ذاك لايزال فريدا هناك لما يتزوج بنت الملك . وفى فهمه وتقريره ما فيه . قال : لأننا حصلنا النحو فى (سوس) فى التسهيل بابن عقيل. وقد كنت حفظت من(التسهيل) من أوله كما كتبت بيدى نحو نصف ابن عقيل عليها . واذذاك تعرفت بالشاعر ابن ابرهيم الذى كان شاعرا كبيرا بعدى . وهو اذذاك مبتدىء فى الفن . يأخذ بعضه عن سيدى أحمد ابن الحسين بيبيس الذى تشرب حب الادب من شيخه سيدى الطاهر الافرانى الا أنه ليس هناك . وان كان يرفع رأسه بالادب ويزعم أن له فيه يـدا . وكان تلميذه ابن ابرهيم يعجب بما يقوله . حتى ذكر لى يوما قصيدة له عينية نسبها لنفسه . فاذا بها قصيدة سيدى الطاهر المشهورة التى أولها :

تألق وهنا برق نعمان يلمـع　　　فشاق الى من ضم سلع ولعلع

وهى التى قالها فى الشيخ النعمة ابن ماء العينين . قال : فلما سمع منى الحقيقة نفض منه يده (أقول) فصار يعيبه لأبيه الذى شارطه له . هـذا مبدأ الادب الذى خاض فيه ابن ابرهيم بعد ذلك . فصار ءايـة الآيـات . فالبذرة الاولى صارت اليه من هذا الجو . وقد كان يكبر الادباء السوسيين لذلك . وذكر لى أنه تأثر بما رءاه من سيدى داود . ويشيد به . ولذلك كان أول من تعرفت به من المراكشيين لما دخلت (مراكش)١٣٣٨هـ (قال المترجم): ولم ألق هناك اذذاك من يتعالى الى الادب الا ابن ابرهيم الذى يحرص على أن نذاكره فى الادب . وكثيرا مـا نجتمـع معـه . وهو اذذاك كما ابتـدأ

يأخذ عن أساتذة (ابن يوسف) (١)

وممن أخذ عنهم المترجم اذذاك الشيخ شعيب الدكالى . فقد أخذ عنه مختصر ابن ابى جمرة فى جامع (الموسين) والشيخ سيدى فتح الله الرباطى دروسا من كتاب له فى التصوف .

رجوعه إلى سوس

قال : كانت (مراكش) لايوافقنى جوها فكثيرا ما أمرض فيها . ولذلك لم أزد فيها على عام . فرجعت فمررت بالبلد . ثم لازمت أيضا شيخنا الصوابى نحو عام الى أن دخلت سنة ١٣٣٢ هـ .

في تدريس العلوم في (تيبيوت)

عرفت (تيبيوت) مرارا . وقد كنت زرت فيها شيخنا سيدى الحاج احمد الجيشتيمى بعدما غادرت (المعدر) وهو الذى أرسلنى أولا الى شيخنا الصوابى . والسبب الذى أذهب بى اليوم اليها . ان الرئيس محمد بن ابرهيم أرسل الى شيخنا الصوابى ليبعث اليه أستاذا ليقرأ البخارى عنده فى رمضان . والعادة اذذاك أن جميع رؤساء (سوس) لايرون رياستهم تامة الا اذا اعتنوا بمظاهر منها قراءة البخارى فى شعبان ورمضان . قال : فأرسلنى اليه الصوابى . فكان ذلك التعرف بأهل (تيبيوت) هؤلاء . وبعد الفطر اقترح القائد أن أنقطع الى مدرسة (تيبيوت) فتم الامر على ذلك . فبقيت هناك الى سنة ١٣٤٩ هـ . فغادرت المدرسة لشيء وقع بينى وبعض الفقهاء المعاصرين هناك ـ يعنى سيدى محمد بن على كاتب القائد والفقيه سيدى أحمد بن صالح البعمرانى . كان هناك ما شاء الله ـ

في مدرسة (تيزكين) الرسموكية اولا

قال : بقيت هناك أربع سنين . وهناك جاءت سنة ١٣٥٢ هـ التى هى سنة احتلال تلك الجهة .

---

١) ظهر أخيرا فى كتاب أدبى ترجمة هذا الاديب الكبير . فذكر من ترجموه أنه أخذ من (القرويين) مع أن أخذه مقصور على كلية (ابن يوسف) وهذا يعرفه كل المراكشيين ـ وما ءافة الاخبار الا رواتها ـ

في المدرسة الجشتيمية

قال : لازمتها ثلاث سنين . وقد تبعني فيها سيدي محمد بن عبد الله الايديكلي ثم سيدى أحمد بن محمد اليزيدى . رحمهما الله .

في (تيبيوت) ثانيا

في سنة ١٣٦٠ هـ أثناء الحرب العالمية الثانية ألقيت عصاى أيضا في (تيبيوت) حيث بقيت الى ١٣٧٦ هـ .

في (تيزكـين) ثانيا

قال بقيت هناك نحو عام ونصف . وأنا أزجي الايام . والعلوم التى أمضينا فى تحصيلها زهرة أعمارنا قد أعرض عنها الناس اعراضا تاماً .

ما فى الديار أخو وجد نطارحه   حديث نجد ولا خل نجاريه

في مدرسة (ايت عبلا)

ثم قضيت ثلاث سنوات الى ١٣٨٠ هـ . فى هذه المدرسة بوساطة جمعية علماء (سوس) . والله يجزل الثواب . وأما أجرة المشارطة ففى كفة الاقدار .

نظرة عامة على حياة الاستاذ

تتبع معنا القارىء تقلبات الاستاذ فى أماكن شتى . فرأى منه ما كان يراه من أقرانه من تضحية واكباب وغربة فى صبر أيوب . حتى حصل ما حصل . ثم رأى منه اقبالا على التدريس فى (تيبيوت) فكاد يكون منه ما يكون من أقرانه لو ساعدته الاقدار . والحقيقة أنه يبذل جهده فى ريق شبابه فى التعليم والتهذيب . فتخرجت به طبقات بينها أفذاذ . والانسان لايعدو وان سعى ما سعى ما سبقت به الاقدار . ثم ان الاستاذ طالت حياته حتى اندفع الى زمن لايقدر فيه قدر أمثاله . وخصوصا بعد الاستقلال . وبعد التنكر للعلوم الاسلامية (١) وبعد طغيان أمواج الالحاد وظلمات نكران ما للعربية واتقانها . وما لآدابها من سمو فكر . ونظرات عليا . وخيال

١) نرى الآن حركة حولها سنة ١٣٨١ هـ ولاندرى هل السير الى الامام أو الى وراء .

واسع . ولسان حاله ينشد :

هذا جزاء امرء أقرانه درجوا   من قبله فتمنى فسحة الاجل

بل ينشد هنا ما أسمعه الآن من المترجم ينشده :

اذا مضى القرن الذى أنت فيهم   وخلفت فـي قوم فانت غريب

اثارة الادبية

بين يدى الآن قواف كثيرة للمترجم . أمدنى بها أمد الله فى عمره . واعتنى بطلبتى ولم يكن ككثيرين أعرضوا عما أريد . فاطلب الله أن يسامحهم فان مقصودنا الوحيد تسجيل صفحات أدبية سوسية قبل أن يتم الانهيار الذى نراه الآن يجرى تحت معاول هؤلاء الذين برزوا الى الميدان . واحتلوا صدور الصحف والمجلات والاذاعات . يخربون بمعاولهم الهدامة فى حقبة صغيرة ما كانت العروبة تشيده منذ نحو ألفى قرن . فـأرادوا شعرا غير غير ما نعهده من الشعر . فلا قافية ولا وزن ولا اعراب . فيا سبحان الله . كم تتفاوت الاذواق . حتى يستمرىء أقوام ما يعده ءاخرون مرا . ونحن نعلم أن هذه الحماقة لابد لها من صولة وجولة . ثم يحن أحفادنا الى ما كان عليه أجدادنا (١) ولذلك نحرص أن نسجل اليوم للغد مانعرفه كيفما كان. واذا لم يسجل ما يقوله أمثال داود فماذا يسجل بعد :

ثم ان بين يدى أيضا زيادة على تلك القوافى بعض منثوراته . وقـد تقدم فى (الجزء السادس عشر) مابينه وبين معاصره الاديب القاضى سيدى الحاج محمد أوبو الهوزالى من رسائل . ذكرنا منها ثلاثا . ثم وقفت بعد ذلك على الرابعة التى أجاب بها المترجم ما انتقده عليه القاضى . ولتتميم الفائدة . نذكر أولا هنا تلك الرسالة الرابعة . ثم نتبعها برسالة أخرى للمترجم . أجابه فيها أيضا على انتقادات حول قصيدة له . ونتأسف على أننا لانجـد أمامها رسالة القاضى التى فيها تلك الانتقادات . والمقصود أن يعلم أبنـاء الغد ما كان عليه أجدادهم من المحاورات الادبية . وكيف تعابيرهم فى ذلك. ولولا أن المتقدمين سجلوا مـا انتقد على المتنبى وأمثال المتنبى لحرم الادب العربى صفحات وضاءة . هذا هو المقصود وحده . واما ما يقع أثناء هـذه المجاذبات من بعض ألفاظ نابية . فانما نثبتها اداء لامانـة التاريـخ . والا فكلا الاديبين الكبيرين له مقام عظيم محترم عندنا وعند غيرنا . وكلاهمـا فحل لايقعقع له بالشنان . ولا عيب على من انتقد اذا انتقد . ولا عن مـن انتقد اذا انتقد . وهكذا كان المتعاصرون من قديم . حتى من الصوفية .

---

١) لايضير الشعر العربى أن يزداد أنواعا أخرى . ولكن بلا هـدم لمـا كـان معهودا .

فلا يخلون من ذلك . مع ما يظن بهم من الابتعاد عـن حظـوظ النفوس . والرابح على كل حال هو القارىء الذى يستمتع بذلك للفوائد الشتى التى يجتنيها . وكل من لايتسع صدره للانتقاد فليس بأديب حقا .

الرسالة الرابعة :

(حفظ الله سيادة الفقيه الاديب البارع الفطن اللبيب . السيد محمد ابن على الهوزالى . وكلأ مجادته . ووفر سيادته . وأتم السلام العميم على جنابه الكريم . ومقامه الفخيم . ورحمة الله وبركاته . (هذا) وقد وصلنا مرقومك الباهى ومرسومك الزاهى . المعرب على الاستقصاء فى الانتقاد . وعلو الكعب فى كل ناد بعد ما طوينا بساطه . وقوضنا فسطاطه . عملا بقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : من سكت عن الجدال وهو محـق . بنى الله له قصرا فى أعلى الجنة . ومن سكت عنه وهو مبطل . بنى الله له قصرا فى ربض الجنة . وبقول مالك رضى الله عنه : ليس هذا الجدال من الدين فى شىء وحيث تبرعت بفتح هذا الباب . وزحزحت عنه الحجـاب . وناديت عـلى رؤوس الاشهاد أنا ابن جلا (١) مقتدر على الانتقاد . وزعمت أنك الجذيل المحكك (٢) وأن اليقينيات عندك تشكك .

وكـل يـدعى وصـلا بليلى وليـلى لاتقر لهـم بـذاك

فلا علينا فى الولوج والخروج . والطلوع فى تلك البروج . ولابـد اذ ذاك من الاستراحة بالكلام . والتنفث بنفثات الاقلام .

محبتى فيك تأبى أن تسامحنى بأن أراك على شىء مـن الزلل

فأقول : أما قولك وكل زاعم يستشهد لانتحاله الخ فلا بدع فى ذلك وفى القرءان العظيم (يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها) بين يدى الملك الحق تعلى فى عرصات القيامة (يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت) فما بالك بغيره . والثور يحمى أنفه بروقه (٣) ومن يقوم بحجتى ان سكت . وأمـا قولك : ولم يدعنى مع قصدى الا ما خفت أن تجعلنى مـن غرضك الخ .

---

١) من قول الشاعر :

أنـا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

٢) من قول الحباب بن المنذر يوم السقيفة . أنا جذيلها المحكك . وعذيقها المرجب . والجذل بكسر وسكون : أصل الشجرة الغليظ . وكان يوضع فى حظيرة الابل لتتحكك بـه الجربى منهـا . والعذق بفتح فسكون : النخلة بحملها . المرجب : الذى وضع الشوك حواليه لئلا يصله الاكل . والمقصود أنا المجرب المحنك . لا تتمشى علىّ الحيـل .

٣) الروق بالفتح : القرن .

فهذه القضية عليك لا لك . لاننا والحمد لله اعتقدنا براءة ساحتنا . من كل ما نسبته الينا . وانى مظلوم لزور سمعته الخ بعدما أوضحنا شرح حالنا بالحجج المقبولة فى مذاهب المعقول والمنقول . ولا عبرة باصرارك علىمكابرتها ورحم الله من قال : ومن لم يرد أن يذعن للحق ولو أتيته بملء قراب الدنيا حججا تأولها . بل أنت الذى جعلتنا غرضك . تشكى وتشكو وهى :

تشكى المحب وتشكو وهى ظالمة   كالقوس تصمىالرمايا وهىمرنان
انى ملكت فبى للرّق مسكنة   وملكت فلها بالملك طغيان

* * *

يصمم أحيانا وأحيانا يطبق   واجدر بالاعوال من كان موجعا

* * *

ليس ساءنى ان نلتنى بمساءة   لقد ساءنى أنى خطرت ببالك

* * *

ولكل شىء ءافة من جنسه   حتى الحديد سطا عليه المبرد

وأما قولك ما تصنع بعموم النكرة فى سياق النفى الخ فغير لازم ولا معين . بل تارة تعم . وتارة لا تعم . كما تقرر فى كتب المعانى . وما من عام الا وله مخصص خارجى . أو ذهنى يخصصه سوىما استثنوه . وليس هذا منه . والناس قد يعرفون ذا (وما قلت الا بالذى علمت سعد) وأما قولك أشرت الى التطاول والتبريز . فمجرد تهافت أو مكابرة لفن مشهور من فنون الادب . وهو الافتخار :

اذا بلغ الفتى عشرين عاما   ولم يفخر فليس له فخار

وقد امتلأت به الدواوين فى كل جيل سلفا عن خلف . وشعراء الجاهلية والمخضريين والاسلاميين والمولدين . والعلماء والصلحاء . ومن هذا النمط . ما يخرج عن الحد . وينيف عن العد . وما للمعرى يقول :

وانى وان كنت الاخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الاوائل

وما للفرزدق يقول :

أولئك ءاباءى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامع

ويقول :

أنا الذائد الحامى الذمار وانما   يدافع عن احسابهم أنا أو مثلى

وما لأبى ذويب يقول :

وتجلدى للشامتين أريهم   أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وما لأبى بكر الصديق رضى الله عنه يقول : ألست أول من أسلم . ألست

أحق بها . الست كذا . ألست كذا الخ وما لعمر رضى الله عنه يقول : أنا فوق ما فى رأسك . وما لتاج الدين السبكى يقول أنا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق . لايقدر أحد أن يرد عليَّ مقالتى هذه . ومثل ذاك ما وقع للامام المقرى مع مزوار نقيب الاشراف بفاس فى مجلس أبى عنان المرينى . كما فى (كفاية المحتاج) وما لتقى الدين السبكى يقول لخازن الكتب فى المدرسة الظاهرية . مثلى لا يحتاج الى كتب الخزانة . بل كتب الخزانة تحتاج الى مثلى . ووقائع العلماء فى التحدث بمثل هذا لاتخفى بل لاتحصى . كما فى (نزول الرحمة . فى التحدث بالنعمة) للامام السيوطى رحمه الله . وما زال العلماء يترجمون لأنفسهم فى كتبهم كلسان الدين فى (الاحاطة) والشهاب الخفاجى فى (الريحانة) وغيرهما . رضى الله عن الجميع واذا كانت العلوم منحا ومواهب اختصاصية . فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين . ما عسر على كثير من المتقدمين (قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء) (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) الآية (أم يحسدون الناس على ما ءاتاهم) الآية . وانكار مثل هذا هو من احدى المصائب . وأمهات العجائب . أو مجرد القصور الناشىء عنالعجز أو الفتور لو غيرك قالها يا أبا عبيدة المومن وقاف . ورب عجلة أورثت ريثاً . على أننا ما قصدنا الا مجرد الاحتماء . لامطلق الانتماء . أو مجرد التخلية . لا التزكية ولا التحلية . وحاشا أن يخفى عنا انالتواضع وعدم الرضا عن النفس هو الاكسير والابريز ـ كما قال شيخنا الافرانى ـ

تواضع اذا رمت التقدم وانكسر فربك جل عند منكسر القلب
فكسرة بسم الله فى الباء أورثت له رتبة التقديم فى أول الكتب

* * *

على أننى استغفر الله راجيا تجاوزه عما تعديت من طورى

ومن العلوم أن غير المعصوم له سيئات وحسنات . وقصة الحاتمى مع أبى الطيب معلومة . وكذلك انتقاد ابن لنكك . والصاحب على أشعار المتنبى أخرى سيئات أشعار أبى الطيب قوله :

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبد الله بعرانا

ومن جملة الناس أمه . وهل تطيب نفسه ان يركبها . ومن افتخاراته التى لاينكر جنسها قوله :

وما الدهر الا من رواة قصائدى اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ومثله لعويف القوافى :

سأكذب من قد كان يزعم أنني ... اذا قلت شعرا لا أجيد القوافيا

ولغـــيره :

فشعري بحر لايرى فيه ضفدع ... ولا يقطـع الرعاد يوما له لجـا

ولما أطلع ابن لنكك على فخر أشعار المتنبي . وكثرة مساويه قال في هجائه :

متنبيكم ابن سقـاء كوفا ... ني يوحي من الكنيف اليه
كان من فيه يسلح الشعر حتي ... سلحت فقحة الزمان عليه

وقال أيضا فيه ما أوقح المتنبي فيما حكى وادعاه . وقال فيه ءاخرون:

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ ... ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيـع بالكوفة المـا ... ء وحينا يبيع ماء المحيـّـا

انظر ترجمة مساوبه في (الريحانـة) وفي (الصبح المنبي . عـن حيثية المتنبي) وما قصصت عليك بعض مساويه الا لتعلم أن كل كلام فيه مقبول ومردود . الا كلام الحق تعلى وكلام من لاينطق عن الهـوى صلى الله عليه وسلم . ان أحد خير من أحد الا بالعافية . أعرف الرجال بالحـق . ولا تعرف الحق بالرجال . لا أنني قصدت انتهاج مناهجهم . واقتفاء ءاثارهم كـــلا .

فيا دارهـا بالخيف ان مزارهـا ... قريب ولكـن دون ذلك اهوال

ولكنني أقول كما قيل :

وشيدت مجدي بين قومي ولم أقل ... الا ليت قومي يعلمون صنيعي

ولا أقول كما قال ءاخر :

لم ألف مستكبرا الا تحول لي ... عند لقاءي له الكبر الذي فيه
فلا أحب من الدنيا ولذتها ... الا مقـابلتي للتيـه بالتيـه

وأما ما عزوته للصاحب . وذكرت أنه من منازعه الملوكية . فمجرد اختلاق وفشر . ومن الصدق في العلم اسناد فائـدة لمفيدها . والصاحب ليس بملك . وانما هو وزير مؤيد الدولة . وأخيه فخر الدولة . وأسمـه اسمعيل ابن عباد الاصبهاني معاصر لأبي الطيب . ومنتقد عليه . مات في صفر ٣٨٥ هـ بـ (الري) ونقل الى (اصبهان) والبيتان للمعتمد بن عباد الاشبيلي الاندلسي . المتوفى سنة ٤٨٨ بـ (أغمات) ولعل منشأ غلطك أنك

ظننتها شيئا واحدا (١) وهما شيئان . والتمييز بين الذوات . مقدم طبعا ووضعا على التمييز بين الصفات .

يابارقا بأعالي الرقمتين بدا   لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

* * *

أوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا يا سعد تورد الابل

* * *

أيها المنكم الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت   وسهيل اذا استقل يمان

علل الافهام . أشد من علل الاجسام . وأما قولك استعمل لفظة سوى كالا الحرفية . فهذا الانتقاد منتقد ومدخول . لان ظاهر عبارتك ان سوى لاتستعمل بمعنى الا الحرفية . وهو باطل . لانهم ما جعلوها من أدوات الاستثناء الا بعد حملها على الا الحرفية . التي هي الاصل . وأم الباب . وفي ابن عقيل على التسهيل أن الكوفيين يجعلون الا مكان سوى كالعكس. في مثال المنقطع . ومعنى قام القوم الا حمارا عندهم اى سوى حمار ولعل مراد لسان المنتقد الذى لم يطمئن بالا . ان سوى مختصة بالاضافة . ولكن قد تخرجها الضرورة عن الاضافة . وللضرورة أحكام تخصها . كما وقع لناظم لامية الاحكام (وربع يتيم لايباع سوى لحاجة) . فما كان جوابه يكون جوابنا نحن :

وهل أنا الا من غزية ان غوت   غويت وان ترشد غزية أرشد

* * *

انا ابن دارة معروفا بها نسبي   وهل بدارة يا للناس من عار

* * *

فان لم يكنها أو تكنه فانه   أخوها غذته أمه بلبانها

وأما لفظة الآلام فهي جمع ألم . كجبل وجبال (وفعل أيضا له فعال(٢) وهو قياسي بشرط اسميته . ويحتمل أن يكون مفردا . وزيدت فيه الالف قبل ءاخره . كما في عقراب . من قولهم (أعوذ بالله من العقراب) وقد ذكر شراح السلم هذه اللغة عند قوله (فابن الصلاح والنواوى حرما) وهي العرب تقول ماشاءت (٣) وأما التعجب باسم الجلالة فهو أشهر من أن يذكر . فلله در من أنكره . ولو تأمل في التوضيح لوجده (لله دره فارسا) والعرب بالباب . فدونكها أجوبة دامغة لتلك المشكلات السابقة . ونعلمك أننا شرعنا في تأليف مجموع نجمع فيه ان شاء الله ما طغى به القلم في مقامتك الاولى . ومحاورتك الثانية بحول الله . وترجمناه بعنوان (البيان

---

١) كنت نبهت على هذا فى حاشية رسالة الاديب أوبو فى (السادس عشر) قبل أن أطلع على هذا الجواب . ٢) شطر من الالفية فى النحو .
٣) للمعرب اختيارها حقا . ولكن أغيرهم أن يخرجوا عن الكثير المعتاد ؟

فيما طغى به اللسان والبنان) ورتبناه على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة . وفي كل باب ثلاثة فصول . وسنلم فيه ان شاء الله بما تبتهج به النفوس. ويلهي عن الخندريس في الكؤوس . من فنون الادب الاثنى عشر . وربما نوشحه ببعض نوادر وحكايات بحول الله وقوته . وطوله وارادته . وبعد اتمامه ان شاء الله ياتيك وتنشد بعد مطالعته :

الطرس روض واسجاع منمقة	مثل الرياحين (نعم القاضي قاضينا(١)
الله أكبر ان الفضل موهبة	لمن يشاء الاله لا لمن شينا
أولى بنا الصمت لاالانكاران قصرت	خطا العقول بنا سبحان بارينا
غفرانك الله وارحم من تضرعنا	(ويرحم الله عبدا قال ءامينا (٢)

قيده أسير الهفوات . الكثير الخطئات والسيئات . الراجي من فضل مولاه أعلى الدرجات : داوود بن عبد المنعم وفقه الله وعامله بجميل لطفه وستر عيبه ءامين)

جوابه الآخر :

(الحمد لله الملهم الرشاد . من شاء من العباد . المنزه عن الغلط والنسيان . الذي خلق الانسان وعلمه البيان . والصلاة والسلام على المعصوم من قرض الشعر وانشائه . صفوة انبيائه . وخيرة أتقيائه . سيدنا محمد المصطفى الكريم . صلى الله عليه وعلى ءاله وأصحابه نجوم الاهتداء . وأيمة الاقتداء (أما بعد) فلما منّ الله علينا بنظم مرثية شيخنا الامام حجة الاسلام . وقدوة الايمة الاعلام . أبي العباس سيدي الحاج أحمد ابن عبد الله الصوابي . وقعت في يد بعض المتشاعرين العصريين. وانتقدها ذلك البعض . فكتب الينا بشيء من أبياته أعرضت عن ذكرها هنا . لأنها لاتستحق أن تذكر . فضلا عن أن تكتب أو تسطر . فراجعته بهذا المكتوب المنثور . لضيق نطاق المنظوم عن استيفاء ما تعلق بذلك من المقصود . على وجه المذاكرة التي هي الضالة المنشودة لكل لبيب . فقلت : غفر الله لي ما قلت وما فعلت . السلام على من اتبع الهدى . (وبعد) : فقد بلغنا القرطاس الموجه الينا من ناحيتكم . فتصفحناه . فاذا هو كما قيل اسمع جعجعة ولا أدرى طحنا . فاقتضى ذلك مراجعتكم في الموضعين اللذين عمدتهم الى النقد علينا فيهما . ثم نتبع ذلك بشيء مما يتعلق بقريضكم . ولم نستوعب جميعه . لانه يحتاج الى الكراريس المتعددة ولكن ما لايدرك

١) كانت هذه الجملة جرت من قلم القاضي الذي كتب هذه الرسالة جوابا له .

٢) شطر مضمن وأوله : ءامين ءامين لا أرضى بواحدة .

كله لا يترك كله (أحدهما) مـا قررتم بطرة قرطاسكم مـن أن الشخص لايكنى الا بولده فقط . وسواه لغو أو باطل . واستدللتم بما هو مقرر عندكم في كتبكم . وزعمتم أن لا علم الا ما في كتبكم أو صدوركم . وابطلتم جميع ما ألفه العلماء ودونوه . واصطلحوا عليه . واستمر عليـه عملهـم جيلا بعد جيل . وخلفا عن سلف . تبعا للعرب في استعمالهم الذين وضعوا الكنى لجميع الحيوانات وغيرها . وهي العرب تقـول ما شاءت . فوضعـوا للحمار أبا صابر وأبا زياد . وللبغل أبا الاشحج وأبا الحرون وأبا الصقر وأبا قضاعة وأبا قموص وأبا كعب وأبا مختار وأبا ملعون . وللذباب أبـا حفص وأبا حكيم وأبا الحدوس . وللخنفساء أم الفسو وأم الاسود وأم مخرج وأم اللجـاج وأم النتن . وللبرغوث أبا عدى وأبا الوثاب . وللبرذون أبـا الاخطل . وللاسد أبا الابطال وأبا حفص وأبا الاخياف . وأبا الزعفران وأبا شبل وأبا الحرث. وللذيب أبا حيدرة . وللخمر أم الطلا. كما قال شاعرهم:

هي الخمر تكنى بـأم الطلا كمـا الذيب يكنى أبـا حيدرة

وللأفعى أبا حيان وأبا يحيا . وللجرادة أم عـوف . وللجراد أبا جـوال وأبا راشد وأبا العدرج . وغير ذلك مما يفضى بنا استقصاؤه الى ما لانهاية له . ووضع الناس بعد العرب اتباعا لسننهم ما لايحد بمقياس . ولا يوزن بقسطاس . فتارة كنوا بالولد كما هو معلوم . وتارة بغير الولد . كأبـي تراب لسيدنا علي كرم الله وجهه . الذى كناه بـه سيد الوجود صـلى الله عليه وسلم . وكأم القرى لمكة المشرفة . وكأم الكتاب للفاتحة . وأبي الورى وأبي العجائب للدهر . وكأم دفر للدنيا . وأبي هريرة وأبي السنابـل وأبي الصقر وابي البركات وأبي القناديل وأبي الرجاء وأبي الفضائل وأبي المواهب وأبي المعالي وأبي المودة وأبي الضيـاء . حتى كنى المتنبّي ممدوحه كافورا حين رضي عنه أبا المسك في قوله :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا اليه وذا الوقت الذى كنت راجيـا

وقولـــه أيضا :

أبا المسك أرجو منك نصرا على العدا

وقولـــــه :

أبا كل طيب لا أبا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغوايا

والى غير هـذا مما لاينحصر . ليت شعرى أى ولد وجدت في كتبك التي تبجحت بها . تسمى بواحـد من تلك الاسماء التى كنى بها هـؤلاء الاشخاص المذكورون . كأنك لم تدر ان الاضافة تقع لأدنى ملابسة . كأبي الهيجاء كنية لابن سيف الدولة . وكأبي المحاسن ليوسف الفاسي . وتقع

ايضا تهكما كأبى البيضاء لكافور . كناه به المتنبى تهكما . وغير ذلك مما يطول (ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا) (لقد جئتم شيئا اداًا) .

وثانيهما ما صرحت به من أنك وجدت التضمين في مرثيتنا حلها مرتين . وذكرت أنه عيب على الصغار . فكيف بالكبار . وأنه يجب على أهل العروض أمثالك دفعه . وتظاهرت بأنك من أهل العروض . وتنشد بلسان حالك :

أنا الذائد الحامى الذمار وانما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

وتعنى بذلك قولنا :

أرى الزهد والاخلاص والدين والهدى
وحسن الوفا والعهد والهمم القعسا
علاها اكتئاب واكفهر جبينها
ونادت جهارا تشتكى الخسف والشكسا

وقولنا أيضا :

وانى على ما نابنى من مضاضة برزء دهى فاجتث منجلدى الاسا
احق وأولى بالبكا متأسفا الى أنجرى النجيع منمقلتى بجسا

فأقول : (سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مومنين) رفقا رويدك أيها المعترض الناقد . الضارب فى البارد . أسأت سمعا وأسأت جابة .

مهلا على رسلك حادى الاينق ولا تكلفها بما لم تطق

غيره :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الابل

غيره :

يا بارقا بأعالى الرقمتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ثم أعلم أيها المنتقد . أن انتقادك منقود . واعتراضك عليك مردود . وان هذا الذى لم يقبله فهمك السقيم . وذوقك الغير السليم . نتعمده ونطرز به قصائدنا كغيرنا ممن تقدم من فحول الشعراء الحاملين راية الادب على رؤوس الاشهاد فى كل حين . قال الدمامينى عند قول الخزرجى (وتضمينها احواج معنى لذا وذا) ما نصه وكلام الناظم منتقد من جهة شمول تفسيره التضمين بما ليس منه . وذلك لان أول البيت اذا كان مفتقرا الى أول البيت الثانى فليس بتضمين . نص عليه أبو العباس وسماه تعليقا معنويا . ووجه بأن القافية محل الوقف والاستراحة . فاذا كانت

مفتقرة الى ما بعدها . لم يصح الوقف عليها .أمـا اذا سلمت القافيـة من الافتقار فلا عيب . لانتفاء هذا المحذور كقوله :

وما وجد اعرابية قذفت بها صروف النوى منحيث لم تكظنت
تمنت أحاليب الرعاء وخيمة بجد فلم يقدر لها ما تمنت
اذا ذكرت ماء الفضاء وطيبه وريح الصبا من نحو نجد أرنت
بأكثر منى لوعة غير أننى أطأمن أحشاءى على ما أجنت

قال ومثله كثير . وربما عد بعض أهل البيان مثل هذا من فن البديع وسماه بالتفريع . انتهى كلام الدماميني . وقول ناظم الابيات (بأكثرمنى) هو خبر (ما) من أول الابيات . وقال (ابن زاكور) فيشرح (قلائد العقيان) للفتح بن خافان ما نصه : والتضمين المعيب عندهم خصوص تضمين القافية وهي الكلمة الاخيرة من البيت . كأن يكون فعلا والفاعل في البيت الـذى يليه . أو مبتدأ والخبر بعده . وأما ما تعلق أول البيت بأول مـا بعـده . فمستحسن جدا . لاسيما عند افادة الكلام قوة وتأكيـدا . ويزيـد ذلك للكلام رونقا ويكسبه حلاوة وبهاء ومنه قول بعضهم (وما وجد اعرابية)الخ الابيات المتقدمة . وقال أيضا ومن ذلك ما أتفق لى في قصيدة وهى :

أراها اذا أفنى نحيبى تألمى وأذهلنىعنىمن الشوق أقياظ(١)
وصم صدى الاسماع عنهدىعذلى فاخفق عذال بذاك ووعـاظ
نجية أفكارى تحـدث لوعتى بما لاتعى من مسند الود حفاظ

فـ (نجية) مفعول ثانى لأراها . وقال أيضا وكذلك ما وقع لى فـي قصيدة أخرى . مدحت بها شيخنا سر الزمان أبا على اليوسى رحمه الله وهو:

من لم يشاهـد درسه ونفائس الابحاث تورد

وأتى بجواب (من) الشرطية فى البيت السابع . وهو :

لم يجن تمر العلم بل لم يدر كيف العلم ينشد

وقال أيضا : ولشيخنا اليوسى المذكور فى قصيدته الدالية المشهورة مثـل ذلك . وهو :

ما دوحة فينانة أو روضة بخميلة أو فى يفاع أنجد

وأتى بخبر ما فى البيت الثانى عشر . وهـو :

بألذ من تلك الليالى لو محا ما خطه الدبران سعد الاسعـد

انتهى كلام ابن زاكور . فقلت ومثل هذا ما وقع فى همزية البوصيرى

١) أقياظ جمع قيظ : أى الحر .

أيضا فى قوله :

ثم قام النبى يدعو الى الـ ـه وفى الكفر نجدة واباء
أممـا أشربت قلوبهـم الكفـ ـر فداء الضلال فيهم عياء

فقوله (أمما) مفعول (يدعو) ومثل هذا لاينحصر . ومنه قول شيخنا علامة الدنيا والزمان . الاديب المشهور سيدى الطاهر بن محمد الافرانى فى قصيدة له فى ختم (التلخيص) ومطلعها :

ذكر الحمى حياه عهد رباب فشجاه بعد الشيب عهد رباب(١)
وشدت مطوقة فهاجت لوعة حرى ووجدا لم يكن بحسابى
وتألق النجـدى فاتقدت بـه ناران نار أسى ونار تصاب
صب اذا جن الظلام فجفنه بعرا النجوم معلق الاهـداب

فقوله (صب) هو فاعل (ذكر) أول القصيدة . فتأمل ايهـا الناقـد المنكر (العابد) هذا المعنى المستحسن . المسمى بالتفريع عنـد العلمـاء . والفحول من الادباء . واستهجنته بزعمك الفاسد. وفهمك البارد . وتشدقت بأنك من أهل العروض الحامـين حمى الادب . وتجـاهرت بسوء الادب . وأردت أن تعلم أمـك البضـاع . وتكفلت بالدفـاع . واتهمت السليم . واستحسنت الدميم. فاخطأت استك الحفرة. ووضعت الهناء بغيرالنقب(٢) ونفخت فى غير ضرم . فيا المعجب . ولضيعة الادب :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

غيره ـ وهو ابن عنين ـ :

أنفـوا المـؤذن من بـلادكـم ان كان ينفى كل من صدقا

غـــيره :

اذا محاسنى التى أصول بها كانت ذنوبا فقل لى كيف اعتذر

غيره ـ لأبى الاسود الدؤلى ـ :

كضرائر الحسنة قلن لوجهها حسدا وبغضـا انـه لـدميم

غـــيره :

يعد عـلى الواشيات ذنوبهـا ومن أين للوجه المليح ذنوب

---

١) عهد رباب . الاول معناه : مطر السحاب . والثانى عهـد المحبوبـة المسماة ربابا . وشجاه : أحزنه .

٢) الهناء بالكسر القطران . النقب موضع الدبر من الجمـل . وهو شطر أوله : متبذلا تبدو محاسنه . يضع الهناء الخ

غـــــيره :

واذا لم تر الهـلال فسلم لأنـاس رأوه بالابصـــار

غـــــيره :

اذا كنت مزكوما فليس بـلائق مقالك هذا المسك ليس بفائح

غـــــيره :

ومن يعترض والعلم عنه بمعزل يرِ النقص فيعين الكمال ولايدرى

غـــــيره :

لو كنت تعلم ما أقـول عذرتنى أو كنت أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى وعلمت أنك جاهل فعذرتك

هيهات ثم هيهيات

(علمت شيئا وغابت عنك أشياء) (١)

ولا تسر عن طعنا فكم عائب رضا وءافته الفهم السقيم فذكـر

غـــــيره :

اذ قيل كم مزيف صحيحا لأجـل كـون فهمه قبيحـــا

ورحم الله المتنبى اذ قال :

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تاتون والكرم

ومن هذه القصيدة :

يا أعدل الناس الا فى معاملتى فيك الخصام وانت الخصم والحكم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره اذ استوت عنده الانوار والظلـم
أنا الذى نظر الاعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

وقـال أيضـا :

كدعواك كل يدعى صحة العقل ومنذا الذىيدرى بما فيه منجهل

ولـه أيضا :

أذم الى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم وأحزمهم وغـد

وقـال ءاخر :

على نحت المعانى من معادنها وما علىَّ اذا لم تفهم البقر

ورحم الله ابن النقيب اذ قال :

وما الموت الا طيب طعمه اذا تديـك فروج وزبب حصرم

ورحم الله المعرى اذ قـال :

اذا عير الطاءى بالبخل ما د ر وعـير قسا بالفهاهة باقـل

---

١) من قصيدة لأبى نواس مشهورة .

الى أن قـــال :

فيا موت زُر ان الحياة ذَميمــة ويا نفس جدى ان دهرك هازل

وقــال غـــيره :

ففى الصمت ستر للغبى وانما صحيفة لب المرء أن يتكلمـا

قـــال المتنبّى :

ومـن جهلت نفســه قـدره رأى غيره منه مـا لا يرى

ورحم الله بعض الادباء مجيبا عن أبيات لبعض الثقــلاء . مشحونــة بالمساوى والمخازى والدعاوى . المتشبعين بما ليس عندهم اذ قال ـ وتنسب لابن مسعود . والصحيح أنها لمحمد الحضيكى تلميذه ـ :

أعوذ برب العرش من سوء قاصد ببهتانه افحام عمرو وخالـد

على أن فى بعض القريض ركاكة وشهرتها أغنته عن نقد شاهد

ورفع القوافى ليس يجدى اذا بدا قفا شاعر للصفع من كف ناقد

فعار عليك فاسترنها ومن بدت مـذاكيره للناس ليس بماجد

ولكننى استغفر الله حينمـا نظرت اليها فجأة غير عامد

وما أحوج الانسان من كل عالم الى لبس سربال التواضع ناشد

الى أن قـــــال :

وقصدى بهذا النبل تأديب كاتب تبجح عنا بالذى لم يشاهد

ولا بأس أن نذكر شيئا نزرا من مساوى قريضك أيهــا المتشاعر . أما جميعها فلا يسعه الا الكراريس المتعددة . فنقول بعد ايراد شىء مــن النــوادر المنتظمة فــى سك قريضك . . . . . . (١) قـــال الشيخ اليوسى رحمه الله فى محاضراته : قال بعض الثقــلاء أبياتا مدح بها شجاع ابن القاسم كاتب (المستعين) وهى :

شجاع لجاع كاتب لاتب معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

خبيص لبيص مستمر مقدم كثير أثير ذو شمال مهذب

فطين أطين ءامر لك زاخر حصيف لصيف حين يجبر يعلم

بليغ لبيغ كل ما شئت قلته لديه وان تسكن من يسكن (٢)

أديب أبيب فيه عقل وحكمة عليم بشعرى حين أنشد يشهد

كريم أريــم قالص متبــاسل اذا جئته قدما الى البذل يسمح

انتهى وقال أيضا لقى بعضهم شيخا من الاعراب فقال له : أتقول الشعر . قال : لم أقل قط الا بيتا واحدا وهو :

سقيا ورعيــا وزيتونا ومغفرة قتلتم الشيخ عثمان بن عفانا

---

١) حذفنا نحن هنا كلمات نابية . ليس من عادة قلمنا أن تكتبها .

٢) كذا بلا وزن أيضا . فضلا عن المعنى .

قال الراوى : فجعلت أتأمله فقال الاعرابى لعلك تتأمل فى معناه . فقلت نعم . فقال : أنا قلته منذ سبعين سنة وأنا أفكر فى معناه فما فهمته فكيف تطمع أنت فى ساعة واحدة . انتهى كلام اليوسى . ومثل هذا مما لامعنى له وان كان موزونا مقفى . ما أنشده القللوسى وهو :

وجهك يا عمرو فيه طول … وفى وجوه الكلاب طول
والكلب يحمى عن الموالى … ولست تحمى ولا تصول
مستفعلن فاعلن فعولن … مستفعلن فاعلن فعول
بيت كما أنت ليس فيه … شىء سوى أنه فضول

وغير ذلك مما يهذى به الثقلاء الاغبياء .

فاما قريضك ففى مثله قال بعضهم :

نظامك ياشعرور ضحكة ضاحك … وفهمك يا مغرور فرية ءافك

وقال شيخنا علامة الدنيا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى فى مثله :

فيالك شعرا لايرى الحاثم الظامى … لديه سوى عى يشين وأوهام
فماشئت من معنى ركيك تمجه الـ … ـطباع وتاباه رقائق أفهام
ولفظ كثلج فى خيار برودة … وطلعة واش لاح للصب نمام

وقال ءاخر :

مساولو قسمن على الغوانى … لما أمهرن الا بالطلاق

ألفاظ نظمك أقبح من ظلمة الجاحظ الذى قيل فيه :

لو يسمح الخنزير مسخا ثانيا … ما كان الا دون قبح الجاحظ

ومعانى نظمك باردة . ومبانيه مختلة . وتراكيبه معتلة . وركاكته بادية . وجدواه واهية . وحلاوته مفقودة . وطلاوته غير موجودة وانسجامه معدوم . وانتظامه مصروم . أما تستحيى ؟ أما ترعوى ؟ أما تنتهى ؟ وفى الحديث : الحياء من الايمان . وفيه أيضا اذا لم تستحيى فاصنع ما شئت . ما أقل حياءك وأكثر اجتراءك . وأغزر جهلك . واعرض قفاك .

خل الطريق لمن يبنى المنار به … وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر

غـــــيره :

اذا لم تستطع شيئا فدعه … وجاوزه الى ما تستطيع

* * *

يابارى القوس بريا ليس يحسنه … لاتفسد القوس اعط القوس باريها

ورحم الله من قال :

فسد الزمان وساد فيه المقرف … وجرى مع الطرف الحمار الموكف

ومن قـــال :

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم

ومن أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ فهلا انتهيت ؟ لقد نجست هذه النواحي بسلاحك (١) في زى أشعارك . وزعمت أنك ابن بجـدة الشعر . وابن جلاه . وانك أفدت أبا تمام اختراعاته . وابن المعتز تشبيهاته . والمتنبى محبراته . والبحترى مرققاته . وابن المراغـة هجوياتـه . وأبـا نواس خمرياته . وابا فراس استنباطاته . وأبا العتاهيـة زهدياته . وزعمت أن اياسأ انما استضاء بمصباح ذكائـك . وسحبان انما تكلم بفصاحتـك . وعمرو بـن الاهتم انمـا سحر ببيانك . ولـو أصلحت لسانك وطهرت جنابك . وبريت يراعك . وأخذت لوحك ودفترك . وتعلمت مـا جهلت . وتواضعت اذا علمت . لكـان أولى لك . ولـو أتيت البيوت من أبوابهـا . ويممت علمـــاء القريض . وأساة القـول المريض . وتعلمت أساليبهـم . وانتهجت سبيلهم . واستفدت معانيهم المخترعة . ومنازعهـم المنتزعـة . وتقمحت(٢) من كؤوسهم المترعة . لكان أليق بك . والا فالزم جهلك بين أبناء جنسك . واشتغل بلوم نفسك . وعد يومك من أمسك . وأمسك ثم أمسك ولا تتطاول بما ليس في يدك . ولا تتشبع بما ليس من عندك . ولا تبارز ولا تحارب فتفتضح في مجال الامتحان . بين الاقران . ولا تظـن البغاث يستنسر . ولا التمييز بين الفضة والقضة متعسر . أطرق كرا . ان النعام فى القرى . قد تحككت العقرب بالافاعى . وتمشيخ الولدان . واستنت(٣) الفصلان . أما سمعت قول القائل :

وابن اللبون اذا ما لزّ فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقول القائـل :

فانك واستبضاعك الشعر عندنا كمستبضع تمرا الى أهل خيبرا

ألم يبلغك قول القائل :

كل من حاك يعرف النسج لكن نسـج داوود ليس كـالعنكبوت

واعلم ثم اعلم أن صبيان الحى يستهزئون بـك . ويشير الى . . . . وينشدون وقد بدا . . . . من مئزر . ويقولون لك ما قاله ابن زيدون لابن عبدوس (أيها المصاب بعقله . المورط بجهله . البين سقطه . الفاحش غلطه العاثر فى ذيل اغتراره . الاعمى عن شمس نهاره . الساقـط سقـوط الذباب على الشراب . المتهافت تهافت الفراش فى الشهاب) ان الهر أجمل

١) السلاح بالضم : فضلة الانسان . ٢) لعله مطاوع قمّحه بالتشديد : اذا دفعه بقليل عن كثير يجب له. ٣) استنت : جرت . والفصيل: ولد الناقة

منك يستر غائطه . لئلا يؤذى به غيره . وأنت أيها البذى جعلته فى قراطيسك وتتحف به من كان شاسع الدار . بعد ما أتلفت به الجار . فلا حول ولا قـوة الا بالله .

أكذا يجازى ود كل قرين أم هذه شيم الظباء العين

غـــــيره :

ان دام هذا أو لم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمـولود

غـــــيره :

ان دام هذا السير يا مسعود لا جمل يبقى ولا قعـــود

ويقول لك الصبيان : أما قرأت قوانين القريض وشروطه وأسبابـه وأوتاده ؟ أما دريت ما قال شارع الابتهاج حيث تكلم على ما ينبغى للشاعر اعتباره . والتفطن له واستعمالـه . اذ قـال ينبغى للشاعر أن لاتخرج القصيدة من يده حتى يبالغ فى تنقيحها وعرضها على أهل الخبرة والذكـاء لئلا يقع فى محذور . كما قال المطوعى :

لاتعرضن على الرواة قصيدة ما لم تكن بالغت فى تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوسا تهذى بها

وغير ذلك مما ينبغى للشاعر مراعاته . مما ذكره علماء الادب . كأبى الفتح الموصلى فى كتابه (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) وغيرها اهـ.كلام شارح الابتهاج. وينشد الصبيان اذا أخذهم الطرب من انشاد قصائدك

ولست وان أطنبت فى ذم شعركم بأول انسان . . . . فى ثيابـه

ولعلك يا مغرور اذا بلغك مـا يقول فيك الصبيان تنتفـخ وترتعد . وتقوم وتقعد . وتضطرب وتنشد :

فشعرى بحر لايرى فيه ضفدع ولا يقطع الرعاد يوما له لجـا

وتشقشق وترعد وتبرق . وتقول كما قال عويف القوافى :

سأكذب من قد كان يزعم أننى اذا قلت قولا لا أجيـد القوافيا

وتقول أنا أبصر بالشعر من المائح . باست المائح . فتراجعنا ثانيا برجيعك وتخرج ما بقى من عجرك وبجرك . فتفضح أيضا كما هو عادتك . وتكون لك عندنا احدى الثلاث : اما الجواب فى قذال الدمستق (١) واما فعل ابن علفة بالجهنى (٢) واما ما لقى يسار من الكواعب (٣) . ونتحفـك تكرمـا وايثارا بقول القائـل :

تعلم يا فتى فالجهل عار ولا يرضى به الا حمـار

---

١) يشير الى بيت المتنبى الذى قاله فى الدمستق يخاطب سيف الدولة :
وكنت اذا كاتبتــه قبل هذه كتبت اليــه فى قذال الدمستق
٢) جاءه خاطبا فدهن أسافله بزيت وأدناه من قرية نمل (فى قصة)
٣) يسار : عبد تضحك عليه الكواعب وظن أن سيدته تعشقه فجدعت أنفه (فى قصة)

ونستغفر الله من اجراء مساوى قريضك على ألسنتنا . بعد ما غسلناها امتثالا لقول القائل :

واغسل لسانك ان نطقت به مستعجلا من قبل أن تنسى

ونسأله تعلى أن يلهمنا الصواب . في كل مقال وخطاب . وأن يرينا عيوبنا حتى لا نرضى على أنفسنا ويسد علينا أبواب كنف المتشاعرين الضالين في مهامه غوايتهم . القاصرين . ويوفقنا لتسديد السهام الى نحورهم واستصال مجتث (١) بحورهم . بجاه قوله تعلى (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا ملعونين . أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل) الآية . وبجاه من نزلت عليه صلى الله عليه وسلم القائل : يخرج من ضيئضى هذا قوم يقرأون لايجاوز القرءان حناجرهم . يمرقون في الدين كما يمرق السهم من الرمية . وكما قال صلى الله عليه وسلم القائل أيضا ان يكنه فلن تسلط عليه . والا يكنه فلا خير لك في قتله . وأن يختم لنا بالحسنى . ويجلسنا عن بساط الرضا في المقعد الاسنى . وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

(أقول) ان عابت الرسالة فى بعض الانظار أحدا. فلن توثرأى عيب فى المخاطب بها . لاننا رأينا كلامه فى رسائل أخرى. والانسان يعيبه مايقوله لامايقال فيه. وأكرر أن الاديبين الكبيرين عظيمان أدبا وعلما ومروءة ودينا. ولولا الاثر الادبى لما التفت قلمنا الى كل هذا . ما لكل اخواننا وساداتنا . حياهما الله وبياهما.

قواف من اقواله

كان المترجم منطيقا ينتهز الفرص . فيقول كلما سنحت فرصة لايفلت أية واحدة منها . فله مع أشياخه مدحا ورثاء . وله مع أقرانه مساجلة . وله مع الرؤساء الذين تلجئه الضرورة اليهم . وله مع تلاميذه . فلنختر من كل ذلك ما لم يكن موضوعا في مكان ءاخر تقدم . أو مرصد لمكان ءاخر سياتي . لاننا حريصون على أن لانتخطى كل ما في الامكان ايداعه في هذا الكتاب من الاقوال الادبية . كيفما كانت .

مع شيخه سيدي الطاهر الافراني

كتب الى العلامة شيخه الطاهر يستجيزه :

لاتجزعن وان كان الزمان أسا فيما مضى وكوى الحشا بنار أسى

١) فيه تلميح الى أن شعر مخاطبه كان في بحر المجتث .

فاليوم تاب فصفحا عن اساءته … وقد أعاد من الافراح ما اندرسا

وغاب منه رقيب ليس يغفل عن … صب يضيق عليه الانف أن عطسا

وجاد عن ظنه بما به انتعشت … أرواحنا بعد وجه طالما عبسا

فأصبحت غرة الامال مسفرة … اسفار طلعة شيخ بالسنا التبسا

طلعة شيخ الهدى البكرى جامع أشـ … ـتات المكارم والسر الذى انبجسا

الجامع المانع الفرد المطبق صيـ … ـته دمشق وبغدادا وأندلسا

شيخ الجماعة نور الله كاشف غمـ … ـة الضلال اذا ما اجرض الجلسا

امامنا الطاهر الاسنى المصحح فى … قلبى لـه الحب مـا أردد النفسا

فرد تسنم ذروة العلا وعلى … هامة قنتها الشماء قد جلسا

هـو اليتيمة فى تقصار مكرمـة … فى لبة الدهر يجلو حسنها الغلسا(١)

أشيخنا يـا امام العصر قاطبـة … هـذا عبيدك يستجديـك ملتمسا

يبغى الاجازة من فضلك يصلح ما … رواه عنك بها فامنن بما التمسا

بما رويت ومـا اتقنت مـن نخـب … قد اعجزت ببهاها المفلق الندسا

وثن بالاذن فى أذكار سيدنا الشـ … ـيخ التجانى الذى وأسى الهدى وأسا

وان عدمت لها كل الشروط فحسـ … ـبى من ودادك ما أتقنتـه فرسا

بالفضل منك فباب الله بابك من … وافاه يلفى كما أحب ملتمسا

وامـلأ حقائبنـا بسر أدعيـة … صالحـة ورضا يشملنا بكسا

عذر العبد الى جـدواك مدّ يـدا … عسى بفضلـك أن تقبلـه وعسى

وهاكها من نبات البـدو عاطلـة … وضمت المزريين الجهـل والفلسا

فاللـه يبقيك شمسا للهدى أبدا … فيستوى فى ضيائك الضحى ومسا

بجاه خير الورى المختار أفضل من … زكى النهى ونفى عن حسنها الدنسا

عليه أزكى صلاة الله ما ضحكت … أزاهر زارها الوسمى منبجسا

والآل والصحب من هم الاساة لعلاّ … ت القلوب وهم فى المكرمات أسا

الجواب نظما ونثرا :

وافت تروم وصالا والمشيب عسا … واللهو بعد الصبا أتعس به تعسا

خـريدة نفثت سحر البيان فلـم … تـدع لغيـداء لا دلاّ ولا لعسـا

تنمى لفكرة من ان قـال ذل لـه … بالرغم من كان مرؤوسا ومن رأسا

أبى سليمان من لان الكـلام لـه … اذا أهـاب بـه لبـاه مـا شمسا

داوود الندب من رام السيادة فى … فتاء سن فوافـاه الـذى التمسا

علامـة العصر من أحيـا بهمتـه … من المعـارف والعليـاء مـا درسا

عليه منى سلام اللـه ما ضحكت … خميلة من محيا المـزن ان عبسا

ايه لك الخير مذ وافت قصيدتك الـ … ـغراء أنست صبا روض الربا نفسا

---

١) التقصار بالكسر : القلادة .

بلاغة لو رءاها ابن الحسين علـى   اعجابه وأبو تمام ما نبسا
أنست برقتها مـا جـرحته يـدا   همٌ أساء وأنست ذنب كل أسي
لكن لعـزة ما رامت نكست لهـا   رأسي ولا عجب ان مفلس نكسا
تبغي الاجازة ممن ما جنى ثمرا   من المعارف يومـا لا ولا غـرسا
وانني اليوم أولى أن أذكرهـــا   مقال من قال اعـلانا وما همسا
(أعيذها نظرات منك صادقة)(١)   فافطن ولا تغترر من جاهل بكسا
كم غر من جاهل حسن الرواء فان   جربتـه خلته في نطقـه جرسا
لكن لما لك من حق أجزتك اطـ   ـلاقا بشرط سما في عقدهم ورسا
بما روينا وأسندنا الى بثة   كل غـدا عالما فى قطره 'نـدسا
فالزم أخي حمى العلم وصنه يصن   وصحح القصد جدا واحذر الدنسا
واقصد به اللـه وابذله لطالبـه   فالعلم يزكو على بذل صباح مسا
واصبر على مضض التعليم محتسبا   واغفر اذا زل يوما صاحبا أو أسا
واخفض جناحك وانف الكبر عنك وجد   بالبشر في أوجـه الخلان والجلسا
كما اذنتك أيضا في طريقة قطـ   ـب الاولياء جميعا من زكا وخسا(٢)
شيخ الشيوخ التجاني الامام أبي الـ   ـعباس كشاف ليل الجهل حين غسا
بشرطها الواجب المرعى المقرر في   أذهـان أصحابـه الايمة الرؤسا
فالله يجزى شيوخ الـدين كلهم   بالخير من وجدوا منهم ومن رمسا
لعل نفحة سر من جنابهم   تسرى فتنعش أرواحا لنا وعسى

* * *

أبا سليمان هاك ما طلبت فجد   بحسن صفحك واقبل منه ماهجسا
واعذر أخاك فان الدهر حمله   ضعفا وهما وذنبا أوجب الهوسا
والله يسقي قلوبا شفها ظمأ   منا نميرا من الرضوان منبجسا
بجاه من جاهه الحامى يلوذ به   من كان ملتمسا أو كان مبتئسا
عليه أزكى صلاة الله ما قطعت   وفوده برجاه البحر واليبسا
وما أجاز محبيه بجائزة الـ   ـرضوان تسكنه الفردوس والقدسا

(الاخ الحبيب الكريم . الفقيه الاديب الذى لايحيد عن الخلق الجميل ولا يريم . أبو سليمان سيدى داود بن عبد المنعم الرسموكـي . أدام الله عزه مرفوع الدعائم . مؤيدا بالتقوى وكرم الشمائل . وسلام عليه أطيب مما منه الينا . وأرسخ مما له من المكانة لدينا . ورحمة الله وبركاته (هذا) والحق الذى لا محاباة في تركه . والعقد الذى لاينبغي انفصام سلكه . هو الدعاء من كل لأخيه بظهر الغيب . وحفظ رسوم العهد برعايـة القلب .

---

١) ءاخره : ان تحسب الشحم ممن شحمه ورم .

٢) فسروا العبارة بالوتر والشفع ومن (حرف جر) .

وان بعد الجسم . ثم ان رسالتك الكريمة . وعقيلتك التى عقلت الافكار عن مجاراته قد وصلت . وفهمنا مضمونها . الا أنها غفر الله لها استسمنت ذا ورم . ورعت الهشيم . غير انى وان ألجم الخجل . وعظم المطلوب على الفكر وجل . تكلف الذهن الكليل ما روى وارتجل . اذ لم يجد عن الجواب بدا . وان علم أنه تجاوز قدره وطوره وتعدى . وأجزتك وفق ما طلبت أيها الاخ الكريم. وان كان مثلى ممن ينبغى له أن يستجيز أمثالكم.ويستنبل نبالكم. فهل تطرء الا الناعلة . أو تدر الا الحافلة (١) فاقبل هذه العلالة على علاتها . واغفر ما ترى من زلاتها :

وسامح ولا تستوف حقك كله واغض فلم يستوف قط كريم

٢٥ رجب ١٣٥٨ هـ)

وخاطبه المترجم أيضا وقد ورد الشيخ الى (تيبيوت) حيث المترجم :

أهنىء دهرى أم يهنىء الدهر بشمس سماء العلم يحظى بها القطر
فمذ طلعت هذى توارت بأفقها شقيقتها تحمر منها وتصفر
فبشراك يا(تِيبُّوت) قدنلت مفخرا تقاصر عن ادراكه القول والحصر
تشرفت الارجاء منك بسيد لعزته تدلت الانجم الزهر
بشيخ أطال الله للدين والهدى سناه فمن أنواره الصبح والفجر
مجيد القريض سيدى الطاهر الذى تذلل اذعانا له النظم والنثر
بأى لسان أم بأية فكرة ألفق مدحا يرتضى وشيه الفكر
وأين جناب الشيخ من نظم شاعر وان طاوعته الشمس فى النظم والبدر
فأولى بنا الامساك اذقصرت بنا الـ ـخطا عن علاه لايحيط بها الشعر
أيا سيدى ويا امامى وعمدتى ويا ملجاى اذا تعرض لى الذعر
الى بابك الاسمى حثثت ركائبى وان عاقها عجز يثبط والدهر
فان فؤادى ليس يرضى سواكم وحاشاه أن يحل ساحته الغير
فمحض ودادى أرتجيه وسيلة اليك اذا ما اختل من أصله العذر
ففضلك يا مولاى أوسع ساحة فمن أمه يحظى ويغمره السر
فجد بالرضا وامنن وسامح واخلصن دعاء لعبد قد أضر به الوزر
عليك سلام مثل خلقك طيب شميم يفوح من نوافجه العطر

وهناك ماخاطبه به المترجم وما أجابه لما ولد له ولده أحمد ـ سنذكره ان شاء الله عند ذكرنا للشيخ وأولاده ـ كما كانت هناك أيضا مرثية فى الشيخ المترجم تذكر ان شاء الله فى ترجمته فى (الجزء السابع) بحول الله

١) أطر الماشى: مشى فى طرف الوادى الخشن. وذلك مثل. والحافلة : ذات اللبن.

بينه وبين شيخه ابي العباس الصوابي

هى قواف متعـددة تشتمل عـلى أمداح وعلى مراث وعلى تهنئات . سنذكر الكل ان شاء الله فى ترجمة هذا الشيخ فى(الجزء الثامن) بحول الله

بينه وبين الاستاذ سيدي الحاج علي الايسيكي

ترجم هذا السيد الجليل فى مشيخة العلامة سيدى على بن الطاهر المحجوبى الرسموكى فى (الجزء الرابع عشر) وهناك نذكر ما خاطبه به المترجـــم .

بينه وبين سيدي الحاج الحسن البعقيلي

يذكر هذا الشيخ الجليل فى (الجزء الحادى عشر) ان شاء الله . وهناك سنذكر ما خاطبه به المترجم .

بينه وبين ءال (تيـيـوت)

سنذكر هؤلاء فى (الفصل الثالث) فى (الجزء التاسع عشر) ان شاء الله . واذ ذاك نذكر كل ما للمترجم فيهم . وهى عدة قواف .

بينه وبين الشيخ النظيفى

سنذكر هذا الشيخ فى (الفصل الثانى) . بعد هذا الذى نحن فيه فى (الجزء التاسع عشر) ان شاء الله . وهنالك نذكر ما خاطبه به المترجم.

بينه وبين القاضي سيدي مـوسى الرداني

قال المترجم يخاطبـــه :

مسرى نسيم ندى يمناك يا موسى	وصيتك المشتهى قد طبقا(سوسا)
وان دعا الله يا كليم عن جبل	فأنت نوديت فوق المجد يا موسى
سماء مجدك قد أبدت منازلها	سعد السعود فلا تخاف منحوسا
أبشر فقد نلت من فخر ومن رتب	وشامخات العلا الصعاب والشموسا
ءاليت ما عن ليل الجهل منسدلا	الا وكنت لداه السيف والموسى
أيشتكى المشتكى وسر مكرمة	قد فاض من راحتيك الضر والبوسى
أدامك الله للعليـاء ساطعـة	أنوار وجهك محفوظا ومحروسا

الجـــــواب :

سلم على السيد الاديب داوودا من كان من جملة الاحباب معدودا
تسليم من هزت الاعطاف منه قصيـدة له تزدرى بالدر منضودا
تختال فى حلل الاحسان سافرة وحسنها أخجل الغوانى الخودا
قد احرزت من سناء الانسجام ومن سنا البراعة مقصورا وممدودا(١)
دعا فلباه مفتاح العلوم كما شاء ولم يعصه ما كان مسدودا
كما أجاب له التلخيص حين دعا فلم يدع من كلاهاذين مقصودا(٢)
لله دهر به أحيا لنا أدبا كنا حسبناه شيئا ليس موجودا

وقال أيضا يخاطبه :

أضاعت فؤادك الجئاذر فى السنح(٣) فاصبحت بين الضال حيران والطلح(٤
وكم رمت وقفة على السفح واللوى فخانت مرامك المدامع بالسفح
فلله قلب ليس يبرح هائما ولم يستفق فدعه بالعذل والنصح
ألا فى ذمام الله صب تلاطمت عليه سجون لا تقدر بالسبح
وزادت لواعج الصبابة والهوى بأحشائه وقد التلهب واللفح
على أنه وان تجلد لم تزل بلابله تمسى عليه كما تضحى(٥)
فزمزم بمن يهوى ويمم ربوعه فطلعته تنفى البلابل باللمح
فطلعته أربت وسامتها على وسامة ثغر الفجر فى مبسم الصبح
وسامة طلعة الامام الذى على تقدمه الاجماع فى رتب الربح
امام الورى قاضى القضاة وهيكل السـيادة دوح المجـد ناهيك مـن دوح
همام ندى يمناه يغنى عفاته اذا أمسكت أنواء دائرة النطح
فقل للعفاة المقترين تيقنوا اذا جئتم ذراه بالفوز والنجح
أيا ملجأ الملهوف يا مطمح العيون ياطيب الاخلاق يا عاطر النفح
أعندك علم يا امام الهدى بأن فضلك لا يحصى بقول ولا شرح

---

١) هذا مأخوذ من اسم كتاب (الممدود والمقصور . من سنا الملك المنصور) فقيل فى التسمية أنها مرقصة . وبكل أسف ضاع هذا الكتاب . فضاع به كثير مما حوالى المنصور أحمد الذهبى السعدى .

٢) فى ذلك توريتان باسم الكتابين فى علم البيان .

٣) الجؤذر بضم فسكون ففتح . ولد البقرة الوحشية . والسنح بضم فسكون : اسم محل بعينه .

٤) الضال والطلح : شجران من البادية . والسفح واللوى فى البيت الثانى : محلان فى بلاد العرب .

٥) البلابل جمع بلبال : الاحزان .

ويكفي الذى يبغي امتداحك أن يرى   حصورا عن استيفاء مجدك بالمدح
عليك من أبهج السلام اريجه   يشفع باليمن الالاهى والروح

هـذا وقد مر فى ترجمة القـاضي سيدى موسى فـى أول الجزء مـا خاطب به المترجم أولاده .

بينـه وبـين الباشا الشنكيطـى :

قـــال يخاطبه :

أئم يان أن يحل ساحتك الصبر   وتقلع عن أجفانك الادمع الحمر
ويبرأ وجد فى الحشا طال مكثه   ويذهل عن تذكار أشجانه الفكر
ويقصر ما يشجيك من ألم النوى   ولا يستفز مزعجـا فكرك الهجر
ودع ما عدا مما بدا واجتهد تجد   فان الفتى اذا تجمد مقتر
ويمم على يمن معان كرامة   وسر فالنجاح فى مسيرك والسر(١)
وحط الرجا بباب باشا (ردانة)   يحفك فى تلك الذرى السعد واليسر
أمير المعالى من له العز والبها   واشراق وجه والسماحة والبشر
يعلم أبناء الـزمان سماحـة   وتهذيب أخلاق فطاب به الدهر
تعلم من يمينه البحر جوده   ومن نور وجهه استفاد السنا البدر
يحاكى سجاياه النسيم لطافة   ويحكى ابتسامه اذا ابتسم الفجر
له قدم فى المجد راسخة فصا   دفته كما تهوى فضائله الغر
فاصبح شمسا فى بروج ولاية   تعالى به فى سعدها الدائم السير
تمشى الهوينى فى فضاء كمالها   وطاوعه فى شأنه النهى والامر
وجرت به ذيل الفخار (ردانـة)   على شعب (بوان) وحق لها انفخر
أيا جامعا بين الفضائل كلها   كما اجتمعت فى أفقها الانجم الزهر
ليهنك يا خير الولاة وملجأ الـ   ـعفاة الذى أعطاكه الملك البر
بك الله أحيا العدل والعزوالندى   بأقطار سوس فاستقام بك القطر
حكمت بحق وانتهجت سياسة   مؤسسة بالعدل فاشرح الصدر
واثنت على علياك ألسن ملـة   توليتها فالحمـد لله والشكر
لمثلك يا مولاى حقت ولايـة   ومرتبة شماء من دونها النسر
ودونكها مولاى من فكرة ذوت   نضارتها مخافة النقد تصفر
أتتك على استحيائها بدويـة   تنث مديحا طاب من ذكره النشر
فأغض على سوءاتها واعذرنها   فكم لبنات البدو يستحسن العذر
ودمت لركن المجد تعلى بناءه   أيا سيدا أطاعه النظم والنثر
فدام على عالى مقامك دائما   سلام يفوح من نوافجه العطر

وقال أيضا يخاطبه :

حيا (ردانـة) مولاها وبياها   وعم نشر الرضا على زواياها

١) معان كرامة بالفتح : محل كرامة .

وأسس الصدق مبناها على شرف ... فالسعد واليمن فى مضمون مبناها
وطرزتها أنامل القبول عـلى ... وفق الكمال فما أبدع مرءاها
يا طيب أنفاسها ياحسن بهجتها ... يا لطفـا نسمتها يا نشر رياهـا
بشرى لها من مدينة تبوأها ... مولى الموالى امام العصر بشراهـا
رحب الدسيعة أمثل الاماثل أكـ ... ـرم الافاضل مولانا ومولاها (١)
شمس السيادة والعلياء بدرهدى ... رب المعالى فمذ دعته اباها
أهلا به من امام فاض كوثره ... على عفاة العلا غداة وافاها
غداة وافى والفى المكرمات على ... شفا فانقذها فورا واحياهـا
وطلية المجد والعلياء عاطلة ... من وشى حلى فحيث حل حلاها(٢)
يانخبة المجد يا بدر السيادة يا ... ندبا يزين العلا والعز والجاها
ويا فقيها تضاءل الفحول لـه ... عجزا فمصقعهم أطرق ما فاها
أهلا بطلعتك الغراء يا أمل الـ ... راجى ونجعة صيدح بمسراها(٣)
فالله يبقى محياك البهى لنا ... طول الزمان بجاه المصطفى طاها
عليه أزكى صلاة الله ما صدحت ... ورق الحمام فهاج الصب مبكاها
والآل والصحب ماهب النسيم كما ... تاهت رداتنا فخرا بباشاها

بينه وبين الاستاذين احمد اليزيدي والبوزاكارني

وكتب الى أحمد البزيدى وهذا اذذاك فى مدرسة المولود بـ(رسموكة) ١٣٥٠ هـ :

يا سيدا قد علت بقدره الهمم ... وزانـه الخلقان الحلم والكرم
وطبق الكون حسن الصيت منه كما ... طبقه المحدقان النـور والظلم
من خصه الله بالتصدير فى رتب ... شيدها الوافران العقل والهمم
وهذبته العلا ثم اصطفاه على ... أقرانه الناطقان العرب والعجم
ذاك الامام أبو العباس أحمد بن ... يعزى له المرعيان العهد والذمم
هو اليزيدى من لم يحص مفخره ... وفضله المحصيان الحبر والكلم
فهاكها يا أديب العصر وافدة ... قد زفها الباعثان الشوق والقلم
فاقبل بضاعتها وان أضر بمن ... أنشأها المزعجان الجهل والبكم
ثم عليك سلام ما الغمام بكى ... فابتهج الناعمان الرند والعنم
سلام صب له على محبتـه ... وصدقها الشاهدان الدمع والسقم
(داوود) من لم يزل يهـدى جنابـك لا ... يضره المقصيـان البعـد والاكـم

---

١) الدسيعة : الطبيعة .   ٢) الطلية بالضم : العنق .
٣) صيدح ناقة شاعر أمرها بانتجاع كريم مدحه .

ثم خاطبه اذ ذاك اليزيدى بقوله :

أتى بريد الذى أهوى فجدد لى ما كنت لم أنس من أيامنا الاول
ولم أزل مذ نأى أطوى الضلوع على داء دفين وأنــواع من العلل
ما أنس لا أنس اذ أرواحنا امتزجت واذ سبقنا ولو نمشى على مهل
فهدم الدهر ما أسسه وبنى بلا أساس فحال الحال للخلل
فأشأمت فرقة وأعرقت فئة فدع تفاصيل ما أبديه من جمل
حتى أدال لنا الرحمان فانتعشت أرواحنا بقدوم السيد الجلل
أبو سليمان من عبد النعيم له أبٌ فان شئت أن تعرفه فسل
عليه منى سلام الله ما حييت أرض القلوب بوبل الدعوة الهطل

جواب المترجم :

مهلا عليك أيا من لج فى عذلى جهلا بهذى التى قد جددت جذلى
هذا الذى دب ما فى طى بردتها الى فؤادى دبيب النوم المقل
هذا الذى خالطت قلبى بشاشتها فاستأصلت كل ما فى القلب من علل
واها لمنزعها الفتان مــدركه أخا النزوع فان لم يصمه يصل
كأنها روضة قد زارها مطر أو غادة زانها وشى من الحلل
أهلا بها من بديعة المحاسن ما أحقها بالقبول المحض من قبلى
راقت ورقت كأنها شمائل من أنشأها فكره الفياض عن عجل
السيد المعتلى فوق ذرى أدب يعرب عن سبقه فى العَلّ والنهل
من ليس يعرو فؤادى فى مودته وان ناى حقبة نوع من الملل
كنز المفاخر من زادت مئاثره زيادة الرمل أو كالمطر الهطل
هو اليزيدى أحمد ابن سيدنا محمد صدر أهل العلم والعمل
أدامك الله يا شمس المعارف يا حلى ُطلية هذا الزمن العطل

ومن أحمد اليزيدى الى داود :

بدر الهداية قد جاد به زمنى ياليته بمحاق البين لم ُيشن
ماذا أقول له ولست أمدحه بما يوفق لو مدحته زمنــى
خلق كما قدسرت لطفا صبا سحرا وهمة كالثريا فى العلا لا تنى
استغفر الله اذ عدى محاسنــه ذم واذ مثله فى الدهر لم يكن

الجواب من داود الى البوزاكارنى واليزيدى :

يا نيرى فلك العليا قريضكما ألهت فصاحته الوسنان عن وسن
ونازعت فى مجاريها بــلاغته ريح الصبا سحرا فى ساحة الغصن
لله دركما ان البلاغة فــى يمناكما حيثما حللتما تكــن
كلاكما فى سماء المجد بدر رشا د يستضاء به فى حالك الزمن

من البوزاكارنى الى الاستاذ داود :

حل فحل وثاق الوجد والحزن عن قلب صب يقاسي الوجد مذ زمن
شعر الاديب الهمام من سما شرفا عز ادراكا فمن يبغي مداه يني(١)
شعر الاديب الذى أنست فصاحته كل الفحول ومن قال ومن ومن(٢)
كم من معان حواها لاتجيب وان جد المجد سوى منزعه الحسن
فما عبيدهم وما لبيدهم ما فخرهم بسوى تقدم الزمن
أما القريض فقد أنسى قريضهم شعرك ياسيدى (داود) يا سكنى
فاطرح سواك جميع الشاعرين ورا وكل ما عنهم يروى بعن وعن
لله درك يا أسنى الورى فكذا الـ ـفخار أو فكذا العلياء فلتكن
لازلت تسمو الى العلياء مرتقيا وتجتنى من ثمار المجد كل سنى
ثم عليك سلام من محبك ما غنت فهاجت أسى قمرية الغصن

بينه و بين اودائه

كتب الى الاديب سيدى الحسن بن على بن عبد الله الالغى :

أياسيدا أضحى لاهل النهى صدرا وأطلعه الكمال فى أفقه بدرا
وطابت سجاياه الحسان وطبقت مئاثره الآفاق فاستكمل الفخرا
ليهنك ما أحرزته من سيادة يفوت منالها الجهابذة الغرا
وته فخرا أبا على فأنت من أناس بأنف العز قدعطسوافخرا(٣)
وكنت بحمد الله معنى شاعر
(وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقرا)
ودم فى كمال وارتفاع وعزة ببرد أمان لا ترى بعده ذعرا
عليك سلام طيب النشر عاطر مدى الدهر يامن صار فى جيله صدرا

اليه أيضا حين أملك :

أيا صافيا أصفيته الود راضيا عن أخلاقه ولا أطاوع واشيا
ويا ثاويا فى القلب منى محله أبى يا أخا الوداد غيرك ثانيا
حنانيك لاتخف أخى تغيرا فان أخاك لا يزال مصافيا
وحق الذى أرسى وأسس فى الحشا ودادك يا خلا تقدس صافيا
لانك من خير الاحبة فطرة فطرنا عليها لا تزال كما هيا
ونهى الى علياك يا خير مملك على أحسن الحالات هذى التهانيا
ليهنك املاك أتاك بيمنه على خير طائر أتاح الامانيا

١) ادّراكا بتشديد الدال .
٢) قال عمر بن الخطاب: أشعر الناس من قال من ومن . يعنى زهيرا فى معلقته
٣) عطست بأنف شامخ وتناولت يداى الثريا قاعدا غير قائم

ودم طالعا فى برج سعدك دائما — وقاليك فى اللاواء أصبح عاويا
عليك سلام شامل متعطر — يؤمك منى رائحا ومغاديا
ودونكها من فكرة قد تكلفت — على ما بها من الجمود قوافيا

اليه والى الفقيه سيدى عبد الله الوفقاوى ـ ولعلها هكذا ـ :

أعندكما علم بما قالت الكأس — ألا لا يطيب لى اذا غبتما الانس
وأطرب مقراج بأطيب نغمة — الى أن بدت فى مشرق الاكؤس الشمس
شربنا ثلاثا ثم نتبعها بما — تطيب به فى كل أحوالنا النفس

الجواب من سيدى الحسن بن على :

أتانا بريد من تطيب به النفس — وتخفى اذا بدت مشارقه الشمس
همام بدا للدهر غرة وجهه — وبَلْغٌ يتيه من بلاغته الطرس (١)
أديب على أوج المعالى بأسرها — ويعجز عن احصاء محاسنه النفس

فأجابه سيدى داود بما يلى :

بعثت نظاما تاه من حسنه النفس — وباهى به النجوم فى أفقها الطرس
أتى فازدرى بلطفه وانسجامه — مقالات من مضوا ولو أنهم عبس
اثرت به رسيس وجد وحركت — حرارة أشواقى مراشفه اللعس
أدرت رعاك الله كأس مدامة — معتقة صهباء فليحس من يحسو
فأسكرت ألبابا وعقدت ألسنا — وشنفت اذانا فطاب لنا الانس
رويدك يارب البلاغة قد سطت — بما نمقت فينا اصابعك الخمس
يمينا بما فى ضمن نظم بعثته — فألقى له القياد من عجزه قس
لانك شاعر بليغ تضاءلت — لشعرك حذاق كأنهم خرس
ألا فلتطب نفسا بما قد حويته — وقر به عينا فقد سلم الجنس
تبارك من أولاك معجزة من الـ — ـفصاحة ليس فى براهينها لبس
وخصك بالتبريز فى العلم والحجا — كذا فلتكن وحقك الهمم القعس
ألا قل لاهل العصر هذا امامكم — وهل تختفى الا على الامد الشمس؟
نهنى بك تلك البقاع ومن بها — كما هنيت بالروح فى جسمها النفس
فعذرا اذا أوجزت هبنى مطنبا — أتحصى نجوم الافق أم يحصر الطيس؟ ٢
عليك سلام طيب النشر شامل — أيا خير من بمدحه دبج الطرس

وكتب الى الفقيه سيدى عبد الله الوفقاوى المذكور :

لسيد عبد الله مجد وسؤدد — وفخر على رغم الحسود مؤبد

---

١) البلغ كفلس : البليغ
٢) الطيس : الرمل .

أتته العلا حبوا فأحـرزها بـلا تعن كما حـازت أصابعها اليـد
تقاصر عـن ادراك كنـه كما لـه ولطف ذكائه رجـال تعـددوا
ليهنك ياخـير الاحبة سوّدد فأنت بـه لا شك فى العصر مفـرد
ودم لزمام المجد والعلم مالكا كما دام فى افق السماوات فرقد
عليـك سلام مـن أخ كلما سرت بذكرك نسمة يقـوم ويقعـد
فدونكها من فكـرة قـد تقلصت ظلال أعاليها وذوقـك يشهد
ومهد لها عـذرا ومـد لها يد الـ ـقبول فعذر العاجزين يمهد

وكتب الى الفقيه سيدى على الجزولى التيملى المسناتى :

عليك أيا بـدر البدور سلام يحاكى أريجـه الذكى بشام
وحفـك يمن اللـه فى ظـل لطفه وتخدمك العليا وأنت امـام
لقد حزت يا ابن الاكرمين سيادة كما حازهـا بالنفس قبـل عصام
أبا حسن لازلت بدرا أضاء فى سماء العلا فانجاب عنها ظلام
ولا زالت العلياء تلقى قيادها اليك ويمسى فى يديك زمام
ودم لاقتطاف المجد يا خير سيد ويعلو أنوف من قلوك رغام
ونم فى ظلال الامن من كل حادث كنـومـة عبـود عليك سـلام

وكتب الى سيدى محمد بن عبد المالك الطاطاءى يجيبه عن نظم خاطبه به :

بعثت نظما يا صفى الوداد يزرى بروض غب صوب العهاد
الفاظـه مثـل النضـار اذا نظم فى عقد لحلية هاد (١)
أمـا معانيـه فمشمولـة قد عتقت فى الدنّ من عهد عاد
هذبه الطبع السليم كمـا هذب طبع الريح روضة جاد (٢)
ما شئت من سبك بديع ومن عبـارة تحلو كمثـل الشهاد
فهكـذا النظـم والا فـلا لا كالذى يهيم فى كل واد
فما بهاء الغيد فى جنبـه ولا سلافـة بنغمـة شـاد
ولا البنفسـج اذا ابتسمت منه المباسم اذا الجود جاد (٣)
ولا القـلائـد عـلى لبـة ولا سوالف ظباء غواد (٤)
الا كمثل الآل فى فـدفـد بجنب عذب مستطاب لصاد (٥)
يا فارعا اعلى هضاب العلا وغيره يرضى بخفض الوهـاد

---

١) الهادى : العنق . والنضار بالضم : الذهب . والعهاد : السحاب .
٢) الجـادى : الزعفران .
٣) الجـود بالفتح : المطر .
٤) يقصد جمع غادة : أى الفتاة الناعمة البينة الغيد .
٥) الآل : السراب . والفدفد : القفر . والصادى : العطشان .

قد حُزت خصل السبق فى حلبة مجليا وحدك فى كل ناد (١)
لله شعر حكت حلته بفكرك السيال وارى الزناد
زففته لله درك فى ثوب البلاغة وحلى المداد
جزيت يا رب القريض على ظن جميل لم يزل فى ازدياد
حسنت ظنك بعبد على تقصيره فى كل خير يراد
والعلم حلية الفتى فاجتهد مواظبا عليه كل اجتهاد
واستصحب الصبر فما ناله الا بصبر زائد ذو ارتياد
أنفق نفيس العمر فى جمعه فالعلم كنز ما له من نفاد
فالله يهدينا ويلهمنا بفضله طرق الهدى والرشاد
ويسدل العفو ويغفر ما وهى من الاعمال دون انتقاد
بالمصطفى روح الوجود ومسدى الجود رحمة لكل العباد
صلى عليه الله ما هيجت حمامة الجرعا خلى الفؤاد
والآل والاصحاب طرا ومن تلا سبيلهم بحسن اعتقاد
ثم تحية معطرة تترى عليك يا صفى الوداد

وكتب الى باشا (أكادير) البونعماني مهنئا يوم تولى الباشوية :

ألم بـ(ثغر الحصن) ياحبذا الثغر ونوه به فالنجح فى ذاك والسر
ويممحمى(باشاه) من فخرت به الـمراتب وازدانت به الشيم الغر
أمير المعالى من له العز والبها واشراق وجه والسماحة والبشر
سرى سمير الروح سيدنا أبو على أديب العصر والمدره البر (٢)
فتى يستفيد الناس منه سماحة وتهذيب أخلاق فطاب به الدهر
تعلم من يمينه البحر جوده ومن نوروجهه استفاد السنا البدر
يحاكى سجاياه النسيم لطافة ويحكى ابتسامه اذا ابتسم الفجر
له قدم فى المجد راسخة فطاب فخرا به الحصن المبارك والقطر
فأصبح شمسا فى بروج ولاية تعالى به فى سعدها الدائم السير
تمشى الهوينى فى فضاء كمالها وطاوعه فى شأنه النهى والامر
وجر به (الحصن) المبارك ذيله على شعب (بوان) فحق له الفخر
أيا جامعا بين الفضائل كلها كما اجتمعت فىأفقها الانجم الزهر
نهنيك بالتقديم فى رتب العلا على كل قرن دأبه النظر الشزر
وته فخرا أبا على فأنت من أناس لهم حق التقدم والصدر
رءاك أمير المومنين مهندا فسلك عضبا فوق من غره الكفر

١) الخصل كفلس: مايحوزه السابق فى الحلبة التى هى مجموعة فرسان متسابقين كالسبق بالتحريك . وقصب السبق. ٢) المدره بكسر الميم : السيد الشريف

فدانت لك الايام وابتهج الهدى ... وعم السرور والمكارم تفتر
حكمت بحق وانتهجت سياسة ... مؤسسة بالعدل ينفى بها الضير
وأثنت على علياك ألسن أمة ... توليتها فالحمد لله والشكر
لمثلك لا سواك حقت ولاية ... ومرتبة شماء من دونها النسر
ودونكها عذراء من فكرة ذوت ... نضارتها مخافة النقد تصفر
أتتك على استحيائها بدوية ... تنث مديحا طاب من ذكره النشر
فاغض على علاتها واعذرنها ... فكم لبنات البدو يستحسن العذر
عليك سلام يخجل المسك طيبه ... وينسى شميم الورد والورد مفتر
ودمت لركن المجد تعلى بناءه ... أيا سيدا أطاعه النظم والنثر
بجاه رسول الله أفضل من وشى ... مطارف قرطاس بأمداحه الفكر
عليه صلاة الله والغر آله ... واصحابه الهداة ما ابتسم الثغر

وأجاب سيدى محمد بن المكى اليزيدى تلميذه ـ والمخاطب يقطن الآن بالبيضاء ـ وأسرته ذكرت فى (الجزء الخامس) .

بعثت نظاما يا ابن سيدنا المكى ... الى صاحب عن عهده غير منفك
أتى فأتى السرور طبق مراده ... فنفس ما على الفؤاد من الضنك
فما شئت من معنى لطيف ومنزع ... شريف بديع لفظه حسن السبك
الى غير هذا من محاسن جمة ... تنيف عن التشبيه بالدر فى السلك
رعى الله فكرا منك أترع جامه ... فأسكرت كلا يا ابن سيدنا المكى
لك الله من أخ صحيح وداده ... على حين ود الغير قد شيب بالافك
عليك سلام طيب النشر من أخ ... دؤوب على حسن الوداد بلا شك
ولازلت محفوظ الجناب موفر الـ ... سعادة فى لطف يحوطك من هلك
ولا زلت للدنيا وللدين جامعا ... فتقصد ما تهوى من الفعل والترك
بجاه رسول الله صلى مسلما ... عليه وأصحابه له مالك الملك

وقال يوم مرجع الملك من منفاه :

برجوع مولانا الامام لعرشه ... قد طربت بسروره الاشباح
خير السلاطين الامام محمد ... تاج الملوك السيد الجحجاح
الخامس الشهم ابن يوسف من بدا ... نور الهدى بجبينه يلتاح
يا مرحبا بقدومه ووصوله ... قسما لقد زادت به الافراح
يا خير من خضعت له ولتاجه ... كل الجباه تواضعا ترتاح
أهلا بمقدمك السعيد لغربنا ... فالغرب مذ فارقته مجتاح
يحيا بمقدمك المبارك غربنا ... فالشعب يزهو والهنا طفاح
بشرى لنا ولغربنا ولشعبنا ... زال العبوس بنا وزال جُناح

كل الملوك الصيد أنت أجلهم والملك باب كفك المفتـــاح
لازلت يا خير الملوك معظمـــا بـين الملوك ووجهك الـوضاح
الله ملّككَ الامور وان أبـى ءاب فسعدك للعـــلا طمـاح
فالله يسعدنا بملكك دائمـــا ويديم نصرك ربنا الفتـــاح

وقال يوم أسس المعهد الرداني :

لمعهدنـا العلمي سر مقـدس وعز موطـد وفضل مؤسس
تباهت به (سوس) وطابت(ردانة) كما طاب منروض الازاهير مغرس
جدير بأن يزهى به قطر سوسنا ويزهى به من التواريخ فهرس
كما قد زهت(فاس)و(مصر)بأزهر وحمراؤهم وما تضمن أطلس
تضاءل اجلالا له كل معهد فأضحى بأنف شامخ العز يعطس
وما هو الا الروض يزهو بهاره سرورا واعجابا ويبهج نرجس
واني اذا ما رمت احصاء وصفه وان كنت معطنبا كأني أخرس
ألا قل لمن يبغي دروسا مفيدة ينقحها بفكـره مـن يدرس
حنانيك يمم معهدا بـ (ردانـة) تكنفه سر من اللـه أقـدس
أساتيذه مثل البدور اضاءة اذا ضمهم مـع التلاميذ مجلس
تراهم اذا ما أورد البحث باحث يسدد كل فكـره فيقرطس (١)
فللـه أفكار تفيض بـديهـة بمنهمر البيـان اذ يتبجّس
يديرون كأسات البيان على النهى كما قد أديرت للسلافة أكؤس
رعى الله عصرا ابرز السعد نوره فزال به من الجهالة حندس
يحق علينا الحمد والشكر دائما لـمولى تبارك اسمه المتقدس
لـمولى أتاحه فجـاء منمنمـا كما نمنم الغيداء در وسندس
ولم لا وقد كان الفقيه مديره أبو حفص الرضا الاغر المقدس
سرى سرى فوق البسيطة صيته وصبح الهدى بفضله يتنفس
فطاب به والحمد لله معهـد جديد نفيس في (ردانة) أقعس
فداما دوام الفرقدين ودام في خلالهما فتح وسر مقـدس

وكتب الى جامع هذه الكتاب لما لاقاه في (أيت عبلا) من ايلالن :

أيا وزيرا زاهت به الوزارات وافتخرت دائما به الولايات
ويا اماما سمت في المجد رايته واستبشرت دائما به السيادات
السيد المرتضى(المختار) منسعدت بـه لعمرى تلكـم الوزارات
وزير تاج وتاج المكرمات لذا تاهت به فخرا تلك الكمالات
وهو الذى خصه الرحمان فى أزل برتبة ما لها حد وغـايـات
وطبق الارض منه الصيتوانحصرت للمجـد فيـه دلالات وءايات

---

١) قرطس الرامى ، اذا أصاب الهدف . كأصمى وأقصد .

وجوده زينة الدنيـا وبهجتها به تحلت من العلياء لبـَّـات
وفيه للدين والدنيا منافع لا تحصر تعدادها منا العبارات
قد زارنا كرمـا وزار ساحتنا فاستقبلتنا كما نهوى المسرات
أدامه الله في أفق العلا أبدا ووجهه تجتلى منه البشاشات
وصانه أبدا من كل ما ضرر وحَفَّ حضرته الغرا السعادات
بالمصطفى صلوات الله دائمـة عليه والصحب تلوها التحيات
وءالـه الغر والاتباع قاطبـة ومن له في سبيل المجد خطوات

هذا وقد كنت كتبت اليه في ربيع الاول ١٣٤٢ هـ أطلب منه ـ وأنا اذ ذاك في المدرسة اليوسفية في (مراكش) أن يوافيني بئاثاره الادبية . ومن ذلك الوقت كنت أهيىء للكتابة حول أدباء (سوس) قبل أن تتكون الفكرة الخاصة لـ (المعسول) وتنظيمه هكذا . وقد كـان أجابني برسالـة ضاعت بين تنقلاتي . وأما ما كتبته اليه فهو هذا :

(مني السلام مغاديا ومراوحـا بحرا بأمواج المعارف طافحا
كنز المعارف سيدى (داوود) من قد كان بدرا في المفاخر لائحا
من لايزال مدافعا مذ طرَّ شا ربه عن المجد الصميم مكافحا
هذا ولي قلب مشوق لم يزل منذ السماع الى لقائك طامحا
فاذا تفضل سيدى برسالة تبرى جفونا بالدموع قوارحا
يستوجب الشكر الجزيل ويحتوى مني الوداد على التنائي الفائحا

سعد سعود السيادة ونسيانها . وعين المجادة انسانها . المجلى في حلبة العلوم . والمتحلي بحلبة الفهوم . من لانت له البلاغة كما لان لسميه الحديد . ولعب بالانشا . كيف شا . حتى عطل ذكر عبد الحميد . سيدى داود الرسموكي (هذا) والكاتب اليـك حميم بلحمـة الادب . لا بلحمـة النسب . وأخ بالعلم . لا بأب وأم . سمع بأخلاقك فشاقته . وشام ءادابك فراقته . وانشاءاتك فحدته الى التعارف وساقته . فعلق النذور بلقائك . والارتواء ببحرك لاسقائك . والافطار برؤية هلالك والائتلاف بمنادمـة عقيله منك مع مالك (١) والاستضاءة بتجلي بدرك . والتحلي بعقود درك . وقد علق رجاءه بك . وناط أملك بسببك .

فان ظن في التعليق ضعف فانه وحـق الهوى عندى أصـح صحيح

فانه طالما يتمني . وما كل ما يتمنى المرء يدركه . ان يكون منهجه الى بلده حضرتكم ومسلكه . لكنه تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن . ويعلق بالسمع ما لاترتضيه الاذن . فتيمم لما لم يجـد سبيلا الى أن يتوضـا .

١) مالك وخليل كانا نديمي جذيمة متلازمين . فيضرب بهما المثل في الائتـــلاف .

وتنفل لما لم يساعده الوقت لان يصلي فرضا . بارسال هذا الكتاب الـذى بياضه وسواده من وداد سويداء القلوب . التى بالاشواق تذوب . منتجعا بصيدحه بلال بحر نثركم المديد (١) . ومرتضعا به اخلاف نظمكم الفريد. معلما بأنه يتيسر له بفضل الله اشتغال بافتتاح مجموع تبتهج به النفوس. وتترع بأدبه الكؤوس . من أمثالكم يا أدباء سوس . يترجم فيه الادبـاء والعلماء السوسيون . وطلب منكم طلبا جازما لازما ارسال كل ما حاكته فكرتكم من المنظوم والمنثور . الجارين ذيول التيه على الورد والمنثور . مـن كل ما أجبت به الغير أو مدحته . وما تعلق بذلك من كل ما أجابك بـه من فصلت معاليه بمديحك وشرحته . خصوصا شيخ الادبـاء سيدى الطـاهر الافرانى . فالواجب كتب كل ما دارت بينكما راحه . واضاء فى ندوتكمـا مصباحه . لازالت روضات التحايا فى حضرتكم مخضلـة . ونسمات السلام منى بين أزهار كمالاتك معتلة . بفضل الله ومنه والسلام)

وقال بعد وفاة ولد له يسمى (ابرهيم) كأنه يعارض ابن عبد ربه فى داليته فى ولـده :

أفنى اصطبارى وأوهى قوة الجلد ... خطب ألم بذات فلذة الكبد
ماأنس لأأنس طول الدهر خطبك يا ... (برهيم) يامفردا نقص من عددى(٢)
عهدى بقلبى صبارا وان عظم الـ ... ـخطب الملم فلا يشكو الى أحد
حتى ألم به خطب يزلزله ... فمات بعضى به اذ مت يا ولدى
أعقبت قلبى حزنا ليس يطفئه ... طول ولاكان صبر عنك طوع يدى
كيف القرار وكيف الصبر عنك وقد ... أذهبت لبى فلم تبق سوى الجسد
أودعتك الله يا بعضى فلا أحد ... يبقى سوى الله لم يمت ولم يلد

نبويات لـه

متى ينثنى الى الهداية والبر ... فتى انفق الايام فى متجر الخسر
حنانيك يا من لج فى طاعة الهوى ... تلاف قبيل الفوت ماضاع من عمر
منيت بأفعال الصبا والمشيب قد ... علاك ألم تستحى من مالك الامر
متابذوى الاخلاص تب واجتهد ودم ... على طاعة الرحمان فى السر والجهر
دواؤك ان أضناك ذنبك أن تـؤ ... م بالدق باب الواحد الملك البر
رحيم كريم لايرد دعاء من ... دعاه على ما قال فى محكم الذكر
ستحظى اذا أدمنت قرعا لبابه ... بنيل نوال جل من حيث لاتدرى
ولا سيما اذا توسل مجتـد ... بأفضل خلق الله من ولد النضر
له الجاه عند الله أزكى الصلاة والسـ ... ـلام على مقامه المعتلى القدر

١) رأيت الناس ينتجعون غيثا ... فقلت لصيدح انتجعى بـلالا
وصيدح اسم ناقة الشاعر . ٢) برهيم لغة فى ابرهيم .

ألا يا رسول الله يا خير من أتا — ه مستشفعا أخو الجرائم والوزر
لتعن بعبد قد دعاك أجره من — شدائد ذى الدنيا ومن محن القبر
لباب نداك خصص القصد معرضا — عن الغير ان حلت به أزمة الدهر
هنيئا له ان فاز من بحر فضلك الـ — ـكثير بما يرجوه من خالص البر
شفاعتك العظمى نهاية سؤله — اذا طمت الاهوال فى موقف الحشر
فأنت ملاذ الخائفين وملجأ الـ — ـعصاة وكنز البائسين ذوى الفقر
يؤمك ذو العصيان (داوود) آوه — اليك وأمن روعه دائم الستر
عليك من الرحمان أزكى صلاته — وأزكى السلام ما أضاء سنا الفجر
يحف الرضا جميع أصحابك الالى — أقاموا منار الدين مع آلك الغر

وقال أيضا فى ذلك :

أشاقك برق فى المساء تألقا — وجفنك أمسى بالعقيق تدفقا
وأضللت قلبا فى معاهد حاجر — واضناك حزن فى حشاك وأقلقا
وسل عن حجاك من لقيت بلعلع — وسلع ففى تلك النواحى تفرقا
معاهد كان الصب يدرس شوقه — بأفنائهـا طلق القيـاد موفقا
على ساعة أرخى العنان شبابه — وسالمه الدهر الخؤون وأطرقا
عشايا تقضت بالعذيب وبارق — ووجه المنى طلق الاسرة اشرقا
وبين اللوى والرقمتين وملتقى — ربا الجزع قد نم النسيم فشوقا
أيا من لصب لا تزال تعوده — دواعى الهوى تعديه فى الحين أولقا(١)
يطالـع دفتر النجوم كـأنـه — أبو النجم ناجاه السماك فارقا (٢)
ويرقب مجرى الريح حيث تنسمت — لتطفىء وجدا ليس ينفك محرقا
ويسأل عن أنباء من سكن الحمى — وساكن خيف من تيمم مشرقا
ويروى أحاديث الصبابة عن شحو — ب جسم عن الدمع الذى قد ترقرقا
ويسند عن سقم صحيح وداده — ويرفع عن حكم الضعيف التشوقا
فأصبح فى شرع الصبابة مالكا — يقلده من بعده من تعشقا
ولام على فرط الغرام وما درى — لمن صبوتى ولو درى كف واتقى
صبوت الى روح الوجود ومطمح الـ — ـعيون ومعنى الكل من حيث أطلقا
أمين على الوحى المنزل طلسم الـ — ـحقائق صفوة الخلائق مطلقا

---

١) أولقـا : الجـن .

٢) أبو النجم شاعر اسلامى من الرجاز . لعله أشار الى بيت له معنى فى الموضوع لا نستحضره الآن . وقد كنا نراجع فى مثل هـذا أستاذنـا البوزاكارنى . ثم بعد وفاته لم نجد مستحضرا مثله . والا فأرونيه :

هيهات ما فى الديار من أحد — يفيـد من يستفيد فـى الادب

سراج الهدى المختار من خير عنصر   نبى له أعلى السماوات مرتقى
خلاصة سر الله خاتم من مضى   من الرسل فاتح لما كان مغلقا
هو الرحمة المهداة للخلق منة   من الله بالرحمى على الكل روقا
هو المرشد الهادى الى سبل الهدى   هو المنقذ الحامى اذا الجرم أوبقا
ألا يارسول الله يا صفوة الورى   ويا نجعة السارين فى سنن التقى
دعوتك يا خير الورى بضراعة   دعاء فتى فى لجة الذنب أغرقا
لتشفع لى يا سيد الرسل فى موا   طن الهول أو اجتاز فى الجسر مزلقا
بجاهك عند الله يا خير من مشى   ومن يمتطى الى المكارم أينقا
وجـاه الذى بنفسه وبمالـه   يواسيك ايثارا بما كان أنفقا
وجاه الذى قد فرّ منه اللعين لا   يواجهه بل حيث أشأم أعرقا(١)
وجاه أخى النورين عثمان خير من   الى المصطفى أسدى النوال وارفقا
وجاه أبى التراب صنوك من تفـ   ـر من بأسه الليوث فى كل ملتقى
وبضعتك البتول صفوة نسوة الـ   جنان كما أخبرت ما كان أصدقا
وسبطيك نيرى سماوات سؤدد   هما قمراها حيثما طلعا أشرقا
وازواجك الغر اللواتى أصطفيتهـ   ـن بالوحى تؤوى من تشاء على البقا
وسائر أصحاب تواتر فضلهم   فسل أحدا عنهم وبدرا وخندقا
ووارث سرك المصون امامنـا   ابى الفيض بحر بالعلوم تدفقا
ومن حاز من أسراره من خلائف   نصيبا ومن يهديه ممن تعلقا
وءايات قرءان أبان ضياؤها   منار الهدى بعد الغواية مشرقا
وسر حديث قد روه بشرطـه   ثقات تحروا فى الرواية أوفقا
ألا يا رسول الله هذى وسيلتى   اليك فمـن بالقبول ترفقـا
تعطف وسامح واشفعن وتلافنى   واغض تفضل وارفقن واحفظن لقى
ويسر مأربا تصعب نيلهـا   فيفتح ان يسرت ما كان أغلقـا
ولا تطردنـى بالـذنوب فليس لى   سواك وكن لى من لظى النار معتقا
فحاشا وحاشا أن تـرد يمين من   أتاك بلا سؤل فيحجم مخففا
أمولاى فاقبلها بضاعة شاعر   وان لم يكن فى صنعة الشعر مفلقا
أتتك على بعد المسافة تبتغى   على عيبها الاغضا وأن لا ترنقا(٢)
على خفر أتت تزف مدائحا   اليـك عـلى فكـر تكلف مملقـا
عليك صلاة اللـه ما لاح بـارق   فحن الشجى المستهام الى النقـى
وأزكى سلام اللـه ينهل صوبـه   عليك أياخـير البريـة مطلقا

---

١) أشأم : توجه الى الشام . وأعرق : توجه الى العراق . يقصد عمر . كما يقصد أبا بكر بالبيت قبله .

٢) الترنيق الاستقصاء وادامة النظر الى الشيء (من الاصل)

وءالك والازواج والصحب ما بكى سحاب فأضحك البشام وأورقا

وقال أيضا فى ذلك سنة ١٣٤٨ هـ

تألق بارق بأرجاء نجران فاذكر عهدا سالفا منذ أزمان
ونم نسيم الاجرعين عشية فأجج فى الاحشاء نيران أشجان
وغرد قمرى على غصن بانة فأجرى على قسر مجارى أجفان
رعى الله أياما تمتع ذو هوى بظل وصال الغانيات بنجران
تذكرت عهد الرقمتين وما مضى به من لذيذ الوصل من بين خلان
فاصبحت من نارين نار تشوق ونار تفرق مبدد سلوان
واستقبل النكباء حيث تنسمت لتخبر عن جيران سلع ونعمان
عساها تنم نشر افضل مرسل بألطف أخلاق وأفضل أديان
وناد هناك معلنا بتأدب أيا خير مبعوث الى الانس والجان
ألا يا رسول الله يا خير من حدا بأمداحه الركبان سائق أظعان
ألا يا رسول الله يا خير من هدى بلائح أنوار وأوضح برهان
ألا يا رسول الله يا خير من أتى حماه مروع الجنان بعصيان
ألا يا رسول الله يا خير من حبا عفاة أتو حمال نائل احسان
ألا يا رسول الله يا خير من سرى فيرقى الى ما ليس يبلغه ثان
ألا يا رسول الله يا خير من تلا على أمة الاسلام ءايات قرءان
ألا يا رسول الله يا خير من دعا الى طاعة المولى وتشتيت أوثان
دعاك أخو العصيان داوود راجيا جزيل نداك لا يبوء بحرمان
دعاء فقير ظاهر العجز مسرف على نفسه بقيد أجرامه عان
دعاك ذليل لا يراجع توبة مصر على العصيان فى كل أزمان
دعاك قليل الصالحات مذلل وفى الطالحات دائما ليس بالوانى
لتشفع فيه يوم تبلى سرائر وتنقذه من أسر نفس وشيطان
أغثه أيا خير الانام وسكن من روعته فلا يرى حر نيران
وأصلح له الدنيا وأخرى وطهرن بفضلك قلبه المسجى بادران
فيا رب بالمختار من خير عنصر تلاف بسابغ الندى عبدك الجانى
وليس له الى نداك توسل سوى جاه خير الخلق من نسل عدنان
وعامله بالتوفيق والرشد والهنا وحسن المئاب والقبول ورضوان
فلا عمل يرضى ولا ورع له ولكن مساو لا تعد بحسبان
وكم لعبت به الصبابة جاهلا بأودية الاهواء فى زى حيران
وكم هام فى سكر الهوى ليس يرعوى الى أن بدا مثل الثغامة فودان (١)

---

١) الثغامة بالفتح . نبت يبيض زهره . أو هو كله أبيض

وكم لفق الاشعار في مدح فتية يؤول الى تضييع عمر وخسران
فما لفقت في نظم مدح محمد قريحته ولا استعد لاحسان
فهلا غدا يستغرق الوقت مطنبا بمدحك يا خير الورى كل أحيان
وأولى توسل اليك مدائح يقدمها مستشفعا كل انسان
فهذى عيوبى قد كشفت غطاءها لتقبلها حتى تغطي بغفران
شكوت الى جدواك فرط اساءتي وجدواك للمقوين أغزر هتان
وكم من مقل قد أتاك فينثني بمحض ندى يمناك مفعم كيزان(١)
عليك صلاة الله ما حن نازح حليف النوى الى محبب أوطان
عليك صلاة الله ما حن عاشق الى مألف أضحى ملاعب غزلان
عليك صلاة الله ما لاح بارق بأرجاء ذات الجزع أو نحو نعمان
عليك صلاة الله ما ذر شارق وأظهرت النجوم مرءاة غدران
وثم سلام الله ينهل صوبه عليك مدى الايام في كل ما ءان
وءالك والازواج والصحب كلهم وكل فتى بر تحلى بايمان

الاخذون عنه

١ ـ أحمد بن سعيد التازاغليتي الهوزالي . وقد كان حينا في (تيبيوت) مدرسا . كما درس في مدرسة (ايكبيلن) الهوزالية . نجيب محصل له ءاثار أدبية توفي نحو ١٣٦٠ هـ

٢ ـ الطيب بن عبد الرحمن بن سعيد بن ابرهيم من أهل (تالات أوكنار) محصل مشارك معلم لكتاب الله . توفي ١٣٦٠ هـ (وأهله في الجزء الخامس)

٣ ـ علي بن محمد الايميتكي الايسافني . استتم في الزيتونة التونسية. شارط بعد رجوعه في (أيت واوزكيت) ولم يبطىء فمات نحو ١٣٤٦ هـ

٤ ـ الحاج اسمعيل القاضي الذي تقدمت ترجمته في أول هذا الجزء .

٥ ـ مولاي محمد بن عمر السكتاني الذي كان والده عمر فقيها حسنا . ومحمد هذا عرفناه في (البيضاء) ثم رجع الى بلده حيث الآن . وهو حي مذكور بكل خير .

٦ ـ الحسن بن ابرهيم النجيب أخو العلامة سيدي الحاج عبد السلام العدل الآن في (سكتانة) توفي بعد ١٣٦٠ هـ . وقد أخذ أيضا عن اليزيدي مثل محمد بن عمر المتقدم .

٧ ـ ابرهيم بن عبد الرحمن البراقيز . لايزال حيا . ووالده عالم مشهور .

---

١) جمع الكوز بالضم : اناء للماء .

٨ ـ الحسين بلدى من قبلـه . لايزال حيا . ويحفـظ قراءة البصرى . وهو الآن عند السيد عمر الضارضورى .

٩ ـ ابرهيم ابن الحاج أحمد الاديب المغتبط المستتم من (فاس) . توفى نحو ١٣٥٠ هـ وسيذكر ان شاء الله مع أهله فى (الفصل الثالث)

١٠ ـ حسون بن محمد التاغانبوشتى المتأدب التيبيوتى . وهـو الآن مشارط فى جامع (تيبيوت) .

١١ ـ أحمد بن محمد العبلاوى التيبيوتى الذى يعمل الآن مـع ناظر الاحباس الردانى .

١٢ ـ محمد بن موسى الرسموكى القاضى الذى تقدم والده فىأول الجزء

١٣ ـ عبد الله بن الحسن أوبو الهوزالى الحى الآن . ذكر مع أهله فـى (الجزء السادس عشر) .

١٤ ـ الحسن البونعمانى الاديب الكبير . ذكر مـع أهلـه فـى (الجزء الثالث عشر)

١٥ ـ الحسن القاضى بهشتوكة الآن ـ وقد تقدم قريبا بين التاغاتيين ـ

١٦ ـ محمد بن مسعود المعدرى الصغير النجيب المغتبط .

١٧ ـ أحمد الادايى الرسموكى كما أخذ عن اليزيدى وعن المدنىالالغى وهو الآن أستاذ .

١٨ ـ محمد بن المكى اليزيدى نزيل البيضاء . ذكـر مـع أهلـه فى (الجزء الخامس) .

١٩ ـ أحمـد بن محمد بن سعيد الجيشتيمى المشارط الآن فى مـدرسة (تين الدين) كما أخذ عن اليزيدى . وعن أحمد الصوابى . يـذكر مـع أهله ان شاء الله فى (الجزء السادس)

٢٠ ـ عبد الله بن محمد بن سعيد الجيشتيمى أخوه . كـان حينـا فـى مدرسة (تين الدين) وفى مدرسة من (أداوزدوت) .

٢١ ـ الحسن بن محمد الاكلويى المستتم عند الحـاج مسعود . لا يزال حيا . وهو عدل فى (تيزنيت) .

هؤلاء من استحضروا الآن . والا فان تلاميذ الاستاذ كثيرون نجباء .

قـولة بعض المعاصرين فيه

(داود بن عبد المنعم : علامة كبير عالى المقام . خطير القـدر . ممن اقتبس من كل العلوم . وأخذ من كل فن أحسنه . جد فى الاخذ مع قلـة ذات اليد فى مبادئه . فكان يستعين بالمشارطة أحيانا . ثـم يربض عـلى الاخذ أحيانا . حتى نال من أشياخـه كابى العبـاس الصوابى والشاعر الافرانى . ريا لا ظما بعده . برز به من بين الاقران . وقـد كان لـه من

العبادة وتلاوة الاذكار مثل ما له من اتساع المعارف فكان ءاية كبرى . فضلا من الله ورزق الانسان مقدر لايدخل تحت اختياره .

درس منذ نحو ثلاثين سنة في مدارس مختلفة أشهرها مدرسة (تيبيوت) (فى ضاحية تارودانت) فهناك خرج طبقات من التلاميذ . وكان جده وادمانه وتبحبحه فى الفنون العليا . مما أذاع عنه شهرة فيحاء . وسمعة مخلقة . أما أدبه فهو أدب لطيف المنزع متمكن فى اللغة . فاذا خط شعره بخطه الرائق. رأيت شعر كشاجم أو صر درا أو ابن التعاويذى(١) فى خط ابن البواب أو ابن مقلة . وهو من الاسرة العلمية التاغاتينية التى منها أحمد بن محمد . ووالده محمد . وهما الشاعران الفحلان . وربما جرت فى عروقه بعض دمائهما فنزعه ذلك العرق الادبى النابض .

غير أننا مع ادراكنا لمرتبته العليا . لم نتمكن الآن من ءاثاره القريضية الا فى قليل . واما النثرية فنأسف كل الاسف على أنهـا تعوزنا اليوم . مع أن قلمه صنو أقلام أبى العباس اليزيدى . وأبى زيد البوزاكارنى . وأبى عبد الله ابن الطاهر . والحامدى وتلك الطبقة . فقد كنا رأينا له من ذلك . ولكن التفريط وعدم هذا الاهتمام الذى استحوذ علينا اليوم . فد أصفر مما رأيناه الراحة . والمفرط دائما نادم سادم .

قال يهنىء أستاذه الشاعر الافرانى بولد . وهى من مبادئه :

قرت وطابت بعد تذكار الحمى عينى ونفسى والزمان تبسما
فغدا بها انسانها يلهو كما يلهو بقلبى حب سكان الحمى

الـى ءاخرهـا

فأجابه الاستاذ بما مطلعه :

وافت على قدر وقد شف الظما قلبى فأروت من شذا ذاك اللمى

الـى ءاخرها (٢)

وقال فى مجلس شراب :

اعندكما علم بما قالت الكأس ألا لايطيب لى اذا غبتما الانس

الى ءاخرها (وقد تقدمت)

---

١) عمدا ذكرنا هؤلاء الشعراء الكبار كونهم من المفلقين مع أنهم لاتزال اسماءهم فضلا عن دواوينهم مما أغفل فى هذا العصر . (كذا من حاشية الاصل) وصُرَّ دَر بضم الصاد وفتح الراء مع التشديد . وفتح الدال .

٢) نحن الذين حذفنا القصيدتين لانهما ستذكران ان شاء الله فى ترجمة سيدى الطاهر الافرانى فى (الجزء السابع) .

وخاطبه سيدى محمد بن الحسن البناءى الايغشانى وقد ورد عليه يوم عيد بقوله من قطعة :

أبرق تجاه الرقمتين بدا لنا فصارت قلوب العاشقين تواجد
أم الوجه من ليلى أنار ضياءه فنارت به أرجا الحمى والمعاهد

فأجابه بما مطلعه :

أتى فأتى فورا سرورا مجدد ولذ الهوى لذى الهوى والتودد

الى ءاخرها (١)

وكان أبو العباس اليزيدى خاطبه بقطعة مطلعها :

أتى ببريد الذى أهوى مجدد لى ما كنت لم أنس من أيامنا الاول

الى ءاخرها (وقد تقدمت)

هذا كل ما عندنا عن هذا الاديب . وهذا كله على الحقيقة دون ما يقوله ان احتفل للقول . وما كنا رأيناه له قبل اليوم هو فوق هذا بكثير. وانما تيممنا حين أعوزنا الماء . ومن يفقد الحقائق يتبلغ بالامانى . وقد نبهنا على ذلك لئلا يزن قارىء من القراء الاديب (داود) علامتنا الكبير . الاديب الماهر . القائل المفوه . بهذا الذى تيسر لنا ذكره مما لعله كتبه وهو لايخاف أن يقع فى يد مؤرخ توزن به قيمته الادبية . وكم أديب أسفت منزلته أبد الآبدين . من جراء الصا ق بعض ما سنح له فى غير احتفاله . وذلك لعمرى مغبنة للرجال . ومكسفة لنبوغ النوابغ . فنعوذ بالله أن يتسبب يراعنا فى ذلك بجانب أديبنا داود)

من انشاداته

من انشادات سيدى داود ما قاله العلامة محمد بن مسعود المعدرى السوسى فيمن اسمه على من تلامذته :

وما حسن منك التوانى أبا حسن وأنت بريعان الشباب على وسن
هجرت مجالس العلوم تكاسلا ومن ذا الى العليا يقودك بالرسن

ومنها له أيضا :

ولست بجانح الى الشعر ضائعا بمفرده عمرى فأخسر تى وتا
ولكننى استوهب الله كل ما يروق من الفنون أحمع يا فتى

ومنها جواب لغز لابن مسعود أو لتلميذه محمد الحضيكى- وهوالاصح -

أعوذ برب العرش منسوء قاصد ببقلته افحام عمرو وخالد
على أن فى بعض القريض ركاكة وشهرتها أغنته عن نقد شاهد
ورفع القوافى ليس يجرى اذا بدت قفا شاعر للصفع من كف ناقد

١) تقدم ما بينهما فى (الجزء الثالث) فى ترجمة سيدى محمد بن الحسن .

فعار عليك فاسترنها ومن بدت مذاكره للناس ليس بماجد
ولكننى استغفر الله حينما نظرت اليها فجأة غير عامد
وما احوج الانسان من كل عالم الى لبس سربال التواضع ناشد
فدونك يا حبر الملا خير قارع بانشائه الاسماع عبد مساعد
جوابا بنقض ما أشرتم موسوسا به من لغيز مرسلين لجامد
بمرسنكم اذا فعلتم به كما وصفتم يصير المرء أسفه واقد
فطورا يسوء فعله ثم تارة يسر اذا ما كان حلو المقاصد
كما أن فعل السوء ليس محببا تعلقه بمن يرى غير جاحد
ولكنه يسوء أما رأيته تعلق بالعدوان من كل حاسد
وقصدى بهذا النبل تاديب كاتب تبجح عنا بالذى لم يشاهد

ومنها لابى العباس الجيشتيمى :

رجوت رزقى فى عمرى يوسعه ربى بلا حيلة منى ولا تعب
حق على جميل الشكر متصلا بأفضل الحمد والاخلاص فى القرب

لـــه أيضـــا :

ألا تب الى مولاك وارجع لبابه فقد طالما اعرضت عنه ووليتا
وبادر اليه لا تعرج بغيره ولازمه تدرك كل شىء ترجيتا
وهمتك ارفعها عن الخلق لاتخف عدوا ولا تامل صديقا توليتا

ومنها مما أنشده البركة الاداءى :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا ضائع انا جائع أنا عار
هى ستة وأنا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا بارى



الاديب محمد الحامدى

١ - ٩ - ١٣٠٩ هـ

نسبـــه :

محمد بن الحافظ بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله

الاديب سيدى محمد ابن الحاج الحافظ الحامدى من أفذاذ أدباء جزولة ونعده من طبقة عليا . استحضارا وذوقا . واطلاعا على ما يمكن أن يطلـع عليه مثله فى مثل بيئته . فهو من الرعيل الذى نعد أفراده بعـد أمثـال البيزاكارنى . وأبى الطاهر . وأبى العباس ابن الحاج محمد اليزيـدى . وداود الرسموكى . ولا ريب أن هؤلاء اليوم شامات طلعة الادب الجزولى ان استثنينا شيخنا الادبب الكبير أبا محمد ابن ابرهيم التامانارتى الذى هو البقية الباقية اليوم من أدباء أمس . (١)

كنت أجتمـع مـع الاديب الحامدى فـى مدرسة (تانكرت) سنوات ١٣٣٢ هـ - ١٣٣٦ هـ فعرفت منه اكبابا على الادب أعطاه كليته . فيظل ويبيت مع البوزاكارنى على مثل (نفح الطيب) اكبابا ملحـا . وقلما يلتفت الى غير الادب وما اليه . الى أن انتقل من هناك قبلى . ثم لازم العلامة سيدى محمد بن الحسين الازاريفى الفقيه الذى له بـاع طـويل فى الفقهيـات . فتزحزح قليلا عن معاناة الادب . مقبلا على الفقه حتى حصل منـه . ولولا همة هذا الفقيه لكان صفرا من الفقه . فانه لم يزل به حتى ولى وجهتـه اليه . وذكر لى أن الاديب كان مرة فى بيته بالمدرسة الازاريفية مع أحد أصحابه . مكبين على كتاب أدبى . ينشدان القصائد والمقطعات . فأنساهما ما هما فيه من الحلاوة أن يحضرا مع الفقيه فى صلاة العشاء . فمر ببيتهما الفقيه فألحفهما سوطا من تأنيب . فكان ذلك هو السبب حتى ارتد الـى الفقه . مكفكفا من غلوائه فى ميدان الادب .

ثم اننى كنت كتبت الى هـذا الاديب فـى الصيف الماضى - صيف ١٣٦٠ هـ - هذه الرسالة المسجعة نزولا عند ذوقه ونصها :

(الاديب الشاعر المفوه صاحبنا سيدى محمـد ابن الحـاج الحـافظ الحامدى . سلاما عطرا يملأ تلك الآفاق الفسيحة أريجا . وتحية مشرقـة تطلع على ذلك الجناب فيضحى بها بهيجا .

١) كتب هذا فى حياة شيخنا ١٣٦١ هـ

(أما بعد) فقد طال العهد . ومضى ربع القرن كأنه لم يكن بعـد . لان صورة وضاءة لودادك لاتزال تتلألأمن صدرى على كنف السعـد . ولا تصدأ مرءاتها وان توالت على من كوارث الدهر اخلافات البرق والرعد . وقلبك ينبئك فالقلوب تتراعى فى القرب والبعد (وما قلت الا بالـذى علمت سعد)

مضى ما مضى من حلو عيش ومره   كـأن لم يكن الا كأضغاث أحـلام

هذا فكيف أنت ؟ فاننى لم أزل أتساقط من أخبارك رطبا جنيا . واتخذ من ذكرك وذكر ما لك فى الادب العربى العالى فى جلواتى وخلواتى نجيا . فما لا أنس لا أنس أننى كلما اسهبت فى مكانتك فى الادب . وانك تنتج فيه ما هو أحلى من الضرب . أفقد ازائى ما يشهد لدعواى . واقدمـه لمـن أحدثه عنك بين يدى نجواى . ولعل اليوم هو الذى تمتلىء مـن بدائعـك المحبر يداى . فان أنت فعلت ولا أخالك الا فاعلا فقد أحرزت على غايـة مناى . وما أشوقنى الى أن استمتع من كل ما تختاره من نثرك (للمعسول) ومن شعرك الذى هو لدى غاية السول)

فأجابنى بما ياتى ملما بأطوار من حياته . كاقتراح منى فى حاشية الرسالة :

(الاخ فى الله الفقيه العلامة . الاديب الدراكة الفهامة البليغ الذى عم بئاثاره البلاد . وملأ ببديع نظيمه ونثيره كل نـاد . وتهادت عجائبـه الآفاق . ووقع على انفراده بخصل السباق . فى جميع العلوم الاتفـاق . الناظم من شمل المعالى ما انتثر . الذى ولدت به أم السيادة واحدا يقـوم اذا قيس بغيره مقام العديد الاكثر . سيدى محمد المختار ابن العالم العامل العالى الزاهد الناسك الربانى الشيخ سيدى الحاج على بن أحمد الالغـى سلام تفوق شذى المسك نفحاته . وتزرى بنسيم روض الحزن غب ارتضاعه أخلاف المزن نسماته . ورحمة الله وبركاته على حضرتكم العلية . جعلهـا الله تعلى سامية المراتب . ءامنة على ممر الليالى والايام من طروق النوائب

(وبعد) فقد وصل كتابك الكريم . المزرى بالدر اليتيم . والعقد النظيم .

فى نظام من البلاغة ما شـــك امرء أنه نظام فريد
ومعان لو فصلتها القوافى   هجنت شعر جرول ولبيد

معان أرق من نسيم السحر . بل تكاد بما رق منها أوراق الالباب تسحر. وألفاظ أعذب فى الافواه من الشهاد . وأحلى فى العيـون من النوم بعـد السهاد . وأحب الى النفس من وصل الحبيب بعد طول الهجر من غير وعـد

مرقوب . أو كقميص يوسف في أجفان يعقوب . فأفادني من الافراح . وجلاء القلوب من الاتراح . ما لاتفيده لشاربها مشمولة الراح . غير ان سيدى ناضلني وعهدى بالنضال قديم (١) وسامنى قضاء الدين ولم ينظرنى الى الميسرة وأنا عديم . فلو نشر الصادان (٢) من ملحديهما لاداء هذا الدين للاذا بالاملاق . وكيف يقاوم من أقام عمره كله في البداية دار الذل والجهل منكسف الجمال . راتعا بين راعية الشاء والبقر والجمال . من سافر وسامر وقاول واقام جل عمره في الحواضر حيث الفهم والمعارف وفحول الرجال . أم كيف يجارى السكيت في ميدان البلاغة الذى برز وجلى . أو يساوى من ضرب في سهام المعارف بالمنح من ضرب فيها بالمسبل والمعلى (٣) . وقول (٤) سيدى في كتابه (انما الصدقات) الآية . فمن باب عكس القضية أو من الاستعارة التهكمية . والا فمتى استقت البحار من الركايا . أو استجدى قارون من ابن المذلق (٥) الصداقات والعطايا . وعلى كل حال نسعف سيدى بالجواب . مودة له ورجاء أن يكون سببا لان يمتعنا ببعض ما لديه من نفائس الآداب .

ما ضر أن لم نكن اكفاءه أدبا   وفي المودة كاف من تكافينا

فأنا محمد ابن الحاج الحافظ بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله المذكورون كلهم أميون ويرفعون نسبهم الى العالم المشهور فى زمنه سيدى عبد الرحمن بن يعقوب . ولم أر من ءاثاره غير بقية رسوم بالية . عند بعض الناس تدل على تحقيقه في الفقه . وهو في ءاخر القرن العاشر . ثم يرفعون نسبهم أيضا الى الولى المشهور في بلادنا سيدى عفان ابن ابرهيم . وأظن أنه الذى انتقل من بلاد (ايغشان) هنالكم الى بلد (بنى حامد) وانه في القرن الخامس . ويزعمون أيضا أنهم من (غسان)

---

١) قال :

الارب يوم لو رمتنى رميتها   ولكن عهدى بالنضال قديم

٢) أصابى والصاحب ابن عباد .

٣) أسماء سهام الميسر : فذ . توأم . رقيب . حلس نافس ؛ مسبل ، المعلى . فالفذ له سهم واحد . والتوأم سهمان . الى المعلى له سبعة ؛ والثلاثة الباقية من فدام الميسر تكون غفلا . ولا شىء لها بل يؤدى أصحابها ثمن الناقة التى جزرت وقسمت ثمانيا وعشرين قسمة يذهب بها أصحاب المعلى وما قبلها . فهم يربحون المحم والثلاثة يؤدون الثمن . ولذلك حرم الميسر .

٤) كتبت له ذلك في الحاشية .

٥) عربى يضرب به المثل في الفقر . والركية : البير .

احدى قبائل الازد من أهل جبلة ابن الايهم . وانه الذى كان سبب انتقالهم من الشام الى هذه البلاد (١) فى قضية جرت له مع سيدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد رأيت ما يقوى بعض ذلك . ولا نطيل به . وأمـا أبى فهو وان كان أميا . كان عابدا ناسكا ورعا . محافظاً على السنة . مجانبـاً للشهوات . محافظا لكتاب سيدى محمد بن على الهوزالى المؤلف بالبربرية في التوحيد والفقه . مستحضر الجميع ما ذكر فيه . فكأنما كان على طرف لسانه مولده تخمينا سنة ١٢٨٠ هـ . وموتـه يوم الاربعـاء خامس عشر رمضان سنة أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف .

وأما ولادتى ففى غروب الشمس يوم الجمعة الاول من رمضان سنة ١٣٠٩ هـ . ثم ابتـدأت القراءة عـلى خالى سيدى الصديق بن أحمد مـن (أفنينيض)ـ قرية هناك ـ وهو مشارط بمسجد بانمليل ـ قرية أخرى ـ ١٣١٨ هـ . ثم نقلنى والدى سنة ١٣٢٣ هـ . من عنـده بعض مـا حفظت القرءان حفظا جيدا . الى سيدى المحوظ بن أحمـد الرسوكـى بمدرسة (ايرازان) فتعلمت عنده الرسم. وبعض الروايات . ثم نقلنى سنة ١٣٢٨هـ الى سيدى أحمد بن محمد العبلاوى بمدرسة(انكارف) فقرأت عليه الاجرومية وألفية ابن مالك . وجمل المجرادى مرة مرة . ثم نقلنى سنـة ١٣٣٠ هـ الى شيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى بمدرسـة (بومروان) فقرأت عليه ألفية ابن مالك مرتين . ثم مختصر الشيخ خليل مرة . ثم التلخيص فى البيان . ثم المرشد المعين لابن عاشر . ثم السلم فى المنطق . ثم المقنع فى النجوم . ثم الخزرجية . ثم نحوا من عشر مقامات الحريرى . ثـم سردنـا عليه البخارى كله . ثم على سيدى محمد ابنه الاستعارات . ثم لامية العجم بشرح الصفدى . ثم قرأنا على سيدى أحمد اليزيدى الاجرومية . ونحوا من نصف الرسالة . ثم قرأنا لامية الافعال على سيدى محمد التكلى ثم سردنا صحيح البخارى على سيدى صالح بن محمد الزعنونى . ثم سردنا عدة كتب من كتب الادب على شيخنا سيدى عبد الرحمن الاحبـالى ـ البوزاكارنى ـ كنفح الطيب والشريشى على المقامات . ومسامرات ابن العربى . وريحانـة الالباء ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص . ثم قرأنا تاسملالت فـى علم الحساب على سيدى أحمد اليزيدى . ثم قرأنا الفية ابن مالك على شيخنا سيدى محمد بن الحسين الشبى . ثم مختصر الشيخ خليـل . ثـم الجواهر المكنونة فى الفرائض للرسموكى . ثم قرأنا الاستعارات على شيخنا سيدى

١) كثيرا مـا يزعم الايغشانيـون أنهم من (غسان) العربيـة . بل ويزعم بعض الشعراء لهم ذلك تلذذا بذكر (غسان) ولكن ذلك لا اثارة عليه .

وأما الاجازات فقد اغفلناها ولم نطلبها من أشياخنا . وأما مـا ذكره سيدى من بنات فكرى من الرسائل والاشعار . فقد لزمت فيهادين الاعراب من الوأد . لما يتوقع من العار الا شيئا يسيرا وجدته فى هذا الايـام عـند الفقيه الشبى . قيده فى طرة كتاب له سأبعثه اليك . مع الفقيه سيدى علي ابن الطاهر المحجوبى . والمرغوب من سيدى التجاوز عن عوارها والاغطـاء والصفح . وان تجاوزت الحد فى الدمامة والقبح . ولولا انى آثرت رضـاك على ما فيه رضا نفسى وهواها .لالحقتها بأخواتها فى تواها . ولعله الحزم لان من فعل ذلك فسواها لايخاف عقباها . وربما ظن سيدى اننى بخلت ببعضها عليه . وتركت زفافها اليه . اننى او فعلت ذلك وهو أعلى منها فى الكفـاءة والكمال والمعالى . لكانت كنبات نصيب حين ضن بها على الموالى (١)على أننى ما قلت ما قلت من نظمى الا فى وقت تهيؤ الاسباب . من ريعان الشباب . واجتماع الشمل بالاحباب . ونحن فى كنف شيخنا الافرانى رضى الله عنه. نأخذ من ما له ومن أدبه . والدهر مسالم لنا لم يطرق حمانا بنوبه . وأما وقد تغيرت الاحوال . ودفعنا الى مصادمة الاهوال . وعركتنا الخطوب الكوارث واغتربنا عن تلكم البلاد العلمية اغتراب الحارث (٢) ونضب ماء القريحة وغيض . ورحل الشباب الحبيب فأقام بربعه المشيب البغيض . وصوح من روض المنى كل أريض . فقد حال الجريض دون القريض والسلام)

أقول ان ما وعد به الاديب من ءاثاره توصلنا به . فمنها يخاطب سيدى محمد ابن شيخنا الافرانى ـ مجاوبا ـ :

(أتانى فأنسانى من الدهر ماأسا … الىومجروح الحشا بالاسى أسا (٣)
كتاب أعاد الانس للنفس وانجلى … به ما أمض القلب من غمه وسا
طربت به حتى ثملت كأننى … تشربت من صرف المدامة اكؤسا
وخلت بأن الدهر سالمت صرفه … فعادت لى النعمى وفارقت أبؤسا

١) أبو تمام

كانت بنات نصيب حين ضن بها … عـلى الموالى ولم تحفل بها العرب

٢) الحارث بن مضاض الجرهمى القائل بعد ما فارق مكة :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا … أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا … صروف الليالى والجدود العواثر

٣) أساه : طبه . والاسى : الطبيب .

وفي طيه نثر بديع اجاده أديب رمى فص المعاني فقرطسا(١)
بديع وشي القرطاس من حسن لفظه بأحسن من وشي الربيع وانفسا
أمحيي رسم العلم بعد اندراسه ومذهب جهل طبق الارض حندسا(٢)
قفوت طريق الوالد العالم الرضا وشدت من المجد الذى كان أسسا
سأعمل نص العيس حتى تزيرني وان شط مثواك الرفيع المقدسا
أزور به شيخ الورى القطب وابنه محمدا الندب الفقيه المدرسا
عسى أن أرى ذاك الجمال مشاهدا وابصر نور العلم منه واقبسا
فذاك على ذا الدهر ديني فان وفى غفرت له من فعله كل ما أسا

أما الشوق لتلك الحضرة الذى يحدث الشاهد الغائب . بما احتقب منها من سنيات الرغائب . على أنه لو سكت لاثنت الحقائب (٣) . فقد اشتعل ضرامه . وانحل الجسم سقامه وأوامه . وأما الحب فجنابه والحمد لله . من غير الدهر محروس . وجديده لايخشى من تسلط الدروس . وشرح كيفيته تنفد دون تبيينه الانقاس (٤) والطروس . وأما كتاب سيدى ففرحي به فرح السارى عن المكان الجديب . الى البلد الخصيب . وموقعه مني موقع القطر . بالبلد القفر . فكأنه خلعة الشباب . في معاهد الاحباب . وكأني حزت به بعد العسر يسرا . أو فزت منه بسوارى كسرى . وازداد انبساطا وانشراحا كلما تصفحت ذلك الكلام العذب . وأميل طربا وارتياحا كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب . ابتهاجا بتلك الفقر والاسجاع . التى هي نزهة الابصار والاسماع . بل هي أحسن صنعا من وشي صنعا . والسلام) .

وقد وجدت ازاء هذه الرسالة رسالة صغيرة لشيخنا الافراني ولعلها هي التى كانت هذه جوابها . ونصها :

(بدر هالة المفاخر . ودرة تاج العصر المتأخر . زينة الايام والليالى . وواسطة قلادة المعالى . بركة الدنيا والدين . وخلف ذلك السلف المهتدين . الى ءاخر النسب المتسق . والغصن المنبسق . دام عزه . وحفظ حرزه . واتصل فوزه . وسلام عليه عن شوق زائد . ووجد سائق قائد . وولدنا

١) طرقس الغرض : أصابه .
٢) الحندس بكسرتين بينهما سكون : الظلمة .
٣) قال :
فعادوا فاثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
٤) النقس بكسر فسكون : المداد .

محمد بن الطاهر . نور الله منه الباطن والظاهر. وكان له فى جميع المظاهر. يسلم عليكم . ويشتاق اليكم . والسلام) .

ومن تلك الآثار أيضا قصيدة نونية خاطب بها الشاب النجيب المغتبط عبد الله بن الحسن الازاريفي مطلعها :

أصغ أوصك يا ابن السيد الحسن وصية لم تشبها رية الظنن

الى ءاخرها . ولعلها تكون ان شاء الله عند ذكر هذا النجيب بين أهله في الازاريفيين فى (الجزء الثامن)

ومن ءاثار هذا الاديب الذى يضيع ءاثاره . نونية قالها فى الاديب أبى العباس اليزيدى . حين كان مشارطا فى مدرسة (ايغشان) وقد اثبتنا جوابها فى ترجمة ذلك الاديب فى (الجزء التاسع) ولكن القصيدة الحامدية قد ذهبت فلا أدينا ولا اليزيدى وجدنا عنده القصيدة وهى قصيدة كانوا يستحسنونها فى بيئتهم وهى جديرة بذلك . ومطلعها :

يا من يحاول أيضاحا وتبيانا والعلم يمم هديت أرض غسانا

وأما مطلع الجواب اليزيدى :

أوليت أو ليت يا ذا الفضل احسانا ومن غدا للعلا والمجد انسانا

هذا وقد حفظت لنا الاقدار رسالة طنانة للاديب البوزاكارنى خاطب بها أديبنا المترجم حين كان البوزاكارنى منقطعا الى (ءازاريف) . وللمحافظة عليها نثبتها هنا . فلنؤخر ذكر الرسالة حتى نثبت قصيدة عينية لهذا الاديب الحامدى . هى البقية الباقية مما له عندنا يخاطب بها شيخنا الافرانى نصهـــا :

ذكر المعاهد باللوى فالاجرع فأذال مشتاقا مصون الادمع
صب يكاد اذا جرى ذكر الحمى يقضى أسى وهوى لتلك الاربع
كم يدعى السلوان لكن فى البكا وضناه يكذب ما يقول ويدعى
هيهات أن يسلو ويقلع من اذا هجع الخلى من الهوى لم يهجع
ويريه عاذله الرشاد وما له بصر يراه ولا له سمع يعى
انى أميل لناصح والقلب مذ ودعته يوم الحبيب مودعى
يا ليتهم يوم الوداع ـ وقول ياليـ ـت ـ المتيم قلبه لم ينفع
ان لم يكن من بينهم بد . ومن هجرانهم قد خلفوا (١) قلبى معى
يا هل ترى الايام تجمع ما غدا متشتتا من شملنا المتصدع
يا دهر ان عاديتنى ورميت ما بينى وبين أحبتى بتقطع

١) هذه الجملة هى خبر يا ليتهم يوم الوداع الخ .

فلأشكون ان عدت أخرى راتعا سر بى الى شيخى الامام الاروع
هل كنت الا عبده المـامور ان يأمره أو يردع تطع أو تخضع
ان خفت من دهر فكن جاراً له ان الجوار لديه غير مضيـع
كم أم ذو خوف لحضرته فأمـ ـنه من الخطب المخيف المفظع
ولكم هدى سبل الهدى وأغاث من شاك لجهل أو لفقر مدقـع
هذا بعلم نـافع أوذا بجـ ـود واسع. لذوى الخصاصة أجمع
حسب الذى يبغى الغنى والامن ان ياتى له وهو الكريم الالمعى
فينيله فوق المنى ويصون ما ء الوجه لم يسأل ولم يتضرع
ذاك الامام أبو محمد الرضا العالم العلم الهمام اللوذعى
قل للمسامى فى الندى والعلم والعـ ـلياء ساميت الثريا فاربـع
جمع المعالى كلها وسواه من أهل المفاخر والعلالم يجمـع
فضلوا بمعنى واحد وهو ارتدى بجميع فضل فيهـم متـوزع
فى نحوه أو فقهه أو فى اللغـى كاليحمدى وسميه والاصمعى (١)
فى الزهد ابرهيم أو بشر وفى الآ داب مثل ابن الحسين المصقع (٢)

* * *

يامستحقا للعلا وسواه ممـ ـن يدعى استحقاقه فيها دعِى
هذى أبياتى أتت ترجو الرضا وتخاف من اعراضك المتـوقع
وافتك يا علم الهدى تمشى على خوف يؤيس أو رجاء مطمع
ان كانت الاولى وحاشاه فيا بؤسى لنفسى فى الحضيض الاوضـع
أوكانت الاخرى وذاك الظن سا مى فى السما زهر الكواكب موضعى
ما كنت الا عبدكم ان يعصكم يوما يكن من بعد عين الطيّـع
حملته شرات الشباب على التى ان تتبع يوما تشن أو تشنـع
ترك الحقوق الواجبات كـأنـه من جهله بعض الجمال الرتـع
هذا وكم ربيته ورفعت من مقداره ما لم يكن بمدفـع
تبا له زمن الصبا من خادع معم عن الرشد الفتى ومضيع

* * *

مولاى يا شيخى وفضلك ضامن ان يستجيب لمن دعاه اذا دعى
لا ترع الا أن نسبت اليكم أو ليس ذاك أحق مرعى رعى
دع ما مضى واغفر وقابل بالرضا ذنب المسىء التائب المتضرع
واقبل وسامح منعما فالله ان يرجع له من كان أجرم يرفع
وعليك من أذكى السلام تحية مـا التذذ نسيمها المتضوع

---

١) قصده باليحمدى خليل بن أحمد . وبسميه خليل بن اسحق .
٢) أحمد بن الحسين المتنبى . وبشر الحافى . وابرهيم بن أدهم .

تاتيك ما حن المشوق الصب ان ذكر المعاهد باللوى فالاجرع

الرسالةالبوزاكارنية

(الاخ الذى ما ظننا حاله المؤسسة تشكو انتقالا . ولا وده الصحيح يستبدل بالصحة اعتلالا :

وكنت أظن أن جبال رضوى تزول وان ودك لا يزول
ولكن الامور لها اضطراب وأحوال ابن ءادم تستحيل

فاذا الظن أكذب الحديث . وذلك الحبل المرير سرعان ما عاد جد رثيث . السيد محمد ابن الحاج الحافظ . وبعد السلام . على حبال أخوتك الرمام . فموجبه أنك :

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

ذلك أنك وعدت وعدا لكنه فعلولى . وعهدت عهدا لا وسمى لخاله ولا ولى (١) انك تخولنا بالزيارة كل قليل . دأب الخليل مع الخليل . وسنة مضت بين الاخوان في كل جيل . فاذا بالخلف أسرع من رجع الطرف . ومن لحس الكلب الانف .

أهذا ولما تمض للبين ساعة فكيف اذا سار المطى بنا شهرا

فكم لنا من ترقبات . ومن قلب على القلق والارق بات . لاسيما كل خميس فكم هاج فيه من رسيس .

وكنت وعدت في الخميس بزورة فكم من خميس قد مضى وخميس

وليس على هذا هجرنا الاوطان (٢) . واستبدلناكم بسائر الاخوان . وقطعنا اليكم كم من منزل بِكر وعوان (٣) . لا ولا توجهت لهذه الوجهة . لمجرد التفرج والنزهة . لكن للاجتماع المرة بعد المرة . والكرة اثر الكرة .

---

١) 'فعلولى ضبط فى الاصل بضم الفاء . وقال صاحب الرسالة : انه على وزن عرقوب المشهور باخلاف الوعد . والوسمى والولى : من أنواع الامطار فى أوقاتها . والخال : السحاب .

٢) كانت هذه المكاتبة يوم كان كاتبها فى (أزاريف) من قبيلة المخاطب (أيت حامد) .

٣) سافر الصاحب ابن عباد الى العسكرى فكتب اليه لما قاربه :

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتموا ضعفنا فلم نقدر على الوخدان
أتيناكم من بعد أرض نزوركم فكم منزل بِكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم بملء جفون لا بملء جفان

لتتلاقح القلوب . وينكشف لها من المعانى ما وراء سياج الغيوب . حتى ينشد لسان الحال . قول من أجاد وجد فى المقال :

وﷲ قوم كلما جئت زائرا وجدت قلوبا كلها ملئت حلما
اذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلة ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

فعن هذا لا غير تسبب الورود . وله أخلصت النيات والقصود . لولا تخلف ما تظنيت . وتبين استحالة ما رجوت بلقائكم وتمنيت .

واذا تسرك من تميم خصلة فلما يسوءك من تميم أكثر

* * *

قد كنت احسبكم اسود خفية فاذا لصاف تبيض فيه الحمرّ (١)

وما دمت لم تفارق هذه التساهلات . وتزايل ما تتمسك به من ضعيف التأولات . ففرينا غير فريك . ورأينا مباين لرأيك . وهبك فى استغراق الاوقات . فى اعداد الاقوات . اشغل من صاحبة خوّات (٢) . أتعوزك ساعة ما بين الساعات . تختلسها معنا مراعاة لما تجب له المراعلة .هلا اذ تكاثرت عليك الاشغال . جعلتنا من جملتها فتخصنا كما خصصتها بمزيد الاهتبال :

انى لأعذره لكثرة شغله وألومه اذ لست من أشغاله

ليت شعرى لما هجرت المذاكرة بعد معرفة نتائجها . وعلمك بكاسدها من رائجها . وهل ثم من لذات . غير مذاكرة الاخوان اللدات (٣) ومسابقتهم فى ميادين المحاورات والمطارحات .

على مثلها فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

* * *

أوليس عجزا أن يفو تك مثلها أوليس عجزا

فان أنت أعرضت عن هذا وأقبلت على الغير . فقد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير . وبترت فطانتك بترا . والبلاهة كما قال الطوسى (٤) خير من الفطانة البترا .

---

١) خفية بفتح أوله وتشديد الياء : الغيضة الملتفة . ولصاف بفتح أوله كقطام : جبل لبنى تميم . والحمر بضم ففتح مع التشديد : طائر .

٢) خوات بن جبير . هو الذى شغل ذات النحيين أى الزقين . حتى قضى منها ما قضى . فقيل أشغل من ذات النحيين وقد اسلم بعد ذلك . وهو صحابى .

٣) جمع لدة بكسر ففتح : وهو من ولد معك .

٤) الغزالى .

من يستطيع بلوغ أعلى منزل   ما باله يرضى بادنى منزل

* * *

ولم أر من عيوب الناس عيبا   كنقص القادرين على التمام

وهذا غاية ما ننبهك عليه . راجين انبعاث همتك الراقدة اليـه . ان كنت ممن ءاثر الخلطة لما لايخفى من فضائلها الجلائل . على العزلة القليلـة السلامة من الغوائل . وان عكست وحاولت الانتباذ عن ناسك . اذ لامتناسك منهم فضلا عن ناسك . وسولت لك النفس . أن تكون كالسامرى لاتمس ولا تمس . فقد ضاع يومك كما ضاع أمس . ارجع أيهـا الاخ الى جـانب العلم واعطه حقه . وامحضه المقة . وجنبه المقة . فبفضيلته الجليلة . تفاوتت المراتب حتى عد واحد بقبيلة .

ولم أر أمثال الرجـال تسأرعوا   الى المجـد حتى عد ألف بواحد

ثم بعد تصفح هذا كله . وامعان النظر فى تفاصيله وجمله . لا تلـق بالا لقوارص ملامه . بل لما قد يروقك من مختار كلامه . وما ذكر منه فى معرض الجد فاعرض عنه . فانما هو أخوك البكرى فـلا تأمنه . وربمـا خيل لك الفكر الذى من شأنه فرض المحالات . وركوب متن الجهالات . أن هذا عتب على بابه. وان ليس المراد الا اللذع بمسم عتابه(١) فأقول على ذلك وماذا على من أتى به . أن أخلص النصح لاحبابه . وهل النصفة الا الانفعال لجده . والوقوف عند حده . ومن البواعث على الكتاب . زيادة على ما تضمنه سالف الخطاب . استمطار سحائب الافكار واستنباط ما فى ءابارها البعيدة القعور والاغوار . ليعلم قـوم كيف تلك النبـائث (٢) . فيوقـن المرتاب ويخسأ المباحث . فان وافقت الاغراض . ونكبت سبيل الاعراض . أجبت اجابة وحية (٣) ورددت تحيتنا بأحسن التحية . وان حدت عن سلوك هـــذه الجادة . واحكمت مألوف العادة . ولم توثر المثلى . فلا محيد بنص الشريعة عن ردها مثلا . فنحن ممن يرضى بأيسر الامرين . لاسيما ان كـان دون أصعبها ركوب الامرّين . فالابقع خـير من الاسود . والصـواب فى الاسد لا فى الاشد . وان رغبت عن الطريقتين . ولم تدن باحدى الملتين . وقلت

---

١) ءالة حديدية تحمى . فيوسم بها الابل .

٢) اشارة الى قول القائل ــ ونبث الشىء نبشه ــ

ان الناس غطونى تغطيت عنهم   وان بحثوا عنى ففيهم مباحث
وان نبثوا بيدى نبثت بثارهم   ليعلم قوم كيف تلك النبائث

٣) وحية : سريعـــة .

متعاجزا لا عاجزا . هذه حروب لا قبل لى بها مطاولا ولا مناجزا . ومقالات أنا بمعزل عن توشيعها وترصيعها . ومقامات لست بحريريها ولابديعها . انتهيت عنك لا مختارا . بل فى أمرك محتارا .

وعلمت أنك لا تنـال بحيلـة فلويت رأسى تحت طى جناحى)

انتهت الرسالة البديعة . وقد سألت أديبنا المترجم عن جوابها . فذكر أنه رغب عن الطريقتين . ولم يدن باحدى الملتين . فقلت فما بعد هذا الدواء من دواء . فقال اننى منذ أن فارقت (تانكرت) وارسيت فى البلـد عريت أفراس الادب ورواحله . ونأيت عن صوبه حتى لا أبصر بحره ولا ساحله . فلن يهزنى بعد شىء عن أمثال هذه الرقى . الى أن أرجع مناغاة من كنت أعهدهم بالنقا . الا ما اعترى فكرى هذه السنة حين رأيت من مجموعتكم الادبية عند الفقيه سيدى على بن الطاهر فقد احسست بحرارة جديدة تتمشى فى االفكرة التى كنت أخالهـا قبل بليدة فاذا بها حديدة . (أقول) : أخبرنى الاستاذ ابن الطاهر المذكور . أنه كان أراه من أشعار البونعمانى والتنانى فقال له : أيوجد من يقول مثل هذا الشعر . ولعـل هذا هو الذى أثار مشاعره . فذو الشوق القديـم لايلبث وان تعزى متى صادف عشاقا ان يعود الى عهده القديم .

* * *

ثم ان المترجم كنت لاقيته سنة ١٣٦١ هـ كما فى (المرحلة الثانية) من (خلال جزولة) كان بينى وبينه ما كان من الادبيـات . ومطارحـات الانشادات . وفى (الرحلة) ما ليس هنا . ولم تزل أخباره تصلنا أن توفى رحمه الله فى حدود ١٣٧٠ هـ . فى سنة لا أضبطها الآن . وقد كان جال فى الحواضر اثر مغادرته (تانكرت) ولكنه لم يجد مستقرا فرجع وتأهل فى بلده . مشتغلا بأسباب المعيشة . وله نسل .

قـولة بعضهم فيه اثناء تراجم

من أكابر الادباء الذين اتقنوا الفن . وراضوه حتى انقاد منه مايراد وعمدته فى ذلك الاديب البوزاكارنى . وقد صاحبه احقابا فى المدرسـة (التانكرتية) حين ربض فيها . يأخذ عن الشاعر الافرانى . وعـن ولـده أبى عبد الله . فقد أعطى كل همته لذلك العلم . حتى نال منه منالا عظيما . وتفوقا زائدا . وهو فى كل ما ذكر فى (نفح الطيب) وأمثالـه مـن كتب الادب التى توجد فى تلك الناحية وكان فيها طريد الاديب البوزاكارنى . وقد استوعب كل ما فيها واستحضر عيونها . وارتشف كؤوسها الى الثمالة . وكان اذ ذاك

زاهدا في الفقه وما اليه . لايبغى بغير الادب والعربية وعلومهـا بديـلا . فعليها يظل ويبيت . ويقطع الهواجر . ويطوى الليالى الطوال سهرا . ثم لما أقلع عن ذلك الوسط . وأقام في بلده . رأى ذلك العلم الذى اتقنه غاية الاتقان . لاينفعه في مداخلة الناس كعالم دينى . وفقيه محترم . فرجـع همته الى الفقه وسدك(١) بأبوابه باباً باباً . حتى صار عنده صنو الادب اتقانا ولكن دهش حين رأى الناس أيضا لا يبالون بذلك العلم ولا بمن أتقنـه . وانما يحومون حول من يماشيهم في أغراضهم من المتفقهة . وان كان فـى مداركه من المسفين . فقال قولته المأثورة عنه : (أتقنا الادب والعربيـة . فقالوا ماذا تفيد تلك العلوم ان لم يكن معها فقه . وما العلم الا الفقه . ثـم اكببنا على الفقه حتى اتقناه . فاذا هم أيضا زاهدون فيه . فتعلمنا من وراء ذلك أن هذا الجيل أزهد الناس في كل علم أيا كان . فـلا يغتر بهـم الا المافون الاخرق) .

أما مصوغاته النثرية والشعرية . فانها وما يصوغه أبو عبد الله ابن الطاهر والبوزاكارنى وداود الرسموكى وأبو العباس اليزيدى في قرن واحد . وقد أفعوعمت الدفاتر بما تطفح به مصوغاتهم . غيرأننا لانستحضر الآن من ءاثاره الا ثلاثة لا غير . فلنعرضها مع اعلاننا أنه ربما كـان وراء ذلك ما هو أعلى نفسا . لاننا كنا رأينا له قبل اليوم ما كان يخلبنا اذذاك من ذلك هذه البطاقة الصغيرة التى كتبها لصاحبه البوزاكارنى وطلبة معه كانوا طلوا فـى بيت طالب بالمدرسة (التانكرتيةـ) يستدعيهم اليه عشاء ذلك اليوم :

(نجوم الادب الذى لا تغرب . ومن حييت بهم لغـة يعرب . بعـد سلام ذكى . واحترام مسكى :

حسد القصر فيكـم الزهراء   ولعمرى وعمركـم مـا أساء
قد طلعتم بها شموسا نهارا   فأطلعوا عندنـا بدورا مساء (٢)

وأنا في الانتظار . فالبدار البدار)

ومن ءاثاره أيضا ما كتبه لرفيقه فـى المدرسة محمد بن محمد التيملى الدمناتى متشوقا .

(الحب الذى عليه في اشتداد الخطوب الاعتمـاد . واليـه في صرف الدهر التحرز والاستناد . سيدى وسندى . ومحبوب خلدى . أبو عبد الله سيدى محمد بن محمد التيملى سلام الله عليك . سلام مشوق اليك .

هذا ولا مزيد على تمام العافية وعموم السلامة لجميع الاحوال . حمداً لله

١) سدك كفرح : لزم . ٢) البيتان أندلسيان . والقصر والزهراء فى(قرطبة)

وشكرا على ما أولانا من البعد عن الاهوال . أدام الله لنا ولكم موالاة الانعام وجنبنا واياكم موجبات الانتقام . ثم انى طالما آكابد الاشواق . وأعانى ألم الاحتراق . وما ذلك الا من فرط هجرى . واهمال أمرى . حتى كاد يقضى علىّ العناء . ويمنينى ملاقاته العزيزة بالفناء . على انى وان كنت قبل اليوم جليدا . وكان العزاء لى طريفا وتليدا . لا أطيق هذا الصدود . ولا استطيع الكروع فى مورده ولا الورود . فصبرى غائض . وجزعى فائض . فقد والله بلغ منى الشوق مبلغا . وسطا علىّ سلطانه الجائر وطغى . وقد عجزت عن وصف ذلك الالسن . وربك يعلم ما فى الصدور ويعلم خائنة الاعين . فارحم خليلى تلهفى . ورق لدائم أنينى وعظيم تأسفى . فقد علمت شدة قربك منى . وبعد من سواك من الاحبة عنى .

فوالله ما يهوى فؤادى سواكم   ولو رشقوه بالاسنة والنبل

فسامح من تقصيرى فى ارضائك . واتقاءى ما يفضى الى اسخاطك وايذائك.

وأمرى اليك اليوم ما قلت قلته   وما لم تقله لا أكون بقائله

وبعد هذا كله فلتسمع منى ما به الفكر سمح . وما كان على علله المقيمة تمنى واقترح . فليقابل سيدى بالاغضاء . وليسبل ذيل الارضاء :

هبت بنجد فاصبت قلبى السالى   ريح الصبا واستجدت شوقى البالى
وذكرتنى عريبا بالحمى رحلوا   فخلفوا شائقا متقد البال
فهل تعود ليالينا التى سمحت   بالوصل أو هل يعود الزمن الخالى
سقى الاله مرابع الالى ظعنوا   واستوطنوا خلدى بالعارض الخال
ما شمت برقابه تلقاء دارهم   الا تلظى الجوى واشتد بلبالى
ولا ذكرتهم الا بكيت وهل   يجدى اذا ما حبيب بان اعوالى
دع عنك عذلك صبا هائما دنفا   فان لى شغلا عن عذل عذالى
فهل الى العذل يصغى من اذا هجع الـ   ـخلىّ فهو يكابد الجوى الصالى
أو هل يداوى الذى أشكو سوى سند   به ازدهت خطتا فضل وافضال
نجل الكرام الصناديد المجد من   سار بمفخره سائر أمثال
من زانه المجد واعتلت به همم   فكوكب النجم دون قدره العالى
فهو الهمام الذى قاد الانام الى   نهج الهدى وجلا ظلام ضلال
وعالم عامل أحيا العلوم وقد   أماتها قبله اغواء جهال
وماجد فاز بالمجد المؤثل فار   تدى رداءى مهابة واجلال
فلاح فردا على هام السها فنبت   عن نيل رتبته حيلة محتال

اليكها من غبى عاقه عائق الا ... عياء عن نشر مدحك الشهى الحالى
جاء اليك من الجانى وما اقترحت ... الا الرضا عن مزلاتى واخلالى)

وقال أيضا يمدح الشاعر الافرانى :

يا من تسامت على الجوزاء علياه ... وفات كل الورى نيل مزاياه
وسيد ساد اذ شاد العلا وبنى ... بالجد ركن السيادة واعلاه
أنت الجواد الذى عمت مكارمه ... فاستعبد الكل جوده وجدواه
ومن اذا القطر أخلف الورى لجأوا ... لـه فعمتهم طرا عطايـاه
ما أنت الا سراج الدين منذ بدا ... ابدى الهوى وظلام الجهل جلاه
فما نسيم الصبا هب على زهر الر ... وض بأطيب من عرف سجاياه
ولا زواهر أفق ذاد ساطعها الـ ... ـظلما بأحسن مرأى من محياه
(وبعد) فالعبد ساقته لجانبك الا ... شواق أججها الذكر باحشاه
آليت ما أنتمى منذ أحبكم ... الى سواكم ولا السلوان يغشاه
ولا تبدى له برق تجاهكـم ... الا تزايد ما يشكو ويلقاه
اذا المحبون خانوا عهدهم فانا ... أنا المحب الذى ما زال يرعاه
لست وان كثر العذال مستمعـا ... عذلهم الدهر فيما كنت أهواه
بذا فثق سيدى منى وجد بدُعة ... يبلغنى من صميم المجد أعلاه
فبادرن له شيخى لعل بـه ... يجلى الفؤاد فان الجهل أصداه
فهاكها سيدى من عاجز رام مد ... حكم فعاق الغباء دون مرماه
هبنىحبيب بن أوس كيف أبلغ من ... ادنى فخارى شيخى بله أقصاه
فقابلن بجميل العفو خادمك الـ ... ـعبد الضعيف وان جلت خطاياه
فأنت مفزعه بعد الالاه فما ... له سواك اذا ما الدهر ءاذاه
فلا برحت رجاء المعتفين فكـ ... ـل من أتى الباب يلقى متمناه
عليك منى سلام طيب عطر ... يا من تسامت على الجوزاء علياه

وخاطب أيضا بعضهم ممن لانعرفه بقوله :

يا صاحبا أسكنتـه بفـؤادى ... ومحضته دون الصحاب ودادى
ما لى رأيتك كلما زاد الهـوى ... بى زدت فى الاعراض والابعاد
أفلا تجود لذى الغرام بزورة ... يومـا وتسعفـه ببعض مراد
مما يثير جوى الفؤاد ويضرم الا ... حشاء وجـدا دائم الايقـاد
ان صرت تعصينى وتهجرساحتى ... وغدوت طوع عصابة أوغـاد
من كل قـدْم يدعى فىالعز والـ ... ـعلياء ما لم يدع ابن عباد (١)
وهو الذليل المستضام فما له ... فى جهله فى الناس من أنداد

١) الحارث بن ُعباد بضم العين وتخفيف الباء . أحد المذكور فـى حرب البسوس .

اشبهت هذا الدهر اذ صافيت أه ـــل الجهل ثم كدرت للامجاد
مهلا أبا عبد الاله فان مــا تاتيــه مختارا لغــير ســداد
أو ما علمت بأن حسنا يــزدهيــ ــك عليَّ مختالا قريب نفاد
ويعود خدك منبتا من بعد ما نبتت به الازهار . شوك قتاد
سيزيل ملكك يا محمد ما دهى مروان قدما من ظهور سواد (١)
ويعود هذا العالم الهمج الالى أخترتهم اذ ذاك شر أعاد
فالدهر شيمته كذا يُولى الهنــا بالشر . والاصلاح بالافساد
لا تنس احداث الزمان فانها ان لم تفاجىء بالعشى تُغاد
فاليكهن نصائحــا من عالم فطن لما يجديك نفعا هــاد

فهاك الجـد في صورة الهزل . والنصيحة المنطوية فــي رداء العزل . وما قصدى الا ارشادك لما فيه صلاحك . وهديك للطريقة التى فيها نجاحك (فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل) (٢) . ولا تغتر بما قلــدك الــدهر من الولاية والعمل . فكأنى به قد استرد ما أعارك واسترجع . وهل دولته الا سحابة صيف عن قريب تقشع (٣) وربما توهمت أن الباعث على هذا انى راغب فى خلتك . طالب المدخول فى ملتك . لا والله ما لهذا قصدت . ولا هذا المراد اردت . لانى كما قال المتلمس :

فان تقبلوا بالود أقبل بمثله والا فانا نحن ءابى واشمس

وانما رأيتك ضالا عن الجادة فأحببت أن أهديك وأعظك . ونائما بسنة الغفلة فأردت أن أوقظك . ولا يخفى عليَّ ما يأمرك به فلان وفلان من هجرانى ومباعدتى وعصيانى . معتقدين أن ذلك يضرنى . بل يسرنى . واننىأتلهف عليك ؛ بــل أتخفف منــك . وسواء عنــدى وصلت أم هجرت . ووفيت أم غدرت . ولم لا وقد حل ذلك الازار المدخيل . وسلك الناس ذلك السبيل :

وتجتنب الاسود ورود مــاء اذا كــان الكلاب ولغن فيــه)



١) مروان الجعدى ءاخر بنىأمية. الهالك بالعباسيينالمعتادينلبسالسواد
٢) قد رشحوك لامر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل
٣) شطر من قصيدة قديمة : ــ سحابة صيف عن قليل تقشع ــ

سيدي الاديب محمد بن الطيب

التيزي السملالى

في (سملالة) أسر كثيرة مختلفة الانساب . فمنهم الشرفاء الايحكاكيون الذين منهم ءال الشيخ سيدى أحمد بن موسى . وءال عبد الله بن يعقوب . وءال (تيخفيست) والواسخينيون . وءال عبد الله بن ياسين التامانارتى (١) وءال مسعود المعدريين وغيرهم ـ ومنهم من ينتمون الى الشرف من أبناء الشيخ سيدى وكاك كال (تاكانت أوكضيض) أهل الحاج عمرو . والكوساليين وهم اخوان ابناء سيدى مسعود أفولوس الاكنيفيين . ومنهم الذين يطلق عليهم العباسيون واخوانهم أهل (تيزى ايموشيون) الصواغون المحلى . فانهم يقولون يجمعهم مع العباسيين الذين منهم العلم الكثير جذم واحد . وقد سمعت من بعضهم من يفصل انسابهم . ولكن لم اقيد عنه ذلك بكل أسف .

وبهذه المناسبة نذكر العباسيين العلماء . على عادتنا من تصيد أمثال هذه الفرص من اتصال الانساب . فنتخذ ذلك ذريعة لترجمة اللامعين من الاسر .

لاندرى من هو عباس هذا الذى نسبت اليه (عقبة العباس) هذه . التى منها درج فخذ هؤلاء العلماء الفطاحل . ثم قطن فى (تومانار) من بسيط (تازاروالت) ثم رأينا ءاخرين يسمون العباسيين فى قبيلة (ماسكينة) فلاندرى كيف الوصلة بين الفريقين. وقد رأينا من بعض هؤلاء الماسكينيين رفع نسبهم الى الشرف . فى الوقت الذى رأينا بعض العباسيين هناك فى الجبل يرفع نسبه الى ابن زرب قاضى (قرطبة) وربما يكون ذلك صدقا . ان كان ءاباؤهم هاجروا من الاندلس . فتقلبت بهم المنازل فى المغرب حتى أووا الى (سوس) كما وقع لاجداد (ايكرءوما) فانهم من أبناء أبى بكر المعافرى . نقول هذا مع اقرارنا بأنه ليس عندنا الآن ما نمحص به أمثال هذه الانساب التى تحاز بما تحاز به الاملاك والله أعلم . فلنتتبع هؤلاء العلماء العباسيين الجبليين ثم الماسكانيين بما عندنا مما عسى أن يلقى ضوءا على حياة كل واحد منهم .

١) بطل لمتونة . كان أولاده الياسينيون من بيوتات (فاس) المذكورة .

الاول : عبد الله بن ابرهيم

قال عنه في (الوفيات) :

(الفقيه الموقت سيدى عبد الله بن ابرهيم السملالى العباسى . والد قاضي الجماعة سيدى سعيد بن عبد الله) وزاد على ذلك صاحب (بشارة الزائرين) : فقيه زمانه . وزاد الحضيكي (كان رضى الله عنه فقيها خيرا دينا فاضلا صالحا) ولم يذكر واحد منهم وقت وفاته . والغالب أنه توفى حوالى نصف المائة العاشرة .

الثاني : سعيد بن عبد الله بن ابرهيم القاضي

هذا ولد من قبله . قال فيه صاحب (الوفيات) :

(الفقيه العالم الصالح قاضي الجماعة . سيدى سعيد بن عبد الله بن ابرهيم السملالى العباسى . توفى رحمه الله بالطاعون بـ (تارودانت) وهو على قضائها . عن حالة حميدة . وسيرة سديدة . سنة سبع وألف . كما رأيته بخط القاضي التامانارتي) ومثل ذلك قال صاحب (البشارة) . وقال فيه التامانارتي صاحب (الفوائد الجمة) :

(شيخنا الفقيه المحصل المحقق الباحث القاضي العدل أبو عثمان سعيد ابن عبد الله . تفقه بالشيخين القاضي الهوزالى . وأبى عبد الله التلمساني وغيرهما . ولى قضاء الجماعة بعد وفاتهما . فحمدت سيرته . وبانت فضيلته. واستفاض عدله ورفقه وورعه . لم يأخذ من بيت المال مدة ولايته شيئا . وكان مكتفيا . وجرى على نهج من مضى من المشايخ في أحكامهم وسجلاتهم. بحاثا عن مشهور الاقوال وما به العمل . مطالعا لغريب فتاويهم . لازمته خمس عشر سنة في الاعتناء التام . والهمة الصادقة . وقرأت عليه في جملة الاصحاب . اذ هو وارث الجماعة بعد الشيخين . كتب الفقه التى تتعاطى الرسالة ومختصر الفرع لابن الحاجب . وخليل . وختمناها عليه مرارا عديدة سوى ابن الحاجب فمرة . والى قرب نصف ثانية . قراءة بحث وتحرير . وكان يستحضر بعد المطالعة في مجلسه من أمهات الفقه كابن يونس والتبصرة والتنبيهات والمقدمات والبيان والتونسي وغيرها مما يحتاج اليه يستظهر به على فقه كتب المتأخرين . ويقول أخذ الفقه منها أيسر لسلامتها من ءافات الاختصار . وقرأنا عليه مقدمة الجرومى . والفية ابن مالك . ولامية الافعال وشروحها . وعقائد السنوسى وشروحها . وجمع الجوامع للسبكى . وتلخيص المفتاح للقزويني . أخذ هذه الفنون عن الفقيه المتفنن أبى العباس أحمد بن سليمان الجزولى الرسموكى (١) عن مشيخة (فاس)

---

١) المزوارى لا التاغاتيني .

وتوفي رحمه الله شهيدا بالطاعون ليلة احدى وعشرين من ذي القعدة سنة سبع والف ودفن بباب الخميس)

(أقول) رأيت مكانة الرجل في ورعه وفي تضلعه من الفنون . وفي تنزهه عن الاخذ من بيت المال . لانه مكفي المئونة . وقد وقفت له على رسالة الى ولده محمد في شأن بعض أعماله التى يقوم بها ليكف نفسه عن التطلع الى ما في أيدي الناس وهو قاض . وهي :

(ولدنا المكرم النجيب محمد بن عبد الله (١) وأخونا الاحب محمد بن ابرهيم . حفظكم الله ورعاكم . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . يشمل جميع من لاذ بكم . من كرام الاهل والاولاد . حفظ الله الجميع . بما حفظ به الذكر الحكيم . وأعاننا واياكم على بلوغ مرضاته بالنبى وءاله خير ءال . فكيف أنتم وكيف الكريمة أحوالكم . أدى الله أحوال الجميع على وفق المراد فيما رضيه . فاجتهدوا فيما ولاكم من أمر دينكم ودنياكم . فاذا فرغتم ان شاء الله من الحصاد . فاشتغلوا بالدراس . فهاك يا ولدى محمد براءة شيخنا قاضي الجماعة سيدى سعيد بن علي حفظه الله . بالاذن في دراس زرعنا . وامسكها بيدك . واشتغل بشغلك . فهذا وقته لاتؤخره ولو ساعة واحدة . وهاك يا ولدى محمد ايضا مع حامله الطالب محمد بن يعقوب بن المان خمس أوارق (قل) ربع. صرف المثقال الذى صرفته معه للتصريف. أعطيتها لك من عنده . ويصلك معه أيضا شامية (٢) بنتك المباركة السعيدة المحفوظة . وخيطة عنقها . واما براءة القائد مستدام فلم توجد منه . فقد استعذر ببقاء الناس عنده . وقال كيف أكتب براءة الساقية قبل مجيء الناس للساقية . فان سمعوا مني المسامحة فيها نفروا عنها . ولو كان الشغل فيها نكتب أكثر من ذلك . واكن لا تحتاج اليها فحاول مع أولئك الذين يأتون في سيلها مع الاشياخ وقل لهم السلطان وولاة الامر تركوا لنا أربعة رجال. وهاعندنا كتبهم . ومن أحتاج اليها يذهب الى عند أبي يخرجها له . فان أعطانا السلطان نصره الله أكثر من ذلك ما تقولون فيه . فبامره نصره الله اشتغلتم . وبأمره اشتغلنا . وتحاول معهم حتى تنفصم معهم على خير . فانه يدرك بالحيلة . ما لايدرك بالقوة . والعارف لايعرف . فالله يعيننا واياكم على القيام بواجب حقه . ويحفظنا واياكم بما حفظ به عباده الصالحين . بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم . وكتب محب الخير لكم في الثلاثاء السادس من شعبان المعظم المبارك من عام ٩٩٧ سعيد بن عبد الله بن ابرهيم لطف الله به وبكم)

---

١) نسبه الى جده عبد الله . والا فهو ابن سعيد .

٢) نوع من قمصان النساء . وخيطة العنق المقصود به قلادة من أشياء كأحجار رخيصة وتمائم مغلفة بفضة .

الثالث : احمد بن سعيد بن عبد الله العباسي

ابن من تقدمه . ذكر لى أنه أيضا ذو أثر علمية . ولم استحضر الآن انني رأيت له شيئا .

الرابـع : محمـد بن سعيد بن عبـد الله العباسي القاضي اخـو من قبله

العلامة الجليل المدرس المؤلف . قال فيه صاحب (الوفيات) :

(الفقيه الاجل العالم العامل المتفنن المفتى المتقى المدرس شيخنا أبو عبد الله سيدى محمد ابن القاضى الاعلى . جمعنا الله واياه فيمستقر رحمته. توفي مريضا بـ (الغ) وقت الصلاة يوم الجمعة الثامن عشر من صفر عـام أربعة وسبعين وألف . ودفن بتربة الشيخ سيدى أحمد بن موسى . قائلـة يوم السبت . فالله يعظم فيه أجرنا وأجر جميع المسلمين . له قصائد حسان متخيرات فى أساليب متنوعة . وفي يوم دفنه بلغنا أن الفقيه سيدى منصور ابن أحمد ابن القاضى سيدى سعيد بن على الهوزالى قاضى (تارودانت) توفى ببلده مريضا قبله بنحو عشرين يوما . فصفرت الحاضرتان من قاض يفزع اليه فى المهمات . فلا حول ولا قوة الا بالله) وزاد صاحب (البشارة) أنه فقيه ورع . وانه كان قاضى الامير على بودميعة) وقال فيه الحضيكى :

(محمد بن سعيد بن عبد الله بن ابرهيم السملالى العباسى الفقيه العالم العامل المتفنن المحقق المتقن الجامع بين الحقيقة والشريعة . له رضى الله عنـه تئاليف . منها نظم لابن هشام نظما عجيبا . ونخبة الافكار . لابن حجر فى علوم الحديث وشرحها . وله فتاو . وغير ذلك . وكان رضى الله عنه رجلا صالحاً من الاولياء المتقين وعباد الله الصالحين . وذكره أبو على اليوسى فيمن لقى من رجال الله . توفى رضى الله تعلى عنه وقت صلاة الجمعة . الثامـن عشر مـن صفر سنة أربع وسبعين وألف)

(أقول) : ان فى (المجموعة البرجية) وفى (المجموعة السميحيـة) كثيرا من فتاويه . وهو من المتخرجين بالشيخ سيدى عبد الله بن يعقوب . وقد ذكرنا ذلك فى (الجزء الخامس) وهناك رسالة له كتبها الى ولده سيدى يبورك يوصيه . كما أخذ أيضا عن سيدى على بن أحمد الرسموكى .

وأما أدبياته التى ذكرت فلم نقف له الا على ما ياتى :

منها هذه القصيدة النبوية التى ننقلها كما وجدناها :

شوقى لطيبـة لافـح الجمر ... متـأجـج بجـوانب الصدر

ان هب برق من تهامة أمطرت ... فى محجرىً سحابة تجرى

أو عنَّ ذكرُ ربوعها في مجلس ... طار الفؤاد ببارق الـذكـر
مَن لي بأن ألقى وراءِ كـل ما ... عندي من الاشغال عن ظهري
وأقوم قومة حازم لا ينثني ... عن قصده ان همَّ بـالامر
هتّاك كل معاذر خياب كل ... عواذل فـي وهمهـا تسري
لا الدمع في وجنات زوجته تر ... دُّ ولا معانقة الوليد البر
فأثيرها وجناء يخطو خطوُها ... في واسعات ُهمَّـد ُغبْرِ
لا البرد في ليل الشتاء مقصر ... خطواتها لا مارج الحر (١)
فتخوض أمواج السراب كأنها ... فلك سوابح لجة البحر (٢)
ان نال من لغب نياق قطارها ... هبت بأنواع من السير (٣)
فيها الذي بي من غرام مزعج ... فطوت برحلي أفيـح القفر
ان كنت اذكر مَن هم في لعلع ... والرقمتين بجبى العُـذرى
ذكرت مراتعها بقيصوم النقـا ... والاثـل بـين غصونه الخضر
وغدير نعمان الاراك وعندها ... سَقْب تميل عليه بالـدَّر (٤)
اني وجدت بها وذكرى رعيها ... وحُوارها وغديرها الغمر (٥)
من كان يوصلني بأقرب ساعة ... تهوى لصوب هواى كالطير (٦)
واذا اراد الله خيرا بامرىء ... هيأ المعين له مـن السفر

* * *

ايـه أهاتيك الربوع ربـو ... ع طيبة انها فواحة العطر ؟
انزل عن الاكوار والثم من هنا ... لثم المتشـوق لاشنب الثغر (٧)
والطف بقلبي انه في أضلعي ... مترفرف بجوانح البشر (٨)
فكأنه يهوى وصول المسجـ ... ـد النبوى قبل وصول ذي الكور
ما ذا أرى هل تلك قبة سيدى الا ... رسال أم متـألـق الفجر

---

١) قال تعلى : مارج من نار .
٢) الفُلك تاتى للمجمع وللمفرد .
٣) اللغَب محركا : الاعياء .
٤) السَّقبُ كفلس · ولدُ الناقة .
٥) الحُوارُ بالضم : السغب . والغمر بفتح فسكون : الكثير .
٦) صوب الشيء جهته .
٧) الكوْرُ كفلس : رحْل الناقة .
٨) يقصده بالجوانح جمع جناح . ولم نعرفه يجمع به فلينظر ذلك .

هذى بساتين المدينة تملأ الا رجاء أم خيم الخميس الكثر (١)
الله أكبر قد أنخت مطيتى وحظيت بالامل الجَنَى الثمر(٢)
ودخلت ألثم موطأ القدم الشه ريفة ألمس الجدران بالصــدر
فظفرت وسط الروضة الغراء بالـ ـمنشود طول سوائع العمر (٣)
صليت فى ذاك المقام فيا لر بح ضاق دون نطاقه ُشكرى
هذا مقام الخير والاكوان طـ ـرا أعلنت أنْ ذا مقام الخير
هذى منازل كم مشى فى ظلها جبريلهــا فــى السر والجهر
هذى مجالس كم تفجر بينها علــمٌ مَعين المــاء كالبحر
من هذه الجدران تقتبس العصو رُ هداية فى كل ما عصر
فتنال منها الكائنات جميعها تنساب من قطر الى قطر
لولا المدينة لم يكن فى هذه الـ ـبلدان حول الدين من يدرى
ولما تلقى الناس كلهم من الار شاد عن علما الهدى الغُر

* * *

يا سيد السادات انى مذنب عان من الاخطاء والوزر (٤)
قد عوقتنى عن زيارتك التى هى منيتى مذ كنت فى عمرى
أشغال متربة بك استكشفتها يا من يداه كوابل القطر (٥)
ُعوقت رغما . فانبعثت تخيـّـلا حتى لثمت ُمــلاءة القبر
فوقفت أنتظر الجواب ومن يكن مثلى لــديك ُتعنــه بالذخر
الله صيرك السعيدَ . فمن تسا عده يكن فى أعظم الستر
انى لَضيفك والقِرى ما ارتجى ورجاىَ فى الغفران فى الحشر
صلى عليك الله يا خير الورى وعــلى ذويك وصحبك الــدر
ما اشتاق مثلى نحو طيبة فانبرت دمعاتــه فى الحجر كــالقطر

وقال من نبوية أخرى . وهاك ما عندنا منها . مطلعها :

خير المدائح مدح خير الناس فاجعله شدوك عند دوْر الكأس(٦
واذا يشم الغافلون زهورهم فاجعل مديحكــه عبير الاس

---

١) الخميس : الجيش .
٢) اُلثمْـر هنا كقُفل .
٣) جمــع ساعــة سوائع وهو جمــع غــير معروف . والمعروف الساعُ والساعــات .
٤) العانى : الاسير .
٥) المتربة الفقر من ترب كفرح. ثلاثيا علىعكس اترب يترب: استغنى
٦) قال أبو نواس :
واذا جلست الى المــدام وشربها فاجعل حديثك كله فى الكأس

يقول فيها يصف شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم وفعله بأعدائه :

ان جال وسط المشركين تراه فى كيلُ الردى بظباه بالقسطاس
كل ينال بسيفه البتّار ما 'يرديه 'منقداً من أعلى الراس
بسام وجه الجود حتى يستجيـ ش الى الوغى فتراه بالعبّاس(١)

ويقول فيها أيضا يصف رحمته بالمومنين :

أحنى الورى بين الصحابة لايرى منه جناب مائـل أو قاس
لو ذاب خير الراحمين رأيته متكونا مـن رحمة بالنـاس
ما مدّ قط يمينه الا اذا دارت رحى الهيجاء وسط البأس
أخلاقـه فـى لطفها كيمينـه فى لطفها فى المسّ للجُلاس (٢)

ويقول فيها أيضا يذكر تأثيره فى العلم :

أحيـا البـلاد بدينه فكأنـه عـين المعين النابع البجّـاس
لبست به وشى الربيع كأنها فـى ورده وشقيقـه والاس
من بعد ما أشفت على الهلكى وكا ن لها بما أسداه نعم الاسى (٣)
فصفت نفوس مادرت كيف الصفا الا التغلغل فى دجى الوسواس
من بعد أن كان الجفاة يقتلو ن بنيهم بالوأد فى الارماس (٤)
رجعوا به عقلاء كل الناس ما فى الناس مثلهم غداة قياس
حتى غدوا بين الورى وذكاءهم عند اختلاف الناس كالمقياس
قدموا الانام الى السعادة فىيديـ هم فىالهداية مثل ما المقباس (٥)

وقد وقفت على رسالة لهذا القاضى العباسى الى الفقيه عبـد الرحمن ابن يوسف . نصها :

(وعليكم أخانا الفقيه الاجل النبيه سيدى عبد الرحمن بن يوسف وفقه الله بمنه . أفضل السلام ورحمة الله وبركاته (هذا) وانه بلغنا خطابكم فى شأن عافية أولئك الناس الذين بعثوك فيها شفيعا . وقبلت شفاعتك . فان أرادوها وأحبوها فهذا وقتها وأوانها . وهذا الوقت خـير مـن ذلـك الوقت . وان ندموا وأرادوا السعى فى الفتن واثارة الاضغان والاحـن . فسيعملون عاقبة سوء فعلهم . والوبال راجـع اليهم لا الى أحـد . فاليهـم

---

١) فتراه بالوجه العبّاس .
٢) كانه يشير الى حديث أنس فى الشمائل وهو مشهور .
٣) الاسى : الطبيب أسا ياسوه اساء .
٤) جمع رمس : القبور .
٥) قَدَمَ الجيش يقدمهم تقدم أمامه . والمقباس والقَبَس واحد .

الاختيار (ومن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) والسلام عليكم والرحمة والبركة . من أخيكم في الله معظم سيادتكم محمد بن سعيد لطف الله به .

الخامس : سعيد بن محمد العباسي السملالي

ولد المتقدم قبله نشأ في بحبوحة (ايليغ) في أدب جم . وبين أدباء مفوهين كوالده ومحمد امحاولو وأحمد بن محمد التاغاتيني . ورأى كيف ينبغ النبغاء . ويجيد البلغاء فلا غرو ان جاء بين شعراء عصره مع صغره اذ ذاك سباقا الى الغايات في ميادين الشعر العالي . خصوصاً حين درج من حجر علامة أديب . جمع تليده الى طريفه . فتلألأ نجما ثاقبا . ويافعا متعالياً

غير أننا لم نقف على حياته كيف هي . ولا على متقلبه ولا على وقت قضاء نحبه . وكل ما عندنا ماسترناه . فتحكم بأن الرجل فذ فرع والده . وكان بين أقرانه مجليا وهو بعدُ أملود .

قال في الجناب النبوي في أحد أعياد المولد . وسترى ما يدل على أنه قالها في حفلة نبوية أقيمت في بلاط (ايليغ) اما في عصر علي أبو دميعة واما في عصر ولده محمد قبل أن يدب اليه من المولى الرشيد من خرّب عليه وعلى حزبه السقف . وانقلبت به (ايليغ) أساسها على شرفاتها .

بحقكم ردوا الحياة لجثماني	فما لي من صبر ولاالصبر من شاني
بكم وحدكم يا أهل ودى تعللى	متى هيج بالشوق المبرح وجداني
فأنتم كئوسى الطافحات براحها	وذكركم بين المجالس ريحاني
نسيت بكم عيشى الهنىء وعترتى	واهلى وان هم لازموني وندماني
اذا احتفلوا بالعذل يحتفل الزفيـ	ـر من أضلعي والدمع من بين أجفاني
فيصخب منهم صاخب وجوانحي	بزلزال أشواقي لها صخب ثان
يقولون والعذال ان عنّ من هوى	قلوبهم حقا جلاميد ودِيان (١)
أما لك من عقل ؟ فقلت وعَبرتي	على وجنتي الصفراء وابل هتّان
نعم كان لى عقل ولكنه لدى	مراتع أسراب الظباء بنعمان
أمنا لكم يا قوم قلب غداة أن	بدت في الحمى غيداء من بين غزلان؟
غداة بدت والشمس فوق جبينها	على خيزُران ناعم اللمس فينان
تضوّع منها بطن نعمان كله	بما فيه من أثل رطيب وكثبان
دفعت اليها واللحاظ لأضلعي	من أعينها النجلاء سهمان سهمان
فخامرني ما لو يخامر يذبلا	لزعزع منه أو جوانب ثهلان
فزاد عضال الداء حين تبسمت	فأبدت نظيم الدر في سلك عقيان
فغودرت بالعذرى نضوا كأنني	زُغَيْبة خَدٍّ أو خِلالة أسنان

١) الوادى يجمع على أودية وأوداء . ولم يوجد وديان مع شيوعه .

هنالك عقـلى فاطلبوه لعلنى 'ترد به يا قوم روحى لجثمانى

* * *

بنى الحسن هل للصب عندكم هوى كما لهواكم عنده حر نيران
انا لكم كونوا كما شئتم هوى متى كنت فى أنظاركم تحت رضوان
فلا تزعجوا منى متى 'ثرت ثورة جنونية ان 'يلحف الوجد بالران
فمن كان محموما فليس مؤاخذا بأقواله أو كان أطفح سكران
لكم وحدكم أهل الحجاز جلادتى وروحى ومعقولى وعينى وءاذانى
أذيبوا كما شئتم بحب مسعَّر أضالع صوانى واعظم صفوانى
وأهموا كما شئتم غيوثا هوامعا على أرض 'حر الخد من 'سحب أجفانى
خذونى لكم عبدا مطيعا ترون من مطاوعتى ما عزَّ من كل 'عبدان
ولى الفخر ان أصبحت عبدا لمثلكم وحيداً وان أقبل فذلك فخران
فحب الى قلبى الحجاز وأهله وجيران من فيه وجيران جيران
فكلهم بين السويداء خيَّمـوا لتهنأ سويداءى بأشرف قطـَّـان
لقد أحرزت مجدا بهم متأثـلا كما اجدت بالمصطفى َفخذ عدنان(١
نبى براه الله مجدا وسؤددا وءادم جد الناس ما بين أطيان
به تيب عنه حين أبصره عـلى قوائم عرش الله أسطع عنوان
توالت على الانام 'رسل واذ أتى أتى بجميع العلم منهم بقرءان
تباشرت الاملاك عند بروزه تباشر أهل الصوم ءاخر شعبان
وقد كانت الايام قبل وروده زمان جهالات واحقاب طغيان
وقد عم فيها بالبسيطة كلهـا دياجير' ظلم فى خفارة 'كفران
وقد لعب الاحبار' بالدين والهدى وشايعهم فى ذلك جهال رهبان
وقد غمر الدنيا 'حجاف مظالم بقيصر اوكسرى من أبناء ساسان(٢
وقد بلغ الجهل الكثيف بيعرب الى أن غدوا فى الخبط أمثال عميان
فلا همٌّ الا النهب والفتك بينهم كأنهم ليسوا من أبناء انسان
فـلا رسلٌ الا الجيوش' تصاولت ولا كتبٌ الا لوامع 'خرصان (٣)
وقد غلب الخوف الشديد عليهم من الفقر حتى قتلوا كل ولدان
اذا ما أتت بنت تلقت بوأدها قساوة ءاباء قساوة صوان (٤)
ففى ذلك الوقت الكثيف ظـلامه وظلم بنيه من قصى ومن دان
أتى سيد الكونين نورا وحكمة وعلما بدين منتقى خير أديـان

---

١) الفخذ يذكر . ان كان من القبيلة . ويؤنث ان كان عضوا .
٢) السيل الحُجاف كغراب : الجارف .
٣) من بيت المتنبى معروف .
٤) الحجارة القاسية . وهو بضم الصاد . وتشديد الواو .

فيدعو برفق فاستجاب لرفقه — من أنصف كالتيمي وسعد وعثمان (١

ولكنه اذ جال بالسيف أقبلت — اليه من الارجاء الاف ركبان

فقام منادى العدل في الناس لم يبل — لدى حكمه حتى بأصحاب تيجان

فردت الى الدنيا الحياة فأزهرت — فلست ترى ربعا بها غير مزدان (٢

فكانت حروب المسلمين جميعها — سلاما وبردا مطفئا كل نيران

فليست لكل الكافرين حصائدا — تطهر من أرجاسهم كل بلدان

فياسعد من كانوا جوار نبيهم — اذا عنت الهيجاء طاروا كعقبان

يعلمهم من علمه فيسيمهم — بأخصب معلوم وامرع عرفان

يحدثهم فاه لفيهم بما يرى — من أسرار هذه الكائنات باعلان

فياليتنا كنا جلوسا ازاءه — والا وقوفا في مواقف غلمان

فنحظى بما يحظى به كل جالس — الى خير مخلوق وسيد أكوان

ولكن اذا ما فاتنا ذاك وانطوت — على الامل المرجو أذيال حرمان

فهذا الامام المجتبى نجله ففي — مجالسه خير الازاهير للجاني

يفيض علينا علمه بحقائق — يعز جناها عن سوى يد رباني

نثافنه في كل وقت كأننا — نثافن أسكوبا يصوب بتهتان (٣

فملء يديك من معارف جمة — ومن أعطيات من يدى غير منان

فأين ابن شور منه أين جليسه — من الجالسى البحر الخضم ابن هتان

نراه وديعا بيننا غير أنه — يثور الى الهيجاء كشار أسنان (٤

عليك به في السلم واحذر اذا بدا — دعاس الوغى منه فدوكس خفان (٥

لأصحابه أزهاره وثماره — وأشواكه يوم النزال لأقران

فسل عنه أبناء الصحارى وسكان — التنان وزيدانا وأبناء زيدان

فعندهم عنه حديث مسلسل — هزائمهم ترويه عن كل ميدان

اذا احتفلوا واستجمعوا من قواهم — بدا منه فردا نحوهم خير مطعان

يصاولهم من كل جنب بعركة — مفتتة الاضلاع أبرع فرسان

تكون له أرواحهم وجنده — فساطيطهم والخيل قيدت بأرسان

* * *

أبا المفضل مولانا الامام الذى به — سمونا به مجدا على كل انسان

---

١) التيمي أبو بكر وسعد بن أبي وقاص .

٢) هذا الشطر أخذه أحمد الجيشتيمي في مطلع قصيدته المعلومة .

٣) الاسكوب : الهطلان الدائم .

٤) انتقد شيخنا الافراني كشار أسنان .

٥) الفدوكس : الاسد . وخفان من محلات الاسود .

خذ َنها قصيدة تكون خريدة ... اذا سمعتها من مقامك أذنان
سموت اليها والزمان يقول لي ... وما مثل أذنى من تصيخ لأزمان
أتدخل في الميدان ذا صغر وهل ... ستطمع أن ترنو لمثلك عينان ؟
متى كانت الافلاء تدخل في السبا ... ق بين خيول شزب ذات أسنان(١
فقلت له ان الامام لمنصت ... فيحكم لي ان كنت ربــاً لتبيان
وما ضرني أني صغير اذا اغتدت ... فصاحة أقوالي فصاحة سحبان
وما المرء الا عقله ولسانه ... وصفو السجايا لاضخامة جثمان
فكم رجل جزل العظام اذا ارتأى ... غدا ضحكة من رأيه بين صبيان
وكم يافع ان قال قولا بديهة ... تلقته من أهل الحصافة كفان
نعم انني مازلت دون الشيوخ في ... مدارج صدق في مقامات ايمان
ولكن بهم ربيت لست بمشبه ... سواهم اذا ما قلت شعرا باتقان
على أنني يا قوم في ظل من غدت ... أخامصه من فوق هامة نعمان (٢
فان كان قولي مرتضى عند سمعه ... فما ضرني عبس ولا غمز ذبيان
فكيف يخاف الثعلبان من اغتدى ... على شرفة من فوق أسوار غمدان(٣
أدام لي الله الامام وكل من ... بهم ترتقي لي في المقامات رجلان
فشكرا لهم شكرا جزيلا مخلقا ... كما قد ذكا نفح العـرار بغيطان
عليهم جميعا من سلامي تحية ... يدوم عليهم وبلها كل ما ءان

السادس : سيدي علي بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن ابرهيم العباسي

فقيه جليـل ورث من علوم أهلـه وسمعتهم العلمية . فأفتى وقضى . وقصده الناس في كل ما يقصدون به الفقهاء . وهو ان لم يكن مجليا كوالده لم يكن سكيتا . له ءاثار فـي النوازل شتى . توفي بعـد ١٠٧٤ هـ بسنين لا ندرى قدرها .

السابع : محمد بن محمد اخـو من قبله

فقيه نوازلي كعبه أعلى من كعب على أخيه في الميادين العلمية . وقـد رأينا له نوازل . ومحررات فقهية . وتحقيقات علمية . وقد جاذب معاصريه في كل ذلك حبالا متينة ما شاء الله . توفي بعد ١١١٢ هـ .

---

١) الفلو : ولد الفرس . والشازب من الخيل : الضامر .
٢) نعمان بن المنذر الملك .
٣) الثعلبان بضم اللام : الذكر من الثعالب .

ابن من قبله . وحفيد ذلك القاضي الامام . كانت له مقامات محمودة في ميادين أهله العلمية . أخذ في (سوس) ثم من (فاس) وسترى ذلك في كلام ولده . وهو الذي عاصر العلامة اليفرني صاحب الصفوة . ورد عليه في تسامحه في اللحن في الحديث بمؤلف ضد مؤلف الآخر . وقد رأينا له محررات في النوازل وغيرها . كان يدرس . وممن أخذ عنه ولده أحمد .

قال فيه صاحب (بشار الزائرين) بعد ذكر ولده أحمد :

(ومنهم والده الفقيه القاضي سيدى محمد بن مَحمد بن محمد ادركناه وزرناه . توفي رحمه الله في داره بـ (تومانار) ظهر يوم الاربعاء التاسع من شوال عام أربعة وأربعين ومائة وألف ودفن بين الظهر والعصر من يوم الخميس . بتربة الشيخ سيدى أحمد بن موسى . وصلى عليه نحو ألف رجل)

وهاك رسائل تتعلق به . احداها من الشيخ سيدى مَحمد بن يحيا الازاريفي اليه في شأن تزوج ولده أحمد . نصها :

(من محمد بن يحيا . كان الله له الى شيخنا سيدى مَحمد بن محمد العباسي . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد راودنا ابنكم أخانا ومفيدنا سيدى أحمد . حفظه الله بالتزويج . وامتثال السنة به . ورأينا أن ذلك لائق بـه . فقبل ذلك منا . وذكرنا له ابنة الفقيـه سيدى مَحمد بـن مَحمد بن عبد الله بن يعقوب . نفعنا الله ببركاته . ورضى الله عنه . واردنا مشورتكم وبركتكم ودعاءكم في ذلك كله . واعلمونا بما ظهر لكم فيقرب . فأنت أعلم وأبصر . بيد أني أرى الحزم والتعجيل لوقوع العقد فى هذه الايام الفاضلة . ولا أرى التوقف . بتحصيل أمور دنيوية لا فائدة فيها . والدنيا وما فيها لله عز وجل . فحيثما استقام الدين فهو خير . ولا عبرة بغيره . والله يختار لنا جميعا ما فيه صلاحنا الابدى)

الثانية كتبها المترجم الى ولده أحمد . نصها :

(ولدنا الفقيه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاترك عنك النازلة المشئومة المظلمة . نازلة أبناء يعزى . فلا تتكلم فيها بشطر كلمة . حكما أو فتوى أو غيرهما . فاتركهم لقاضيهم الذين يعطون له المصارف أما نحن فانا طالب (رحالة) وأنت طالب (رسموكة) فاين غاب عنك خبر يوم رحلنا من بلدنا . وأملاك أبينا وجدنا ودارنا . نهب ما بيدنا حتى بياض أسناننا . وأنا وأنت سواء . فمن لم يوقرني لم يوقرك . ومن ابغضني أبغضك . فلا تكن حرامى أولاد الزمان . واقبل على دينك وطلبتك . واطلب

الله الستر في الدنيا والآخرة . فقد حكى عن الولي سيدى عبد الله بن يعقوب أنه قال لهم الذين شابهم البياض ماتوا . ولم يبق الا السواد المحض «١» وابعث نسخة الشاطبى على القراءات) والدك وفقه الله)

أخرى منه اليه :

(ولدنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فابعث مع حامله السيد خالدا على المحاذى . والمجلد الذى فيه بعض شرح الشاطبية . وفتش عن أجوبة القورى . فان لم تكن فى أطراف كتبنا فسل عنها الطلبة الذين اختلطت كتبنا مع كتبهم . فأنا محتاج اليها غاية . وقل لابن أخينا السيد محمد بن سعيد يدرج المصحف الكريم الذى بيده فى تلك الامتعة ياتينا بها المذكور . أخرج فيه ختمة أو ختمتين . وصلوا صلاة الاستسقاء . وابعث نحو عشرة من الطلبة يبيتون عند السيد الحاج يعزى يخرجون عنده ختمة يتوسلون به الى الله . لعله يسقيهم . واذن للناس بالتبريح فى الملاقاة عند السيد أحمد بن موسى . فالناس غرقى فى غاية المحنة . فرج الله عنهم بالنبى وءاله . والدك وفقه الله) .

التاسع : احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن سعيد العباسي

هذا هو العلامة الجليل . والامام الكبير . المفتى القاضي . صاحب المجموعة فى النوازل . المطبوعة بـ (فاس) التى أثنى عليها العلامة محمد ابن الحسن بنانى يوم رءاها فباتت عنده أياما . وهى وحدها بأجوبتها المتعددة فى علوم متعددة تدل على مكانة الرجل فى التحصيل والمشاركة . فقد كان له من الحسب والارث العلمى الشامخ ما رأيت . فزاد على ذلك بهمته العليا وبرحلته الى الاخذ فى نواحي (سوس) وفى (تامكروت) وفى «مراكش» ما زاده شرفا الى شرف . وطريفا الى تليد من سمو مكانة . وهاك نص مشيخته التى كتبها بقلمه . لتعرف منها من هم أشياخه .

(قال الشيخان الامامان الجليلان أبو حنيفة والشافعى ان لم يكن العلماء أولياء الله تعلى فليس لله تعلى ولى . وقال سفيان الثورى . نسبة الفائدة الى مفيدها من الصدق فى العلم وشكره . والسكوت عن ذلك من الكذب فى العلم وكفره . وقال النووى شيوخ الفقيه فى العلم ءاباؤه فى الدين. ووصلة بينه وبين رب العالمين . فيقبح جهل ذلك . وهو مامور بالدعاء لهم وبرهم . وذكر ءاثارهم . والثناء عليهم . والشكر لهم . فأقول : أخذت عن الشيخ أبى . والشيخ الامام الهمام سيدى أحمد بن مَحمد بن ناصر

---

١) كذا فانظر ما مقصوده بالكلام .

الدرعي . وسيدى أحمد الهشتوكى (١) وتلميذه سيدى حسين (٢) الدرعي وسيدى محمد الصغير الوارزازى . وتلميذه ابن أخيه سيدى محمد . وسيدى عبد الكريم التدغى (٣) . وسيدى عبد الله الووكدمتى . وسيدى العربى الافرانى (٤) وسيدى أحمد بن سليمان الرسموكى (٥) . وسيدى أحمد الوولتى(٦) . وسيدى ابرهيم التاكوشتى (٧) وسيدى أحمد الصوابى (٨) وسيدى عبد الواحد الوونبنى . وسيدى محمد الشاهد العفارى (٩) . حضرت مجالس الجميع . وأخذت واستفدت فمن مكثر ومن مقل . أما أبى فاخذ عن جماعة . منهم سيدى أحمد بن الحاج الفاسى . وسيدى العربى بردلة . الفاسيين . عن اشيخ الامام أبى محمد عبد القادر الفاسى . عن عمه أبى زيد سيدى عبد الرحمن . عن القصار . عن اليستثنى . عن الامامين الحافظين . أبى عبد الله بن غازى والزقاق . وأما الشيخ سيدى أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي . وسيدى أحمد الهشتوكى وسيدى أحمد الوولتى فاخذوا عن الشيخ سيدى محمد المذكور . وعن المصمودى عن السراج عن ابن هارون عن ابن غازى . وأخذ الشيخ سيدى أحمد الدرعي أيضا ـ يعنى ابن ناصر ـ عن سيدى عبد الله العياشى . عن سيدى عبد القادر الفاسى . وعن الشيخ ميارة الاخذ عن المقرى . والقاضى ابن القاسم بن النعيم . وسيدى عبد الرحمن الفاسى . وسيدى أبى عبد الله الجنان . وسيدى عبد الواحد بن عاشر وأبى الحسن البطوى . وأخذ سيدى أحمد بن الحاج الفاسى أيضا عن الشيخ ميارة . وأخذ أيضاسيدى أحمد الهشتوكى . وسيدى محمد العفارى . عن جد أبى سيدى محمد بن سعيد السملالى العباسى . عن سيدى على بن أحمد الرسموكى . وسيدى عبد الله بن يعقوب السملالى عن أبى جد أبى سيدى

---

١) هو أحوزى المشهور .
٢) حسين الشرحبيلى المترجم فى هذا الجزء بين أهله .
٣) هؤلاء كلهم كانوا يدرسون فى (تامكروت) فهناك أخذ عنهم المترجم.
٤) كانا يدرسان بمراكش .
٥) تقدم ءانفا مع أهله . ومن أشياخه سيدى عبد القادر الفاسى .
٦) ووات يطلق على (طاطا) وأحمد هذا ووالده محمد موقتان بمراكش مشهوران بعلم التنجيم . يدرسان ويوقتان فى مسجد باب دكالة .
٧) سياتى مع أهله فى(الجزء الثامن عشر) ان شاء الله . كان يدرس فى بلده
٨) تكلمنا عليه فى (الرحلة الرابعة) كان يدرس فى « ماسة »
٩) هذان لاأعرفهما. والغالب أنهما مراكشيان وسترى بعض الكلام حولهما وحين أخذ ـ كما ياتى ـ عن محمد بن سعيد العباسى . فانهما سوسيان .

سعيد بن عبد الله بن ابرهيم . عن سيدى أبى عبد الله محمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الوقاد . عن أبى عبد الله محمد بن عبد الله التنسى وسيدى أبى عبد الله محمد بن عبد الله الزناتي . المعروف بشقرون . وأبى عبد الله ابن جلال التلمساني . والعلامة أبى عبد الله اليستثني . وعن سيدى سعيد الهوزالى . عن سيدى محمد بن مهدى الجرارى . وسيدى بلقاسم بن عمر المعروف بالشيخ التيفنوتى الدرعي . الآخذ عن الشيخين الامامين أبى العباس الونشريسيوابن غازي . وأخذ أيضا عن سيدى علي بن أحمد وسيدى عبد الله بن يعقوب عن أبى مهدى سيدى عيسى السكتاني . عن جماعة منهم الشيخ أبو العباس المنجور . عن أبى محمد عبد الرحمن بن علي القصرى المعروف بسقين . وأبى الحسن على بن هارون المغفرى . وأبى عبد الله محمد ابن عبد الرحمن اليستثني . وهم أخذوا عن حافظ المذهب أبى عبد الله محمد ابن غازى . وزاد سقين عن شيخ العلمين . ومحقق السنتين . الامام أبى العباس أحمد زروق الفاسي . وأخذ أيضا سيدى أحمد الهشتوكي . وسيدى أحمد بن سليمان الرسموكي . وسيدى ابرهيم التاكوشتى عن سيدى الحسن اليوسي . عن سيدى محمد بن ناصر . وأخذ سيدى عبد الله الووكدمتي عن سيدى أحمد بن الحاج الفاسي . وسيدى أحمد العطار الاندلسى . الآخذين عن سيدى عبد القادر الفاسي . والشيخ سيدى أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي. وأخذ سيدى العربى(١) الافراني عنسيدى العربى بردلة الفاسي وأما شيخاى سيدى أحمد الصوابى . وسيدى عبد الواحد الوونيني فشاركتهما في جل شيوخهما . وان كانا أكثر مني أخذا عنهم . ولذلك استجزت الشيخ الصوابي. فأجاز لى جميع ماأختص فيه . رضى الله عن الجميع ونفع بهم وحشرنا معهم في زمرة الذين أنعم الله عليهم والحمد لله رب العالمين)

وقال فيه تلميذه الحضيكى فى (طبقاته) .

(أحمد بن محمد بن محمد بن محمد العباسي السملالى . العالم العلامة النبيه اللبيب . الولى الصالح . شيخنا ومفيدنا . المدرس الرئيس . عالم العلماء . وفقيه الفقهاء . كان رضى الله عنه دءوبا على التدريس ونشر الفقه . معتنيا مولعا . بمسائل الفقه دهره . سهر ليله فى المطالعة . واستغرق نهاره فيالافادة والمذاكرة . وله رضى الله عنه فى خلال ذلك . أوراد ووظائف لاتضيع له ساعة . فانتفع أكثر أهل هذه البلاد . بل به تفقه من تفقه منهم . وعليه اعتمادهم فى المسائل والفتوى . وهو قطب رحاهم فى ذلك . يقصده الناس من بعيد . وله رضى الله عنه صيت وشهرة فى الالسنة والقلوب .

١) هو العربى بنبلقاسم من(افران) السوسية.كما نبه عليه بلديه الافرانى

وكان رضى الله عنه من أورع الناس وأزهدهم . ذا همة عالية . ودين متين . نصوحا لعباد الله . نزيها ذا مروءة وسمت حسن . قوالا للحق . منصفا كريما صبورا على الجفاة . أخذ عن أبيه وعن شيوخ (تامگروت) سيدنا الامام أبى العباس ابن ناصر وأبى العباس أحوزى الهشتوكى . وسيدى أبى عبد الله محمد الصغير وغيرهم . وعن شيوخ (مراكش) سيدىالعربىاليفرنى(١) وسيدى عبد الله الووگدمنى . وسيدى أحمد بن سليمان الرسموكى وغيرهم وسمعنا منه مختصر خليل مرارا . وألفية ابن مالك . وألفية العراقى فى علوم الحديث . والمنهج وقواعد الزقاق . وصحيح البخارى مرارا . وغير ذلك قدس الله روحه . وجزاه عن الاسلام أحسن الجزاء . ونفعنا بعلومه . توفى رحمه الله ليلة الاثنين الثامن من ذى الحجة الحرام عام اثنين وخمسين ومائة وألف) .

وقد ذكره الحضيكى فى رحلته الحجازية بقوله :

(ثم من مشايخنا رضى الله عنهم سيدى واستاذى وسندى أبو العباس أحمد بن محمد . الشهير فى بلاد (سوس) الاقصى والغرب بالعباسى . وكان رحمه الله تعلى فى أسنى المراتب . وأعلى المقامات . ما هرا فى علم الفقه . اليه انتهت الرياسة فى الفتوى والمعاملات . يقصده الناس من بلاد بعيدة . ويجتمع اليه فقهاء عصره . وأكابر جيله . فيصيرون عنده كالاطفال فى حجر مربيهم . وقد أفنى رحمه الله عمره فى التدريس . وأعطى كل نهاره لطلبة العلم . ولا ترى فىبلاده متفقها ولا مدرسا الا وهو تلميذه . ولقد نشر الفقه رحمه الله تعلى فى بلاده . وله عليهم منة ويد طولى . وكان رحمه الله ناصرا لدين الله تعلى . متورعا لا يخاف فى الله لومة لائم . وكان ذا جاه عظيم . وقدر جسيم . تهابه الجبابرة . وكان أمره فى الناس ممتثلا . لايستطيع أحد من الخاصة ولا العامة مخالفته . لما ملأ قلوبهم من جلالة قدره . وجرى على ألسنتهم من محاسن ذكره . وهو ممن نصر الله به الدين . وأحيا به البلاد . ورد الله به أهل الفساد بغيظهم على أعقابهم مدبرين . وقام به أهل الحق مسرعين . وحضرنا مختصر الشيخ خليل عنده مرارا . والعاصمية على الاحكام . وألفية ابن مالك . وألفيتى الاصطلاح والسيرة للمزين العراقى . وغير ذلك . ولازمته منذ أربعة أعوام فأكثر فى الحضور والسفر . وتوفى رحمه الله وأنا مسافر للحج . وبلغنا خبر وفاته فى (افريقية) ونحن قافلون من الحج . متوجهين الى بلادنا . فالله تعلى يعيد علينا وعلى المسلمين من بركته. ويجازيه عنا وعن المسلمين خيرا)

---

١) العربى بن بلقاسم . كما نبه عليه اليفرنى بلديه .

وقد ترجمه ايضا شيخنا سيدى عباس المراكشي في كتابه (الاعــلام) فزاد أوصافا كثيرا على ماتقدم كما نص على أشياخ ءاخرين كمحمد القسمطيني وأحمد بن الحاج . والعربى بردلة . ومحمد البوعبدلى . ومحمد بن المنبهى. وابرهيم الاونايني . ويحيا بن عبد الله الجرارى . وذكر ممن أخذوا عنه : عبد الله ابن محمد الاسفاركيسي . وذكر بعض كتب أخرى أخذت عنه . وكان الامام على الصلاة عليــه . محمد بن يحيا الازاريفي . وهي ترجمــة وافية . استمد لها من فهرسي الجرارى والاسفاركيسي . زيادة على ما في الحضيكى.

المترجم من أقران الصوابى وأصغر منه بقليل . وقد وقفنا على مراسلات بينهما . وعلى رسائل أخرى من المترجم واليه . في مجموعة تلميذه أحمد ابن ابرهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب . وهو الجامع لنوازله المتداولة المطبوعة . كما جمع أيضا منشداتــه في مجالس الدراسة . وهي فــي نحو كراسين . وكما جمع أيضا فوائد له أخرى . وقد وجدت كلاما لاحمــد بن ابرهيم هذا قدمه امام هذه المجموعة . ونصه :

(هذه فوائد كيفما كانت طررا وغيرها . فقها أو غيره . لشيخنا الفقيه الاريب اللوذعي اللبيب . مغيث الضعفاء . وملجأ المساكين . رئيس زمانه . وفريد عصره . شيخنا سيدى أحمد بن محمد بن محمد بن العلامــة سيــدى محمد بن سعيد ابن عبد الله بن ابرهيم العباسى . أعز الله الجميع . ورحمهم. ورضى عنهم . وأرضاهم عنا ووفقنا على ما فيه صلاح الدارين . جمعه كاتبه أحمد بن ابرهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب السملالى . حسبما وجـده بخط يده الكريمة . للانتفاع بها راجيا من الله الثواب الجزيل)

وهاك بعض رسائل المترجم التى أخترناها من تلك المجموعة :

(السلام عليكم (وبعد) فقد كنت ذكرت لى مسألة الخيونى في المبادلة وانك تأتى بعقودها . فائت بها حتى نبحث فيها . ونتأملها . واياك والحكم بالجهل في المسائل . فحقوق الناس من أشد البلايا . فالحذر الحذر . وتفكر لخروجك منها . والا هلكت وأهلكت والسلام)

أخــــرى :

(من أحمد بن محمد العباسي . الى المرابط سيدى عبد الله بن موسى . السلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته . فأؤكد عليكم سيدى على أن لاتنسى كاتبه بالدعاء في خلواتك وجلواتك . خصوصا وعموما . وعلى القيام بحقوق الله تعلى في نفسك ورعيتك . ففى حديث نبوى : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . فأقم ذلك كله بفرائضه وسننه وفضائله وءادابه . تجد حلاوة

الايمان . فقال قال عليه الصلاة والسلام : الايمان ايمانان ايمان لايدخل صاحبه النار . وايمان يدخل صاحبه فى النار فالايمان الذى لايدخل صاحبه النار هو ما كان بالحلاوة . والايمان الذى يدخل صاحبه النار هو ما كان بغير حلاووة . واعلم أن هذه الحلاوة محسوسة يدركها من نور الله تعلى بصيرته . أذاقها الله لنا بمنه وفضله . وعليك بالاصول ثم الفروع . فقد هلك كثيرا من يرد الفروع أصولا . ويرد الاصول فروعا . وذلك جهل مهلك . كما قال الشيخ ابن أبى جمرة . وحقق هذا الشيخ أيضا أن المغفرة أعلى ما ينال الانسان من الله تعلى . قائلا ان الرحمة وان نال منها الانسان ما عسى أن ينال . يمكن أن تبقى معها بقية ذنب . فيواخذ بها . بخلاف المغفرة . فلا ينبغى اذن للعاقل أن يكون أهم ما لديه تعاطى أسباب المغفرة من الله تعلى . كصلاة التسبيح كل يوم مرة أو أسبوعا أو شهر أو سنة أو مرة فى العمر . فقد ورد فيها ما يحمل الراغب المشفق من ذنبه على أن لايدعها ولا يقدم عليها سواها . وأفضل أوقاتها ما بين الزوال وصلاة الظهر . ان تأتى له ذلك . وان لا فكسائر النوافل . تصلى فى أوقاتها من ليل ونهار . وتصلى تارة على ما رواه الامام ابن المبارك رضى الله عنه . وتارة على غيره من تقديم القراءة على الاذكار . والجلوس للاستراحة . قائلا الاذكار فيها قبل أن ينهض قائماً . وقبل التشهد . فشديد الضنين عليها . ولا يشغلنك عنها شاغل . واستبشر بنعمة من الله وفضل . ان وفقك لها وأهلك لتعاطيها . ونشطك لها . اذ لو أراد بك الاخرى عياذا بالله لثبطك عنها . فتكاسلت وتوانيت . ولا يردك عنهازاهد فان العارفين بالله الحثو فى الحث والحض عليها فالله يوفقنا وإياك . قاله الشيخ (١) فى (الرحلة) وأذكر لك بعض الخصال المفكرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب . فقد جمعها الشيخ الامام الحافظ ابن حجر فى جزء) (٢)

أخرى من ابرهيم التاكوشتى الى المترجم :

(من ابرهيم بن أحمد التاكوشتى كان الله له الى الفقيه النجيب سيدى أحمد بن محمد العباسى . السلام عليكم وعلى من بك واليك . ورحمة الله وبركاته . فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو (وبعد) فحامله سيدى ابرهيم بن أحمد من سلالة ولى الله سيدى عبد الجبار التيملى . شكا انه حكم عليه بعض الطلبة الظلمة بالحيف . فانظر له سددك الله كيف يتخلص من

---

١) لعله يعنى الشيخ أحمد بن ناصر .

٢) هذا الجزء مطبوع فى الرسائل المنيرية . كما أظن .

ظلمه . واكتب له ثم ارسله للعلامة والدك ليكتب لـه ان شاء الله . فـالله يبقيكم دار علم في هذا الاقطار . ويقمع في فتاويكم المؤيدة بالحق الواضح أباطل الفجار . ءامين والسلام عليكم) .

أخرى اليه أيضا من محمد بن ابرهيم التاكوشتي :

(من محمد بن ابرهيم كان الله له الى محبنا وسيدنا احمد بن سيدى محمد . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) سيدى فالحمد لله ونشكره الذى ردكم الى داركم في صحة وعافية . فالله يجعل البركة فـي أجلكـم وأرزاقكم ببركة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وادعوا لنا سيدى أن يجعلنا الله في رحمته بلا حساب ءامين)

الجـــــواب :

وعليكم سيدى محمد بن ابرهيم السلام والرحمة والبركة (وبعـد)

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالايلب المسافر

فالله تعلى ينيلنا واياكم كل مطلوب . ويصرف عنا وعنكم كـل مرهـوب . دنيا وأخرى ءامين .)

(أقول) لعل هذا الرجوع كان في عاقبة ما وقع في دارهم . كما ذكره والده في رسالة متقدمة .

أخرى اليه أيضا من محمد بن ابرهيم :

(من محمد بن ابرهيم الى سيدنا وابن سيدنا أحمد ابن سيدى محمد العباسى السلام عليكم (وبعد) فهاك صدقة على وجه الله . وان قصرنا فـي حقكم سيدى فاعذرنا لتعذر القدوم)

الجـــــواب :

(وعليكم سيدى محمد بن ابرهيـم السلام ورحمـة الله وبركاتـه (وبعد) فجزيتم خيرا . ووقيتم ضيرا :

وما ضاع مال أورث المجد أهله ولكـن أموال البخيل تضيـع

وأما أمر السادات المرابطين فأنت وسيدى سعيد تكفيان حتى تفهما المقصود . ونلتقي معكما في زاوية الشيخ . فنتشاور حينئذ والله تعلى ياتى بخير وهو المستعان)

أخرى اليه من بعضهم :

(على زعيم العلماء . قدوة النبلاء . الامام أبى العباس . وقانا الله به مصارع الخزى والبأس . افضل السلام وأزكى التحية ؛ وأنمى البركات ؛ (وبعد) فسيدنا نور الله به في الملأ الاعلى . قد بلغنا رفده وعونه . وعارضنا النسخة (التسهيلية) من نسخته . ولله در سيدنا من كريم جواد. ثم رددناها

لكريمة اليد منكم . فاستمطرنا من سحب ذالكم الجود جـودا يسقى حمانا بشرح (الكافية) على يد حامل هذا اليكم . ثم ان رأيتـم (المزهر) لائقـا بضعيف ادراكنا . منيرا لعشاء بصائرنا . كان وصوله الينا محبوباً . والنظر فى ذلكم اليكم . وأنتم أخبر بحالنا وحاله . واعلم بالمناسبة بين الحالـين . والسلام على عظمة قدركم . زاده الله رفعة . وثبتكم وثبت بكم والدعاء منكم مطلـــوب) .

أخرى من المترجم الى أهل الصوابى تعزية فيه :

(من أحمد بن محمد العباسى . الى اخواننا صحب البركة سيدى أبى العباس الصوابى . رحمه الله تعلى . السلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته (وبعـد) فيسروا ولا تعسروا . وبشروا ولا تنفروا . وتطـاوعوا وتوافقوا . وكونوا عباد الله اخوانا (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . واصبروا ان الله مع الصابرين) وابقوا الامر على ما تركه عليه البركة . فالمقـــدم سيدى عبد الواسع . والامامة لسيدى محمد بن الحسن . ومـا تيسر مـن الاقراء . ومحل المشورة لسيدى محمد الفلالى . وسيدى محمد الكنسوسى فيما ينعلق بمدشركم مع ما تيسر لهما من الاقراء على قدر الامكان . والفقير يحيا بن الحسن لما جعل له مما يتعلق بالدار . وأما القيام بالطعام والضيفان وملاقاة الناس فسيدى محمد بن الحسن فانه تدرب لذلـك . ومرت عليـه فصوله . وعظوا برفق ولين . واعرفوا قدركم . فالخير بالتدريج . ولاتزببوا قبل أن تحصرموا فتذموا . وأما ما ظهر أنه منكر بمحلكم فلينهـه المقـدم بقلب ولسان . ليس غير الآن . ومن تجاوز ذلك منكم فانما يدعولنفسه . فلا يليق بذلكم المكان على حسب فهمنا وادراكنا . والعلـم عنـد الله تعـلى والسلام . مريد الخير لكم . ولولا أنه يرى البعث اليكم بما ذكر من بعض مهماته لما ترونه فضولا)

أخرى فى مسامحة :

(من أحمد بن محمد العباسى . لطف الله به . الى المرابط الخير سيدى أحمد بن محمد . السلام عليكم (وبعد) فقد بلغنى أن المرابط سيدى أحمد ابن صالح . ذكر أنه استجير من جانبى . وانك لم تقبل الا ما ذكرت أولا . فأقول قد سامحته فيما تعلق بى من ذلك . فاتركوه ولا تقولوا له الا خيرا من جانبى . فانى لا أريد لذرية الشيخ جميعا الا الرحمة . تغمدنا الله بهـا واياهم . فكيف أريد أن أكون سببا للاختلاف والمنازعة بينهم . ولو قدرنا على نفعهم لفعلنا . فاعذرونا والسلام)

اخرى فى تظلم :

(من احمد بن محمد العباسى . الى المرابط الخير سيدى أحمد بن محمد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (وبعد) فقد بلغنا أن المتعلقين بكم ضربوا الطالب بلقاسم فيما حرث . فاعلم أن شكوانا رفعناها لمن له الامور سبحانه فان أنت علمت به والا فاعلم به . وكأن ذلك الموضع كان قذى فى عيونكم . وهو مما خلفه أسلافنا كما لايخفى عنكم . لايساوى أن تتغيروا بسببه . وما ظننا أن يقع بكم هذا الموقع . وانما المعتقد أن تزيدوا فى الوقار . فأنتم مرابطونا وجيراننا . وتركنا الاسلاف بينكم أحياء وأمواتاً . فالآن اذا نابكم غير ذلك فاعلمونا والسلام)

(أقول) الغالب أن المكتوب اليكم أحد رؤساء (تازاروالت) والله أعلم . العهم

* * *

ثم ان هذا القدر من الرسائل يكفى فى معرفة ما لايعرف الا بها من ترجمة هذا الشيخ الجليل . فمن يعرف أن يستشف الحياة من الآثار . يعرف من ذلك حياة رجل عظيم قد صدق فيه واصفوه المتقدمون فى كل ما قالوه فيه . رحمه الله .

وفاته والتعزية فيه

كان فى ذلك العصر أحمدان عظيمان أحمد الصوابى المتوفى ١١٤٩هـ ثم أحمد العباسى المترجم المتوفى ١١٥٢ هـ . فلا ريب أن القلوب الجزولية تهتز لمصيبتهما . وقبره بين قبور ءاله العباسيين ازاء مشهد الشيخ سيدى أحمد بن موسى معروفة . وقد زرناها والحمد لله . وقد كتب الاستاذ ابرهيم ابن محمد اليعقوبى هذه التعزية الى أهله يوم توفى :

(السادات الفضلاء . والاحبة الاجلة العظماء . كافة أقارب الفقيه العلامة المرحوم بالله سيدى أحمد بن محمد العباسى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) عظم الله لنا ولكم الاجر الجزيل فى موته . ومصيبته التى عمت الاقارب والاباعد . وأجرنا واياكم فى مصيبته . واعقبكم خيرا منها . وعليكم بالصبر لقضاء الله . والرضا بحكمه . فقضاؤه تعلى لامرد له وحكمه لا معقب له ؛ فلله تعلى ما أخذ وله ما أعطى (كل يجرى لأجل مسمى) (كل نفس دائقة الموت) انا لله وانا اليه راجعون . وشدوا أرواحكم فى الصبر . والجد فى طاعة الله . والوقوف على حدوده . والمشاورة على ما فيه صلاح الدارين. والمعاونة على البر والتقوى (ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ولا تباغضوا ولا تدابروا . وكونوا عباد الله

اخوانا . ووقروا كبيركم . وارحموا صغيركم . و'مروا أولادكم بالتعلم ؛ وفقنا الله وغفر لنا جميعا . وختم على السيد المذكور . بالخير والسعادة . وجعل الجنة مثواكم . وألهمكم الصبر في مصيبته . وختم علينا جميعا بما ختم به على عباده الصالحين . أخوكم في الله ومحبكم من أجله . ومشاركم فيالتوجع ابرهيم بن مَحمد بن عبد الله . وفقه الله بمنه . وختم بالخير عمله . كتبه اليكم عوضا عن اقدامنا لعذر جلي . لطف الله بنا وبكم حالا ومئالا دنيا وأخرى)

العاشر : عبد الله بن محمد بن سعيد بن عبد الله العباسى

رينا له ءاثارا في النوازل . ولم نعلم مكانته من الاسرة . وهو بلا ريب من أهل أواخر القرن الحادى عشر الى أوائل ما بعده . ولعله أحد أبناء القاضى محمد بن سعيد .

الحادي عشر : محمد بن عبد الله بن محمد العباسى

لعله ولد من قبله . ذكره صاحب (الوفيات) بقوله :

(الزاهد الفاضل سيدى محمد بن عبد الله العباسي . المدفون بـ (فم الحصن)). هذا كل ما قال . ومقصوده بـ (فم الحصن) الموجود في (أمانوز) وقد مات قبل ١٠٨٠ هـ على ما يظهر .

الثاني عشر : سعيد بن عبد الله بن محمد بن علي العباسى

فقيه اشتهر مع العلامة محمد بن الحسن التوغزيفتي . وهو صهره . وله ءاثار في النوازل وفي غيرها . ولعل وفاته في وباء ١٢١٤ هـ أو قبله .

الثالث عشر : ابو القاسم بن محمد العباسى

فقيه نوازلى مقصود في عهده . والغالب أنه أخذ عن الاستاذ ابرهيم ابن مَحمد الادوزى وعن طبقته . وقد رأينا له ءاثار في الاحكام التى يفصلها وقد عاش الى ١٢١٢ هـ وربما تخطى هذه السنة .

الرابع عشر : عبد الله بن احمد التومانارى

العلامة المدرس المخرج الكبير القدر . أستاذ أحمد بن عدى العركوبى وعبد الله بن عبد الله المعروف بعبيل الغرمى الجرارى المتقدم بين أهله الغرميين . وقد صاحباه الى الحج . فتوفي في مصر . ودفن حوالى قبر الشيخ

خليل المالكي . وناهيك بمن تخرج به هذان العالمان الجليلان . ولم ندر في أي وقت توفي هناك . الا أن ذلك كان قبل ١٢٥٠ هـ على ما يظهر (ثم انني أقول) لست على يقين الآن ان هذا الاستاذ من العباسيين . وربما يكون من اخوان الخياطيين المذكورين في الاسرة الايكرارية . في (الجزء الثامن عشر) لان في (توماناز) أسرتين علميتين . العباسية والايكرارية .

الخامس عشر : عبد الرحمن (بوخساى) العباسي

ففيه من المتأخرين . تخرج من (أزاريف) عن العلامة سيدي الحسين. أو والده محمد . نال بين أهله مجدا بمعلوماته . فتكون له في صدور حسد. مع أنه متواضع حسن الاخلاق . فتك به لصوص أول المحرم ١٣٤٤ هـ . وهو ءاخر علماء العباسيين التومانازيين . ولم يظهر فيهم أحد بعده .

السادس عشر : يوسف بن عبد الله العباسي الماسكيني

ذكره في (الوفيات) بقوله :

(الفقيه الاجل سيدي يوسف بن عبد الله العباسي السملالي نزيل « ماسكينة »)

(أقول) انه تولى القضاء في نواحي (ماسكينة) الى «حاحة» للامير علي بودميعة . وقد رأينا له ءاثارا فقهية . ولم ندر متى توفي أقبل ١٠٧٠ هـ أم بعدها .

السابع عشر : سعيد بن عبد الله العباسي

أخو يوسف المتقدم . فقيه يفتي ويقضي . ولم نعلم عنه غير ذلك . ولا ندري أتوفي قبل أخيه يوسف أم بعده .

وبعد فهؤلاء كلهم من العباسيين السملاليين . وأما العباسيون الماسكينيون الذين منهم الشيخ الصالح سيدي سعيد الدراركي فليس عندنا أي خبر عن علم منهم . الا ما كان من هذا الشيخ الذى كتبنا عنه ما تيسر في(الرحلة الرابعة) من(خلال جزولة) وقد رأيت من أنسابهم مالايتماشى مع انساب السملاليين هؤلاء . فبعضهم يقول انهم جاءوا من (تلمسان) وبعضهم يرفع نسبهم الى الشرف . بل عندهم ظهائر بذلك . وليس عندي الآن ما أقوله الا أن أعلن قولي (الله أعلم) .

الثامن عشر : محمد بن المحفوظ التيزي

فقيه من أهل قرية (تيزي ايموشيون) التي قلنا انهم من اخوان

العباسيين هؤلاء . أخذ عن العلامة محمد بن عبد الله أقاريض الصوابى وعن غيره . وهو فقيه وسط . وكان يحضر حينا فى مركز (انزى) لفصل القضايا وقراءة الرسوم . وقسم التركات . ولا يزال حيا الآن . ولـه ولـد نجيب استاذ فى احدى المدارس الابتدائية . وقد قرأت للمترجم ءاثارا أدبيـة . نثرا ونظما . وفى(الرحلة الثانية) رسالة منه الى سيدى رشيد ابن المصلوت وجدناها فى(وجان) فاثبتناها هنـاك . كما رأيت له قافية الى الملك المرحوم سيدى محمد بن يوسف فى شأن ولد له مسجون . وقد كانت عندى منها نسخة فضاعت بين الاوراق . ولم يتسع الوقت للتفتيش عنها .

التاسع عشر : محمد بن الطيب التيزى

بهذا الاديب الكبير انجذبنا حتى ذكرنا رجالات هذه الاسرة العالمـة الصالحة . فكان كعبا مباركا ميمونا .

نشأ أديبنا فى قرية لاتعرف الا الصياغة . فكلهم صواغون . يصوغون الحلى على أنواعها من الفضة والذهب . وصنعتهم مشهورة . وعلى أحد صناعهم يعتمد ملوكنا اليوم فى تحلية بعض ما يهيئونه للهدايـا . مـن السيـوف والخناجر والاسورة وما الى ذلك . وقد كان المعلم الطيب والد صاحبنا من حذاق الصناع فى ذلك . لكنه مع ذلك ممتلىء بحب القراءة والعلم . فمال بولده الى ذلك . فبعد أن حفظ القرءان فى مسجد القرية ألحقـه بمدرسـة شيخنا سيدى الطاهر بن محمد فى (تانكرت) فهناك وجدته لما وردت اليها نحو مختتم ١٣٣٢ هـ فلم ينشب أن برز بين أقرانه فعوض أن يكون صواغا للحلى صار صواغا للقوافى . وقد رزقه الله أخلاقا لطيفة . وصبرا جميـلا . ثم لما فرق الدهر بيننا بعدما كنا معه هناك اربع سنين . رجع الى أهلـه . وقد انتقلوا قبل الى قرية (الدشيرة) فى (المعدر) فصار يعين والده فى المعاش وقد كان تعلم الصنعة . وطالما صاغ للقائد الطيب الكنتافى ما شاء من أنواع الحلى . ثم صار رجل الاسرة فيخدم عنها حتى فى الاعمال اليدوية التى تلزم بها الاسر اذذاك رسميا فى الطرق والحرث والحصاد . وربما أملق املاقـا فيصبر . حكى لى الاديب سيدى الحسن الكوسالى انه رءاه مرة فـى سوق يعرض شملة خلقة للبيع . للاحتياج الى ثمنها . فكان مع ذلك بسام الثغر . مستبشرا غير عبوس ؛ رضى بالمقدر عليه . وقـد كنت كلفتـه أن ينسخ لى بعض الكتب فوفى بذلك . وقد كنت ألقـاه متى زرت سوسا وأنـا فـى (مراكش) الى أن فرق الموت بيننا . وهاك الآن ما كتبه عنه بعض أقرانه فى كتاب أدبى :

قولـة بعضهم فيـه

عندليب روض أريض . رخيم الصوت . طيب الغناء . سكت ما سكت

فلما غني أصاخ لغنائه كل طير تسنم فننا . ثم لم يكن الا كلمحة طرف . أو ومضة برق . حتى ارتخت أجنحة العندليب . فمال على شقه . فاذا بـه جدث بلا نفس .

اتصل محمد بن الطيب التيزى بالشاعر الافرانى الكبير . فمشى وئيدا فمضت سنوات من غير أن يظهر فى علم من العلوم . ومـا هنـاك الا مرح ولطف ووداعة . وخلق كأنما تجمد من أنفاس الازهار المخضلة . وكان من بين ما يمرح به . تطلعه الى بعض أدبيات . وقد يستوفى كتابا منها مطالعة . ان كان كتابا لطيف الحجم . أنيق العبارة . كابن خلكان . وقلائد العقيان ؛ ونفح الطيب . ولم يشعر من كانوا يصاحبونه أن نبغ بغتة . فابدى نتفـا أدبية . تلتها قصائد . فاذا به يقول ما هو محكم اللفـظ . سلس التعبير ؛ سهل المعانى . كأنما أقواله قطرات من أخلاقه الدمثة .

حداه سواق عنيف من صروف الدهر . حتى انقطـع عـن المدرسة (التانكرتية) الى أهله مرغما . وكانوا أسرة شبه فقيرة . وكان لابد أن يقوم بنصيبه من السعى من بين أفراد الاسرة . فكان حينا من الدهر من بين عملة ترصيف الطرق . يؤدى خدمة الايام التى تلزمه وتلزم افراد أسرته . على حساب ما ارتأته الحكومة . فأنهك ذلك جسمه الرقيق النحيف وألـح عليه حادث جـديد مباغت فى صيف سنة ١٣٤٥ هـ . فى الثالث مـن شعبان . فالتحق بالقبر بعد مرض قليل . كذلـك تقوض ما تبقى من قوته . فسقط ذلك الاديب المنكود شهيد الميدان الحيوى . فذهب مبكيا على شبابه . وعـلى معاشرته اللطيفة . وعلى شمائله التى كأنها فتور العيون الدعج من الحسان . وهكذا تأبى حرفة الادب أن تفلت كل من اتصف بالادب من كل الطبقات . وهى التى لم تفلت ابن المعتز ولا ابن عباد الملكـين . فكيف تفلت محمد بن الطيب المسكين المدقع الذى لا يملك الا قلمه وطرسه . والشمم التى يتسم به كل أديب حى .

أما آثاره فليس عندنا منها الآن الا اثنان فقط اتحفنا بهمـا سعده . ولولا سعده الذى تعرف له اليوم . بقدر ما تنكر له أمس . لصار أيضا بين الادباء نسيا منسيا . ككثيرين نستحضر أسماءهم ونعرف مكانتهم فى الادب ولكن أين منا ءاثارهم ؟

كتب الى الاديب الحسن الكوسالى من أترابه فى المدرسة (التانكرتية) صباح يوم :

ريـح الصبا روحـى عـلى لتحمـلى	منـى السـلام لعـالـم حبر
سيرى الى مغنى الاديـب واخبرى	عن حـال صب جـائش الصـدر
صب لـــه فىقلبه وجفونـه	نـار تشب وعبـــرة تجرى
واذا عذول سامه عـذلا فلا	يصغى لزيـد لا ولا عمرو

مولاى هل للعبد من وصل فقد أضناه ما لاقاه من هجر
فانهض الى شرب الاتاى فقد شكا الا سمقراج وقدا من لظى الجمر
فاليكها عذراء فى مرط الحيا وامنح لها الاغضاء فى المهر
وابسط لها عذرا فما فى النثر لى من مسرح فضلا عن الشعر
منى على مثواك يا أندى الورى أزكى السلام معطر النشر

الجواب من الكوسالى :

مرت صبا هبت مع الفجر فمرّت شئونا لم تزل تجرى (١)
هبت فشبت لاعجا لم يخب لـ سكن جددت جمرا على جمر
حيت فأحيت مدنفا متولها سلبت حشاشته يد الهجر
حيت بعرف تحية أنست شذا ورد الرياض وعنبر الشحر (٢)
لم لا ومسراها خلال خمائل بل ردن رود من مها الفكر
بكر جلاها الفكر من خدر الحجا عذراء تجلى فى حلى الشعر
وتميس ترفل فى ملاء بدائع زهوا فتسبى كل ما فكر
رقت ودقت من معان خلتها صرف الطلا أو نفثة السحر (٣)
فى ضمن الفاظ تروق كأنها زهر تبسم عن بكا القطر
وافت لتوذن باللقاء لقى على فرش النوى مضنى مدى الدهر
لله ما أحلى وأعذب قولها تدعو الى نادى الندى الغمر
(انهض الى شرب الاتاى فقد شكا الا مقراج وقدا من لظى الجمر)
نادى الهمام ملاذ من يبغى الندى بحر المعارف بدر من يسرى
شهم سما فوق السماك بهمة اعلته قسرا هامة النسر
جماع أشتات العلا صداع أكبـ ـاد العدا بمناقب غر
سباق ميدان البلاغة حائز خصل المدى فى النظم والنثر
مولاى يا من بذّ كل مفاخر بمآثر جلت عن الحصر
هذى نفاثة فكرة غاضت فان قصرت فابسط لى ردا العذر
من لى بعد مفاخر أوتيتها عفوا . ومن ياتى على البحر
وعليك يا بحر الندى طول المدى أزكى سلام عاطر النشر

وقد خاطب الكوسالى المترجم أيضا بقوله . وهما اذذاك فى المدرسة :

اقصر عذولى أو فلج وأنب غيرى يعير السمع قول مؤنب
دين الصبابة والصيانة مذهبى أترى أفارق عن ملامك مذهبى

---

١) مرى الحالب الضرع : اذا لمسه ليدر الحليب .
٢) الشحر بفتح فسكون : محل فى اليمن ينسب له العنبر .
٣) الطلا بالكسر : الخمر .

والصب من يرعى الهوى حين النوى ويذب عنه صيانــة للمنصب
لو كنت تدرى ما الهوى لرثيت لى وعذرتنى وعذلت فيه مؤنبى (١)
كم كنت الحى ذا هوى متنسكا والقلب فى الاشراك لما ينشب
حتى أتيح لى الهوى من محنتى مما ألاطفه ولما يعب بــى
غنــج الاينــه الكلام فينزوى تيهــا ويثنى عطفه كالمغضب
أقصى وأقسى نخــوة بجماله قلبا ووصلا من صفا أو كوكب
أفنيت عمرى فى هواه ولم افز منه بطيف فى الكرى متأوب
يامن يرينى عارض الوصل الذى لم أحظ منه بغير برق خلب
حتى متى هذى العدات ولا وفا ان كنت عرقوبا فانى أشعبى
انى أظنك راويا عن مادر أفلا رويت مكارم ابن الطيب
سمح تسح اذا تشح غمامة بالوكف كفاه بوبــل صيب
حبر غدا فى علمه وسماحــه بحرا ولكن كان عذب المشرب
فاذا قرا بهر العقول فصاحة أو ان قرى غمر الندى يد مجدب
هو ءاية فى عصره لا غرو اذ هو شمس علم قد بدت فى المغرب
شمس المشارق غربنا ضاءت به شمس المعارف فاطلعى أو فاغربى

الى أن قال فى تعداد أوصافه :

وخلائــق كحــدائق وشمائــل كخمائــل أو كالنسيم الاطيب
يسقيك من ءادابــه وبيانــه سحرا حلالا أو طلالم تقطب
حمدت سجاياه وطاب نجاره فلذا دعوه محمد بن الطيب

* * *

يا سيــدا أغيا فأعيا وصفــه حصرا مقالة موجز أو مطنب
خذها مجاجة فكرة غاضت ولو فاضت لما كادت تفى بالمطلب
بكرا حذار النقد تعثر فى ملا خجل وتزهو من حلاك بمذهب
فابسط لها ثوب القبول واغض عن زلاتهــا وبهــا فهشٍ ورحب
فلئن أتتك ضئيلة فلأنهـــا مزحومة بجوى وهــم منصب

الجواب من المترجم :

ما الراح تشربها براح مخضب صرفــا معتقــة ولم تتقطب
يسعى بها صفراء حاكى لونها شمسا على أزهار روض معشب
ساق كأن جبينه فى شعره قمر تبلج فى حوالك غيهب
والروض مفتر المباسم زاره غب الحيا وفد النسيم الاطيب
فتفتقت أزهــاره . وتــدفقت أنهاره . بزلالها المستعــذب
والغصن قد غنى عليه حمامه فاهتز كالنشوان أو كالمطرب

---

١) كذا . بتكرير مؤنب . قبل سبعة أبيات .

أبهى وأبهر من محيا غادة غيداء تمشي في ملاء مذهب
حسناء لو أبدت محاسنها لها م بها فؤاد الناسك المترهب
ركبت عروسا متن بحر كامل متلاطم الامواج عذب المشرب
في زي ألفاظ تروق كأنها در تناسق في نحور الربرب(١)
وبديع تركيب يروق صنيعه ببدائع رقت وحسن تشبب
وكأن تجنيس المعاني شعشعت في لطفها صهباء ما لم تقضب
نظم يتيه على نظام لئالئ بحلاوة وطلاوة وتهذب
لم لا ومنشيها فريد زمانه عند العلوم وقدوة المتأدب
ذاك الامام ابو المعالي سيدي الـ
ـحسن بن مَحمد شمس أفق المغرب (٢)
حبر بدا للناس بين بيانه وبنانه بحران للمتطلب
بالله سل عنه لسان يراعه عما روى عنه يبن أو يعرب
شهم يهش تلطفا بعفاته كشروق برق قبل وبل صيب
نادى السماح المتعفين لبابه فتسابقوا سبق الظما المشرب
أفديه من مولى يكاتب عبده بئالئ أزرت بدر مثقب

* * *

يا سيدي رمت المديح فخانني فكري واحجم عن لحاقك أشهبي
ألبستني حلل المديح وسمتني في قفو نهجك نيل ما لم يطلب
فاعذر وان احجمت عنك فمن يرم سبق السوابق في المجاري ينصب
خذها نتيجة فكرة مفلولة واقبل وان هي لم تقم بالمطلب
وعلى علاك تحية تاتيك من مسك الختام بنشر عرف أطيب

وفي مطلع عواشر اقترح التلاميذ ان يقول كل واحد ما تيسر ليرفعوه للاستاذ سيدي محمد بن الطاهر يقترحون عليه اعلان العواشر . فافتتح المترجم بقوله :

فليهنأ القلب الكئيـ ـب وفود أيام العواشر
يا ليتها - ما كان أطـ ـيبها - تدوم على الخواطر

وقال الاديب الكوسالي :

مولاي ملت في الدفاتر كفى وحد الفكر فاتر
اسعف أخا شغف بما ينفي عناه من العواشر

وقال النجيب أحمد الاساكي الافراني :

١) الربرب كجعفر : القطيع من بقر الوحش .
٢) محمد بفتح فسكون ففتح بتخفيف (من أسمائهم)

يـا سيـدى ومـؤيـدى اسعف باعـلان العواشر
فـالفكـر فـل وملت الا بصـار أوراق الـدفاتر

فأجابهم الاستاذ :

يـا سـادة أفـكـارهم تجلـو ملمـات الدياجر
وتقـد اشكـالا يعـ ـن كأنهـا بيض بـواتر
وتغوص فـى بحر القر يض على نفيسات الجواهر
للـه دركـم فقـد عجزتم القرن المخـاطر
وأتيتـم بنفـائس الا شعـار يسبين الخـواطر
فاسعـوا بجـد تظفروا بمنال أشتـات المفاخر
فالجـد يدني كـل أمـ ـر نازح الاقبال شاجر (١)
والعلم أفضـل مـا ينـا فس فيه من يبغى المئاثر
فهـو الحـلى لعاطـل وغنى لمـن طلب الـذخائر
بالعلـم يرتفع الوضيـ ـع اذا تفاخرت الجماهر
والجهـل يزرى بـالشر يف وان تخيرت العناصر
فاستعملوا الافكار فـى ابراز أسرار الـدفـاتر
حتـى اذا ملت وصـا ر العزم بالادمـان فـاتر
وتشوقـت لاراحـة فليهـن اقبال العـواشر
واستبشروا فرحا بشهـ ـر ظاهر الانـوار باهر
فرحـا بمولـد مصطفى فخر الاوائل والاواخـر
صـلى عليه اللـه مـا غنى عـلى الاغصان طائر
وعلى الصحاب وءالـه أهل التقى الغر الزواهر

ذلك نموذج من شعر ابن الطيب . وقد أجمع عارفوه على أنه مطبوع القول . سلس ما ياتي به . مقبول عند أصحاب الاذواق السليمة . ولاشك أن ما يقولون يتبينه القارىء من بعض ما تقدم . ويا ليتنا وجدنا له ءاثارا أخرى تكون نموذج أكثر لقوله . حين تمكنت يـده كما يريـد . وتعتقت خمرته ففاح نشرها . لكن ليس في مستطاعنا الا مـا تقـدم . فلنكتف بـه مرغمين بل شاكرين . لانه ماذا عسى أن نصنع لو لم نجد حتى ذلك . وقد كاد ابن الطيب الذى غبنه دهره . وحاربه بخته . يرمس منـه اديب كـان زينة المجالس . وزهرة المؤانس . والبلبل الصداح . والمسك الفواح ؛ غـير أنه من كتب فى الازل بين الخالدين . واستحقت ءاثاره الصالحة أن تكون من الخالدات . هيهات أن لايبقى الا علما فوقه نار . وشهرة تتهاداها الاعصار . فتتعثر الافواه بذكره . وذلك النحس الذى كان يحاربه خزيان ينظر ؟

---

١) شاجر : مـانـع .

الاديب عبد الرحمن الايسي

نحـــو ١٢٨٨ هـ = ١٣٥٧ هـ

نسبـــه :

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الكدورتي .

من فخذ يسمي بني سليمان . أحد الافخاذ التي تقطن قرية (كدورت) المتفرعة من (بني أكليد) منهم بنو سليمان . وذووا ركان . وبنو ادريس . وءال أحمد بن منصور . وءال علي . ومن بني اكليد الجامع لكل هؤلاء علم كثير متفرع بين هذه الافخاذ . ولم يتيسر الآن جمعهم في صعيد واحد على عادتنا في أمثالهم . وقد ذكرنا في كتاب (رجالات العلم العربي) كثيرين منهم . ولا يزال الفقيه سيدي محمد بن عبد السلام من (ذوى أركان) حيـا مسنا . وهو عالم كبير مقدام . وله كذلك ولد فقيه يذكر بالتدريس .

أما المترجم عبد الرحمن بن أحمد . فانه بعدما حفظ القرءان في ختمات قليلة . غادر بلده ياخذ عن أساتذة زمانه . فاخذ حينا فـي (أداوتنان) عـن بعضهم . ثم كان في (أدوز) عند العلامة سيدي محمـد بن العربي . وقـد ربض هناك حتى حصل . ثم ورد أيضا من بحر العلامة سيدي الحاج أحمد الجيشتيمي ثم تصدر في المدارس للتعليم . فبعد أن شارط اولا في مسجد (ايمي ايسي) كان في (أضار ءوامان) وفي (مرايت) وفي «ايمـي اوكشتيم» و (أفيلال) وفي (ايكبيلن) وفي (سيدي همو أوالحسن) وفي «بوتمزكيدا» وهناك بعض من لمعوا بين الفقهاء أخذوا عنه على قلتهم . وكان يفتي ويقضي بين الناس . وان لم تكن سوقه في ذلك حافلة . وله مصاحبة مع كل علماء جهته فيكاتبهم . ويزورهم . خصوصا جيرانه الالغيين . وقد حبب اليه الخوض في علم الادب . مجاراة لهم . فيرسل القوافي . ويساجل من يسنح له منهم ؛ وقد أصيب بكريمته ءاخر عمره . وحين نفيت الى (الـغ) كتب اليَّ بتاريخ ١٥ ـ ٤ ـ ١٥٥٦ هـ :

قل للفقيه سيدي المختار	ابن الولي قدوة الاقطـار
سيدنا علي بـ (تحت الحصن)	مأوى الهناء والمنى والامن
حتم على المخلوق أن ينقادا	بحكـم مـولاه بمـا أرادا

فيشكر المحمود للمعبود ويرتجي ازالة المجهود
وأطيب الاشياء صحة البدن من بعد دينه واعظم المنن

فأجبته :

ليس بنجل السادة الابرار من لم يكن ينقاد للاقدار
والحمد لله على الاحوال جميعها من أفضل الاعمال
ان لم أكن أرضى بفعل الباري فلست بين الناس بالمختار

وقد غادر أولادا رزقوا في باب التجارة ما رزقه هو في باب العلم. وهم الآن في (سلا) .

قولة بعضهم فيه

من أكابر أدباء سوس اليوم سنا وقدرا وأدبا . أخذ عن الاستاذين ابن العربي الادوزي وأبي العباس الجشتيمي . وله باع في المشاركة بين العلوم . غير أن الادب أبرز أوصافه . وبه يذكر . تقلب في مدارس مشارطة حتى طعن في السن ؛ وفقد كريمتيه . فلازم كِنَّهُ . وهو اليوم هناك ثاني المعري . رهين المحبسين . وله فكاهة وطراوة في المعاشرة . وولادته نحو ١٢٨٨ هـ أو قبل ذلك بقليل. أما شعره فيظهر منه أن الرجل قوي العارضة سيال القريحة . ولو سقط الينا كثير منه لكان حكمنا مسمطا ولكننا انما لمحنا ذلك من بعض أشياء سقطت الينا كسقوط الندى . فكان حكمنا بين قوسين .

فمن ءاثاره في الجناب النبوي :

قل للمطيِّ ومن لها يحدو أين المقر لهم وما القصد ؟
قلب المحب لهم يسير بسيرهم سهل عليه الغور والنجد
يا ظاعنين السالبين قلوب من يهواهم . هل يرتجي العود
يا معلنا بحداء نجب أحبة داو السقام لمن به وجد
واعطف عليه بمايحب ويرتجي من عندهم ولو أنه وعد
القلب لاه عن سوى الاحباب ما يلهيه عنه الدر والنقد
اني وان ابديت بعض تصبر عنهم فما من قربهم بد
أرض الحجاز وان نأت وتباعدت ما صدني عن أهلها بعد
مأوى الاحبة من ينال لديهم كل المرجي الربح والرفد
والزائرون لهم يقال لوفدهم يا مرحبا قد أقبل الوفد
والنحس أدبر والاماني أقبلت حتم علينا الشكر والحمد
طاب الفؤاد بطيبة وبأهلها وتمايلت أغصانها الملد
مغنى الحبيب منى القلوب محمد خير الورى من مدحه الشهد

وبحبه وبذكره فاض الدمو ع من العيون يحثها الود
يا فوز كل فتى رءاه امامه ويفوح منه المسك والنـد
لولاه ما كان الوجود بأسره وبه يكون الفضل والمجد
وبسره سهل المامور جميعها وبه يلين الصعب والصلد
ما كان نور البدر الا نوره وبه أنار الصبح اذ يبدو
من نوره نور القلوب جميعها اليمن منه 'ينال والرشد
وهو الملاذ لدى الشدائد كلها ولدى المعالى السيد الفرد

* * *

يا سيدى يا خير كل مـؤمل أنت الشفيع لنا فذا وعد
مالى سواك فارتجيه فى غد وأنا الضعيف المشتكى العبد
هذا مقام المستغيث المرتجى منك الشفاعة . أنت لى القصد
أعطاك مولاك الكريم منازلا لم يحصها حصر ولا عد
وعليك من رب العباد صلاته وسلامه ما سبح الرعـد
والآل والاصحاب والاتباع هم أهل التقى قد زانهم زهد

وقال يخاطب الاديب البوزاكارنى من قصيدة مطلعها :

دام العـلا لك ادبارا واقبالا ونلت كل مناك الجاه والمـالا

يقـول فيهـــا :

يا عاذلى فى مديح من أحبه جنـ ـب الملامات خل القيل والقالا
لو ذقت معنى هوى قومى وحبهم ما لمت من بالهوى أَعِلٌ اعـلالا
فى حى ليلاى ـِحب من رءاه يز ادا لحب من حبها يراه افضالا
بذكـر حيهم يلذ مذحهـم حسا ومعنى وتفصيلا واجمالا
لاينكر الود والاذلال فيه سوى من لم يذق.لايرى فىالعشق اذلالا
زر من تحب وان نأت مواطنه وسر لوجهته سعيا وارقـالا
صوت المحب يطيب حين نال منا زل أحبتــه وزار اطــلالا
جسمى معى حيثما أنا وعندكم ال قلب المنزل فى التهيام انزالا
أحلى القوافى اذا نظمت مدحكم والنثر كالجوهر المنثور امثـالا

ويقول منها :

هاك قريضا غريضا رده منك وا جب عليك فرد مسرعا حالا
ورصعته بأنواع الجناس ولا تنس البديع يجل الشعر اجلالا

وقد أمر المخاطب جماعة من تلاميذه فأجابوه بقصيدة مطلعها :

لله ما احلى بيا	نك يا همام وما احب
شكرتك ألسنة الورى	والعجم تثنى والعرب
فاسلم ودم فى غبطة	تسمو بها أعلى الرتب
فقريضكم يزرى على الا	لماس فى طبق الذهب

هذا ما انتقيناه مما عندنا من أقوال أبى زيد الايسى حفظه الله ونأسف حيث لم يكن عندنا من ذلك كثير .

تم الجزء الثامن عشر

ويليه بحول الله الجزء التاسع عشر



شكر وثناء

ان « المعسول » ليشكر شكرا جزيلا كل الذين ءازروا فى طبع أجزائه . بمشاركاتهم أو بشرائهم من نسخه. وأعظم مشكور الجامعة التى على رئاستها العلامة الكبير سيدى محمد الفاسى الفهرى . فقد ساهمت فى ذلك مساهمة كبيرة. كان لها تأثير فى سير طبع الاجزاء ولاء . والله يجزى المعينين فى هذه المصلحة العامة جزاء جزيلا . والله لايضيع أجر من أحسن عملا .

تنبيه

ان الاخطاء والتحريفات والاوهام من عادات كل مؤلف مؤلف فرحم الله منصحح نسخته على هذه التصحيحات التى فى ءاخر الكتاب . ثم نبهنا على ما سيقع عليه بعد ذلك ـ ولا يكون قليلا ـ لنستدركه فيما بعد . كما نرجو من كل مطالع أن ينبهنا على الاسماء وعلى كل ما يراه محرفا عن أصله . فاننا لانبيع الكتاب على البراءة . وخصوصا أمثالنا الذين يعتمدون على النقل من الافواه غالبا . فالوهم قد يكون منا أو من المخبرين أو منا معا . فكل من فيه غيرة فلينبهنا على ما يقع عليه من الاخطاء والاوهام . كما نبهنا القاضى المؤرخ الكبير سيدى حفيظ الفاسى الفهرى على أن الكاتب ابن الحمراوية تصحف فى صفحة ٨٧ من الجزء الرابع الى ابن الاعرابية . فنشكره شكرا عظيما على مانبهنا عليه .

المؤلف

فهارس الجزء الثامن عشر وهي سبع

الفهرس الاول

الفهرس الثاني

في محتويات الكتاب معنونة او غير معنونة

الفهرس الثالث

فى القوافى للمترجمين ومن اليهم ، وسأكتفى بالشطر الاول من الشعر ان كان مصرعا والا فأزيد الكلمة الاخيرة فى الشطر الثانى

الهمزة

البـاء

التـــاء

الحـــاء

الـــدال

الـــراء

الـزاي

السين

الضـاد

الطـاء

الفهرس الرابـع

فى المنثورات رسائل أو ظهائر أو مقيدات وأمثالها

اجــازات أو مــع طلبها

ظهائر وقرارات رسمية

الفهرس الخامس

فى الاسر العلميـة المذكـورة فى الجزء ، وهى على قسمين :

أسر سيقت فـى وسط موضوع الكتـاب . وهى :

واسرٌ جيء بها استطرادا . وهي :

٢٣٥ الاوداشتيـون

٢٠٧ ءال سيدى عيسى السكتانى الحوريون 257

الفهرس السادس

فـي الاخطاء المطبعيـة التي وقعنا عليهـا :

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
٣	١	الباب الخامس	القسم الخامس
٦	١٩	عشر	عشرة
٨	٩	مضنة	مظنـة
٨	١٠	اخبارناه	أخبرنـاه
١٠	٩	استباب	استناب
١١	٢٨	التيندوينى	التيمدوينى
١٣	٩	المتتبعة	المتشبعـة
٢٠	٢	تهجو	تهجى
٢٠	١٠	فانتابتكم	فى انتيابكم
٢٣	١٨	فلنكت	فكانت
٢٣	٢٢	بعظهم	بعضهـم
٢٣	٢٩	فانما	فان ما
٢٦	٢٠	لقوله	لقول
٢٨	٧	فالمقدر	فالمقرر
٢٨	١٧	الغلب	الغالب
٢٩	٦	ما قاله	ما قـال
٣٠	٩	فصار	فسار
٣٦	١٦	واتبح	واتبـع
٣٧	٥	المفتقرة	المتفقرة
٤٤	٢٤	جذب	جـدب
٤٥	٢١	سنته	سمتـه
٤٦	٣	لقضـاء	لقضاة
٤٦	٥	التيكررينى	التيكزرينى
٤٨	٢٢	يتركوا	أن يتركوا
٤٩	١٨	ومرجعة	ومراجعـة

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
٤٩	٢٨	خبر	خبـــز
٥٠	٧	شؤونـــه	شؤون
٥٠	١٩	لم يتركه	لم يترك
٥١	١١	واستحب	واستحيا
٥٢	٥	الضاة	القضاة
٥٣	١٢	قائضة	قائظة
٥٦	تـأخر السطر التاسع عن السطر العاشر		
٥٦	٢٠	الشروط	والشروط
٦٠	٣ (في الحاشية) ـ الا ـ في الماء		يسقط (الا)
٦٤	٢٢	العلامة	العـــامـة
٦٦	١	أو يـدعى	أو بدعى
٦٦	١٥	الحـديث	حديث
٦٨	١٦	١٣٩٤ هـ	١٣٤٩ هـ
٦٩	٣١	محفـوض	محفوظ
٧٠	١	ضنينـا	ظنينـــا
٧٢	٢٠	جزت	حزت
٨١	١٥	ومـا تقفى	وما تقتضى
٨٣	٢٢	رافقتـــه	فارقته
٨٤	٦	ضـــل	الذين ضل
٨٧	١٣	المنامـات	المقـامـات
٨٨	١	العلوم	علوم
٨٨	٣	واستر	واستقـــر
٩٤	٢١	يتلقـى	يلتقي
٩٩	٥	تصـــدم	تصـــدح
١٠٥	١٩	الروحـــة	الدوحة
١٠٦	١٣	أبـه فـارس	أبى فارس
١١١	١٥	بلـــده	ببلـده
١١١	٢٦	كتبت	كـتب
١٢٠	١٥	في سوس	في سوق
١٢٢	٦	سيـدى	عن سيدى
١٢٦	١٥	عن ابن العربي	عنه ابن العربي

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
١٣١	٧	أن يبرى	أن يرى
١٤١	٤	تنقـــع	لا تنقـــع
١٤١	١٨	المذكـــور	المذكورة
١٤١	٢١	الفصـــل	الاصـــل
١٤٥	٧	مستحضر	مستحضراً
١٤٥	١٢	جبالهـــا	حبالها
١٤٦	٣	هـــذا	هـــذه
١٤٦	٢٥	ولا أعرفـــه	ولا أعرف
١٤٨	٢٠	حملـــه	حملـــة
١٥٣	٥	من كتاب الله	من حفاظ كتاب الله
١٥٦	٢١	فحكم عدّى	فحكم على عدّى
١٦٣	٢٩	الاوارد	الاوراد
١٦٥	٦	معينا	معنيـــا
١٦٥	١٣	أصـــاب	أصحـــاب
١٦٦	١٥	الاقارية	الاقاويـــة
١٦٦	٢	١٣١٢ هـ	١٣١٨ هـ
١٦٧	٣	هـــذا	هـــذه
١٧١	١٧	اتصـــال	اتصـــالا
١٧٩	٢٨	وان لا يخيف	وان لا يحيف
١٨١	١٠	انه لـــه	ان له
١٨٣	١	وهي علوى	وهـــو
١٨٨	١٠	محمد العالم	محمد بن العالم
١٩٤	١٢	وأحوزها	وأحوازها
١٩٥	١٢	٣٠٩ هـ	١٣٠٩ هـ
١٩٥	١٣	نلـــه	أنـــه
١٩٥	٢٧	وواحد عشر	واحد عشر
١٩٦	١٣	ما تقدم	من تقدم
١٩٨	٩	للحكام	للاحكام
١٩٩	٣١	على الدروس	من الدروس
٢٠٠	١٠	للقضـــاء	للقضايا
٢٠٤	٢٢	الامـــام	الانام

الصفحة	السطر	الخطــأ	الصواب
٢٠٩	٢	أفنى	أغنــى
٢٠٩	١٦	وبرَدف	وبرِدف
٢٠٩	١٦	الغـدود	القدود
٢١٠	٧	فسمــا	فسقى
٢١١	٢٢	بهمــم	بهمام
٢٣١	١	ومـن اقــوال	ومن أقواله
٢٤١	١٣	الشرق	الشوق
٢١٦	٦	مع معاصريــه	من معاصريه
٢٢٤	١	(فى الحاشية) منهما	منهــا
٢٢٤	٢	(فى الحاشية) منهما	منهــا
٢٢٥	٢٢	ويصلى وهو	ويصلى هو
٢٢٦	١٨	عليــه	صلى الله عليه
٢٢٧	١٨	وهــم	وهو
٢٢٩	٢٣	ورجــل	ورحل
٢٣٠	٥	فى تدو	فى أنـدو
٢٣٤	٢٠	المــذكـورة	المذكورون
٢٣٥	٣٢	وظهت	وظهرت
٢٣٧	٢	وبعد الرحيــم	وبعبد الرحيم
٢٣٧	٢	ودق	وقــد
٢٤٤	٢٠	فلــذلــك	وكذلك
٢٤٩	٢٣	ينــاسب	ينسب
٢٦١	٢	اليوزياءى	البوزياءى
٢٦١	٤	الاحتلال	الاحتلام
٢٦١	٣١	مقبــل	مقبلا
٢٦٢	١٦	وقــد كــان	وقد كانت
٢٦٧	٥	كتبــه	كتبها
٢٦٧	٦	تقديمــه	تقدمه
٢٧٣	٢٢	المطلـــة	المططــة
٢٧٨	١٣	زيــارتهمــا	زيارتها
٢٧٨	١٨	تــدل	يــدل
٢٨٠	٢٥	نيخفيست	تيخفيست
٢٨٠	٣٠	ابن عبد السميع	ابن عبـد الواسع

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٢٨٤	٢	(فى الحاشية) الحرج	الجرح
٢٨٤	٣	(فى الحاشية) الهيبـة	البهيمة
٢٨٥	١٢	قد يحجف	قد يجحف
٢٨٧	٢٩	بالتوفيق	التوفيق
٢٨٨	٢٦	ثم لم تزود	من لم تزود
٢٩١	٢	عن اتمام	عن أثمان
٢٩٠	١٤	من أيت	من ابن
٢٩٠	٢٩	فى كـل	من كل
٢٩١	١٩	أمى الوحش	أىّ الوحش
٢٩٢	١٢	العـلامـة	العالية
٢٩٢	١٢	فما علمـاه	فما علمنا
٢٩٤	٩	نسيبـا	نسيبا
٢٩٤	٣٢	هناك	هنا لك
٣٠١	٣	فى جنابك	فى جانبيك
٣٠١	١٥	بالخليلين	بالخليلين
٣٠١	٢٢	فانهم	فانه
٣٠٣	٥	لقد أعددت	لقد أعدتْ
٣٠٣	٢١	فاتفقوا	فاتفق
٣٠٤	١٧	من الاحجاف	من الاجحاف
٣٠٨	٢٥	فلا تستجلى	فلا تستعجلُنْ
٣٠٨	٣٠	للرسمكى	للرسموكى
٣١١	١١	بذهب الوعد	بذهاب الواعد
٣١٢	٢١	والصلعوك	والصعلوك
٣١٢	١٧	مستثرف	مستنزف
٣١٣	٢٧	على رايه	على رأسه
٣١٧	٦	تعلتموا	تعلمتموا
٣١٧	٢٥	بتهنئة	بتهيئة
٣١٨	٤	الجديث	الحديث
٣٢٤	١٠	الى هذا	الى هذه
٣٢٤	٣	(فى الحاشية) الفاسد	فسد
٣٢٥	٩	فحزنا	فخَرْنا

الصفحة	السطر	الخطـــا	الصـــواب
٣٢٥	٩	وما ينل	ومن ينل
٣٢٧	٣	الكـرح	الكرخ
٣٢٧	١٩	رحمـــه	رحمك
٣٢٩	١٦	ذكـــر	ذكره
٣٣١	١٥	ديـــن	ودين
٣٣٢	١	التشهيدين	التشهدين
٣٣٢	٧	أبيـــه	اليه
٣٣٢	٣٣	عبـــد	وعبد
٣٣٣	٢	لامره	بأمرى
٣٣٣	٢٢	الـــداسية	الدادسية
٣٣٣	٢٥	عشر	عشرة
٣٣٣	٢٨	وعشرين	وعشرون
٣٣٦	٢١	على وقـف	على وفق
٣٣٧	٢٦	اتكيفـــا	أنكيفا
٣٣٧	١ (فى الحاشية)	حلد	جلـــد
٣٣٨	٣	ابن محمد	مكرر
٣٣٨	٨	تجزمنـــا	لجزمنا
٣٤١	١٥	بربـــح	بريح
٣٤١	٢٣	عمـــر	عمرو
٣٤٦	٣	يجتنبهـــا	يجتنيهـــا
٣٤٧	٩	ليس	لئـــن
٣٥٠	١	ظننتهـــا	ظننتهما
٣٥١	١٠	الخطئـــات	الخطيئات
٣٥١	٧	ولا أدرى	ولا أرى
٣٥٢	٢٨	الغوايـــا	الغواديا
٣٥٣	٨	الـــدائـــد	الـــذائـــد
٣٥٨	١٩	لـــو يمســـح	لو يمسخ
٣٥٩	١٩	متعسر	متيسر
٣٦٠	٦	أو لـــم	ولم
٣٦٠	١٠	شارع	شارح
٣٦٠	٢٥	باست المائـــح	باست الماتح
٣٦١	١٢	فـــى الـــدين	من الدين
٣٦١	٢٠	ما لكـــل	والكـــل

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٣٦٢	١٩	مـن نبـــات	من بنات
٣٦٣	١٢	صاحبـــا	صاحب
٣٦٧	٢٤	فاشرح	فانشرح
٣٧١	٢٤	على الامــــد	على الارمد
٣٧١	٢٥	بــــك	بكـم
٣٧٥	٢٦	هــــذه	هــذا
٣٧٥	٢٧	زاهت	زهت
٣٧٦	٩	ونسيانها	ونيسانها
٣٧٦	١ (فى الحاشية)	وخليـــل	وعقيـــل
٣٧٧	٢٦	والجبـــر	والجهر
٣٧٩	٢٠	قــــدروه	قد رووه
٣٧٩	٢٥	مخففـــا	مخففـــا
٣٨١	١	الـى تفـبيـــح	الى تفـبيـــع
٣٨٢	٩	محمد بن موسى	أحمد بن موسى
٣٨٤	٩	مجــذب	فجــدد
٣٨٦	٨	البيزاكــارفـى	البوزاكارنى
٣٨٧	٣	اخــــلافـات	اختــلافـات
٣٨٧	١٢	المجبـــر	المجبرة
٣٨٨	٩	بـالمنـــح	بالمنيـــح
٣٨٨	٦ (فى الحاشية)	من فداح	من قداح
٣٨٩	١٣	المحـــوظ	المحفوظ
٣٨٩	١٢	بعض	بعــد
٣٩٠	٤	فــى هـــذا	فى هـــذه
٣٩٠	٦	والاغطـــاء	والاغضاء
٣٩٠	١١	كنبـــات	كبنات
٣٩٠	١٧	المشبب	المشيب
٣٩٢	٥	ريـــــة	ريبــة
٣٩٢	١٣	يا ميــن	يا مـــن
٣٩٦	١٥	بمســـم	بميسم
٣٩٦	٤ (فى الحاشية)	بيـــدى	بـثرى
٣٩٧	٩	عن أمثـــال	من أمثال
٣٩٨	١٩	طلـــوا	ظلــوا
٤٠٠	٨	ابـــدى	أردى

الصفحة	السطر	الخطــأ	الصــــواب
٤٠٠	١	(في الحاشية) المذكور	المذكورين
٤٠٣	٢١	عشر	عشرة
٤٠٣	١٧	أوارق	أواق
٤٠٣	١٨	منعنــده	من عندى
٤٠٤	٢٢	في سيلهـــا	في سبيلها
٤٠٦	٨	(في الحاشية) يقصده	يقصد
٤٠٨	٢٧	فسيعملون	فسيعلمون
٤١٠	٢٠	فــي ذلـــك	في ذاك
٤١١	٦	فليست	أليست
٤١٥	١١	(في الحاشية) أخــذ	أخـذا
٤١٩	٢٢	مفكــــرة	المكفرة
٤٢٠	٢	فــي هــذه	في هذه
٤٢٢	١٠	اليكـــم	اليهم
٤٢٣	٢١	ءاثـــار	ءاثارا
٤٢٩	١٤	المتعفـــين	المعتفين
٤٢٩	١٥	بثالـــىء	بلئالىء
٤٣٠	٢	الداتـــر	الدفاتر
٤٣٠	٢٥	نموذج	نموذجا

الفهرس السابع في الفاظ الشلحة التى فيها حرف مشدد

أمْسرَا	أَيْت ْحدِيدُّو	ايت يِيسمُّور
أَغْرَّابُو	أَفْلاَّوكِنْس	امْحًّا و لُو
أَمْزارْكُو	أَيت عْبلاّ	افِيفْن
أَمْلْن	أَيْت أَمْجوض	اكْنِي إِيغْدانْ
أَسِيف يّيِك	ايْت ويكْمّانْ	افُولُّوس
أَنَامرإِيثْرِيون	ايْت وابْلّي	أوْجُّو

أيّيغند
أمَانْ مْلّو لْن
أنستيِف
أسرّا تو
إيسارّا امن
إيغير وِيلّو لْنْ
إيغير مَلو لْن
إداو كَازُّو
إدَاو كْمّاض
إداكّيلال
ادا كبّا رَان
إدا كِيلول
إد اَوتغمّا
إيسكبرَاد
إدهيرّان
إد بِنْرَان
إد بَاعدّي
اد بلّاهمو
إينزكْ ان

إخيّاضن
إيغشّان
إيكرومَا
إيمِي نسبت
إيشوحَار
إيصبُويّا
إيرحّالن
أوعاّبو
أوعَامِي
أوعَاّمو
أوشن
أوبُوإشوالن
بنكمُّود
بن هَادّا
تَاطّارُوست
تَادّارْت
تَارحّالت
تَافكبّاغت
تَاغاجيّجت

تَاوريرت نحروش
تَاكبمَادّارْت
تْلاثَا أوفلّا
تِينيِمّل
تِيزْكبي يِبيريغن
تِيسّا
تِيزي إيمو شِيوْن
جُدّهُم
درَاخ
دُّودْرَارْ
زْكبّادا
غلّا
عدي
قْصْبة نْتَالّاغت
مَانْتَالاّ
مَاسكَبِينَة
نسُومّر
واشّ
والكُونّاس
وِيندّان

طبـــع بمطبعـــة النجاح = الدار البيضاء
(المغرب الاقصى)
عام ١٣٨١ هـ = الموافق سنة ١٩٦٢